

جامعة اليرموك
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
قسم أصول الدين

أطروحة دكتوراه في الحديث الشريف وعلومه بعنوان

الانضباط في ضوء السنة النبوية

دراسة موضوعية

Discipline in light of the Prophet's Sunnah
objective study

إعداد الطالب

محمد أحمد حسين أبو عياش

٢٠٠٨٢٦٠٠٠٢

إشراف الأستاذ الدكتور

محمد علي قاسم العمري - حفظه الله تعالى -

قُدّمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراه في الحديث الشريف وعلومه، في كلية الشريعة والدراسات الإسلامية/ قسم أصول الدين.

عمادة البحث العلمي والدراسات العليا

الانضباط في ضوء السنة النبوية

دراسة موضوعية

إعداد الطالب

محمد أحمد حسين أبو عياش

٢٠٠٨٢٦٠٠٠٢

قُدِّمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراه في الحديث الشريف وعلومه، في كلية الشريعة والدراسات الإسلامية في جامعة اليرموك، إربد- الأُردن.

وافق عليها

محمد علي قاسم العمري..مشرفا رئيسا
أستاذ الحديث في كلية الشريعة- جامعة اليرموك

أمين محمد سلمان القضاة...عضوا
أستاذ الحديث في كلية الشريعة- الجامعة الأردنية

يوسف محمد صالح الزيوت.. عضوا
الأستاذ المشارك في العقيدة

محمد عبدالرحمن أحمد الطوالبة..................................... عضوا
الأستاذ المشارك في الحديث في كلية الشريعة- جامعة اليرموك

يحيى ضاحي علي الشطناوي.. عضوا
الأستاذ المشارك في القرآن وعلومه- جامعة اليرموك

نوقشت بتاريخ

٢٠١٣/٢/١٩م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قال الله تعالى ﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ ۚ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ۚ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ (٢٤٩) وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٢٥٠) فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ (٢٥١) تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ ۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (٢٥٢) ﴾

[البقرة: ٢٤٩ - ٢٥٢]

الإهداء

إلى روح والدِي رحمه الله تعالى

وإلى والدتي الكريمة أحسن الله إليها وحفظها ورعاها

وإلى أساتذتي الفضلاء- سددهم الله وأعانهم- حباً ووفاء واعترافا بالفضل

وإلى زوجتي الفاضلة وأبنائي أنار الله دربهم بطاعته

وإلى إخواني وأخواتي وأبنائهم حماهم الله

وإلى أستاذي عالم القراءات القرآنية الشيخ أبي نايف المنايصة - أكرمه الله -

وإلى كل الذين لهم الفضل في تعليمي وتوجيهي

وإلى العلماء وطلبة العلم والدعاة إلى الله تعالى على هدى وبصيرة

وإلى المجاهدين العاملين لإعادة الصورة المشرقة الحقيقية للإسلام العظيم

وإلى الساعين لتحكيم الشريعة الإسلامية الغرّاء في جميع جوانب الحياة.

إليكم جميعاً أقدّم أطروحتي هذه محبة ووفاءً واعترافاً بجميلكم وإحسانكم

جزاكم الله خيراً

الشكر والتقدير

الحمد لله ربِّ العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه ومن والاه أما بعد؛

فإتباعا لهدي نبينا محمدٍ ﷺ في شكر من أسدى إلينا معروفاً، وعدّه ذلك من شُكرِ الله تعالى حيث قال ﷺ:"من لا يشكُرِ النّاسَ لا يشكرِ الله"(1)؛ فإنني أتشرف بأن أتقدم بالشكر الجزيل وعظيم الامتنان ووافر التقدير إلى أستاذي فضيلة الأُستاذ الدكتور محمد علي قاسم العمري- حفظه الله ورعاه- الذي أكرمني بحُسن خُلقه وأدبه الجم ووافر علمه؛ فجمع بين يديَّ العلم وثماره الوارفة، فأحاطني برعايته، وتوجيهاته، وأبدى لي كلَّ نصح وإرشاد وسداد؛ حتى خرجت هذه الأطروحة بهذه الصورة، فما كان فيها من صواب فهو بفضل الله تعالى وبتوفيقه، ثم بتوجيهات أستاذي القيّمة، وأما ما وقع من تقصير فهو مني، ولعل بعضه من تقصيري في الاستفادة من توجيهات أستاذي وملاحظاته القيِّمة والكبيرة.

وأتقدم بالشكر الجزيل إلى أستاذي الفاضل الدكتور محمَّد زهير الدقامسة الذي تفضل عليَّ بإرشاده الأول إلى هذا الموضوع. كما وأتقدم بالشكر الجزيل إلى أساتذتي الفضلاء الذين شرَّفوني بقبولهم الكريم مناقشة أطروحتي، مستفيداً وملتزماً - بإذن الله وتوفيقه- بتصويباتهم وتوجيهاتهم ونصائحهم؛ التي ستزيد من قيمة هذه الأطروحة وترفع من سويتها.

ولا يفوتني أن أشكر أساتذتي ومعلميَّ والإداريين في جميع مراحل الدراسة عامة، وفي هذه المرحلة خاصة، وأن أشكر كلية الشريعة التي شرُفت بالتعلم فيها على يد خيرة من أساتذتها.

لأولئك جميعاً، ولسائر أهل الفضل جميعاً شكراً لكم، وجزاكم الله خيراً.

---

(1) الترمذي، السنن، كتاب: البر والصلة عن رسول الله ﷺ، باب: ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك، رقم١٩٥٤، وقال:"حسن صحيح"، ورواه أبو داود، السنن، كتاب: الأدب، باب: فِي شُكْرِ الْمَعْرُوفِ، رقم ٤٨١٣، بلفظ: « لاَ يَشْكُرُ اللَّهَ مَنْ لاَ يَشْكُرُ النَّاسَ ».

قائمة المحتويات

الملخص

تناولت هذه الأطروحة موضوعاً مهماً وهو الانضباط في ضوء السنة النبويـــة، دراســة موضوعية، وتشملُ: بيان مفهومه، وأهميته، وأُسسه، ووسائلَ إيجادهِ وسبُلَ تنميتـــه، ومجالاتـــه المتنوعة، وتسليط الضوء على بعض الصور الرائعة في تعامل المسلم مع الآخر؛ وأساسها تقدير وقوع الاختلاف وحُسن التعامل معه بحكمة ورحمة وتسامح.

وقد أوضحت هذه الأطروحة بالأدلة من السنة النبوية والسيرة العطرة حرص الإســلام على تربية المسلمين على الانضباط من خلال أمره وتوجيهه بالتقيد بــالالتزام بتنفيــذ الأوامــر المشروعة بشمولها، وأن يكون ذلك التطبيق بصورة متقنة ومحكمة، مع الحرص على مراعـــاة احترام النظام والالتزام به بأجل صوره وأرقى حالاته، وقد استشهدت على ذلك بالتطبيق العملي من التاريخ الإسلامي المشرق؛ وخاصة في زمن الخلفاء الراشدين-رضي الله عنهم-.

كما ردَّت هذه الأُطروحة على اتهام الأمة الإسلامية بالفوضى والعــشوائية فـــي تنفيــذ الأوامر، وبينت أنَّ من يقع منه ذلك يُعد مخالفاً للأوامر والتوجيهات الشرعية، كما وردَّت علـــى بعض الطعون والشبهات الأخرى، ومنها ادعاء تعرض غير المسلمين للظلم في ظل حياتهم فـــي الدولة الإسلامية، وبينت أنهم قد تمتعوا بالعدل والإحسان، وحقوق المواطنة الكاملة.

وخلُصت الأُطروحة إلى أنَّ الإسلام قد رتَّب ونظَّم شئون المسلمين كلها بإتقان وإحكـــام، ونَبَذَ العشوائية والفوضى من حياتهم؛ ففي مجال العقيدة هذَّب ونظم تعامل المسلم مـــع الخـــالق تبارك وتعالى، وجعل العقيدة هي المنطلق الأول والمحرك الأساس لجميع الأعمال، وركَّز علـــى المراقبة الذاتية، وجاء دور الشعائر التعبدية المخصوصة بارزاً وفي مقدمتها الصلاة؛ لتحقق الأثر الكبير في تربية المسلم، وليتعلم ويعتاد من خلالها الانضباط بصورته العامة، وخاصة بالوقـــت، والالتزام بتنفيذ الأمر، والتقيد بالكيفية المطلوبة بدقة متناهية.

وبيّنت هذه الأطروحة أنّ المسلم في العلاقات الاجتماعية يتربى ويتعلم علــى احتــرام الأعراف والعادات والتقاليد الصحيحة، ويضبط انفعالاته وعواطفه باتزان في ميادين الحياة كلها وأهمها في ميداني الأفراح والأحزان.

كما أنَّه في تعامله مع المال والاقتصاد يحرص على الاستثمار النافع بأنواعه، ويجتهــد في أداء الحقوق إلى أصحابها، ويترفع عن المغريات والمحرمات والشبهات، وحيث إنّ المــسلم يهتم بالقوة المادية والعسكرية، فإنّه يجتهد في حُسن استخدامها لإحقاق الحق، والدفاع عن حُرمة الدين والنفس والعرض والوطن، وكذلك نصرة للمظلومين.

وقد أكدّت هذه الأطروحة على ضرورة إعداد الكفاءات في كل ميدان، والاجتهــاد فــي استثمارها وتوظيفها في مواقعها المناسبة، وحُسنَ التعامل معها، وأكدت على فقــه الأولويــات؛ بتقديم الأهم فالمهم وفق أُسس صحيحة.

كما بينت أنّ الإسلام رسالة عالمية سمحة قد أحسنت التعامل مع الآخر، فعاشوا في ظل الدولــة الإسلامية، متمتعين بحرية العبادة، ومحتفظين بخصوصياتهم، بل إنّ المسلمين قد أقــاموا معهــم علاقات اجتماعية فتزوجوا من أهل الكتاب، وتزاوروا معهم، وتهادوا بينهم، كما وعقدوا اتفاقات مع الآخر لفتح المجال للتبادل التجاري، والتعايش بسلام وتعاون وعدل.

التمهيد

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمدٍ المبعوثِ رحمةً للعالمين، ومخرجاً لمن آمن به من الظلمات إلى النور، وعلى آله وصحبه أجمعين، وعلى من سار على نهجه، واستن بسنته إلى يوم الدين، أما بعد؛

فقد عمل النبي ﷺ على تنظيم حياة المسلمين، وإبعادهم عن الفوضى والعشوائية، ودعاهم إلى الإتقان والإحكام والإبداع في حياتهم وأعمالهم بطرق متعددةٍ وأساليبَ متنوعة؛ فحقق في حياتهم الانضباط من خلال: **الالتزام بتنفيذ الأوامر المشروعة بدقة متناهية، وأداء الأعمال بصورة متقنة ومحكمة، وتطبيقها بصورة منظمة ومرتبة على الوجه المطلوب، وضمن الوقت المحدد؛ تحقيقاً للأهداف المقصودة؛ للوصول إلى أفضل النتائج وأرقاها**[1]؛ وقد ظهر ذلك عبر أدائهم للعبادات، وإنجازهم للمعاملات، وسائر الأعمال، حيث كان الانضباط في عباداتهم ومعاملاتهم سلوكاً عاماً، يلتزمه الصحابة -رضي الله عنهم- ومن سار على نهجهم.

وقد جاءت الآيات الكريمة والسنة النبوية متتابعة في تقرير مبدأ الانضباط بنبذ العشوائية والفوضى من حياة المسلم؛ ففي صلاته ضبط لأول الوقت وآخره، وضبط لإعلان صلاة الجماعة، وتسوية للصفوف بحيث لا يتقدم ولا يتأخر عن غيره، وضبط لحس الاستعلاء؛ فالكل سواء، وفي الصيام ضبط للإرادة وتقوية للعزيمة، ودفع لجماع الشهوة.

وسيظهرُ -إن شاء الله تعالى- المنهجُ النبوي في تقرير مبدأ الانضباط، وأسسه، ووسائل إيجاده وسبل تنميته، وشمول مجالاته وتعدد صوره، وأنَّ وجوده في أداء الأعمال من أهم أسباب قوة المجتمع والدولة، وأنَّ غيابه من أهم أسباب ضعف الأمة وتراجعها؛ والتأكيد على أنَّ الدولة

---

(1) سيظهر- إن شاء الله تعالى- سبب اختيار هذا الترجيح لمفهوم للانضباط ص١٢.

الإسلامية قد قامت في حياة النبي ﷺ محققة لشرف الدولة العادلة والفاضلة، والمنضبطة في جميع جوانب الحياة الإنسانية.

مشكلة الدراسة

إنّ مما اتُهم به المسلمون **العشوائية والفوضى**، وغياب الانضباط في احترام النظام بصورة عامة عن سلوكهم وأعمالهم وعلاقاتهم، وعدم الإتقان في أعمالهم؛ مما أدى إلى تقديم صورة مشوهة عن الإسلام العظيم.

ولذا جاءت هذه **الدراسة للإجابة عن الأسئلة الآتية:**

١- ما هو الانضباط؟.

٢- ما أهمية الانضباط؟.

٣- ما أُسس الانضباط؟.

٤- ما وسائل تنمية الانضباط؟.

٥- ما مجالات الانضباط ؟.

٦- ما صور الانضباط في تعامل المسلم مع الآخر؟.

أهداف الدراسة

جاءت هذه الدراسة **للإجابة عن التساؤلات السابقة من واقع السنة النبوية والسيرة المطهرة**، ولبيان اشتمال السنة النبوية على قواعد الانضباط والعناية بمظاهره، وبيان مدى عنايتها بذلك وتحقيقه في حياة المسلم، ومحاربة الفوضى والعشوائية، وللرد على الشُبَهِ التي يثيرها غير المسلمين.

أهمية الدراسة

وتكمن أهمية هذه الدراسة فيما يأتي:

١- كونها تُوصّل لقضية عظيمة هي الانضباط في الإسلام، وتُظهِرُ مدى حرص الإسلام على احترام النظام، وحثه على الدقة في تنفيذ الأوامر المشروعة، ودعوته للإتقان في كل ميدان، كما تُظهر محاربة هذا الدين العظيم للعشوائية والفوضى.

٢- تُبيِّن شمول الانضباط لحياة المسلم في العبادات، والمعاملات، وسائر أعماله كلها؛ فيما يخص علاقته بربه -تبارك وتعالى-، وعلاقته ببني جنسه من أهل ملته، وتُجلّي صوره الراقية، باعتباره مظهراً من مظاهر القوة والعزة والمنعة.

٣- تُبيِّن صور الانضباط في تعامل المسلم مع الآخر، وأنّ علاقة المسلم بغيره قائمة على قواعد وأسس وضوابط واضحة.

٤- تُسهم بالقدر الممكن في وضع لبنة في صرح بناء الفكر الإسلامي، وتعزيز المكتبة الإسلامية في هذا الجانب بجمع شتات هذا الموضوع وإبراز جوانبه المتعددة.

الدراسات السابقة

إنّ الناظر في المكتبة الإسلامية يجدها بحاجة إلى دراسة في موضوع (الانضباط في ضوء السنة النبوية) كدراسة منهجية متكاملة، وقد نجد بعض مسائل هذا الموضوع مبثوثة في ثنايا الكتب لكنها لا تُشكِّل إطاراً كافياً للطرح، فضلاً عن خُلوّها من التأصيل الإسلامي؛ وخاصةً في ضوء السنة النبوية.

وقد ظهر لي بعد البحث، وسؤال أهل العلم، والرجوع إلى المكتبات العامة، وشبكة(الإنترنت)، عدمُ وجود دراسات سابقة مستقلة حول **الانضباط في ضوء السنة النبوية** أو **الانضباط في الإسلام**، ولكنّي وجدت كتابا عاماً واحدا هو (الانضباط والطاعة وأثرهما التربوي) للدكتور أحمد بن محمد العليمي[1].

(١) العليمي، أحمد بن محمد، الانضباط والطاعة وأثرهما التربوي، طبعته دار ابن حزم، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى (١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م)، إصدارات مركز التفكير الإبداعي (٨٩) السلسلة التربوية (١٦).

وقد قال مؤلفه في مقدمته "فهذه نبذ في موضوع الانضباط والطاعة، قصدت بهـا بيـان مصطلح الانضباط والطاعة في الإسلام مركّزاً على طاعة العلماء والمربين..."[1].

فهو "نبذ" كما قال مؤلفه حوى مقتطفات يسيرة في موضوعه، وأما في تعريفه لمـصطلح الانضباط فاقتصر على تعريفٍ نقله من بحث مخطوط للجابري بعنوان(الانضباط الإداري) حيث قال "**هو مقاربة تنفيذ العامل لجزئية عمل مستطاعة بعينها مطلوبة منه، خـلال وقـت محـدد، وضمن الحفاظ على العمل**"[2].

ولوحظ أن الكاتب قد لا يذكر آية كريمة أو حديثاً نبوياً- في مواضع-؛ وإنما يُركِّز على الجانب الإداري ومثال ذلك: (الانضباط في بذل الجهد من قبل الفرد) حيث قال: "والـضبط فـي الإدارات والمصانع يظهر من خلال الساعة الطابعة، والكمبيوتر..."[3]، فلم يحتج بآيةٍ أو حـديثٍ على هذا الموضوع، أو قد يقتصر على الاستشهاد بآية كريمة والاستشهاد بالسنة النبوية متيـسر ومثاله في موضوع: (الاستعجال والعجز عن تحمل المشاق ومتاعب الطريـق)[4] وكـذلك فـي (الضغط العائلي)[5]، وقد يقتصر على الاستشهاد بِحَدَث من حياة الصحابة رضي الله عنهم، وفي ذلك الموضوع أدلة متعددة عن النبي ﷺ وهي أولى وأقوى دلالة، ومثاله: (الإيذاء الجـسدي)[6]، (تفريق شمل الأسرة الواحدة)[7]، وهذه من المباحث التي ذكرها الكاتب والتي يمكـن القـول إنّ صلتها بالانضباط بالصورة التي قدمها موضع بحث.

---

[1] العليمي، أحمد بن محمد، الانضباط والطاعة وأثرهما التربوي، المرجع السابق، ص٧.

[2] المرجع السابق، ص١٨.

[3] المرجع السابق، ص٤٢-٤٣.

[4] المرجع السابق، ص١٣٥-١٣٦.

[5] المرجع السابق، ص١٤٩-١٥٠.

[6] المرجع السابق، ص١٤٥.

[7] المرجع السابق، ص١٤٨-١٤٩.

وبعد قراءته يمكن القول إنَّ هذا الكتاب يفيد في بعض الجوانب كطاعة ولاة الأمر والعلماء والإداريين، ولكنه لا يُقدِّم صورة شاملة للانضباط، بل مقتطفات جزئية ويسيرة.

وأما **هذه الدراسة** فَستُشكِّل -إن شاء الله تعالى- تأصيلاً للانضباط من خلال أهم مظاهره، وشمول مجالاته في الحياة، من واقع السنة النبوية المشرفة، وستكون - بعون الله تعالى وتوفيقه- فاتحة خير ومنطلق رشد للتأصيل للانضباط في الإسلام، كما سترُد على الشُبَه التي يثيرها المستغربون من أبناء جلدتنا، وغيرهم من أعداء الإسلام؛ تجلية للحقيقة أولاً، ثم دفاعاً عن الإسلام وأهله.

منهج الدراسة

اقتضت طبيعة هذه الدراسة استخدام المنهج **التحليلي** بعد **حصر** ما أمكن من النصوص الحديثية الواردة في الموضوع، و**الاستنباط** بتدقيق النظر في أقوال العلماء، والبناء على ذلك من غير إفراط ولا تفريط ؛ للخروج بصورة متكاملة عن هذا المبدأ الأصيل.

حدود الدراسة

ستكون هذه الدراسة-إن شاء الله تعالى- مقصورة غالباً على ما ورد من أحاديث نبوية شريفة في كتب الحديث التسعة، وفي السيرة النبوية لابن هشام؛ وذلك لغزارة المادة العلمية وشمولها؛ ولأنها في الأغلب تسد عن غيرها أو تكفي في الاحتجاج بها.

خطة الرسالة اشتملت على تمهيد وثلاثة فصول وخاتمة

التمهيد

الفصل الأول: الانضباط: مفهومه وأهميته وأسسه وتنميته

المبحث الأول: مفهوم الانضباط لغة واصطلاحا

المبحث الثاني: أهمية الانضباط

المطلب الأول: كون الانضباط طاعة لله تعالى

المطلب الثاني: كون الانضباط داعياً إلى استثمار الوقت والجهد

المطلب الثالث: الاقتصاد في التكاليف

المطلب الرابع: تحقيق السعادة والطمأنينة

المطلب الخامس: إتقان الأعمال وتحقيق التقدم والرقي للمجتمع

المبحث الثالث: أسس الانضباط

المطلب الأول: الانضباط بالوقت

المطلب الثاني: الانضباط بطريقة العمل المناسبة

المطلب الثالث: الانضباط في بذل الجهد

المطلب الرابع: الانضباط في تحقيق الأهداف

المبحث الرابع: وسائل تنمية الانضباط

المطلب الأول: إيجاد البيئة التربوية التعليمية

المطلب الثاني: سن القوانين

المطلب الثالث: التدريب

المطلب الرابع: مواءمة العمل مع العاملين

المطلب الخامس: الاختبارات

الفصل الثاني: مجالات الانضباط

الفصل الثالث: الانضباط في التعامل مع الآخر

المبحث الأول: الانضباط في التعامل مع المنافقين

المبحث الثاني: الانضباط في التعامل مع غير المسلمين

المطلب الأول: المبادئ والأصول العامة في تعامل المسلم مع غيره.

المطلب الثاني: الأحكام الخاصة في تعامل المسلم مع غيره.

الخاتمة وفيها أهم النتائج والتوصيات

الفصل الأول: الانضباط: مفهومه وأهميته وأسسه وتنميته

المبحث الأول: مفهوم الانضباط لغة واصطلاحاً

قال الخليل بن أحمد الفراهيدي: "الضبط لزوم الشيء لا يفارقه في كل شيء، ورجل أضبط ...يعمل بيديه معاً"[1]

وقال الفيومي"ضَبَطه ضَبْطاً -من باب ضَرَبَ- حَفِظه حفظاً بليغاً، ومنه قيل:" ضَبَطتُ البلادَ وغيرها؛ إذا قمتُ بأمرها قياماً ليس فيه نقص، وضَبِط ضَبَطاً -من باب تَعِب- عمل بكلتا يديه فهو أضبط"[2].

وقال ابن منظور:"وضَبْط الشيء حِفْظُه بالحزم، والرجل ضابط أي حازم ...الضابط: القوي على عمله، ويقال:"فلان لا يضبط عمله؛ إذا عجز عن ولاية ما ولِيَه"[3].

ومفهوم المخالفة يقتضي: أن من قام بما وليَه على الوجه المطلوب كان ضابطاً.

وقال الفيروز أبادي:"..."وأضبط من ذرة "لأنها تجر ما هو على أضعافها، وربما سقطا من شاهق فلا ترسله"[4].

وقال:" الدكتور أحمد مختار عمر: انْضَبَطَ: الجذر: ض ب ط، مثال: انْضَبَطَ الطلاب في دراستهم، (فصيحة)، المعنى: خضعوا للقواعد والنظم وتعودوها، التعليق: أقرَّ مجمع اللغة العربية المصري قياسية مجيء «انفعل» مطاوعًا لـ «فَعَلَ» المتعدي الدال على معالجة حسيّة؛ ومن ثَمَّ

---

(1) الفراهيدي، أبو عبد الرحمن، الخليل بن أحمد١٠٠-١٧٥هـ، العين، دار إحياء التراث، بيروت- لبنان، الطبعة الثانية ١٤٢٦هـ /٢٠٠٥م، ص٥٤٢ .

(2) الفيومي، أبو العباس أحمد بن محمد بن علي المُقري، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، توزيع شركة القدس، الطبعة الأولى١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، ص٣٤٥.

(3) ابن منظور، أبو الفضل، جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري، لسان العرب، دار صادر بيروت، الطبعة الأولى٢٠٠٠هـ، ٩/١٢-١٣.

(4) الفيروز أبادي، مجد الدين، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، مكتبة الإيمان، مصر - المنصورة، الطبعة الأولى١٤٣٠هـ/٢٠٠٩، ص٥٧٥.

فقد أجاز استعمال «انضبط» ومصدره الانضباط قياسًا، وقد أوردته المعاجم الحديثة كالوسيط"[1].

حيث جاء في المعجم الوسيط:" ضَبطَه: ضبطاً حفظه بالحزم حفظا بليغا، وأحكمه وأتقنه، ويقال: ضبط البلاد وغيرها قام بأمرها قياماً ليس فيه نقص، والكتاب[2] ونحوه: أصلح خلله أو صححه وشكله، انضبط: مطاوع ضَبَط"[3]

ومن هذه الأقوال يُستنتج ما يأتي:

إنَّ الانضباط عند أهل اللغة يقتضي أداء الأعمال بإتقان وإحكام، مع شدة الاهتمام بتلك الأعمال، والحرص على إنجازها ضمن الوقت المحدد، والحيلولة دون أن تمتد إليها يد العابثين، والتحذير من العجز، والفوضى والعشوائية؛ وضرورة تأدية الأعمال وفق القواعد والأسس الخاصة بها، مع المحافظة على النظام والترتيب، واعتياد ذلك؛ لتحقيق الأهداف المقصودة، والوصول إلى أفضل النتائج وأرقاها.

الانضباط اصطلاحاً

لقد بيَّن بعض المعاصرين مفهوم الانضباط بصور جزئية أو في مجال محدد كالانضباط في المجال النفسي والاجتماعي، أو في المجال العسكري، فمن التعريفات التي ركَّزت على الجزئية تعريف الجابري، حيث قال الانضباط:"هو مقاربة تنفيذ العامل لجزئية عمل مستطاعة بعينها مطلوبة منه، خلال وقت محدد،وضمن الحفاظ على العمل"[4]. وممن عرَّف الانضباط بالنظر إلى مجال محدد كالنفسي والاجتماعي اللواء الركن محمود شيت خطَّاب حيث

---

(1) الدكتور أحمد مختار عمر بمساعدة فريق عمل معجم الصواب اللغوي دليل المثقف العربي، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م، ١ رقم١٠٤٨١، ١٦٤/١ .

(2) أي ضبط الكتاب.

(3) الدكتور إبراهيم أنيس، ورفاقه وهم: الدكتور عبدالحليم منتصر، وعطية الصوالحي، ومحمد خلف الله أحمد، وأشرف على الطبع: حسن علي عطية، ومحمد شوقي أمين، وقدم له: إبراهيم مصطفى وأحمد الزيات وحامد عبد القادر و محمد النجار، المعجم الوسيط، باب الضاد، ٥٥٩/٢، باختصار يسير.

(4) العليمي، أحمد بن محمد، الانضباط والطاعة وأثرهما التربوي، مرجع سابق، ص١٨.

قال:"الانضباط: هو السيطرة على النفس لغرض تطوير الطبيعة البشرية إلى أرفع المستويات، وللأغراض الشخصية والاجتماعية أيضاً"، وإلى هذه الفضيلة يستند الطهر والتواضع والصبر"[1]، وقال العميد أنور خلف:" الانضباط هو الحالة العقلية والنفسية، التي تجعل الاطاعة والسلوك الصحيح أمراً غريزياً في النفس، مهما كانت الظروف"[2]

ومنهم من نظر إلى المجال العسكري، كالدكتور أحمد رجب الأسمر؛ حيث بيّن مفهوم الانضباط العسكري فقال:" أن يكون الجيش ملتزماً بالتنظيم المعتمد له، يعرف كل جندي، وكل مسئول، وكل فرقة المكان المخصص لها؛ فالفرسان فرسان، والمشاة مشاة، والمقدمة مقدمة، والساقة ساقة[3]، وهكذا القلب والجناحان(الميمنة والميسرة). وأن يلتزم بالأوامر الصادرة إليه من القيادة ويُطيعها، فلا اجتهادات فردية ولا اتباع للهوى"، وأتبع هذه التعريف بقوله:" ومن المعروف عسكرياً أن الجيش الأكثر ضبطاً من حيث النظام والطاعة، ووحدة الرأي والموقف؛ أجدر بتحقيق النصر من الجيش الذي يركب فيه كلّ رأسه، وينطلق على هواه فتعمُّه الفوضى، ويسوده الاضطراب"[4]، وهناك من صرَّح بأنَّ الانضباط من تعاليم الإسلام[1]؛ وهذه التعريفات والتوضيحات تُعد جزئية، أو خاصة بميدان محدد؛ ولكنها ليست شاملة.

---

(1) خطاب، اللواء الركن محمود شيت، بين العقيدة والقيادة، دار القلم – دمشق، الدار الشامية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨م، ص٦٣.

(٢) أبو النور، العميد، أنور خلف، مساعد المفوض السياسي للشئون العسكرية، المفوض السياسي للامن الوطني، الموقع *www.png.plo.ps*

(3) قال النووي "السَّاقَة: وَهُمْ الَّذِينَ يَكُونُونَ آخِر الْعَسْكَر" النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم، ٢٣٦/٦، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:" طُوبَى لِعَبْدٍ آخِذٍ بِعِنَانِ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، إِنْ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ، وَإِنْ كَانَ فِي السَّاقَةِ كَانَ فِي السَّاقَةِ"، رواه البخاري، الصحيح، كتاب الجهاد والسير باب: الْحِرَاسَةِ فِي الْغَزْوِ فِي سَبِيلِ اللهِ، رقم٢٨٨٧.

(4) الأسمر، الدكتور أحمد رجب، النبي ﷺ المربي، دار الفرقان، الأردن، عمان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ص٥٨٠.

وقد خرجت بالتعريف الآتي: **الانضباط: هو الالتزام بتنفيذ الأوامر المشروعة بدقة متناهية، وأداء الأعمال بصورة متقنة ومحكمة، وتطبيقها بصورة منظمة ومرتبة على الوجه المطلوب، وضمن الوقت المحدد؛ تحقيقاً للأهداف المقصودة؛ للوصول إلى أفضل النتائج وأرقاها.**

وهذا التعريف للانضباط هو الأنسب، لأنه الأدق والأشمل والأقرب إلى الأسس والمعاني المقصودة من الانضباط؛ فهو يُبرزُ المعاني اللغوية، ويُظهرُ أنَّ المنضبطَ يحرص على تنفيذ الأمر بإتقان وإحكام، مع مراعاة الدقة بالتزام النظام والترتيب بأدق صوره وأرقى حالاته، ذلك الأداء المُقيَّد بكونه ضمن الوجه المأمور به أو المستحب، وضمن الوقت المحدد فلا يتقدم على الوقت ولا يتأخر عنه، مع مراعاة الحرص على تحقيق الهدف المنشود من ذلك الفعل، للوصول إلى أفضل النتائج وأكبرها وأرقاها، ولا بُد من التأكيد والإشارة إلى أنّ الانضباط الشامل في الإسلام مشروط بكونه ضمن الكتاب والسنة.

ومما يرد في هذا المقام هو بيان مفهوم النظام وصلته بالانضباط، فالنظام لغة:" نَظَمَ الأشياء: ألَّفها، وضم بعضها إلى بعض، ونظم أمره: أقامه ورتّبه، وانتظم: تألَّف واتسق، يقال: نظمه فانتظم، ويقال: انتظم أمره: استقام، وتناضمت الأشياء: تضامت وتلاصقت، يقال: نظام الأمر قوامه وعماده، النظيم: ما تناسقت أجزاؤه على نسق واحد"[٢].

وأما النظام اصطلاحاً فقد جاء تعريفه حسب المقام الذي ذكر به ومن ذلك: **النظام الإسلامي:" هو أوامرٌ ونواهٍ إلهية، طاعتها هي طاعة لله، ومخالفتها هي مخالفة لله"[٣].**

---

(١) انظر: القرعاوي، محمد بن عبدالعزيز السليمان، الجديد في شرح كتاب التوحيد، دراسة وتحقيق: محمد بن أحمد سيد أحمد، مكتبة السوادي، جدة-المملكة العربية السعودية، الطبعة : الخامسة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ص٣٢٩.

(٢) أنيس، الدكتور إبراهيم، وآخرون، المعجم الوسيط، ٩٧٣/٢.

(٣) الشحود، علي بن نايف، موسوعة البحوث والمقالات العلمية، - من الموسوعة الشاملة-، ص١.

والظاهر في هذا المفهوم أنّه سلّط الضوء على الجانب النظري، وبيّن أهمية تلك الأوامر والنواهي.

ومنهم من بين مفهومه فقال:" **هو مجموع الأشياء المترابطة المتناسقة المتآلفة التي يكون لها ثبات واطراد**"[1]، والظاهر أنّ مفهوم الانضباط هو أشمل من النظام؛ ففي النظام يُراعى تنفيذ الأمر، والترابط والتناسق والاستمرار في ذلك، كما أنّ النظام قد يُطلق على الجانب النظري، بينما يطلق الانضباط على التطبيق العملي، ويُراعى في الانضباط أمور هامة أولها: أن النظام جزء من الانضباط، وثانيها: الاجتهاد في تنفيذ الأمر على الوجه المطلوب، والدقة والإتقان في ذلك التنفيذ، وثالثها: الاهتمام بالهدف المقصود من ذلك الأمر أو العمل، ورابعها: السعي نحو الوصول إلى أفضل النتائج وأرقاها.

(١) الشريف، محمد بن شاكر، مقدمة في فقه النظام السياسي الإسلامي، من الموسوعة الشاملة، ١/٩، والشحود، علي بن نايف، موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة، من الموسوعة الشاملة، ٤٩/٢٨٨.

المبحث الثاني

أهمية الانضباط

إنّ الانضباط في الإسلام هو قانون الحياة الكوني والشرعي، فهو كوني إجباري على السماوات والأرض، بما فيها من نجوم وكواكب ومدارات وغيرها؛ تسير وفق انضباط إجباري لا تتعداه قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾[فصلت/ ١١]، وقال تعالى﴿ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [يس:٣٨-٤٠]، قال ابن كثير-رحمه الله تعالى -:"قيل المراد بقوله﴿ لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا﴾ هو[1] انتهاء سيرها وهو غاية ارتفاعها في السماء في الصيف وهو أوجها، ثم غاية انخفاضها في الشتاء وهو الحضيض، والقول الثاني: منتهى سيرها وهو يوم القيامة، يبطل سيرها وتسكن وتُكوّر، وينتهي هذا العالم؛ وهو مستقرها الزماني"[2]، وقد فصّل في ذلك سيد قطب- رحمه الله تعالى - فقال" ولكل نجم أو كوكب؛ فلك أو مدار، لا يتجاوزه في جريانه أو دورانه، والمسافات بين النجوم والكواكب مسافات هائلة، فالشمس لا ينبغي لها أن تدرك القمر، والليل لا يسبق النهار، ولا يزحمه في طريقه؛ لأنّ الدورة تجيء بالليل والنهار، لا تختل أبداً فلا يسبق أحدهما الآخر أو يزحمه في الجريان!"[3].

---

(1) هذا هو القول الأول.

(2) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، القرشي، الدمشقي،٧٠٠-٧٧٤هـ، تفسير القرآن العظيم، تحقيق سامي بن محمد السلامة، دار طيبة، الطبعة الثانية،١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، المملكة العربية السعودية، ٥٧٧/٦، باختصار

(3) قطب، سيد إبراهيم، في ظلال القرآن، دار الشروق - القاهرة وبيروت، الطبعة الشرعية الرابعة والثلاثون، ٢٩٦٩/٥، باختصار.

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال:"كنت مع النبي ﷺ في المسجد عند غروب الشمس فقال ﷺ :"يا أبا ذر أتدري أين تغرب الشمس". قلت الله ورسوله أعلم قال :"فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش" فذلك قوله تعالى: ﴿ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾"[1] .

وتجدر الإشارة أنَّ نظاماً كونياً قد توقف مرةً لتحقيق نظام شرعي، ولعل في ذلك لفتة مفادها أنّ النظام الشرعي الاختياري أهم من النظام الكوني الإجباري، وأنّ الانضباط لله تعالى هو المقدّم، وقد تحقق ذلك بدعاء أحد الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- فقد خاطب الشمس بأنها مأمورة وأنه هو مأمور، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:"غزا نبي من الأنبياء، فدنا من القرية صلاة العصر أو قريبا من ذلك، فقال للشمس:" إنك مأمورة وأنا مأمور، اللهم احبسها علينا" فَحُبست حتى فتح الله عليه"[2].

قال الحافظ ابن حجر-رحمه الله-:" وصل إلى القرية وقت عصر يوم الجمعة فكادت الشمس أن تغرب ويدخل الليل، وأنا مأمور...، والفرق بين المأمورين أن أمر الجمادات أمر تسخير وأمر العقلاء أمر تكليف"[3].

ولعل هذا مما يُشعر المسلم بالانسجام والتناغم مع الكون، ويوجهه للمزيد من الانضباط؛ لأنّ الشمس في انضباط كوني إجباري لا تتعداه، بينما المسلمُ ينضبط انضباطاً باختياره طاعة لله تعالى؛ فهو يراقب بحسه المُرهف، وعقله المتدبر النظامَ الكوني الفسيح؛ ويستشعر أنَّه جزء منه.

---

(١) البخاري، الصحيح، كتاب بدء الخلق، باب: صفة الشمس والقمر، رقم٣١٩٩.

(٢) متفق عليه: البخاري، الصحيح، كتاب فرض الخمس، باب: قول النبي ﷺ:"أحلّت لكم الغنائم"، رقم٣١٢٤، ومسلم، الصحيح، كتاب: الجهاد، باب: تحليل الغنائم لهذه الأمة خاصة، ١٧٤٧.

(٣) ابن حجر، أبو الفضل، أحمد بن علي العسقلاني، ٧٧٣-٨٥٢هـ، فتح الباري في شرح صحيح البخاري، ٣١٢/٦.

ولا بدّ من التأكيد أنّ تحقيق الإنجازات، وتقدُّم المجتمعات، ورقيها، يتحقق بالتخطيط والتنظيم، والانضباط، وليس بالفوضى والعشوائية، والإهمال والكسل واللامبالاة[1]، ولذا فإنّ الله سبحانه وتعالى نفى مطلق العبث في خلقه للسماوات والأرض وما بينهما قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [الدخان:٣٨-٣٩] كما نفى تبارك وتعالى العبث عن الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- فيما بلّغت من أمر الله تعالى، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [البقرة:٦٧].

وقد حرص النبيﷺ على محاربة العبث؛ من خلال الحرص على إيجاد النظام في حياة الأمة الإسلامية وتقوية حرصها عليه واحترامها له، ويشير إلى ذلك الأستاذ محمد قطب فيقول: "النظام من ضرورات الحياة البشرية، وفي هذه الأيام خاصة يتردد القول بأنه من "التحديات الحضارية" التي تواجه هذه الأمة، وقد أنشأ النبي ﷺ أمة شديدة التنظيم، لا تكره النظام ولا تتمرَّد عليه، بل تُسارع إليه، وتمتثل لمقتضياته، والإسلام كله نظام ودقة، مع سماحته التي تعطف على الضعف البشري ولا تلعنه ما دام صاحبه لا يُصر عليه، ومع نداوته التي تتعامل مع النفوس البشرية لا على أنها آلات وأدوات، ولكن على أنها مشاعر وعواطف، فيرفع عنها الحرج، ولكنّ خط الإنحراف الطويل ظلّ يُحدث إنحساراً في حقائق الإسلام، وفي فاعليتها في نفوس النّاس، ومن ثَّم رجعت الأُمة إلى الفوضوية التي تكره الانضباط، وإلى العفوية التي تكره التخطيط، وإذا كانت هذه هي حالة الأمة-كما هو واضح لكل من يدرس أحوالها- فمن يُصلحها؟!"[2]

---

(١) يُسمي بعض الناس ذلك توكلاً، وهذا من الظلم؛ فالتوكل على الله تعالى يقتضي الأخذ بالأسباب؛ فالنبيﷺ سيد المتوكلين، وسيرته العطرة مليئة بالأخذ بالأسباب، والإعداد المادي والمعنوي كالهجرة وغيرها.

(٢) قطب، محمد، واقعنا المعاصر، ص٤٩١-٤٩٤، باختصار وتصرف يسير.

إنَّ الذي يُصلح حال الأمة الإسلامية ويعيد لها مجدها هو الانضباط بصورته الشاملة، وفي جميع ميادين الحياة؛ لأنّ ذلك سيقودها إلى التميز والإتقان في كل شيء إيجابي، **وتظهر أهمية الانضباط فيما يأتي:**

المطلب الأول: كون الانضباط طاعةً لله تعالى

لقد جاءت أوامر الإسلام -واضحة بيّنة-؛ في الدعوة إلى النظام، وإتقان الأعمال، وتقديم كل عمل بصورة راقية ومتميزة؛ منطلقاً في ذلك من قيمه ومبادئه النبيلة؛ بإخلاص النية لله تعالى، **فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول:" إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى"**[1]؛ فهو يستشعر مراقبة الله تعالى في السر والعلن؛ فيُحسن العمل، ويعد ذلك نوعاً من أنواع العبادة الشاملة في حياة المسلم، لينال محبة الله تعالى؛ فهو سبحانه يحب المحسنين، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝١٩٥﴾[البقرة:١٩٥].

وفي **سؤال جبريل -عليه الصلاة والسلام- عن الإحسان، قال ﷺ: "أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك"**[2]، ويؤكّد سيد قطب على شمول معاني الإحسان في العمل كلِّه، فيقول:" ومرتبة الإحسان هي عليا المراتب في الإسلام، وحين تصل النفس إلى هذه المرتبة؛ فإنها تفعل الطاعات كلها، وتنتهي عن المعاصي كلها، وتراقب الله في الصغيرة والكبيرة، وفي السر والعلن على السواء"[3].

---

(1) متفق عليه: البخاري، الصحيح، كتاب بدء الوحي، باب: كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ؟، رقم١، ومسلم، الصحيح، كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ: " إنما الأعمال بالنية " وأنه يدخل فيه الغزو وغيره من الأعمال، رقم١٩٠٧.

(2) متفق عليه: البخاري، الصحيح، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة، رقم٥٠، ومسلم، الصحيح، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله سبحانه وتعالى، رقم ٩.

(3) قطب، سيد، في ظلال القرآن، ١/١٩٠.

إنّ المؤمن يجتهد في تحقيق الانضباط في سائر أقواله وأعماله؛ بدافع المراقبة الذاتيــة لله تعالى؛ استشعاراً لقوله سبحانه:﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا ﴾ [الأحزاب٥٢] وقوله تعالى: ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾ [ق: ١٨]. قال الإمام ابن كثير-رحمه الله-:" ما يتكلم بكلمة إلاّ ولها من يُراقبها، معتد لذلك لا يترك كلمة ولا حركة"[1]، فكيف يحقق المسلم تلك المراقبة يوضح ذلــك الأُستاذ محمد قطب فيقول:"وتلك مزية الإسلام. فهو ينظم الحياة – في جميع جوانبها –؛ لأنَّه لكل عمل ضوابطه الشرعية، وللشريعة في كل حكم "مقاصد" ينبغي تحقيقها، ومن ثم ينبغي للإنسان أن يُراجع كل عمل يعمله ليرى أهو في دائرة الحلال المباح أم خرج عنها، ويراجع النتائج التي يمكن أن تترتب على عمله، ليرى أهي متمشية مع مقاصد الــشريعة أم مخالفــة لهــا، ومــع النظــام والانضباط والنظر في النتائج؛ فإنَّ الإسلام قد رباهم على النفس الطويل والرؤية البعيدة. فهنــاك هدف بعيد لكل فرد، وهناك أهداف ممتدة لمجموع الأُمة"[2]، هذه هي حقيقة حال الأُمة فكل فرد له أهدافه النبيلة التي يسعى لتحقيقها، كما أنّه يشترك ويلتقي مع أُمته بأعظم الأهداف الخاصة والعامة وهو السعي الحثيث لرضوان الله تعالى ودخول الجنة.

إنَّ للمؤمن رؤية ممتدة تتجاوز حدود الدنيا، كما أن مقاصده قد ارتقت إلى النجاة والرفعة في الآخرة وقد وضَّح ذلك الأستاذ محمد قطب فقال:"فأما الفرد فقد ربَّاه الإسلام على أن يعمل لا ناظراً لدنياه وحدها، ولا لغده القريب وحده، بل وضع له هدفاً يتجاوز العالم المشهود كله، والحياة الدنيا كلها، ليصل به إلى عالم الغيب وإلى اليوم الآخر، فيعمل في دنياه الحاضرة وفــي لحظتــه الحاضرة وهو ناظر إلى عالم بعيد بعيد[3] يتجاوز كل مدى الحس، ولكنه حاضر في قلبــه كأنــه يراه أمامه، وكأنه متحقق في هذه اللحظة، ويعمل وفي حسه ذلك الهدف البعيد الذي يسعى كــل

---

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم،٣٩٨/٧.

(2) قطب، محمد، واقعنا المعاصر، مؤسسة المدينة للصحافة والطباعة والنشر، المملكة العربية السعودية، الصحوة الإسلامية، منهج الحركة، ص٤٩١-٤٩٦، باختصار وتصرف.

(3) وهذا من التوكيد اللفظي.

لحظة إلى تحقيقه، وهو الجنة ورضوان الله؛ إنَّه هدف لا يمكن أن يوجد في حس البشرية كلهــا هدف أبعد منه. ومع ذلك فهو متعلق به دائماً، يشعر في كل لحظة أن كيانه كله مرتبط بــه، وأنَّ كل خطوة يخطوها هي خطوة على الطريق إلى ذلك الهدف البعيد"[1].

إنَّ الإسلام وهو يُربي الفرد على المراقبة الذاتية لله تعالى فإنَّه قد ربَّــاه علــى التــوازن والتناسق في تحقيق أهدافه العاجلة والآجلة مع أمته الإسلامية، ويبين ذلك الأُستاذ محمــد قطــب فيقول:" وأما الأمة فقد رباها الإسلام على أن مهمتها لا تنحصر فــي تحقيــق كيانهــا الــذاتي المحدود، ولا في أن تعيش لحظتها الراهنة، وإنّما لها هدف ممتد في الحياة الدنيا، وممتد من الحياة الدنيا إلى الآخرة؛ ذلك هو دعوة البشرية كلها إلى النور الرباني، والجهاد لتكون كلمــة الله هــي العليا في كل الأرض، لتكون شاهدة على البشرة كلها في اليوم الآخــر قَالَ تَعَالَى:﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة:١٤٣]، ولقد ظلّت الأمة الإسلامية تلاحق هذا الهدف"[2].

وستبقى -بعون الله وتوفيقه- تلاحق هذا الهدف العظيم يتقدمها علماؤها الربانيون، ودعاتها المخلصون، لتحقق رضوان الله ودخول الجنة في الآخرة، وتتميز على جميع الأمم في الدنيا؛ وتقدم أعظم صورة للبشرية جمعاء من الخير والرحمة والسعادة للبشرية؛ فهي التي تحمل الرسالة الخالدة، ونبيها ﷺ هو خاتم الأنبياء؛ أرسله الله تعالى رحمة للعالمين قَالَ تَعَالَى:﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء:١٠٧]. قال الدكتور عائض القرني:"والكون بُني على النظام، فمن عرف حقيقة هذا الدين، علِم أنّه جاء لتنظيم حياة العبد قليلها وكثيرها، صغيرها وجليلها، وكل شيء عنده بحسبان"[3]، له نظامه وقانونه؛ الذي لا يتعداه، وقد اعترف بأهمية النظام مختلف الأمم والشعوب.

---

(1) قطب، محمد، واقعنا المعاصر، ص٤٩٤-٤٩٥، باختصار.

(2) قطب، محمد، واقعنا المعاصر، ص٤٩٤-٤٩٥، باختصار.

(3) القرني، عائض بن عبدالله، لا تحزن، دار ابن حزم، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، بيروت- لبنان، ص ٢٣٩.

المطلب الثاني: كون الانضباط داعياً إلى استثمار الوقت والجهد

إنَّ مما ينبغي أن يُقرر أنَّ تنظيم الأعمال، وترتيبها، مع تأديتها ضمن أوقاتها المحددة؛ يؤدي إلى حُسن الاستثمار للوقت والجهد؛ فلا ضياع، ولا هدر لهما من غير فائدة مادية أو معنوية، بل عمل مُنظم، وسير حثيث مستمر؛ واضح المعالم لتحقيق أهدافه المقصودة؛ فالعبث والفوضى والعشوائية مرفوضة في حياة المسلم؛ وكل ذلك لتحقيق أقصى وأرقى وأنفع النتائج؛ بما يعود بالخير والفائدة على الفرد والمجتمع؛ فتحقيق الإنجازات، وتقدُّم المجتمعات، ورقيها، إنّما يوصل إليه **بالتخطيط والتنظيم**، والانضباط بذلك.

إنَّ المسلم يُنظِّم أعماله وفق أوقات محددة؛ فيعطي لكل عمل ما يستحق من وقت وجهد بلا إفراط ولا تفريط؛ ولكن بانسجام وترتيب قال ابن رجب الحنبلي-رحمه الله تعالى- :"وجعل الله -سبحانه وتعالى- في كل يوم وليلة لعبادة المؤمنين وظائف مُوظَّفة عليهم من وظائف طاعته، فمنها ما هو مفترض كالصلوات الخمس، ومنها ما يُندبون إليه من غير افتراض، كنوافل الصلاة والذكر، وغير ذالك ... كما جعل بعض الأيام والليالي أفضل من بعض ... فالسعيد من اغتنم مواسم الشهور والأيام والساعات وتقرب فيها إلى مولاه بما فيها من وظائف الطاعات"[1].

وقد قرَّر الرسول الله ﷺ أهمية الوقت، ومبدأ المحاسبة عليه، وحرمة هدره، فقال ﷺ :" **لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل: عن عمره فيم أفناه؟، وعن علمه فيمَ فعل؟، وعن ماله: من أين اكتسبه وفيمَ أنفقه؟، وعن جسمه فيم أبلاه؟**"[2].

---

(1) ابن رجب، الإمام الحافظ زين الدين، أبو الفرج، عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي الدمشقي(٧٣٦-٧٩٥هـ)، لطائف المعارف، تحقيق: محمد السيد، دار الفجر القاهرة، الطبعة الأولى (١٤٢٢هـ/٢٠٠١م)، ص ١٣.

(2) الترمذي، السنن، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ، باب:في القيامة، رقم٢٤١٧، وقال: "حسن صحيح"، دار إحياء التراث العربي – بيروت، تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون.

وفيما يأتي أهم وسائل استثمار الوقت:

١) المداومة على العمل

إنّ الاستمرار والمداومة على العمل يجعل من اليسير -مع الوقت- كثيراً، **فعن عائشة -رضي الله عنها- أنّ رسول الله ﷺ: سُئل أيُّ العمل أحبُّ إلى الله ؟ قال:"أدومه، وإنْ قلّ"**[١]، قال الحافظ ابن حجر-رحمه الله-:" المداومة على عملٍ من أعمال البر، ولو كان مفضولاً؛ أحبُّ إلى الله من عمل يكون أعظم أجراً لكن ليس فيه مداومة"[٢]؛ فالاستمرار على أداء عمل يدل غالباً على رسوخه في النفس، وحبه له، وانسجامه معه، وأنّ هذا العمل يستحق ذلك الوقت الذي يُقضى به، كما يُلاحظ أن أعمالاً كثيرة لها أهميتها يبدأ بها بعض الناس ولكنّه لا يستمر عليها حتى إنجازها، فيُحرم من ثمرتها، ويكون قد أضاع تلك الأوقات من غير فائدة، وقد نبّه على ذلك الأُستاذ محمد قطب فقال:" ولكنّ خط الإنحراف الطويل ظل يُحدث إنحساراً مستمراً في حقائق الإسلام، وفي فاعليتها في نفوس النّاس، ومن ثم رجعت الأُمة إلى طبيعتها الفوضوية التي تكره الانضباط، القصيرة النفس التي تكره الرؤية البعيدة ولا تُطيق المتابعة للأمد الطويل"[٣] .

٢) التبكير وعدم التأخُر

وهو منهج عام في حياة المسلم، وفي جميع أعماله، لعظيم أثره، وكبير فوائده، **فعن عُمَارَةُ بْنُ حَدِيدٍ، عَنْ صَخْرٍ الْغَامِدِىِّ، عَنِ النَّبِىِّ ﷺ قَالَ:« اللَّهُمَّ بَارِكْ لأُمَّتِى فِى بُكُورِهَا »**.

---

(١) متفق عليه: البخاري، الصحيح، كتاب: الرقاق، باب القصد والمداومة على العمل ، رقم٦٤٦٥ ومسلم، الصحيح، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضيلة العمل الدائم من قيام الليل وغيره، رقم٧٨٢، واللفظ له.

(٢) ابن حجر، فتح الباري، ٢٩٨/١١.

(٣) قطب، محمد، واقعنا المعاصر، ص٤٩٥-٤٩٦، باختصار.

"وَكَانَ ﷺ إِذَا بَعَثَ سَرِيَّةً أَوْ جَيْشًا بَعَثَهُمْ فِي أَوَّلِ النَّهَارِ"، "وَكَانَ صَخْرٌ ﷺ رَجُلاً تَاجِرًا وَكَانَ يَبْعَثُ تِجَارَتَهُ مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ، فَأَثْرَى وَكَثُرَ مَالُهُ"»[1].

وكان لدى بعض العلماء والفضلاء انضباط خاص وفق برنامج محدد يلتزمه كل يوم ويُقسّم أوقاته على ترتيب يناسبه، ويبدأ برنامجه مع الفجر أو قبله، قال إسحاق النديم[2] "بقيت دهرًا من عمري أغلّس[3] كل يوم إلى هُشيم أو غيره من المُحدّثين، ثم أصير إلى الكسائي أو الفرّاء أو ابن غزالة فأقرأ عليه جزءًا من القرآن، ثم آتي الأصمعي وأبا عبيدة فأناشدهما وأستفيد منهما، فإذا كان العشاء رحلت إلى أمير المؤمنين الرشيد"[4].

قال الشيخ محمد الغزالي-رحمه الله-:" ومن محافظة الإسلام على الوقت حثه على التبكير، ورغبته في أن يبدأ المسلم أعمال يومه نشيطاً طيب النفس مكتمل العزم، فإنّ الحرص على الانتفاع من أول اليوم يجعل المسلم يبدأ يومه نشيطاً طيّب النفس، مكتمل العزم، ويستتبع الرغبة القوية في أن لا يضيع سائره سدى، ونظام الحياة الإسلامية يجعل ابتداء اليوم من الفجر، ويفترض اليقظة الكاملة قبل طلوع الشمس"[5]، وهو يحرص على عدم التأخر؛ فيلتزم بوقت

---

(1) رواه الترمذي، السنن، كتاب البيوع، باب: ما جاء في التبكير في التجارة، قال أبو عيسى[الترمذي]:" حديث صخر الغامدي حديث حسن"، رقم ١٢١٢، ورواه أبو داود، سليمان بن الأشعث، ٢٠٢-٢٧٥هـ، السنن، كتاب الجهاد، باب: في الابتكار في السفر، رقم٢٦٠٦، دار الفكر، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، تعليقات كَمَال يوسُفْ الحوُت، والأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها.. رقم، ١٢١٢، ورواه ابن ماجه، أبو عبدالله، محمد بن زيد القزويني، السنن: دار الفكر-بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، والأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها، كتاب التجارات، باب ما يرجى من البركة في البكور، رقم٢٢٣٦.

(2) قال الذهبي:"الإمام العلامة ذو الفنون، أبو محمد، إسحاق بن إبراهيم بن ميمون التميمي، ولد بضع وخمسين ومائة"، الذهبي، سير أعلام النبلاء، رقم٤٢، ١١٨/١١-١١٩.

(3) قال ابن منظور "الغلس: ظلام آخر الليل، أول الصبح حتى ينتشر في الآفاق"، ابن منظور، لسان العرب، ٧٠/١١.

(4) الذهبي، سير أعلام النبلاء، رقم٤٢، ١١٨/١١-١١٩.

(5) الغزالي ، محمد ، خلق المسلم، ص٢٣١.

دوامه، بل قد يستعد لمباشرة العمل بالإعداد له قبل بدايته، أو قبل غيره من العاملين، وأثناء عمله يجتهد أن لا تضيع لحظة من غير فائدة أو إنجاز.

ولا شك أنّ الإنسان كلما كان أكثر وعياً وإدراكاً لقيمة الوقت، كلما كان أكثر تقديراً للأعمال فيها، وقد بدا هذا واضحاً في جيل الصحابة الكرام-رضي الله عنهم-، ومن حذا حذوهم من القادة والعلماء والمصلحين على مدار التاريخ، وكان لكل فئة انضباطها الخاص في تنظيم أوقاتها.

٣) التعظيم للوقت والمبادرة بالعمل

إنّ من الطبيعي أن يحرص المسلم على الوقت والاهتمام بالزمن، واغتنام ساعاته وأيّامه ولياليه؛ تحقيقاً لمرضاة الله تعالى، وتقديراً للوقت من جهة أخرى، وطلباً لكل ما من شأنه أن يرقى بهذا الإنسان في الحياة الدنيا، ويُسعده في الآخرة، فهو يحرص على وقته أشدَّ من حرصه على ماله، حتى في الطاعات؛ فهو يبحث عن أعظم الأعمال أجراً في أقل وقت.

ويؤكد الشيخ محمد الغزالي على اغتنام الوقت فيقول: "كل مفقود عسى أن تسترجعه إلا الوقت، فهو إن ضاع لم يتعلق بعودته أمل، فالإسلام دين يعرف قيمة الوقت، ويقدّر خطورة الزمن، ويجعل من دلائل الإيمان، وأمارات التقى أن يعيَ المسلم هذه الحقيقة، ويسير على هداها؛ فعلى المسلم أن يُرتّب حياته ويقيسها بالدقائق؛ من مطلع الفجر إلى مغيب الشفق، فعمرك هو رأس مالك الضخم؛ ولسوف تُسأل عن إنفاقك منه، وتصرفك فيه، والإسلام ينظر إلى قيمة الوقت في كثير من أوامره ونواهيه، فعندما جعل الإعراض عن اللغو من معالم الإيمان، كان حكيماً في

محاربة المُتبطلين، الذين يُنادي بعضهم بعضاً: "تعال نقتل الوقت"، وما درى هؤلاء أنّ هذا لعب بالعمر، وإهلاك للفرد، وإضاعة للجماعة"[1] .

ولعل القَسَمَ من الله تعالى: بالليل والنهار والفجر والضحى والعصر؛ يدل على التعظيم والتنبيه على أهمية الأوقات، والتوجيه بالحرص على عدم تضييعه؛ بما يقتضي الاجتهاد بالانتفاع، والمبادرة بالعمل، بل جاءت الأحاديث الشريفة مُنبهة وموجهة لذلك **قال ﷺ:"نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ"**[2]. قال الحافظ ابن الجوزي-رحمه الله- :"قد يكون الإنسان صحيحاً، ولا يكون متفرغاً لشغله بالمعاش، وقد يكون مستغنيا ولا يكون صحيحاً، فإذا اجتمعا فغلب عليه الكسل عن الطاعة فهو المغبون، وتمام ذلك أن الدنيا مزرعة الآخرة، وفيها التجارة التي يظهر ربحها في الآخرة؛ فمن استعمل فراغه وصحته في طاعة الله فهو المغبوط، ومن استعملهما في معصية الله فهو المغبون؛ لأنّ الفراغ يعقبه الشغل، والصحة يعقبها السقم ولو لم يكن إلا الهرم"[3].

وقد أمر المسلم بالحرص على استثمار الوقت والجهد المبذول، والمبادرة إلى أعماله فلا يؤخرها، بل يجتهد في إنجازها بأسرع وقت، **فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:" بادروا بالأعمال"**[4]، قال الإمام النووي-رحمه الله تعالى-:" معنى الحديث: الحث على المبادرة إلى الأعمال الصالحة، قبل تعذُّرِها، والاشتغال عنها بما يحدث"[5]، وقد كانت المسارعة إلى الأعمال الصالحة منهجاً عاماً، في حياة الصحابة رضي الله عنهم، ومثال ذلك: أنّ **رسول الله ﷺ خرج إلى أصحابه** –

---

(1) الغزالي، محمد، خلق المسلم، دار القلم، دمشق، ودار البشير جدة، الطبعة الواحدة والعشرون، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م، ص ٢٢٧-٢٣٠ باختصار.

(2) البخاري، الصحيح، كتاب الرقاق باب: ما جاء في الصحة والفراغ وأن لا عيش إلا عيش الآخرة، رقم٦٤١٢.

(3) ابن حجر، : أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، فتح الباري، فتح الباري شرح صحيح البخاري، الناشر : دار المعرفة - بيروت ، ١٣٧٩، ١١/٢٣٠.

(4) مسلم، الصحيح، كتاب: الإيمان، باب: الحث على المبادرة بالأعمال قبل تظاهر الفتن، رقم ١١٨.

(5) النووي ، المنهاج شرح صحيح مسلم، ٢/١٣٣.

رضي الله عنهم- يوم بدر فحرّضهم، وحثهم على الجهاد فقال ﷺ:" والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيُقتل صابراً محتسبًا مقبلا غير مدبر إلا أدخله الله الجنة"، فقال عُمير بن الحمام ﷺ، -وفي يده تمرات يأكلهن-:" بخٍ بخٍ [1]، أفما بيني وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء، ثم قال ﷺ:" لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه إنها حياة طويلة"، فرمى ما كان معه من التمر، وأخذ سيفه فقاتل القوم حتى قتل"[2]، فلم يقبل هذا الصحابي الجليل ﷺ أن يقضي وقتاً قصيراً في أكل تمرات، بل عدّ ذلك الوقت حياة طويلة!، فسارعَ إلى الجهاد؛ حتى حقق مقصوده، ونال هدفه، بأسرع وقت، وأوفر جهد.

٤) الترتيب والتدرج وفق فقه الأولويات

إنّ العاقل ينظم أعماله مُقدّماً الأهم على المهم ؛ ومعطياً لكل عمل ما يستحق من وقت وجهد، من غير إفراط ولا تفريط ولا تساهل في إتقانه، وهذا ما يحسن بالمسلم إدراكه؛ وخاصة فيا يتعلق بتقديم الأولى في الطاعات، وسائر الأعمال كالدعوة إلى الله تعالى، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمَّا بَعَثَ مُعَاذًا ﷺ عَلَى الْيَمَنِ قَالَ:" إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ أَهْلِ كِتَابٍ فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللهِ، فَإِذَا عَرَفُوا اللَّهَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ، فَإِذَا فَعَلُوا، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ فَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً تُؤْخَذُ مِنْ أَمْوَالِهِمْ وَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، فَإِذَا أَطَاعُوا بِهَا فَخُذْ مِنْهُمْ، وَتَوَقَّ كَرَائِمَ[3] أَمْوَالِ النَّاسِ"[4]. قال

---

(1) "كلمة تُقال عند الرضا والإعجاب بالشيء، أو الفخر والمدح" الفيروز أبادي، القاموس المحيط، ص٢٢٣

(2) رواه مسلم، الصحيح، كتاب: الإمارة، باب: من قُتل في سبيل الله كُفّرت خطاياه إلاّ الدين، رقم١٨٨٥، وابن هشام ، السيرة النبوية٣/٢٧٧، وما بين القوسين زيادة عند ابن كثير، أبو الفداء، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي ، مكتبة المعارف-بيروت، ٣/٢٧٧. واللفظ لابن هشام.

(3) "الكرائم جمع كريمة أي نفيسة ففيه ترك أخذ خيار المال والنكتة فيه أن الزكاة لمواساة الفقراء فلا يناسب ذلك الإجحاف بمال الأغنياء إلا إن رضوا بذلك" ابن حجر، فتح الباري، ٣/٣٦٠.

(4) رواه البخاري، الصحيح، كتاب الزكاة، باب لا تؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة، ومسلم ، الصحيح، كتاب: الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام، رقم.١٤٥٨. مسلم، الصحيح، كتاب الإيمان، باب: الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام رقم ٢٩.

الإمام الخطّابي-رحمه الله تعالى-:" في هذا الحديث إنّما خُوطبوا بالشهادة؛ فإذا أقاموها توجهت عليهم بعد ذلك الشرائع والعبادات؛ لأنّه ﷺ قد أوجبها مرتبة، وقدّم الشهادة ثم تلاها بالصلاة والزكاة"[1]، فهذا الترتيب النبوي يقتضي الانتقال من الأهم إلى المهم.

إنّ فقه الأولويات[2] يُوفِّر الوقت للاشتغال بالأهم قبل المهم، وفيه تنظيم للأعمال وتدرُّجها، ويظهر في هذا الحديث بيان فقه الأولويات في دعوة الآخرين إلى الإسلام، فهو يقتضي أن نخاطبهم بالشهادتين أولاً، فإذا نطقوا بها، انتقلنا إلى غيرها، ولا نخاطبهم بالصلاة أو الزكاة قبل الشهادتين.

كما يقتضي فقه الأولويات إعطاء كل ذي حق حقه فقد **"آخى النبي ﷺ بين سلمان وأبي الدرداء-رضي الله عنهما-، فزار سلمانُ أبا الدرداء، فرأى أمّ الدرداء-رضي الله عنها- متبذلة فقال لها: ما شأنك؟ قالت:" أخوك أبو الدرداء؛ ليس له حاجة في الدنيا". فجاء أبو الدرداء؛ فصنع له طعاما، فقال: "كل"، قال:" فإني صائم"، قال:" ما أنا بآكل حتى تأكل" قال:" فأكل"، فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم قال: نم، فنام، ثم ذهب يقوم، فقال: نم، فلما كان من آخر الليل قال سلمان: "قم الآن" فصليا فقال له سلمان:" إن لربك عليك حقا، ولنفسك عليك حقا، ولأهلك عليك حقا؛ فأعط كل ذي حق حقه، فأتى النبيَّ ﷺ، فذكر ذلك له فقال:" النبي ﷺ:"صدق سلمان"**[3].

---

[1] الخطابي، أبو سليمان، حمد بن محمد البُستي، ت ٣٨٨، معالم السنن شرح سنن أبي داود، كتاب الزكاة، ومن باب في زكاة السائمة، مطبعة المدني، المؤسسة السعودية-مصر، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، ٢/٢٣، رقم ٤٤٤.

[2] انظر: القرضاوي، في فقه الأولويات، دراسة جديدة في ضوء القرآن والسنة، مكتبة وهبة، مصر- القاهرة، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، التمهيد ص٩-١٢، وحاجة أمتنا اليوم إلى فقه الأولويات، ص١٣-٢٣، وغيرذلك.

[3] البخاري، الصحيح، كتاب: الصيام، باب من أقسم على أخيه ليفطر في التطوع ولم ير عليه قضاء إذا كان أوفق له، ١٩٦٨.

وقد أثّرت العبادات في تنظيم أعمال المسلم ومن ذلك أنك تجد أعماله ومواعيده بعد الصلاة أو قبلها بساعة أو أكثر أو أقل "فقد كان أبو موسى الأشعري ﷺ إذا صلّى الصبح، استقبل الصفوف رجلاً رجلاً يقرئهم"[١] وكان ﷺ أميراً للبصرة، يبدأ برنامجه اليومي بإقراء الرعية القرآن الكريم، ثم يتابع شئونهم الأخرى بعد ذلك حتى وصفه أمير المؤمنين عمر ﷺ بالذكاء[٢].

٥) التقيد بالعمل المطلوب

يعلمنا الإسلام التقيد بالأعمال الموكلة إلينا؛ حيث يلتزم المسلم بالأعمال المُوكلة إليه بكيفيتها، ووقتها، بل وآدابها، فيعطي لعمله الأولوية، وما يستحق من جهد ووقت، ويحرص على إنجاز عمله بالصورة المطلوبة، قال رسول الله ﷺ: **" المؤمنُ القويُ خيرٌ وأحبُ إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز"**[٣]، ومن حرصه على ما ينفعه أن يتقيد بالعمل المطلوب منه، ولا يتجاوزه إلى غيره إلا لضرورة.

ومثال ذلك هجرة الرسول ﷺ مع صاحبه الصديقﷺ: فقد كان لكُلٍ دوره، ويظهر أثر ذلك عند معرفة أدوار الآخرين واختصاص كل واحد بعمل[٤]، بل للمرأة دورها وتمثل ذلك بدور أسماء -رضي الله عنها- وعلّق على هذه الأدوار الدكتور منير الغضبان فقال: "ومن حقنا أن نتصور كذلك أنه بإمكان أسماء-رضي الله عنها- أن ينقل أخوها عبد اللهﷺ لها صورة الواقع، وتنقل الزاد والأخبار لرسول الله ﷺ، لكن قُدرة أسماء على استيعاب الخبر وأبعاده أضعف من قدرة عبدالله، فلا بد من اعتماد أوثق الطرق، كذلك في الوقت الذي كانت أسماء فيه أقدر على

---

(١) الذهبي، سير أعلام البلاء، ٣٩٠/٢.

(٢) المرجع السابق، ٣٩١/٢.

(٣) مسلم، الصحيح، كتاب: القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله، رقم٢٦٦٤.

(٤) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ابنا أبي بكر وابن فهيرة يقومون بشئون الرسولﷺ وصاحبهﷺ وهما في الغار، ٧٢/٢.

تأمين الزاد، ولكلا الأخوين اختصاصهما ومكانهما المناسب "[1] فقيام كل واحد بدوره، والتزامه بأدائه على أحسن صورة، وانضباطه به، قد وفّر الوقت والجهد، وأوصل بتوفيق الله تعالى إلى النتائج المخطط لها، ويظهر أثر ذلك عند معرفة أدوار الآخرين واختصاص كل واحد بعمل.بحيث لو غاب الانضباط لضاع الكثير من الوقت والجهد، ولما تحققت النتائج.

ومما ينبغي أن يؤكَّد عليه الأثر الكبير والهام للانضباط في تقليل الجهد المبذول، حيث يُقبل الإنسان على عمله ويبتعد عن الإهمال واللامبالاة والتفريط في إنجاز الأعمال؛ فيُعطي لكل عمل ما يستحق بعدل وإنصاف.

٦) وضع الكفاءات في موضعها المناسب

فقد اختص النبي ﷺ عدداً من أصحابه -رضي الله عنهم- لأعمال رأى أنهم الأكفأ والأقدر والأنسب للقيام بها؛ فأبو بكر الصديق رضي الله عنه يُختار للرفقة في الهجرة، وحذيفة رضي الله عنه أمين للسر؛ يُخبر بأسماء المنافقين، وأبوعبيدة بن الجرّاح رضي الله عنه أمين هذه الأمة .

وقد يحمل الكفاءة في بعض الأعمال عدد من الرجال فيشير إلى ذلك، ومثاله: **عَنْ مَسْرُوقٍ-رحمه الله- قال:" ذَكَرَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرٍو-رضي الله عنها- عَبْدَاللهِ بْنَ مَسْعُودٍ فَقَالَ:" لاَ أَزَالُ أُحِبُّهُ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ:" خُذُوا الْقُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةٍ:"مِنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، وَسَالِمٍ، وَمُعَاذٍ، وَأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ-رضي الله عنهم-"**[2].

---

[1] الغضبان، الدكتور منير محمد، المنهج الحركي للسيرة النبوية، مصر-المنصورة، الطبعة السادسة عشر ١٤٢٩هـ /٢٠٠٦م، ص١٦٧، ويظهر أثر ذلك عند معرفة أدوار الآخرين واختصاص كل واحد بعمل.

[2] البخاري، الصحيح، كتاب فضائل القرآن، باب القُرّاء من أصحاب النبي ﷺ، رقم٤٩٩٩. ومسلم، الصحيح، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عبد الله بن مسعود وأمه رضي الله عنهما، رقم٢٤٦٤.

وبالنظر إلى أحد المواضع الذي ذكر فيها الإمام البخاري هذا الحديث في الجامع الصحيح وهو كتاب فضائل القرآن، باب القُرّاء من أصحاب النبي ﷺ[1]؛ فهؤلاء الأربعة لهم هذه الميزة بالتقدم على غيرهم، أو استعدادهم لتعليم القرآن الكريم أكثر من غيرهم

ولا شك أنّ الكفاءة تأتي بعد اهتمام وبذل للجهد والوقت؛ فقد بيّن عبدالله بن مسعود ﷺ كيف وصل إلى تلك الكفاءة العالية، فقال:" **والله لقد أخذت من فِيِّ رسول الله ﷺ بضعاً وسبعين سورة، والله لقد علم أصحاب النبي ﷺ أني من أعلمهم بكتاب الله وما أنا بخيرهم". قال شقيق[2] فجلست في الحِلَقِ أسمع ما يقولون فما سمعتَ راداً يقول غير ذلك"[3].**

ويضيف عبدالله بن مسعود ﷺ فيقول:" **والله الذي لا إله غيره، ما أُنزلت سورة من كتاب الله إلا أنا أعلم أين أُنزلت، ولا أُنزلت آية من كتاب الله إلا أنا أعلم فيما أُنزلت، ولو أعلم أحداً أعلمَ مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبتُ إليه** "[4]، فكان من مظاهر شدة حرصه أنه سمع بضعاً وسبعين سورة من فيِّ رسول الله ﷺ، وأنَّه لو عَلِم من هو أعلم منه لرحل إليه.

والمتتبع لسيرة النبيﷺ في تكليفه لأصحابه-رضي الله عنهم- بالأعمال يجد مدى وعظم الشعور بالمسئولية، حيث إنَّ بعضهم كان يطلب أن يُولَّى القيام ببعض الأعمال فلا يقبل ذلك النبيﷺ ويُبين السبب في رفضه؛ بأنَّ من طلب توليَتَه[5]ليس عنده الكفاءة للقيام بهذا العمل وليس قادراً على تأديته بصورة متميزة؛ لأن قدراته وطاقاته لا تؤهله لهذا العمل، وأنّ العمل أمانةً، وسيُحاسب عليها، **فعَنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلَا تَسْتَعْمِلُنِي؟ قَالَ: فَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى مَنْكِبِي، ثُمَّ قَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنَّكَ ضَعِيفٌ، وَإِنَّهَا أَمَانَةُ، وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ، إِلَّا مَنْ**

---

(1) وهو الموضع الذي تمت الإشارة إليه في الحاشية السابقة.

(2) التابعي: هو ابن سلمة، تلميذ ابن مسعود والراوي عنه، انظر ابن حجر في شرحه للحديث بتصرف.

(3) البخاري، المصدر السابق، رقم٥٠٠٠، ومسلم، المصدر السابق، رقم٢٤٦٢.

(4) البخاري، المصدر السابق رقم ٥٠٠٢، ومسلم المصدر السابق رقم٢٤٦٣.

(5) رغم قدره العظيم، ومكانته العالية، وفضله المشهور.

أَخَذَهَا بِحَقِّهَا، وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا»[1]، قال الإمام النووي-رحمه الله-:"هذا الحديث أصل عظيم في اجتناب الولايات لا سيما لمن كان فيه ضعف عن القيام بوظائف تلك الولاية، وأما الخزي والندامة فهو في حق من لم يكن أهلا لها، أو كان أهلا ولم يعدل فيها، فيخزيه الله تعالى يوم القيامة ويفضحه، ويندم على ما فرط، وأما من كان أهلا للولاية، وعدل فيها فله فضل عظيم تظاهرت به الأحاديث الصحيحة[2].

إنَّ التكليف بأداء الأعمال يوجب القدرة على حسن الأداء، وعدم التكليف ليس تعبيراً عن الكراهة لمن لم يُكلّف، بل إن رَسُولَ اللهِ ﷺ يحب أصحابه جميعاً حباً عظيماً، بل يُحب لهم ما يُحب لنفسه وقد قَالَ ﷺ: «يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنِّي أَرَاكَ ضَعِيفًا، وَإِنِّي أُحِبُّ لَكَ مَا أُحِبُّ لِنَفْسِي، لَا تَأَمَّرَنَّ عَلَى اثْنَيْنِ، وَلَا تَوَلَّيَنَّ مَالَ يَتِيمٍ»[3]

والقاعدة العامة في التكليف بالأعمال الأهلية والأمانة، وقد بيّن الله تعالى صفات المؤهلين للعمل بقوله[4]: ﴿ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ ﴾ [القصص:٢٦]

وما لا شك فيه أن الطاقات وأصحاب الكفاءات في المجتمع الإسلامي كثيرة ومتنوعة؛ ولكنها في الأغلب معطلة، فالواجب على الأمة وأصحاب القرار استثمار الطاقات وتوظيفها، ووضع الكفاءات في مواقعها المناسبة، قال الشيخ الغزالي-رحمه الله تعالى-:" إنّ الطاقة البشرية في هذه النفوس لا تزال مادة غفلاً، كأنها معادن مرمية في مناجمها لم تستخرجها يد، أو كأنها بعض قُوى الكون المجهولة لم تكتشف بعد!"[5].

---

(1) مسلم، الصحيح، كتاب: الإمارة، باب: كراهة الإمارة بغير ضرورة، رقم١٨٢٥.

(2) ذَكَرَ العلماء عدداً من الأحاديث في تأصيل ذلك ومنها ما ذكره الإمام مسلم في الصحيح، في كتاب الإمارة، بَابُ: فَضِيلَةِ الْإِمَامِ الْعَادِلِ، وَعُقُوبَةِ الْجَائِرِ، وَالْحَثِّ عَلَى الرِّفْقِ بِالرَّعِيَّةِ، وَالنَّهْيِ عَنْ إِدْخَالِ الْمَشَقَّةِ عَلَيْهِمْ، أحاديث رقم١٨٢٧-١٨٣٠.

(3) المصدر السابق نفسه، رقم١٨٢٦.

(4) عن تلك المرأة الصالحة التي أصبحت زوجة لسيدنا موسى -عليه الصلاة والسلام-.

(5) الغزالي، محمد، الإسلام والطاقات المعطلة، مبحث: تفجير الطاقات الإنسانية، ص ٧ .

ولقد احترم المسلمون الكفاءات، وعرفوا لها قدرها، وأنزلوها منزلتها المناسبة، فقد روى الإمام الطبري روايات[1] متعددة في تقديم خالد بن الوليدﷺ على أبي عبيدة ﷺ؛ رغم أن خالداًﷺ أسلم بعد أبي عبيدةﷺ بعشرين عاماً، وأبو عبيدةﷺ أمين الأمة، وهو خيرٌ من خالدﷺ، ولكن لخالدﷺ فطنة في الحرب ليست لأبي عبيدةﷺ، فقُدِّم بسببها خالدﷺ، بل قد عيّنه أبو بكرﷺ أميراً على الأمراء، حيث قال الإمام الطبري :"فوجَّه أبو بكرﷺ خالد بن الوليد ﷺ أميرًا على الأمراء الذين بالشام ضمهم إليه"[2]؛ لأنّه أهل لذلك.

٧) العزيمة على الفعل وترك التردد

إنَّ للعزيمة أثراً كبيراً على الفعل وعلى الناس؛ فمن رُؤِيَ مقبلاً على عمله بهمة ونشاط وحرص واهتمام تأثَّر به الناس؛ وهذه العزيمة تأتي نتيجة القناعة الذاتية بصحة الفعل، أو بعد مشاورة أصحاب الرأي، أو بسبب عظيم الأجر المترتب على ذلك؛ فإذا تحققت القناعة، فعليه أن يعزم وينطلق بالفعل من غير تردد قال الإمام البخاري-رحمه الله تعالى- "وأنَّ المشاورة قبل العزم والتَّبيُّن لقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران:١٥٩]، وشاور النبي ﷺ أصحابه يوم أحد في المقام أو الخروج فرأوا له الخروج، فلما لبس لأمته[3] وعزم، قالوا:" أقم"، فلم يُمِل إليهم بعد العزم وقال:" **لا ينبغي لنبي يلبس لأمته فيضعها حتى يحكم الله** "[4]، وكان الأئمة بعد النبيﷺ يستشيرون الأمناء من أهل العلم في الأمور المباحة ليأخذوا بأسهلها،

---

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ثم دخلت سنة ثلاث عشرة، ٢/٣٣٣-٣٤١.

(٢) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ثم دخلت سنة ثلاث عشرة، ٢/٣٤١.

(٣) قال ابن الأثير-رحمه الله تعالى-: "لأمته: الدرع، وقيل: السلاح، ولأمة الحرب: أداته"، ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ٤/١٩١.

(٤) الدارمي، عبدالله بن عبدالرحمن السمرقندي(١٨١-٢٥٥هـ)، السنن، كتاب الرؤيا، باب: في القمص والبئر واللبن والعسل والسمن والتمر وغير ذلك في النوم،١/٦٠٧-٦١٠، رقم٢١٥٩، دار الحديث، مصر- القاهرة، الطبعة الأولى: ١٤٢٠ هـ /٢٠٠٠م).حققه وخرج أحاديثه: الأستاذ سيد إبراهيم، والأستاذ علي محمد علي، ضبط أصوله وفهرسه الدكتور مصطفى الذهبي، قال محققاه:" صحيح"، قال الإمام ابن حجر-رحمه الله-:"إسناده صحيح"، ابن حجر، فتح الباري ١٣/٤٨٤، قال ذلك قبل شرحه لحديث رقم(٧٣٧٠).

فإذا وضح الكتاب والسنة لم يتعدوه إلى غيره اقتداءً بالنبي ﷺ"[١]، فإذا عزم الإنسان على أمر فينبغي أن يترك التردد، وخاصة إذا كان ذلك الإنسان صاحب رأي، واتخذ قراره بعد الأخذ بالأسباب من مشورة وغيرها؛ فالفصل بالحكم، وترك التردد، بعد تَبيُّن الصواب؛ من خلال مشاورة المؤهلين، أو وضوح الأدلة والانضباط بذلك، قضية مهمة توفّر الوقت والجهد.

المطلب الثالث: الاقتصاد في التكاليف

إنّ الحرص على الاستثمار الأمثل للمال[٢]؛ الذي هو أساس مهم في بناء الدولة وتقويتها، كما أنَّه يُعين على الكثير من الأعمال في إصلاح الفرد والمجتمع، وإنّ الاقتصاد في استثمار الموارد المتعددة من ماء وأرض ومعادن ونفط، وكفاءات، واستخدام للأيدي العاملة المناسبة، وإيجاد للبيئة الاستثمارية الملائمة؛ يقلل من التكاليف، ويؤدي إلى حُسن الاستفادة من الطاقات البشرية والبيئية والمادية، ويحقق الرفاهة للمجتمع بعدل وإنصاف؛ فالمشروع الذي يحتاج إلى مائة ألف لا يُنفق عليه مليونٌ، وينبغي أن يُستخرج من المعادن ما يُقام بتصنيعه وتوظيفه، ويُستعمل من المواد الخام ومواد التصنيع ما يُحتاج إليه؛ بعيداً عن الإسراف والتبذير والعشوائية، بل وِفْق تنظيم وتخطيط محكم، واستثمار حقيقي.

كما أنّ للقيم النبيلة، والمبادئ العالية أثرها الكبير عند العاملين في الإسلام، فهم كما قال الأستاذ أحمد عبدالعظيم "يؤدون الأعمال التي يُكلفون بها بأقل تكاليف ممكنة، وبأعلى درجات الإتقان، وهم في الوقت نفسه يسعون للاستخدام الأمثل للموارد المتاحة، بعكس أولئك الذين

---

(١) البخاري، الصحيح، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب: قول الله تعالى ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ٣٨] ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]. باختصار، [قبل حديث رقم٧٣٦٩].

(٢) المال هنا ليس النقد فقط، بل أي شيء له قيمة مالية؛ كالأرض والمياه والنفط، وغيرها.

يفتقدون القيم فإنهم بالإهمال، أو بسوء القصد، قد يُسرِفون ويبذّرون في الموارد المتاحة مما يزيد من تكلفة العمل والإنتاج"[1].

والاقتصاد في النفقات؛ بالاقتصار على الضروري منها؛ بلا إسراف ولا تبذير، ولا بخل ولا تقتير قال الله تعالى﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ ﴾ [الفرقان٦٧] وهذا المنهج عام في سلوك المسلم؛ في تعامله مع مختلف الموارد المتاحة، التي تملكها جهة معينة؛ فتُعد من الملك الخاص، أو ما تملكه الدولة؛ فيُعد من الملك العام، بل حتى لو كان ذلك من ماء البحر، ويريد المسلم أن يتوضأ منه وهو في الشاطئ، وماء الوضوء سيعود إلى البحر، فقد"أجمع العلماء على النهي عن الإسراف في الماء ولو في شاطئ البحر"[2]، وقد وصف ابن القيم اقتصاد النبي ﷺ في الوضوء ومما قال:" **وكان من أيسر الناس صباً لماء الوَضوء وكان يُحذِّر أمته من الإسراف فيه**"[3].

إنّ الاقتصاد في التكاليف منهج إسلامي أصيل وهو مبني على التخطيط للاستثمار الأمثل للموارد وفي كل ميدان، يقول الدكتور يحيى البطوش:" لقد كان لتخطيط الرسولﷺ القيادي أكبر الأثر في تحقيق الاستثمار الاقتصادي والسياسي والاجتماعي وبأقل التكاليف؛ حيث حقق مبدأ الاقتصاد بالجهد والسرعة وتوحيد القيادة في الانجاز، والتنفيذ للأهداف، بالاضافة إلى تنمية مهارات وقدرات القادة على وضع الخطط والبرامج ، إنّ هذا التخطيط النبوي الذي حفظ الموارد والجهد البشري وأوصل المسلمين إلى أهدافهم في وقت قياسي"[4]

---

(1) أحمد عبدالعظيم محمد، أصول الفكر الإداري في الإسلام، مكتبة وهبة، مصر، الطبعة الأولى (١٤١٤هـ/١٩٩٤م) ص٢١، بتصرف يسير.

(2) شمس الحق العظيم آبادي أبو الطيب، محمد ، عون المعبود شرح سنن أبي داود، ١١٨/١.

(3) ابن القيم، زاد المعاد في هدي خير العبادﷺ، فصل في هديه ﷺ في الوضوء، ١٨٤/١.

(٤) البطوش، الدكتور يحيى بشير حامد، التخطيط في السنة النبوية، رسالة دكتوراه أشرف عليها: الأستاذ الدكتور محمد العمري، وقد نوقشت في جامعة اليرموك، المملكة الأردنية الهاشمية -إربد، وطبعت في المملكة الأردنية الهاشمية -عمان، الطبعة الأولى ٢٠٠٩م، ص٦٦.

كما أنّ الاقتصاد في الموارد يمنع من استخدام الموارد العامة لمصلحة شخصية، فقد ذكر الإمام ابنُ كثير -رحمه الله تعالى- أنموذجاً على ذلك وهو حاكم من حكام المسلمين في محافظته على مال الدولة الإسلامية، وحرصه على تقليل التكاليف على بيت مال المسلمين، وهو أمير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز -رحمه الله- فقال:"**وكان له سراج يكتب عليه حوائجه، وسراج لبيت المال يكتب عليه مصالح المسلمين، لا يكتب على ضوئه لنفسه حرفاً**"[1].

ولا بدّ من التأكيد أنّ الانضباط يُشكِّل ركيزة مهمة ومنهجاً متيناً ومبدأ أصيلاً في كل الأنظمة في الإسلام، وله معالمه الواضحة في جميع الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية والتعليمية وغيرها؛ بما يكفل تحقيق العدالة والتوازن في توزيع الثروات، ويقلل العبء على المجتمع، وعلى الدولة في النفقات والتكاليف التي تتحملها، وبمنعه من الإسراف والتبذير، وأمره بالعدل يكون الإسلام قد وفَّر في الموارد.

المطلب الرابع: تحقيق السعادة والطمأنينة

إنّ العملَ وفق نظام مُحدَّد يكفل كل الحقوق والواجبات، يورث قدراً كبيراً من السعادة والطمأنينة، والشعور بالأمن والاستقرار النفسي والوظيفي، كما يحول دون طلب العامل لغير حقوقه، فضلاً عن حرصه على العمل؛ بأدائه بأمانة وحُسن وإتقان، ويجعله يحرص على التعاون والتفاعل مع الآخرين، فيُحسن التعامل مع المسؤولين والزملاء، بل ومع الجميع وفي ذلك تطبيق عملي لقيم الإسلام في ميدان العمل، والبناء للمجتمع بما يُصلح أمر دينه ودنياه، بل تجد المسلم يجتنب أخذ المال الذي يشك في حله، ويبتعد عن مواضع الشبهات، ويمتاز بالصدق، **قال ﷺ: "دع**

---

(1) ابن كثير، البداية والنهاية، ٩/٢٠٢.

ما يَريبُك إلى مالا يريبك، فإن الصدق طُمأنينة، وإن الكذب رِيبة"[1]، وهذا يجعل المسلم يعيش بسعادة نفسية وطمأنينة قلبية وسكينة [2]عامة.

ولا بد من التأكيد أنَّ الإسلام جاء لإسعاد البشرية في جميع الجوانب سواء في الشعائر التعبدية المخصوصة كالصلاة والصيام وتلاوة القرآن الكريم وذكر الله تعالى، أو في السلوك العام كالميدان الاجتماعي والاقتصادي والسياسي، بل في ميادين الحياة كلها وفي جميع الأعمال، يقول الدكتور محمد عقلة:" إنَّ تحقيق السعادة والهناء للفرد والجماعة من المرامي الكبرى لدعوة الإسلام، يقول سبحانه وتعالى﴿ طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝٢ ﴾[طه:١-٢]، ويقول تبارك وتعالى:﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ۝١٢٣ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ۝١٢٤ ﴾[طه:١٢٣-١٢٤]، السعادة في نظر الإسلام أمر داخلي، ينبع من أعماق النفس، ويفيضه الوجدان النقي، والسعادة هي السكينة، والطمأنينة، والقناعة، والرضا، والأمل والمحبة، وهذه جميعاً ثمرات الإيمان الصادق"[3].

وقد أشار النبي ﷺ إلى أهمية أن تتحقق في المجتمع النعم[4]؛ ومنها نعمة الصحة بالمعافاة من الأمراض، ونعمة الأمن النفسي بتوفير الاستقرار، ونعمة الأمن الغذائي؛ بتوفير الغذاء فلا ينام في جوع أو عطش؛ فإذا تحقق الأمن جلب الراحة والطمأنينة، كما أكد ﷺعلى القناعة والرضا[5] بما يُيسره الله تعالى، فعَنْ عُبَيْدِاللَّهِ بْنِ مِحْصَنٍ الْخَطْمِيِّ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:"مَـنْ أَصْـبَحَ

---

(1) الترمذي، السنن، كتاب: صفة القيامة عن رسول الله ﷺ، باب، ٦٠، رقم٢٥١٨، قال الترمذي:"حـديث حـسن صحيح".

(2)"وهي ما يحصل به السكون، وصفاء القلب، وذهاب الظلمة النفسية" السندي، كفاية الحاجة في شرح سنن ابـن ماجه، وبأصله سنن ماجه، دار ابن الهيثم، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م، مصر-القاهرة.فـي شـرحه لِ كتـاب الأدب، باب: فضل الذكر، رقم٣٧٩١.

(3) عقلة، الدكتور محمد، الإسـلام حقيقتـه وموجباتـه، مكتبـة الرسـالة الحديثـة، الأردن-عمـان، الطبعـة الأولى١٤٠٣هــ/١٩٨٢م.

(4) انظر: قطب، سيد، في ظلال القرآن، ١/٢٥١.

(5) وهذ لا يمنع من السعي للأفضل.

مِنكُمْ مُعَافًى فِي جَسَدِهِ، آمِنًا فِي سِرْبِهِ[١]، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ[٢] لَهُ الدُّنْيَا"[٣]. وعن أبي هُرَيْرَةَ، قال النبي ﷺ: « لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ، وَلَكِنَّ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ »[٤].

إنَّ لصفاء القلوب ونقائها مكانة عظيمة في الإسلام، يقول الدكتور محمد البهي:" أساس الإسلام نقاء القلوب وصفاؤها، وأول صورة هي تنقية القلوب من الغل والحقد والغش والخداع، وهذا يُضعف من أسباب الخصومة، ويُبرز المودة والاشتراك في هدف واحد، والخطوة الأرقى أن يُحب لأخيه ما يُحب لنفسه، فعَنْ أَنَسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:" لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ"[٥]، فإذا وصلت العلاقة إلى هذا الحد من المحبة تلاقت النفوس، فأصبح كل واحد للآخر كالبنيان يشد بعضه بعضاً"[٦]، وهذا ما سعى النبي ﷺ لإيجاده في المجتمع الإسلامي، وقد

---

(١) "الْمَشْهُورِ كَسْرِ السِّينِ أَيْ فِي نَفْسِهِ، وَقِيلَ: السِّرْبُ الْجَمَاعَةُ، فَالْمَعْنَى فِي أَهْلِهِ وَعِيَالِهِ ، وَقِيلَ بِفَتْحِ السِّينِ أَيْ فِي مَسْلَكِهِ وَطَرِيقِهِ، وَقِيلَ : بِفَتْحَتَيْنِ أَيْ فِي بَيْتِهِ ، السِّرْبُ: الطَّرِيقُ، وَبِالْكَسْرِ الطَّرِيقُ وَالْبَالُ وَالْقَلْبُ وَالنَّفْسُ وَالْجَمَاعَةُ، فَيَكُونُ الْمُرَادُ مِنْ الْحَدِيثِ الْمُبَالَغَةَ فِي حُصُولِ الْأَمْنِ وَلَوْ فِي بَيْتٍ تَحْتَ الْأَرْضِ" المباركفوري، أبو العلا، محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم ، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ضبط وتوثيق: صدقي محمد جميل العطار، ٤٨/٧، باختصار.

(٢) قال الإمام الترمذي:" وحيزت: جمعت" ذكر ذلك عقب الحديث. وانظر تخريج الحديث الآتي.

(٣) الترمذي، السنن، كتاب الزهد عن رسول الله ﷺ باب:٣٤[دون ترجمة للباب]، والترجمة التي قبلها في التوكل على الله، رقم٢٣٤٦، قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب، ورواه ابن ماجه، السنن، كتاب الزهد، بابُ: الْقَنَاعَةِ، رقم٤١٤١.

(٤) متفق عليه: البخاري، الصحيح، كتاب: الرقاق، باب: الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ، رقم٦٤٤٦، ومسلم، الصحيح، كتاب: الزكاة، باب: ليس الغني عن كثرة العرض، رقم١٠٥١.

(٥) متفق عليه: البخاري، الصحيح، كتب الإيمان، بَابٌ: مِنَ الإِيمَانِ أَنْ يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ، رقم١٣، ومسلم، الصحيح، كتاب:الإيمان، باب الدَّلِيلِ عَلَى أَنَّ مِنْ خِصَالِ الإِيمَانِ أَنْ يُحِبَّ لأَخِيهِ الْمُسْلِمِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ مِنَ الْخَيْرِ.

(٦) البهي، الدكتور محمد ، الإسلام في حياة المسلم، مكتبة وهبة، الطبعة الثانية، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م، ص٢٢٨.

حققه بتميز ظاهر في الجيل الأول، فعن أَبِي مُوسَى الأشعري، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:" الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا"، ثُمَّ شَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ"(١)

ويؤكِّد الدكتور محمد البهي على حرص النبي ﷺ على رقي المجتمع الإسلامي وتحقيقه للمعاني النبيلة فيقول:" فإذا انتقلت العلاقة بعد ذلك إلى المعاونة، ثم إلى الإحسان والبر، عندئذ تبلغ الجماعة أشدها في القوة، وتصل إلى آخر مظهر لها في التكتل:" عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِى الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِى الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَاللَّهُ فِى عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِى عَوْنِ أَخِيهِ»(٢)، وهناك جانب آخر من جوانب أثر التدين على المجتمع وهو أنَّ صفاء النفوس، ومحبة بعضها لبعض، يدفعها إلى الرضا، وعدم السخط على طبقة أخرى"(٣).

إنَّ المودة والمحبة لها آثارها الإيجابية في المجتمع، يوجزها الدكتور محمد البهي فيقول:" ومجتمع يقوم أساسه على المحبة بين أفراده، وعلى عدم القلق والاضطراب في العلاقات بينهم- مجتمع صان نفسه من التدهور والانحلال، وقد كان ذلك شأن الجماعة الإسلامية الأولى؛ ولذلك امتن الله على المسلمين بقوله:﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ [الأنفال:٦٣]"(٤)

---

(١) متفق عليه: البخاري، كتاب: المظالم، باب: نصر المظلوم، رقم٢٤٤٦، ومسلم، الصحيح، كتاب:البر والصلة والأدب، باب: تَرَاحُمِ الْمُؤْمِنِينَ وَتَعَاطُفِهِمْ وَتَعَاضُدِهِمْ، رقم٢٥٨٥.

(٢) مسلم، الصحيح، كتاب: الذكر والدعاء والتوبة، باب: فَضْلِ الاِجْتِمَاعِ عَلَى تِلاَوَةِ الْقُرْآنِ وَعَلَى الذِّكْرِ، رقم٢٦٩٩.

(٣) البهي، الدكتور محمد، الفكر الإسلامي والمجتمع المعاصر مشكلات الأسرة والتكافل، مكتبة وهبة، مصر – القاهرة، الطبعة الثالثة ١٤٠٢هـ /١٩٨٢م ، ص٢٢٨، باختصار.

(٤) البهي، الدكتور محمد،، الإسلام في حياة المسلم، المرجع السابق نفسه، باختصار.

لقد تحقق الانضباط في حياة المسلمين، فكان التآلف في قلـوبهم، عنوانــه حـبُّ الخيــر للآخرين فانعكس ذلك سلوكاً عملياً في معاملاتهم، حتى غدت صورة المجتمـع المثاليــة، هــي الصورة الأبرز والأشمل لجميع المعاملات.

ولا يخفى أنّ لأداء الطاعات آثاراً عظيمة في السكينة والطمأنينة، كطلب العلم، والاجتماع على تلاوة القرآن الكريم، فقد قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :« وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِى بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّــهِ وَيَتَدَارَسُــونَهُ بَيْنَهُمْ إِلاَّ نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلاَئِكَةُ وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ »(١).

إنّ الحرص على السكينة يتجلّى في جميع الأوضاع والأحوال، وخاصة في المواضع الصعبة كالجهاد في سبيل الله تعالى، ومقاومة الأعداء ورد المعتدين عن الأوطان، فالرسولُ ﷺ يدعو اللهَ تعالى أن يُنزل السكينة عليه، وعلى المؤمنين، لأهميتها وعظيم أثرها فعن البراء رضي الله عنه قال:"رأيت رسول الله ﷺ يوم الأحزاب ينقل التراب، وقد وارى الترابُ بياضَ بطنه، وهو يقول ﷺ: "اللهم لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا، فأنزلن سكينة علينا وثبت الأقدام إن لاقينا"(٢).

وقد عمل النبي ﷺ على تهيئة أجواء المودة والمحبة والألفة بين المسلمين، فقد آخى بين المهاجرين والأنصار؛ لتكون من أعظم نماذج الأخوة في تاريخ البشرية، قال الدكتور محمد البهي ":إنَّ المجتمع الإسلامي في نظامه، وحكمه، وهدفه، وتحديد علاقاته قام أولاً بالمدينة بعد أن التقى

---

(١) مسلم، الصحيح، المصدر السابق نفسه، وهو تكملة للحديث نفسه.

(٢) متفق عليه: البخاري، الصحيح، كتاب الجهاد والسير، باب: حفر الخندق، رقم ٢٨٣٧ ، ومسلم، الصحيح، باب: غزوة الأحزاب؛ وهي الخندق، رقم ١٨٠٣.

المهاجرون بالأنصار، وغلبت عليهم الروح الإيثارية، في سبيل تحقيق الهدف، وهو إعلاء كلمة الله"[1].

وتكرر التأكيد على نشر المعاني النبيلة في المجتمع، **فقال النبي ﷺ: "المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا"[2]، وقال ﷺ :" مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى"[3].**

قال الشيخ الغزالي-رحمه الله-:"إنّ الجو المليء بما يصون الكرامات، ويُقدّس الدماء والأموال والأعراض هو الجو الذي يصنعه الإسلام للناس كافة، وهو بداهة الجو الذي يُحسنون فيه العمل والإنتاج فحيث تسود الطمأنينة، ويختفي الرعب ينصرف العامة إلى تثمير أموالهم، وتكثير أموالهم لأنهم واثقون أنّ حصاد ما يغرسون لهم ولذرياتهم، فهم غير مدخرين وسعاً في العمل والإنتاج، إلا أن هذه البيئة الوادعة الآمنة المشجعة على الكدح والكسب نقصت رقعتها في الأمة الإسلامية خلال القرون الأخيرة !!"[4].

إنّ هذا الانضباط المتميز هو الذي تدفع إليه القيم النبيلة، والمبادئ الأصيلة في الفكر الإسلامي حيث يشير الأستاذ أحمد عبد العظيم إلى مكانة القيم الإسلامية وتفوقها على القوانين الوضعية، فيقول:" إنّ القيمَ تلعب دوراً أهم وأعظم من القوانين والعقوبات المختلفة؛ فالقيم المتأصلة في النفس تكون أكثر قدرة على منع الأخطاء من خوف العقاب أو القانون، وتجعله يسلك

---

(1) البهي، الدكتور محمد، الفكر الإسلامي والمجتمع المعاصر مشكلات الأسرة والتكافل، مكتبة وهبة، مصر – القاهرة، الطبعة الثالثة ١٤٠٢هـ /١٩٨٢م، ص٨٩.

(2) مسلم، الصحيح، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، رقم٢٥٨٥.

(3) المصدر السابق، رقم٢٥٨٦.

(4) الغزالي، الشيخ محمد، الإسلام والطاقات المعطلة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، مصر-القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م، ص٤٠.

سلوكاً أكثر إيجابية نحو مشكلات الآخرين؛ مما يساعد على تنمية أواصر المحبة والتعاون بين الأفراد"[1].

لقد حقق النبي ﷺ الطمأنينة والسكينة لذلك المجتمع الأول، ومن سار على منهجهم ولا يخفى أنَّ الأمة المسلمة في هذا الزمان تنشد ذلك، وتبحث عنه، ويرشد إلى طريقه الدكتور عبدالرحمن أبوعامر حيث يقول:"فما أحرى الإنسان أن يسير وفق النظام الإلهي الذي وضعه له ربه وإلهه فسيره وفق هذا النظام يجلب له النجاح والفلاح والهناءة والسعادة في الأولى والآخرة، وإن انتكاسة الدنيا وأهلها وشقوتهم وتعاستهم وعللهم وأمراضهم التي يعانون منها إنما، جاءت بمخالفتهم النظام وخروجهم على هدى الله وصراطه المستقيم، ألا فلنرجع إلى، النظام والفطرة السوية والوحي الإلهي الصادق حتى لا نكون نشازاً عن السنن، وخارجين على النظام"[2].

وقد يمُن الله تعالى على بعض عباده بنوع من الطمأنينة، والسكينة، وراحة النفس، التي يكرمهم الله تعالى بها، بسبب تميزهم ببعض الأعمال، كالانضباط بأمر يؤثر على الأمة الإسلامية، فيقوم فرد أو مجموعة بعمل عظيم يرفع من معنويات الأمة، أو يحدث تغييراً جذرياً إيجابياً لصالح بلد مسلم، أو لصالح فئة كبيرة من المسلمين، وخاصة إذا ترك الناس ذلك العمل المهم، ، كما أمر النبي ﷺ حذيفة ﷺ أن يأتيه بخبر الأحزاب، ولا يُحدِث فيهم شيئاً، رغم أنه كان يستطيع أن يقتل قائد المشركين، لكنه انضبط بالأمر العسكري، ولم يتجاوزه[3].

إنَّ المجتمع الإنساني في هذا الوقت -بل في كل زمان ومكان- ينشُد الطمأنينة والسكينة، فينبغي على المسلم أن يقوم بدوره في نشر رسالة الإسلام صافية نقية من الرواسب والشوائب،

---

(1) أحمد عبد العظيم محمد، أصول الفكر الإداري في الإسلام، ص ١٠-٢٢، باختصار .

(2) أبوعامر، عبدالرحمن عبد السلام، أضواء على النظام الاجتماعي في الإسلام، مكتبة الرشد، السعودية، الطبعة الأولى ، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ص٢١، باختصار.

(3) مسلم، الصحيح، كتاب: الجهاد والسير، باب: غزوة الأحزاب ، رقم١٧٨٨ -وذكرتها بتصرف- وسيأتي إن شاء الله تعالى تفصيل لذلك في الانضباط في الجانب العسكري ص٢٠٢-٢٠٣ .

يقول سيد قطب-رحمه الله تعالى-:" فنحن لا نشك أنّ قيادة البشرية صائرة إلى الإسلام لينقذها من الخواء الروحي الذي لا تُطيقه فطرتها إلاّ إلى أمد محدود، فيتبدى لنا ضخامة الواجب الذي ينتظر العالم الإسلامي، أنَّه واجبه للبشرية التي أوصدت أبوابها في وجه هذا الدين يوم أن جاءها في موجته الأولى ستصبح في أشد حالات اللهفة لمن ينقذها من الخواء ويقدم لروحها الزاد، وهي أقدر على إدراك فكرة الإسلام مما كانت يوم أوصدت دونه الأبواب، واجب العالم الإسلامي إذ ذاك هو إمدادها بذلك الزاد في الصورة التي تتفق مع تجاربها كلها خلال أربعة عشر قرناً"[1] أو أكثر، بما لا يتعارض مع أصوله ومبادئه العامة.

إنَّ الآخرين قد يلمسون بعض آثار الأمن والطمأنينة التي يعيشها المسلمون، قال الإمـــام الغزالي:" **وقد حكى عن يزدجرد بن شهريار آخر ملوك العجم أنه بعث رسولاً الى عمر بـــن الخطاب** ﷺ **وأمره أن ينظر في شمائله، فلما دخل المدينة قال: أين ملككم؟، قالوا ليس لنا ملك، لنا أمير خرج براً، فخرج الرجل في أثره، فوجده نائما في الشمس، ودِرته تحت رأسه، فلمـــا رآه على حالته قال:" عدلت فأمنت فنمت، وصاحبنا جار، فخاف فسهر، أشهد أن الدين ديـــنكم ولولا أني رسول لأسلمت، وسأعود بإذن الله تعالى"**[2].

كما ينبغي الإشارة إلى الآثار الإيجابية الكبيرة لإقامة الحدود فـــي اســـتقرار المجتمـــع، وشيوع الأمن والاستقرار، قال الدكتور محمد حسين الذهبي-رحمه الله-:" ويوم توضع"حدود الله" في مكانها الحق، ويوم تُقام إقامة عادلة فسوف يجني المجتمع الذي يُقيمها من الآثار التي تنعكس على حياته، مما يجعل كلّ جهد يبذل من أجل تعبيد الطريق لإقامتها جهداً يسيراً مهما بلغ متى قيس بهذه الآثار المرجوة والأكيدة من وراء إقامة هذه الحدود، إنّ استقرار المجتمع

---

[1] قطب، سيد ، نحو مجتمع إسلامي، ص٢٩.

[2] الغزالي أبو حامد، محمد بن محمد بن محمد، فضائح الباطنية، الناشر: مؤسسة دار الكتب الثقافية – الكويت، تحقيق: عبد الرحمن بدوي، ص٢١٢.

لهو الهدف الذي تسعى جميع النظم والتنظيمات لتحقيقه[1]. ولا بد من التنبيه أنّ إقامة الحدود يتحقق بعد تهيئة البيئة والجو المناسب، وإزالة ما يدرأ ويمنع من إقامة الحد، وتجدر الإشارة هنا أنّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه تولى القضاء في خلافة أبي بكر رضي الله عنه عاماً لم يأتِ من يشتكي، قال الطبري:" وقال عمر رضي الله عنه أنا أكفيك القضاء فمكث سنة لا يأتيه رجلان"[2]، وهذا فيه رد تاريخي وواقعي على التصور السيء لإقامة الحدود؛ فالإسلام قبل أن يقيم الحدود يمنع أسباب الجريمة؛ فينشر العدل والحرية، والصلاح الاجتماعي والاقتصادي وغيره، بحيث لا يبقى عذر مادي لأداء الجريمة.

المطلب الخامس: إتقان الأعمال وتحقيق التقدم والرقي للمجتمع

إنّ تقدم المجتمع الإسلامي في جميع المجالات المادية والمعنوية، غاية نبيلة، وهدف سام، يسعى إليه الأفراد بوسائل متعددة أهمها احترام النظام، والتزام كل واحد بواجباته، وقيامه بالدور المطلوب منه بمهارة وإتقان، ومطالبته بحقوقه بالطريقة الصحيحة؛ وهذا يؤدي إلى زيادة الإنجازات، وتطوير الأعمال، حيث يَبني كل جيل على ما سبق، ويعمل على تقدمه.

إنّ المجتمع الذي انتشرت فيه القيم والمبادئ النبيلة، يتحقق فيه التقدم المستمر والرقي لأفراده؛ لأن أفراده يستشعرون بمسئولياتهم، ووجوب أدائها، وقيامهم بواجباتهم، **قال رسول الله ﷺ:" كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته: الإمام راع ومسئول عن رعيته، والرجل راع في أهله وهو مسئول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها، والخادم راع في**

(1) الذهبي، الدكتور محمد حسين، أثر إقامة الحدود في استقرار المجتمع، تحقيق: بديع السيد اللحام، دار الهجرة، دمشق- سوريا، وبيروت- لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م، ص٦٣.

(2) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ٢/٣٥١.

مال سيده ومسئول عن رعيته، والرجل راع في مال أبيه ومسئول عن رعيته، وكلكم راع ومسئول عن رعيته"[1].

إنَّ أداء العمل بانضباط يؤدي إلى الإتقان، فعن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت عن أمه سيرين-رضي الله عنهم- قالت حضرت موت إبراهيم[2]، ورأى رسول الله ﷺ فرجة في اللبن، فأمر بها أن تُسد، فقيل لرسول الله ﷺ فقال ﷺ:" **أما إنَّها لا تضر ولا تنفع، ولكن تقر عين الحي وإنَّ العبد إذا عمل عملاً أحبَّ الله أن يتقنه** "[3]، والمتدبر لهذا الحديث يجد الحرص على الإتقان في أيسر الأمور، وهو القبر المُتوفى؛ الذي لا ينفعه حُسن القبر ولا يضره، فكيف بما هو أكبر من ذلك؟!. لقد جاء البيان عاماً من النبي ﷺ؛ أنّ الله تعالى يحب إتقان الأعمال، ولتحقيق الإتقان المطلوب يبدأ بالتربية عليه من الصغر، في البيت وفي المدرسة، وفي الجامعة، وفي المسجد، وفي أماكن تعليم المهن كالحدادة، والنجارة، والبناء، وسائر المهن والأعمال، وإذا تحقق ذلك في مجتمعنا ستكون آثاره عظيمة وكبيرة، بل سيؤدي للتقدم المستمر للأفراد والمجتمع، مع استشعار أنَّ الإسلام يحث على إحسان العمل في كل شيء، فقد قال ﷺ "**إنَّ الله تعالى يحب من العامل إذا عمل أن يُحسن**"[4]، وهو كذلك دين يحارب الكسل والخمول ويحث على العمل والنشاط، يقول

---

(1) متفق عليه: البخاري، الصحيح، كتاب الجمعة، باب: الجمعة في القرى والمدن، رقم٨٩٣. واللفظ له. ومسلم، الصحيح، كتاب الإمارة باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق بالرعية والنهي عن إدخال المشقة عليهم ١٨٢٦.

(2) وهو ابن النبي ﷺ؛ ابن مارية القبطية رضي الله عنها، أخت سيرين؛ أم عبدالرحمن بن حسان بن ثابت رضي الله عنهم-.

(3) رواه الموصلي، أبو يعلى، أحمد بن علي بن المثُنى الموصلي (المتوفى : ٣٠٧هـ)، المسند، رقم٤٣٨٦، طبعة دار المأمون للتراث.-وهو من رواية عائشة رضي الله عنها- ، وابن سعد، أبو عبدالله، البصري، الزهري، محمد بن سعد بن منيع ، الطبقات الكبرى، دار صادر-بيروت، ١٤٣/١، واللفظ له. وقال الألباني:"حسن"، الألباني، صحيح الجامع الصغير وزيادته، المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ٣٨٣/١، رقم١٨٨٠.

(4) البيهقي، أبو بكر، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، (المتوفى: ٤٥٨هـ)، شعب الإيمان، باب: الأمانات وما يجب من أدائها إلى أهلها، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبدالعلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي ، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣م، ٢٣٤/٧، رقم٤٩٣٢، قال البيهقي:" هذا أصح". قال عنه الألباني"حسن"، الألباني، صحيح الجامع، ٣٨٤/١، رقم، ١٨٩١، مرجع سابق.

الأستاذ علي الشحود:" إنّ الإتقان والإحكام مطلوب في كل شيء يعمله الإنسان، ولا تستقر الحياة، ولا تتقدم الأمم، ولا تنضبط الأمور إلا عندما تكون مُتقنة ومُحكمة؛ ولقد كان من أهم أسباب نجاح الصناعات الحديثة في بعض الدول وتفوقها على غيرها اهتمامها بمراقبة الجودة النوعيـة، ثـم انتشار أسلوب وجود قسم متخصص في كل مصنع لمراقبة جودة الإنتاج واستبعاد أي قطعة ليست في غاية الإتقان، ثم عقد اجتماعات دورية للجان الجودة النوعية لاقتراح ما يرونه مناسباً لتحسين نوعية المنتجات، بل تطور الأمر فيما بعد إلى إيجاد فريق متابعة الجودة خارج المصنع، وذلـك باكتشاف أي خلل أو قصور في أي سلعة، واستبدالها وتعويض المستهلك عن أية خسارة تحملهـا نتيجة لذلك"[1].

إنّ الانضباط بإتقان الأعمال يحقق التقدم الشامل للأمة الإسلامية في الميدان السياسي والإداري والاجتماعي والاقتصادي والثقافي والعلمي وفي سائر ميادين الحياة؛ فالإتقان في العمل نوع من أنواع العبادة من خلال نظرة المسلم الشاملة لمعاني التعبد، مما يجعل المسلم يحرص على الإتقان، قال الدكتور مصطفى ديب البغا: "للإسلام فضل عظيم في أن أسبغ على جميع أعمال الإنسان صفة العبادة، إذا قُصد بها وجه الله ومرضاته، وأُدّيت على وجهها المشروع، وكانت في سبيل تحقيق أهدافها المقصودة المشروعة فالزارع والصانع، والتاجر، والطبيب والمهندس، والعامل، والموظف والمعلم والمتعلم، وغيرهم من أصحاب الأعمال: تعتبر أعمالهم عبادة؛ إذا قصد بها نفع عباد الله، والاستغناء عن الحاجة إلى الناس، وإعالة العيال، والقرآن الكريم لم يقصر وصف الصلاح على العبادات المخصوصة، بل شملها لأعمال أخرى."وذلك في معرض الكلام عن المجاهدين مع الرسول

---

(١) الشحود، علي بن نايف، الحضارة الإسلامية بين أصالة الماضي وآمال المستقبل، التقنية والعمـل الـدعوي ضرورة شرعية مُلحة، ٦/١٠.

ﷺ"[1]، ثم ذكر قول الله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [التوبة ١٢٠].[2]

إن الضامن للانضباط في المجتمع الإسلامي هو العقيدة[3]، وسائر التشريعات الناظمة للأعمال؛ وهذا يؤدي إلى الرقي المستمر والتقدم المتتابع[4]، وهذا يحمّل الأمة الإسلامية مسئولية تقديم صورة الانضباط الراقية، يقول سيد قطب-رحمه الله-"إنّه واجب ضخم يقتضي التهيؤ له منذ اليوم والاستعداد، ولمّا كانت النفس الإنسانية بفطرتها ميالة لأن ترى الفكرة من خلال الواقع، وتتمثل العقيدة في صورة عمل، وتحكم على المثل والمبادئ بما حققته في عالم الأرض من نظم وأوضاع؛ فإنّ البشرية يوم تتطلع إلى فكر جديد يُنقذها من ظلام المادية وجفافها؛ ستبحث عنه في صورة مجتمع إنساني، لا في صورة نظرية مثالية، واجب أن نكون نحن أنفسنا تأويلاً حياً لعقائدنا وأفكارنا"[5].

إنَّ المجتمع الإسلامي الذي تحققت فيه منظومة متكاملة من الأخلاق الفاضلة، حيث يظهر أثر تلك القيم والمبادئ قال الأستاذ أحمد عبدالعظيم :"فأصحاب القيم يؤدون الأعمال التي يُكلّفون بها بأقل تكاليف ممكنة وبأعلى درجات الإتقان، ويسعون للاستخدام الأمثل للموارد المتاحة، بعكس أولئك الذين يفتقدون القيم فإنهم بالإهمال أو بسوء القصد قد يسرفون ويبذرون في الموارد المتاحة مما يزيد من تكلفة العمل والإنتاج"[6].

---

(١) البغا، الدكتور مصطفى ديب، نظام الإسلام في العقيدة والأخلاق والتشريع، دار الفكر المعاصر، دمشق-سورية، وبيروت-لبنان، ص ١٢٦-١٢٧.

(٢) قال الإمام ابن كثير: ﴿ظَمَأٌ﴾ وهو العطش، ﴿نَصَبٌ﴾ : وهو التعب، ﴿مَخْمَصَةٌ﴾: وهي المجاعة"، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٢٣٤/٤ ، دار طيبة، السعودية، الطبعة الثانية (١٤٢٠هـ/١٩٩٩م).

(٣) سيأتي بيان ذلك -إن شاء الله تعالى- في مبحث الانضباط في العقيدة، ص١٠٣.

(٤) البغا، الدكتور مصطفى ديب، نظام الإسلام، مرجع سابق، بتصرف. ص (٢٧٣).

(٥) سيد قطب، نحو مجتمع إسلامي، دار الشروق، الطبعة الثالثة عشر، ٢٠٠٨م، مصر-القاهرة، ص٢٩.

(٦) أحمد عبد العظيم محمد، أصول الفكر الإداري في الإسلام، ص٢١، باختصار.

والرقي للمجتمع يتحقق برقي فئاته المتعددة، بل برقي أفراده، وهذا له صلة مباشرة بما سبق؛ لأنه نتيجة منظومة متكاملة من الأخلاق والمبادئ والقوانين والأنظمة التي تعمل بصورة فردية وجماعية على تطور المجتمع، معنوياً ومادياً وبشتى المجالات، مع ملاحظة أهمية وأثر النظم الإسلامية في المجتمع الإسلامي مقارنة بالنظم الوضعية، يقول الدكتور أبوعامر: "النظم الإسلامية – في مجموعها– ليست مجرد قوانين صارمة على الإنسان أن ينفذها طوعاً أو كرهاً، كما هو الشأن في القوانين الوضعية، وإنما هي نظم إلهية سنها الله عز وجل لتتلاءم مع فطرة الإنسان فتلبي حاجاته وتشبع غرائزه، وترعى مصالحه"[1].

ولا يخفى أنه يحق للدولة الإسلامية أن تسن من القوانين والأنظمة – وفق الآلية الشرعية المناسبة– ما يعمل على تحسين الأوضاع وتطويرها.

[1] أبو عامر، الدكتور عبدالرحمن عبد السلام، أضواء على النظام الاجتماعي في الإسلام، مكتبة الرشد، المملكة العربية السعودية، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ص٣٩.

المبحث الثالث

أسس الانضباط

إنَّ الانضباط عملية متكاملة تعتمد على أسس هامة، لا يُستغنى عنها، بحيث إذا فُقدت، أو فُقدت أحدها، اختلَّ، ولم يؤد دوره المقصود، ولم يحقق أهدافه، وفيما يأتي أهمها:

المطلب الأول: الانضباط بالوقت

وهو الالتزام بأداء الأعمال في وقتها المحدد لها، في بدايته، وختامه، ومقداره، وعدم تجاوز ذلك، فهناك حقوق وأعمال تُؤدَّى في الليل، ولا يصلح أداؤها في النهار، كما جاء في **وصية أبي بكر لعمر -رضي الله عنهما- حيث نقل ذلك ابن شبَّة فقال:" إنَّ أَبَا بَكْرٍ ﷺ قَالَ لِعُمَرَ ﷺ:" إِنِّي مُوصِيكَ بِوَصِيَّةٍ إِنْ حَفِظْتَهَا: إِنَّ لِلَّهِ حَقًّا بِالنَّهَارِ لَا يَقْبَلُهُ فِي اللَّيْلِ، وَلِلَّهِ حَقٌّ بِاللَّيْلِ لَا يَقْبَلُهُ فِي النَّهَارِ"[1].**

إنَّ تحديد الأوقات لأداء الأعمال قد جاء الأمر به، والترغيب بالتزامه في القرآن الكريم والسنة المطهرة، وقد وضَّح ذلك الشيخ عبدالفتاح أبو غدة-رحمه الله- فقال:" أرشدنا الله تعالى في كتابه الكريم، وعلى لسان نبيه العظيم ﷺ إلى أهمية الوقت والتوقيت في حياتنا وأعمالنا، فرسم لنا الأحكام الشرعية، وحدد لنا أوقاتها ومواعيد أدائها، وحذرنا من التساهل والتجاوز بها عن توقيتها؛ وفي ذلك منةٌ سبحانه تعليمٌ وتربيةٌ لنا على: تنظيم الأعمال، والقيام بها في مواقيتها المحددة، **قال ﷻ**

﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا﴾ [سورة النساء/١٠٣]، **وعن عبدالله بن مسعود ﷺ**

---

(1) ابن شبَّة، أبو زيد، عمر بن شبَّة النميري البصري، ١٧٣ هـ - ٢٦٢ هـ، تاريخ المدينة النبوية، دار الفكر، تحقيق : فهيم محمد شلتوت، ١/٣٥٥، وانظر: ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام،٦٨١هـ-٧٢٨هـ، الفرقانُ بينَ أولياءِ الرَّحمَنِ وأولياءِ الشَّيْطانِ، حققه وعلق عليه: علي بن نايف الشحود، وقال:" صسحيح لغيره"، ص٤٤.

قال:"سألت النبي ﷺ أيُّ العمل أحبُّ[1] إلى الله ؟ فقال ﷺ"الصلاة على وقتها"[2]، إنَّ الإسلامَ يحث على الدقة في المواعيد، والتوقيت لكل عمل بما يناسبه؛ ليوصل إلى الغاية من العمل على الوجه الأتمّ والأكمل، وقد رسم الشرع الحنيف التوقيت في تكاليف كثيرة غير الصلاة، فوقّت في أحكام الحج، والزكاة، والصوم، وزكاة الفطر، والأضحية والسفر، والتيمم، والمسح على الخفين، والرضاع، والطلاق، والعدة، والرجعة، والنفقة، والدين، والرهن، والضيافة، والعقيقة، والحيض، والنفاس، وغيرها؛ وما ذلك إلا لمعنى هام رتَّب الشرع التوقيت عليه ولحظ المصلحة والنفع به"[3]، وهذه المنفعة شاملة لجميع جوانب الحياة، وفيها صلاح وتنظيم لأمر الدين والدنيا.

ولا بُد من التأكيد أنّ الانضباط بالتوقيت لم يكن في وقت الرفاهة فقط، بل في أشد الأحوال والظروف، ومن ذلك ما روته زَيْنَبَ ابْنَةِ أَبِي سَلَمَةَ-رضي الله عنهما- قَالَتْ: لَمَّا جَاءَ نَعْيُ أَبِي سُفْيَانَ ﷺ مِنَ الشَّامِ دَعَتْ أُمُّ حَبِيبَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- بِصُفْرَةٍ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ فَمَسَحَتْ عَارِضَيْهَا[4] وَذِرَاعَيْهَا، وَقَالَتْ:" إِنِّي كُنْتُ عَنْ هَذَا لَغَنِيَّةً، لَوْلاَ أَنِّي سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ:" لاَ يَحِلُّ لاِمْرَأَةٍ تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أَنْ تُحِدَّ عَلَى مَيِّتٍ فَوْقَ ثَلاَثٍ إِلاَّ عَلَى زَوْجٍ فَإِنَّهَا تُحِدُّ عَلَيْهِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا"[5]؛ فأم حبيبة -رضي الله عنها- تقيّدت بالزمن الذي حدده رسول الله ﷺ لحداد المرأة على غير الزوج، فلم تمنعها وفاة أبيها أن تمس طيباً؛ ليدل ذلك على انضباطها بأمر النبي ﷺ،

---

(1) في رواية مسلم "أفضل"، انظر تخريج الحديث.

(2) متفق عليه: البخاري، **الصحيح**، كتاب مواقيت الصلاة، باب: فضل الصلاة لوقتها، رقم ٥٢٧، ومسلم، **الصحيح**، كتاب الإيمان، باب: بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال رقم٨٥.

(3) أبو غدة، عبدالفتاح، **قيمة الزمن عند العلماء**، أشرف على إخراجه: سلمان بن عبدالفتاح أبوغدة، دار البشائر الإسلامية، بيروت -لبنان، الطبعة الثالثة عشر(١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م) ص(٢١-٢٢) بتصرف يسير.

(4) عارضيها: " جانبا الوجه فوق الذقن إلى ما دون الأذن" قاله النووي، المنهاج، ١١٣/١٠.

(5) متفق عليه: البخاري، **الصحيح**، كتاب الجنائز، باب حد المرأة على غير زوجها، رقم١٢٨١، ومسلم، **الصحيح**، كتاب الطلاق باب: وجوب الإحداد في عدة الوفاة وتحريمه في غير ذلك إلا ثلاثة أيام، رقم١٤٨٦.

وكذلك فعلت أم المؤمنين زينب[1]-رضي الله عنها- لمّا تُوفي أخوها، فقد وضعت على جسدها الطيب؛ ليدل على إنهائها للحداد، وذلك للانضباط بالوقت المحدد.

وتظهر أهمية الانضباط بالوقت في الأوامر الحساسة كالجهاد، وأوقات الامتحان، والقضايا الطبية، والأمور التي لها صلة بالآخرين، والأمور التي يترتب عليها نتائج هامة، وهناك أُمور إذا فات وقتها لم يقبل أداؤها بعده، ومن ذلك بعض القضايا العسكرية، فقد روى ابن هشام -رحمه الله- قال:" **بعث رسول الله ﷺ عبدالله بن جحش بن رئاب الأسدي، في رجب، مقفلَهُ من بدر الأولى، وبعث معه ثمانية رهط من المهاجرين ليس فيهم من الأنصار أحد-رضي الله عنهم-، وكتب له كتاباً، وأمره أن لا ينظر فيه حتى يسير يومين، ثم ينظر فيه، فيمضي لما أمره به، ولا يستكره من أصحابه أحدًا**"[2].

فقد جاء النص صريحا لقائد هذه السرية أن يسير لمدة يومين قبل أن ينظر في كتاب التكليف العسكري، وقد انضبط بالزمان كما انضبط بالأمر؛ وهذا ما صرَّح به ابنُ هشام حيث قال:" **فلمَّا سار عبدالله بن جحش يومين، فتح الكتاب فنظر فيه** "[3].

وقد يقع لبعض المسئولين الأمناء انضباط خاص يناسب حالهم في قيامهم بالمسئولية الموكلة إليهم، لكن ينبغي عليه بيان السبب في ذلك إذا سأله من هو أعلى منه في المسئولية، حتى لا يُتهم بالتقصير، ومن ذلك ما رواه خالد بن معدان قال:" **استعمل علينا عمر بن الخطاب بحمص سعيد بن عامر الجُمحي فلما قدم عمر بن الخطاب حمص قال: يا أهل حمص كيف وجدتم عاملكم؟**

---

(1) المصدران السابقان، وهو الحديث التالي له.

(2) ابن هشام، السيرة النبوية٣/١٦٢، وانظر: الهيثمي، نورالدين، علي بن أبي بكر،ت٨٠٧هـ، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، كتاب، المغازي والسير، باب: سرية عبدالله بن جحش، وقال:"رواه الطبراني ورجاله ثقات"،٦/١٩٨-١٩٩، دار الريان للتراث، القاهرة، ودار الكتاب العربي، بيروت-لبنان.

(3) المصدر السابق نفسه .

فشكوه إليه - وكان يُقال لأهل حمص الكويفة[1] الصغرى؛ لشكايتهم العمال- قالوا:" نشكو أربعاً: لا يخرج إلينا حتى يتعالى النهار، قال: "أعظم بها !" قال :"وماذا؟" قالوا:" لا يجيب أحدًا بليل" قال:" وعظيمة !" قال:" وماذا؟" قالوا:" وله يوم في الشهر لا يخرج فيه إلينا" قال:" وعظيمة! وماذا؟" قالوا:" يغبط الغبطة بين الأيام؛ -يعني تأخذه موتة- قال: فجمع عمر بينهم وبينه- وقال اللهم لا تُفيل[2] رأيي فيه اليوم-ما تشكون منه قالوا: لا تخرج إلينا حتى يتعالى النهار"، قال: "والله إن كنت لأكره ذِكره، ليس لأهلي خادم فأعجن عجيني، ثم أجلس حتى يختمر، فأخبز خبزي، ثم أتوضأ، ثم أخرج إليهم فقال ما تشكون منه؟ قالوا لا يجيب أحداً بالليل قال ما تقول؟ قال: كنت لأكره ذكره، إني جعلت النهار لهم، وجعلت الليل لله عز وجل قال وما تشكون منه، قالوا: إنّ له يوما في الشهر لا يخرج إلينا فيه قال ما تقول؟ قال: "ليس لي خادم يغسل ثيابي، ولا لي ثياب أبدلها، فأجلس حتى تجف، ثم أدلكها، ثم أخرج إليهم من آخر النهار قال: ما تشكون منه؟، قالوا: تُصيبه من حين إلى آخر غشية فيغيب عمن في مجلسه!، قال: ما تقول؟ قال: شهدت مصرع خُبيب الأنصاري ﷺ بمكة وقد بضعت قريش لحمه ثم حملوه على جذعة فقالوا:" أتحب أنّ محمداً مكانك"، فقال:" والله ما أحب أني في أهلي، وأنّ محمداً يشاك بشوكة، فما ذكرت ذلك اليوم، وتركي نصرته في تلك الحال -وأنا مشرك لا أؤمن بالله العظيم- إلا ظننت أنّ الله تعالى لا يغفر لي بذلك الذنب أبداً، فتصيبني تلك الغبطة، فقال عمر ﷺ:" الحمد لله الذي لم يُفيل[3] فِراستي"[4].

---

(١) تشبيهاً لها بالكوفة؛ لكثرة الخلافات والاضطرابات التي تقع فيها.

(٢) "فال رأيه: أخطأ وضعف" المعجم الوسيط، ص ٧٤٢

(٣) انظر الهامش السابق.

(٤) انظر: أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني [ت : ٤٣٠هـ]، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، الناشر : دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة : الرابعة ، ١٤٠٥هـ، ٢٤٥/١، وابن الجوزي، أبو الفرج ، عبد الرحمن بن علي بن محمد، صفة الصفوة، دار المعرفة-بيروت، الطبعة الثانية ، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م، تحقيق: محمود فاخوري، د. محمد رواس قلعه جي، ٦٦٥/١.

إنّ هذا الصحابي الجليل ﷺ كان لديه انضباط خاص فهو لا يخرج حتى يتعالى النهار، ولا يخرج في الليل، وهناك يوم في الشهر لا يخرج إلى الناس فيه، وينفعل مع حدث بصورة معينة ومتكررة، و لمّا سئل عنها من قبل أمير المؤمنين عمر ﷺ أجاب عنها جميعاً، فكذلك ينبغي أن يُجيب العاملُ مسئوله.

ولا يخفى أنّ النبي ﷺ قد حرص على ترتيب وتنظيم الأعمال على سائر اليوم، وربّى الصحابة- رضي الله عنهم- وأمته على ذلك؛ تنفيذاً لقوله الله تعالى:﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴾[الشرح٧]، وفيها توجيه هام كما يقول ابن عاشور-رحمه الله- "إذا أتممت عملاً من مهام الأعمال، فأقبل على عمل آخر، بحيث يعمر أوقاته كلها بالأعمال العظيمة"[1]؛ وعن عائشة-رضي الله عنها-"**كان النبي ﷺ يذكر الله على كل أحيانه**"[2].

المطلب الثاني: الانضباط بطريقة العمل المناسبة

إنّ الانضباط يتحقق بأداء العمل على الصورة المطلوبة، أو بأدائه على أفضل صورة تناسبه؛ وخاصة أنّ معظم الأعمال المهمة لها نظامها الدقيق، فإذا اختل فإنها لا تعمل، وإذا عملت كان ذلك العمل بكفاءة قاصرة، ففي الأمر السابق، انطلق الصحابي عبدالله ﷺ فلما نظر في الكتاب فإذا فيه:"**إذا نظرت في كتابي هذا؛ فامض حتى تنزل نخلة بين مكة والطائف، فترصد بها قريشًا، وتعلم لنا من أخبارهم . فلما نظر عبدالله بن جحش في الكتاب قال: سمعاً وطاعةً، ثم قال لأصحابه: قد أمرني رسول الله ﷺ أن أمضي إلى نخلة؛ أرصد بها قريشًا حتى آتيه منهم بخبر، وقد نهاني أن أستكره أحداً منكم، فمن كان منكم يريد الشهادة، ويرغب فيها فلينطلق، ومن كره ذلك فليرجع فأما**

---

(١) ابن عاشور، الطاهر، التحرير والتنوير، تفسير سورة الشرح، ٣٠/٣٥٩.

(٢) متفق عليه: البخاري، الصحيح، كتاب الحيض باب تقضي الحائض المناسك كلها إلا الطواف بالبيت، قبل رقم٣٠٥، مسلم، الصحيح في كتاب الحيض باب: ذكر الله تعالى في حال الجنابة وغيرها، رقم ٣٧٣.

أنا فماض لأمر رسول الله ﷺ فمضى ومضى معه أصحابه لم يتخلف عنه منهم أحد"[1]، فعندما قرأ الكتابَ بدأ عبدالله ﷺ بتنفيذ الأمر كما جاءه؛ فلم يُكره أحدًا على الانطلاق معه، بل خيَّرهم كما جاءه الأمر، ثم انطلق إلى المكان الذي أُمر بالوصول إليه، ونفَّذ المطلوب منه فعله في ذلك المكان تماماً. وفي هذا النص فائدة أخر إضافة إلىتنفيذ الأمر بدقة وهي الأثرالعظيم لانضباط القائد على الجند والعاملين معه بصفته قُدوة أمامهم.

ومما ينبغي على العامل فعله أن يستفسر عن كيفية أداء العمل عند الحاجة لذلك؛ ليؤديه على الوجه المطلوب، سواء كان ذلك العمل في أمر الدين أو الدنيا، **كما ثبت عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ يَوْمَ خَيْبَرَ:« لأُعْطِيَنَّ هَذِهِ الرَّايَةَ رَجُلاً يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ ». فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلِىَّ بْنَ أَبِى طَالِبٍ ﷺ فَأَعْطَاهُ إِيَّاهَا وَقَالَ ﷺ:« امْشِ وَلاَ تَلْتَفِتْ حَتَّى يَفْتَحَ اللَّهُ عَلَيْكَ». قَالَ فَسَارَ عَلِىٌّ ﷺ شَيْئًا ثُمَّ وَقَفَ وَلَمْ يَلْتَفِتْ فَصَرَخَ يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلَى مَاذَا أُقَاتِلُ النَّاسَ قَالَ ﷺ:« قَاتِلْهُمْ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ فَقَدْ مَنَعُوا مِنْكَ دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلاَّ بِحَقِّهَا وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ »**[2].

إنَّ الانضباط الذي تميز به الصحابة – رضي الله عنهم– هو الذي جعلهم يتقيدون بتنفيذ الأمر تماماً ومنهم علي ﷺ، حيث سأل واستفسرعن كيفية تنفيذ تلك المهمة، فجاءه الأمر **"امْشِ وَلاَ تَلْتَفِتْ"**؛ فالتزم **"فَسَارَ عَلِىٌّ ﷺ شَيْئًا ثُمَّ وَقَفَ وَلَمْ يَلْتَفِتْ"**[3]

ومما ينبغي التنبيه عليه أنّ بعض الناس قد يظن أنَّ الانضباط بأداء العمل على الوجه المطلوب أمر يسير في جميع المواضع، ولكنَّ حذيفة ﷺ يبين صعوبة ذلك في أوقات ومواطن الشدة

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ١٦٢/٢، مرجع السابق، سبق ذكره، ص٤٤.

(٢) متفق عليه: البخاري، الصحيح، كتاب: فضائل الصحابة –رضي الله تعالى عنهم– ، باب: مناقب علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي أبي الحسن –رضي الله تعالى عنه– رقم٣٧٠١، ومسلم، الصحيح، كتاب فضائل الصحابة –رضي الله تعالى عنهم–، باب: من فضائل علي بن أبي طالب ﷺ رقم٢٤٠٥، واللفظ له، باختصار.

(٣) انظر: عياض اليحصبي، القاضي، أبو الفضل، ابن موسى بن عياض، ٥٤٤ هـ، إكمال المعلم بفوائد مسلم، _وهو شرح صحيح مسلم– ، تحقيق: الدكتور يحيى إسماعيل، دار الوفاء، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ/١٩٩٨م،٤١٧/٧.

والحرب، فعن يزيد التيمي قال:" كنا عند حذيفة فقال رجل:" لو أدركتُ رسول الله ﷺ قاتلتُ معه وأبليتُ" فقال حذيفة:" أنت كنت تفعل ذلك؟ لقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ ليلة الأحزاب وأخذتنا ريح شديدة، فقال رسول الله ﷺ: "ألا رجل يأتيني بخبر القوم جعله الله معي يوم القيامة؟ فسكتنا فلم يجبه منا أحد ثم قال :"ألا رجل يأتينا بخبر القوم جعله الله معي يوم القيامة ؟" فسكتنا فلم يجبه منا أحد ثم قال:" ألا رجل يأتينا بخبر القوم جعله الله معي يوم القيامة ؟"، فسكتنا فلم يجبه منا أحد فقال: "قم يا حذيفة فأتنا بخبر القوم" فلم أجد بُدًا إذ دعاني باسمي أن أقوم قال:" اذهب فأتني بخبر القوم، ولا تذعرهم" حتى أتيتُهم فرأيت أبا سفيان يصلى ظهره بالنار فوضعت سهما في كبد القوس فأردت أن أرميه فذكرت قول رسول الله ﷺ :"ولا تذعرهم علي"، ولو رميته لأصبته، فرجعت، فأخبرته بخبر القوم"[1]، فحذيفة يرى أبا سفيان[2] أمامه، وهو قائد المشركين وفي قتله مصلحة ظاهرة، لكنَّ انضباطه بتنفيذ أمر القائد بالصورة المطلوبة وهو المسئول الأكبر،فيه مصلحة راجحة، وفيه طاعة لله تعالى ولرسوله ﷺ، وفيه التأني والحكمة، وقد انعكست الآثار الإيجابية للتقيد بتنفيذ الأمر بأنَّ أبا سفيان أمرَ المشركين بالانسحاب، فلعله لو قُتل لتمسك المشركون بالقتال، وكذلك أكرم الله تعالى أبا سفيان بالإسلام .

ولا بُد من التأكيد أنَّ المنهج الذي تميَّز به الصحابة -رضي الله عنهم- هو التقّيد التام بتنفيذ أوامر النبي ﷺ بدقة متناهية بالصورة والكيفية المأمور بها، وقد يظن أحدهم أنَّه نفَّذ الأمر بالكيفية المطلوبة ثم يتبين له أنَّه يحتاج إلى زيادة أو تصويب، فيبادر إلى ذلك مسرعاً، ومن ذلك ما رواه ابن هشام- رحمه الله- قال:"بعث رسولُ الله ﷺ خالدَ بن الوليد إلى العزى[3]، وكانت بنخلة، وكانت

---

(1) متفق عليه: البخاري، الصحيح، كتاب الجهاد والسير، باب فضل الطليعة، مختصراً، رقم٢٨٤٦. وفيه "قال الزبير أنا، فقال النبي ﷺ :" إنَّ لكل نبي حوارياً وحواري الزبير"، مسلم، الصحيح، كتاب الجهاد والسير باب غزوة الأحزاب، رقم ١٧٨٨، واللفظ له.

(2) وكان قائداً للمشركين ثم أسلم.

(3) أي لهدمها.

بيتا يُعظّمه هذا الحي من قريش وكنانة ومضر كلها وكانت سدنتها وحجابها بني شيبان من بني سليم؛ حلفاء بني هاشم"[1]، وفصّل في ذلك الإمام الطبري-رحمه الله- فقال:" هدم خالد بن الوليد رضي الله عنه العزى ببطن نخلة لخمس ليال بقين من رمضان وهو صنم لبني شيبان بطن من سليم حلفاء بني هاشم وبنو أسد بن عبدالعزى، يقولون هذا صنمنا فخرج إليه خالد رضي الله عنه فقال رضي الله عنه:" قد هدمته"، فقال صلى الله عليه وسلم:" أرأيت شيئاً"، قال رضي الله عنه: "لا" قال صلى الله عليه وسلم:" فارجع فاهدمه"، فرجع خالد رضي الله عنه إلى الصنم فهدم بيته وكسر الصنم، فجعل السادن يقول: أعزى اغضبي بعض غضباتك فخرجت عليه امرأة حبشية عريانة مولولة فقتلها وأخذ ما فيها من حلية، ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخبره بذلك فقال صلى الله عليه وسلم:" تلك العزى، ولا تعبد العزى أبداً"[2]، فقد نفّذ خالد بن الوليد رضي الله عنه الأمر حيث ظنَّ أنَّ المطلوب هو مجرد الهدم ولو كان جزئياً وصرّح بذلك فقال:" قد هدمته"، ولكن النبي صلى الله عليه وسلم بيّن له الصورة المطلوبة، والكيفية الصحيحة، بعد أن سأله عن جزئية لم يكُن يعرفها قبل ذهابه حيث قال له صلى الله عليه وسلم:" أرأيت شيئاً"، فقال رضي الله عنه:"لا" فعاد مسرعاً وانضبط بطريقة العمل المطلوب فرأى المشهد المطلوب؛ وهي علامة على تحقيق المطلوب، وتحقيق المقصود، لم يكن يعلمها خالد رضي الله عنه، ولعل في هذا إشارة أن المسئول قد يضع أو يعرف علامة ولا يخبر بها العامل تكون مقياساً، ودليلاً على حُسن الأداء.

إنَّ الفهم الصحيح لأهمية الانضباط وعظمته يتحقق بتنفيذ الأمر بالطريقة المناسبة، وهذا الفهم هو الذي جعل الخليفة الراشد أبا بكر الصديق رضي الله عنه يحرِص على إنفاذ بعث[3] أسامة رضي الله عنه، رغم

---

[1] ابن هشام، السيرة النبوية، مسير خالد بن الوليد رضي الله عنه لهدم العُزى، ٤٢/١.

[2] الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ١٦٣/٢، ولا شك أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قد أمر بهدم الأصنام، ولكن هذه الرواية من حيث التفصيل فيها مقال، وقد قال الدكتور أكرم ضياء العمري:"ولم تثبت في القصص التي تدور حول هدمها رواية صحيحة"، العمري، الدكتور أكرم ضياء، السيرة النبوية الصحيحة، ٤٨٤/٢.

[3] وهو الجيش الذي عقد النبي صلى الله عليه وسلم رايته قبل وفاته بقليل، وأمره بالتوجه إلى بلاد الشام، انظر: الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ٢٤٤/٢-٢٤٦، وقد علّق أستاذي الدكتور يوسف الزيوت على ذلك فقال:" فأين تنكيس الأعلام، وتعطيل شؤون العباد؟!".

كل الصعوبات، فعن عاصم بن عدي، قال نادى منادي أبي بكرﷺ من بعد الغد من متوفى رسول الله ﷺ؛ ليتم بعث أسامة :"ألا لا يبقين بالمدينة أحد من جند أسامة إلا خرج إلى عسكره"، وقام في الناس فحمد الله وأثنى عليه، وقالﷺ:" يا أيها الناس، لو خطفتني الكلاب والذئاب لم أرد قضاء قضى به رسول الله ﷺ" ، وجاء عمر بن الخطابﷺ فقال:"إن الأنصار أمروني أن أبلغك أنهم يطلبون إليك أن تُولِّي أمرهم رجلا أقدم سناً من أسامةﷺ، فوثب أبو بكرﷺ وكان جالسا فأخذ بلحية عمرﷺ فقال له: ثكلتك أمك وعدمتك يا ابن الخطاب، استعمله رسول الله ﷺ، وتأمرني أن أنزعه!؛ فخرج عمرﷺ إلى الناس فقالوا له ما صنعت؟، فقال:" امضوا ثكلتكم أمهاتكم، ما لقيت في سببكم من خليفة رسول اللهﷺ"، ثم خرج أبو بكرﷺ حتى أتاهم وشيعهم وهو ماشٍ وأسامةﷺ راكب وعبدالرحمن بن عوفﷺ يقود دابة أبي بكرﷺ، فقال له أسامةﷺ: يا خليفة رسول الله، والله لتركبن أو لأنزلن، فقال:" والله لا تنزل، ووالله لا أركب، وما عليَّ أن أُغبِّر قدمي في سبيل الله ساعة، حتى إذا انتهى قال: إن رأيت أن تعينني بعمر فافعل فأذن له"[1].

إن الانضباط بطريقة العمل المناسبة يقتضي، بل ويوجب تنفيذ الأمر بالصورة المطلوبة تماماً، وعدم التقصير أو المخالفة في الأداء إلاّ لضرورة قُصوى، أو أن يكون للعامل فسحة في كيفية الأداء للعمل؛ فأبو بكر الصديقﷺ حرص على إنفاذ الجيش إلى الموقع المطلوب، وأن لا يتخلف أحدٌ، وأظهر التمسك بالأداء وقالﷺ:" ولو تخطفتني الكلاب والذئاب"، وسار هو بنفسه مع الجيش ماشياً تشجيعاً لهم، ولمّا وجد ضرورة لبقاء عمرﷺ ليستعين به في أمور ضرورية؛ وهو شئون الدولة الإسلامية الملحة جداً وفي وقت حرج أستأذن أمير الجيش، رغم أنه الخليفة؛ وفي هذا احترام للمسئولين، وتقدير لأصحاب القرار وأهل الكفاءة.

---

(1) الطبري، تاريخ الأمم والملوك ٢/٢٤٤-٢٤٦.

المطلب الثالث: الانضباط في بذل الجهد المستطاع

إنّ الانضباط بالوقت، وطريقة العمل المناسبة، يقتضي أن يبذل العامل الجهد المستطاع – ضمن قدرته– لتحقيق العمل المطلوب، بل يبذل أقصى ما يستطيع من جهد، ومنطلقه في ذلك قول الله تعالى﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا ﴾[سورة التغابن١٦] وقول رسول الله ﷺ:"**فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم**"[١]، والأمثلة العملية من سيرة النبيﷺ كثيرة ومتنوعة، فقد بدأﷺ الدعوة إلى الله تعالى، في بيئة انتشر فيها الشرك وعبادة الأصنام، فبذل أقصى الجهد في الدعوة إلى الإسلام؛ فقد استمر ثلاث سنوات يبذل أقصى الجهد في اختيار العناصر الملائمة، ثم جهر بالدعوة، وتحمل الإيذاء من القريب والبعيد، وقد أفرد لذلك ابن هشام مواضع، ومما قاله–رحمه الله–:" ذكر ما لقي رسول الله ﷺ من قومه من الأذى"[٢]، وقال:" ذكر عدوان المشركين على المستضعفين ممن أسلم، بالأذى والفتنة"[٣]، وهوﷺ يبذل أقصى الجهد في سبيل تحقيق أهدافه بنشر دعوته، ويحتمل الإيذاء المادي والمعنوي، ثم لمّا اشتد الإيذاء أكثر، وخاف على الدعوة، وعلى أتباعه أذن بالهجرة، لعدد من الصحابة–رضي الله عنهم– إلى الحبشة، ثم واجه مقاطعة عجيبة، وكُتب بذلك صحيفة، ثم نُقضت تلك الصحيفة، قال ابن هشام:" حديث نقض الصحيفة"[٤] ، واستمر في عرض نفسه على وفود الحج، والزائرين لمكة، قال ابن هشام:" **عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه على القبائل**"[٥]، ثم خرج إلى الطائف فلاقى الإيذاء الشديد، ونقل ابن هشام ذلك المشهد فقال–رحمه الله–:" **وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه**

---

[١] متفق عليه: البخاري، الصحيح، كتاب: الاعتصام بالكتاب والسنة، باب: الاقتداء بسنن رسول اللهﷺ، رقم ٧٢٨٨، ومسلم، الصحيح، كتاب: الحج، باب: فرض الحج مرة في العمر، رقم١٣٣٧.

[٢] ابن هشام، السيرة النبوية، ١٩٩/٢.

[٣] المرجع السابق، ١٥٩/٢.

[٤] المرجع السابق، ٢١٩/٢.

[٥] المرجع السابق، ٢٧٠/٢.

ويصيحون به، حتى اجتمع عليه الناس وألجئوه الى حائط[1] لعتبة بن ربيعة وشيبة ابن ربيعة، وهكذا فقد مكثﷺ طوال بعثته يبذل أقصى ما يستطيع من جهد في سبيل تبليغ دعوته.

ومما لا شك فيه أنّ أثر ذلك على الصحابة-رضي الله عنهم- كان بارزاً، ومن ذلك هذا المثال العملي؛ فقد كلف أبو بكر الصديق ﷺ زيدَ بن ثابت ﷺ بعمل عظيم وكبير وهو جمع القرآن الكريم، فعن زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ ﷺ قَالَ أَرْسَلَ إِلَيَّ أَبُو بَكْرٍ ﷺ مَقْتَلَ أَهْلِ الْيَمَامَةِ فَإِذَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ عِنْدَهُ قَالَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ إِنَّ عُمَرَ أَتَانِي فَقَالَ إِنَّ الْقَتْلَ قَدِ اسْتَحَرَّ[2] يَوْمَ الْيَمَامَةِ بِقُرَّاءِ الْقُرْآنِ وَإِنِّي أَخْشَى أَنْ يَسْتَحِرَّ الْقَتْلُ بِالْقُرَّاءِ بِالْمَوَاطِنِ فَيَذْهَبَ كَثِيرٌ مِنَ الْقُرْآنِ وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَأْمُرَ بِجَمْعِ الْقُرْآنِ قُلْتُ لِعُمَرَ كَيْفَ تَفْعَلُ شَيْئًا لَمْ يَفْعَلْهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَالَ : عُمَرُ ﷺ هَذَا وَاللَّهِ خَيْرٌ فَلَمْ يَزَلْ عُمَرُ يُرَاجِعُنِي حَتَّى شَرَحَ اللَّهُ صَدْرِي لِذَلِكَ، وَرَأَيْتُ فِي ذَلِكَ الَّذِي رَأَى عُمَرُ، قَالَ زَيْدٌ قَالَ أَبُو بَكْرٍ إِنَّكَ رَجُلٌ شَابٌّ عَاقِلٌ لاَ نَتَّهِمُكَ وَقَدْ كُنْتَ تَكْتُبُ الْوَحْيَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ فَتَتَبَّعِ الْقُرْآنَ فَاجْمَعْهُ فَوَاللَّهِ لَوْ كَلَّفُونِي نَقْلَ جَبَلٍ مِنَ الْجِبَالِ مَا كَانَ أَثْقَلَ عَلَيَّ مِمَّا أَمَرَنِي مِنْ جَمْعِ الْقُرْآنِ قُلْتُ كَيْفَ تَفْعَلُونَ شَيْئًا لَمْ يَفْعَلْهُ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ : هُوَ وَاللَّهِ خَيْرٌ، فَلَمْ يَزَلْ أَبُو بَكْرٍ ﷺ يُرَاجِعُنِي حَتَّى شَرَحَ اللَّهُ صَدْرِي لِلَّذِي شَرَحَ لَهُ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا– فَتَتَبَّعْتُ الْقُرْآنَ أَجْمَعُهُ مِنَ الْعُسُبِ وَاللِّخَافِ وَصُدُورِ الرِّجَالِ حَتَّى وَجَدْتُ آخِرَ سُورَةِ التَّوْبَةِ مَعَ أَبِي خُزَيْمَةَ الأَنْصَارِيِّ لَمْ أَجِدْهَا مَعَ أَحَدٍ غَيْرَهُ ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ [التوبة/١٢٨]، حَتَّى خَاتِمَةِ بَرَاءَةَ فَكَانَتِ الصُّحُفُ عِنْدَ أَبِي بَكْرٍ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللَّهُ ثُمَّ عِنْدَ عُمَرَ حَيَاتَهُ ثُمَّ عِنْدَ حَفْصَةَ بِنْتِ عُمَرَ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم–"[3].

---

(1) حائط: وهو البستان"، مرتضى الزَّبيدي الحسيني، أبو الفيض، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق : مجموعة من المحققين، الناشر : دار الهداية، ٦٢/١.

(2) قال ابن حجر:" استحرّ: اشتد وكثُر"، ابن حجر، فتح الباري، ٨٥٧/٨.

(3) رواه البخاري، الصحيح، كتاب فضائل القرآن، باب: جمع القرآن، رقم٤٩٨٦.

لقد أحسن أبو بكر الصديق ﷺ فبذل الجهد في اختيار الكفاء لهذه المهمة العظيمة، وإقناعه بتنفيذها، رغم اعتراضه، وعدم موافقته على هذا العمل في البداية، لكنَّه ﷺ بعد اقتناعه بذل أقصى الجهد في التنفيذ، ويعلق الحافظ ابن حجر على صفات زيد ﷺ فيقول:" ذكر له أربع صفات مقتضية خصوصيته بذلك: كونه شاباً؛ فيكون أنشط لما يطلب منه، وكونه عاقلاً فيكون أوعى له، وكونه لا يتهم؛ فتركن النفس إليه، وكونه كان يكتب الوحي، فيكون أكثر ممارسة له، وهذه الصفات التي اجتمعت له قد توجد في غيره لكن مفرّقة"[1]، فلا يكفي بذل الجهد إلاَّ مع وجود الأهلية والقدرة على حُسن الانجاز، لقد بذل زيد ﷺ كلَّ ما استطاع من جهد لأداء تلك المهمة العظيمة، فتتبع كلَّ سورة أو آية من مظانّها، هذا الجهد الذي كان أثقل من حمل الجبال نفسياً ومادياً حتى أنجزه بأفضل ما يُمكن.

والظاهر أن الذكاء، وبذل أقصى الجهد؛ لتحقيق سرعة الانجاز المُحْكَم، وغير ذلك من ميزات زيد ﷺ هي التي أهّلته لمهمة قبل المهمّة السابقة؛ وهي تعلم اللغة السريانية خلال فترة قصيرة جداً، **فعن زيد بن ثابت ﷺ قال: أمرني رسول الله ﷺ أن أتعلم له كتاب يهود قال ﷺ:" إنّي والله ما آمن يهود على كتاب"، قال ﷺ:" فما مر بي نصف شهر حتى تعلّمته له، قال ﷺ:" فلما تعلّمته كان إذا كتب إلى يهود كتبت إليهم، وإذا كتبوا إليه قرأت له كتابهم".**[2]

روى الإمام الطبري -رحمه الله- أنّ أبا بكر الصديق ﷺ لما ولِّي الخلافة خطب في الناس فقال:" إنما أنا مثلكم وإنِّي لا أدري لعلكم ستكلفونني ما كان رسول الله ﷺ يطيــق، إن الله تعــالى اصطفى محمداً ﷺ على العالمين، وعصمه من الآفات، وإنما أنا متبع ولست بمبتدع؛ فإن استقمت فتابعوني وإن زُغت فقوموني وإنَّ رسول الله ﷺ قُبض وليس احدٌ من هذه الأمة يطلبــه بمظلمــة

---

[1] ابن حجر، فتح الباري (١٣/٩).

[2] رواه البخاري، الصحيح، كتاب أخبار الآحاد، باب: ترجمة الحكام، وهل يجوز تَرجُمان واحد؟ رقــم(٧١٩٥)، ورواه الترمذي، في(السنن)، في كتاب الاستئذان، باب: ما جاء في تعليم السريانية، رقم(٢٧١٥)، واللفظ له.

سوط فما دونها"[1]، إنّ أبا بكر الصديق ﷺعلم مقدار طاقته وقُدراته، وعلم أن الناس سيطلبون منه مثل ما كانوا يطلبون من رسول اللهﷺ وهذا فوق طاقته، فبيَّن لهم أنة سيعمل ضمن طاقته، وأنّه بشر مثلهم وطاقته أضعف من طاقة رسول اللهﷺ .

إنَّ الانضباط يقتضي من المكلف بالعمل أن يبذل أقصى ما يستطيع من جهد لإنجاز عمله بإتقان وإحكام وبأفضل صورة ممكنة.

المطلب الرابع: الانضباط في تحقيق الأهداف

إنَّ العقلاء لا يتصرفون في شئون حياتهم عبثاً، من غير هدف مقصود، أو إنجاز مراد، فإذا كان هذا هو حال عامة البشر العقلاء، فكيف الحال عند سيد العقلاء رسول الله ﷺ، وأصحابهﷺ والسائرين على نهجه عبر الزمان والمكان، فلا بُد من أهداف مقصودة يراد تحقيقها من خلال أعمال تُوصل إليها، ففي سيرة رسول اللهﷺ ، وفي تعليمه لأصحابه -ﷺ- ترى سعياً حثيثاً لتحقيق الأهداف العظيمة التي فيها صلاح أمر الدين والدنيا، كما أنَّ هناك أهدافاً كبيرة قد يعمل الفرد لتحقيقها بالتعاون مع غيره؛ خاصة إذا وُجِدت القيادة التي تستطيع توظيف الطاقات في مواضعها المناسبة، وعلى رأس ذلك توظيف الكفاءات المميزة قال الدكتور العليمي "الانضباط يحفز الهمم نحو استخدام القوى العاملة إلى أقصى طاقة لتحقيق الأهداف، والصبر على مشقات الأداء حتى بلوغ الغايات، ولا يتنازل عن الأهداف إلا أصحاب العقول المستريحة"[2] الذين قصرت عقولهم عن الصبر حتى تحقيق أهدافهم.

وكلما عظمت الأهداف، هانت التضحية في سبيل تحقيقها، بل كلما عظُم الأشخاص عظمت أهدافهم، فقد تبدأ الأهداف بأحلام وآمال، لكنها تتحول إلى واقع عملي بالجهد المتواصل

---

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ٢/٢٤٤-٢٤٥.

(٢) العليمي، الانضباط والطاعة وأثرهما التربوي، ص ٤٣، مرجع سابق.

المنظم، الذي يبدأ بإنجاز خطوات ثم تتابع الإنجازات والمحافظة على ما تحقق من تلك الإنجازات أمر مهم وعظيم، فعلينا أن نرتقي بأحلامنا وآمالنا؛ قال الدكتور الهاشمي "أحلام الإنسان التي يختطها له فكره وخياله تُسبغ عليه جواً اجتماعياً يدفعه إلى تحقيقه، ويُكيف نفسه له، ويكيف ظروفه لإنجازه، وما أكثر المشاريع العلمية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية؛ التي تبدأ بفكرة للمستقبل أو بحلم وأمل، ثم تنتهي إلى الإنجاز "[1].

ولذا فيلزم المسلم السعي الحثيث نحو تغيير وتطوير الأنظمة والقوانين لتتوافق مع أهدافه وغايته النبيلة، قال الدكتور الهاشمي:" فيلزم المسلم أن يُؤثّر في الأنظمة والتقاليد جميعها، ويغيرها ويطورها على الصعيد الرسمي، أو الجماعي، بالقدر الذي يؤهله لسد حاجاته المتطورة النامية، وبالقدر الذي يؤمن به أنه الحق"[2] والنموذج القدوة في ذلك هو رسول الله ﷺ، حيث يتجلّى الصبر، والإصرار العظيم على تحقيق الأهداف الكبيرة كما أنَّ الأملَ بتحقيق الأهداف يُسهّل التضحية في سبيلها.

فها هو أحد الصحابة الكرام ﷺ يصف بعض التضحية في سبيل الله تعالى؛ لتحقيق الأهداف، فيقول: "**أتيت النبي ﷺ وهو متوسد بردة وهو في ظل الكعبة وقد لقينا من المشركين شدة فقلت: يا رسول الله، ألا تدعو الله، فقعد وهو مُحمَّر وجهه، فقال ﷺ: "لقد كان من قبلكم ليمشط بمشاط الحديد ما دون عظامه من لحم أو عصب ما يصرفه ذلك عن دينه، ويوضع المنشار على مفرق رأسه فيشق باثنين ما يصرفه ذلك عن دينه وليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الركاب من صنعاء إلى حضرموت ما يخاف إلا الله، والذئب على غنمه**"[3]، فالهدف

---

(1) الهاشمي، أ.د عابد توفيق، الإسلام ينظم الحياة ويحكم موازين التكيف، دار القلم، الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ص ٤٣، بتصرف يسير.

(2) المرجع السابق ص٤٢ .

(3) رواه البخاري، الصحيح، كتاب: مناقب الأنصار، باب: ما لقي النبي ﷺ وأصحابه من المشركين بمكة، رقم٣٨٥٢.

واضح، والغاية النبيلة ماثلة أمام النبيﷺ والأمل بنصر هذا الدين وعد سيتحقق، ولكن يجب على المسلمين الصبر والتضحية.

ومما ينبغي أن يؤكد عليه؛ شدة تأثُر النبي ﷺ لإيذاء أصحابه ﷺ، قال ابن حجر-رحمه الله-: "جميع ما أُوذي به أصحابه كان يتأذى هو به"[1]، ومع ذلك يُصر على تحقيق أهدافه، ويُعلم أصحابهﷺ الصبر على ذلك. **ومما ذكره ابن هشام عنى النبيﷺأنه قال:" فوالله لا أزال أجاهد على الذي بعثني الله به حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفة[2]"[3].**

وفي السيرة النبوية أهداف واضحة وبعضها مرحلي، حيث تظهر للمتأمل فيها، كما أن الدارس لسيرة النبيﷺ يجد التخطيط المنظم والدقيق لتحقيق الأهداف، وقد أشرف أُستاذي الفاضل الدكتور محمد العمري-حفظه الله تعالى- على رسالة دكتوراه نافعة في هذا الميدان وهي التخطيط العسكري في السنة النبوية، وفي بيان أهمية التخطيط يقول الدكتور يحيى البطوش:" إنَّ التخطيط بصفة عامة مدخل لحل كثير من المشكلات، ومنهج لتحقيق الغايات، والعمل بدون خطة هو ضرب من العبث وضياع الوقت، حيث تعم الفوضى والارتجالية، ويصبح الهدف بعيد المنال لذلك ما أقدم رسول الله ﷺ على أي عملٍ له شان الا بعد ان يضع له خطة"[4]، ويضيف قائلاً:"إنَّ الأخذ بالأسباب، والدقة في التخطيط، واختيار الزمان والمكان المناسبين للتنفيذ، وعمليات التضحية

---

(1) فتح الباري، في شرحه للحديث السابق.

(2) قال السهيلي-رحمه الله تعالى-:"السَّالِفَةُ صَفْحَةُ الْعُنُقِ وَانْفِرَادُهَا عِبَارَةٌ عَنْ الْقَتْلِ أَوْ الذَّبْحِ"، السهيلي، الروض الأنف في شرح غريب السير،٤١/٤.

(3) رواه البخاري، الصحيح، كتاب: الشروط، باب: الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط، ورواه ابن هشام، السيرة النبوية، أمر الحديبية في آخر سنة ست، وذكر بيعة الرضوان، والصلح بين رسول اللهﷺ وبين سهيل بن عمرو ٢٧٦/٤. ، واللفظ لابن هشام.

(٤) البطوش، الدكتور يحيى بشير حامد، التخطيط في السنة النبوية، ص٢١.

والفداء، والذكاء، والتمويه، والصدق، والصبر، ومن وراء ذلك التوكل على الله تعالى والثقة بنصره لنبيه؛ كل ذلك كان في خدمة الهدف المنشود"[١].

ولا شك أن التخطيط لتحقيق الأهداف كان منهجاً عاماً في سيرة النبي ﷺ، ومن ذلك ما يأتي:

١- **الهدف: معرفة رأي الأنصار ﭬ في جهاد الأعداء خارج المدينة النبوية[٢]، الوسيلة: مشاورة النبي ﷺ المتكررة للجند فقد تكلم المهاجرون وقالوا خيراً، وأثنى عليهم النبي ﷺ، لكنّه كرّر طلب المشورة، ونقل ذلك ابن هشام فقال:" استشارة الأنصار ثم قال رسول الله ﷺ:" أشيروا علي أيها الناس"، وإنما يريد الأنصار؛ وذلك أنهم عدد الناس[٣]، وأنهم حين بايعوه بالعقبة قالوا :"يا رسول الله إنا برآء من ذمامك حتى تصل إلى ديارنا، فإذا وصلت إلينا، فأنت في ذمتنا نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا، فكان رسول الله ﷺ يتخوف ألا تكون الأنصار ترى عليها نصرَه إلا ممن دهمه بالمدينة من عدوه، وأن ليس عليهم أن يسير بهم الى عدو من بلادهم، فلما قال ذلك رسول الله ﷺ قال له سعد بن معاذ ﭬ:"والله لكأنك تريدنا يا رسول الله!" قال:" أجل!"، قال:" فقد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما أردت، فنحن معك فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً، إنّا لصبر في الحرب صدق في اللقاء لعل الله يريك منا ما تقر به عينك، فسِر بنا على بركة الله"، فسُرَّ رسول الله ﷺ بقول سعد، ونشّطه ذلك،**

---

(١) البطوش، الدكتور يحيى بشير حامد، ص٢٣.

(٢) انظر: شروط بيعة العقبة الأولى، وبيعة العقبة الثانية، عند ابن هشام في السيرة النبوية، ٢/٢٧٩، ٢/٣٠٢.

(٣) كانوا في ذلك الوقت أكثر عدداً من المهاجرين.

ثم قال:" سيروا، وابشروا، فإنَّ الله تعالى قد وعدني إحد الطائفتين، والله لكأني الآن أنظر الى مصارع القوم"[1].

٢- الهدف التعرف على أخبار قريش، وعددهم، ومكانهم، وكانت الوسيلة، انطلاقﷺ الرسول وهو القائد الأعلى مع أبي بكرؓ، في البحث عن مصدرٍ للمعلومات: فقد انطلقوا حتى وجدوا شيخاً من العرب، فسألوه عن أمور يعلمونها وهي مكان جند المسلمين، وعن أمور لا يعلمونها ليقيسوا المعلومات ببعضها، ويحكموا على صحة تلك المعلومات الواردة منه، قال ابن هشام:" فسألهﷺ عن قريش وعن محمد وأصحابه، وما بلغه عنهم فقال الشيخ:" لا أخبركما حتى تخبراني ممن أنتما فقال رسول اللهﷺ": إذا أخبرتنا أخبرناك"، قال:" أذاك بذاك قال نعم، قال الشيخ:" فإنَّه بلغني أن محمداً وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا فإن كان صدق الذي أخبرني فهم اليوم بمكان كذا وكذا للمكان الذي به رسول اللهﷺ، وبلغني أن قريشاً خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان الذي أخبرني صدقني فهم اليوم بمكان كذا وكذا للمكان الذي فيه قريش، فلما فرغ من خبره قال ممن أنتما **فقال رسول الله ﷺ":نحن من ماء"**، ثم انصرف عنه، قال يقول ما من ماء؟، أمن ماء العراق؟!"[2].

ولعل مما يُتوقف معه أنَّ النبيﷺ أجابه بالتورية:"نحن من ماء"، ولم يقل له أنا قائد المسلمين، ولم يقدم له أي معلومة تؤثر على الصف المسلم؛ ذلك أنَّ الهدف هنا هو عدم إيصال معلومات للخصم، وسبب جوابه بتلك الصورة: فيما رواه جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- ،

---

(1) ابن هشام، السيرة النبوية، ١٦٢/٣، وانظر: الإمام مسلم، الصحيح، كتاب؛ الجهاد والسير، باب: غزوة بدر، رقم١٧٧٩.

(2) ابن هشام، السيرة النبوية، ١٦٢/٣.

قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:" الْحَرْبُ خُدْعَةٌ"[1]. وشرحه القاضي عياض بقولــه :"فيــه جــواز التوريــة والتعريض في الحرب، وأنَّ ذلك ليس بمذموم، ولا كذب، وهو مما رُخِّص فيه"[2].

٣- الهدف أداء العمرة، الوسيلة انطلاق المسلمين بصورة تدل على أنَّهم لا يُريدون القتال، فلم يحملوا سلاح المحارب، وكذلك تجنبوا الطريق الذي يمكن أن يُوصل للقتال، قال ابن هشام:" تجنبه ﷺ طريق قريش"[3] وقد قال النبي ﷺ:" والذي نفسي بيده، لا يسألونني خطة يُعظِّمون فيها حُرمات الله إلا أعطيتهم إيّاها"[4]، ومن خلال الحكمة النبوية في المفاوضات في صلح الحديبية، وإن لم يتحقق الهدف المباشر وهو أداء العمرة، فقد وقع اتفاق عظيم كانت أهدافه وآثاره أكبر من أداء العمرة في هذا الوقت، ومع ذلك تم الاتفاق على تحقيقه في العام القادم، أي تأجيل تحقيق الهدف المباشر لمدة عام، ولكن تحققت أهداف غير مباشرة وهي مهمة جداً ولها آثارها الكبيرة، فقد يُخطط الإنسان لتحقيق هدف فييسر الله تعالى أهداف أكبر، فينبغي على العاقل اغتنام ذلك.

٤- الهدف: إيجاد بيئة آمنة للمسلمين، وتأمين فئة منهم لفترة من الزمن كنوع من الاحتيــاط للدعوة الإسلامية، الوسيلة: الهجرة إلى الحبشة، وقد صرّح الإمام ابن كثير- رحمــه الله-

---

([1]) متفق عليه: البخاري، الصحيح، كتاب: الجهاد، باب: الْحَرْبُ خَدْعَةٌ، رقم٣٠٣٠، ومسلم، الـصحيح، كتــاب الجهاد والسير، باب: جواز الخداع في الحرب، رقم١٧٣٩.

([2]) القاضي، عياض اليحصبي، أبو الفضل، ابن موسى بن عياض، ٥٤٤ هـ، إكمال المعلم بفوائد مسلم، ـوهــو شرح صحيح مسلم- ، تحقيق: الدكتور يحيى إسماعيل، دار الوفاء، الطبعة الأولى ١٤١٩هـــ/١٩٩٨م، ٤٢/٦.

([3]) ابن هشام، السيرة النبوية، ٢٧٦/٤، وانظر الحديث الآتي من رواية البخاري.

([4]) رواه البخاري، الصحيح، كتاب: الشروط، باب: الشروط التي في الجهاد، والمصالحة مع أهل الحرب، وكتابة الشروط، رقم٢٧٣١.

بالهدف الظاهر من الهجرة فقال:" **فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله ﷺ إلى أرض الحبشة، مخافة الفتنة، وفراراً إلى الله بدينهم**"[1].

ومما ينبغي التوقف معه، والبحث عن أهدافه هو إبقاء[2] مهاجري الحبشة رضي الله عنهم حتى السنة السابعة هجرية، وكان الرسول ﷺ يستطيع أن يبعث في طلبهم قبل ذلك، والذي يظهر أنه أبقاهم كنوع من الاحتياط إذا قُضي على الدولة الإسلامية، أو احتاجوا إلى نصير خارجي، أو أملاً في إيجاد أكثر من بيئة لاحتضان الإسلام، فلمّا اطمأن النبي ﷺ على قوة دولته، وظهرت الحاجة لقدومهم بعث في طلبهم، قال ابن إسحاق: وكان من أقام بأرض الحبشة من أصحاب رسول الله ﷺ حتى بعث فيهم رسول الله ﷺ إلى النجاشي رضي الله عنه عمرو بن أمية الضمري فحملهم في سفينتين فقدم بهم عليه وهو بخيبر بعد الحديبية"[3].

ومما يجب الانتباه إليه أنَّ أعداء الإسلام يخططون ضد المسلمين في الليل والنهار، ولهم أهداف مضادة لأهداف الإسلام والمسلمين فينبغي الحيطة والحذر من ذلك، ومما ظهر من وسائلهم وأهدافهم ما يأتي:

١- **الهدف**: القضاء على قادة الدعوة الإسلامية، وذلك بتكرار محاولات الاغتيال، وبدأ ذلك مبكراً، ومن ذلك ما رواه عبدالله بن عمرو بن العاص_رضي الله عنهما-قال: "**بينا النبي ﷺ يصلي في حجر الكعبة، إذ أقبل عقبة بن ابي معيط، فوضع ثوبه في عنقه فخنقه خنقا شديداً، فأقبل أبو بكر رضي الله عنه حتى أخذ بمنكبه ودفعه عن النبي ﷺ وقال رضي الله عنه ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ﴾[غافر/٢٨]**"[4].

---

(1) ابن كثير، أبو الفداء، إسماعيل بن كثير ٧٠١ – ٧٤٧ هـ، السيرة النبوية، تحقيق : مصطفى عبد الواحد ١٣٩٦ هـ – ١٩٧١ م، الناشر : دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت – لبنان، ٤/٢.

(2) انظر: قطب، سيد، في ظلال القرآن،٢٩/١، وانظر: الغضبان، المنهج الحركي للسيرة النبوية، ص٥٩-٦١.

(3) ابن هشام، السيرة النبوية، ٥/٥-٦.

(4) رواه البخاري، الصحيح، كتاب مناقب الأنصار، باب: ما لقي النبي ﷺ وأصحابه من المشركين، رقم٣٨٥٦.

٢- **الهدف: إشغال النبيﷺ عن تحقيق أهداف الدعوة إلى الإسلام، وكذلك بإيجاد خلل في تماسك المجتمع المسلم؛ من خلال إثارة الفتن وإشاعة الأراجيف**، وكان قادة تلك الحرب النفسية هم المنافقون، واستطاعوا إيقاع عددٍ من المسلمين في ذلك نتيجة التسرع، وعدم دراسة آثار الكلام والمواقف، فقد تكرر الإيذاء المعنوي لرسول الله ﷺ في مواقف متعددة ومنها ما وقع في حادثة الإفك[1]، وفي ميدان محاربة الدعوة كان منهجهم العام الحرص على أن يداهنهم النبي ﷺ ﴿ وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴾[القلم:٩]؛ ليتنازل عن بعض أهدافه، ولكنَّ الله تعالى عصمه من ذلك وكان من أساليبهم إنفاق الأموال للصد عن سبيل الله، قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾[الأنفال٣٦].

---

(١) انظر تفسير الآيات من سورة النور(١١-١٩) من قوله تعالى:﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾[النور:١١]والآيات التي تليها، وانظرتفسيرها عند: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٦/١٩-٢٩..

المبحث الرابع

وسائل تنمية الانضباط

إنّ الإدراك والوعي لأهمية الانضباط في حياة الفرد والأمة ينبغي أن يقود ويُوجِّه نحو البحث عن الوسائل والأساليب والطرق والأعمال التي تُؤسس لإيجاد الانضباط وتقويته وتنميته، وتعين على زيادة الارتقاء بمستواه العام والشامل في ميادين الحياة المتنوعة كلها؛ ليظهر ذلك بمزيد من الالتزام الشرعي بأحكام الإسلام في العبادات والمعاملات، وسائر شئون وأعمال المسلم، فتتجلى صورة ذلك بمزيد من التقيد بالتعليمات والأوامر والعقود والقوانين والأنظمة، فيُحكِم تصرفاته ويتقن أعماله ويُظهر النظام والترتيب، ويبتعد عن العشوائية والفوضى؛ ولذلك فقد جاء هذا المبحث ليُسلِّط الضوء على عدد من أهم الوسائل في إيجاد وتنمية الانضباط:

المطلب الأول: إيجاد البيئة التعليمية والتربوية

إنّ العمل على إيجاد البيئة – بعناصرها المتعددة- الملائمة للتأسيس للانضباط وتقويته وتنميته لها أهمية قصوى، ويتحقق ذلك من خلال المعلم الكفء الذي يجمع بين العلم النظري والتطبيقي، والقدرة على نقل ذلك وإيصاله بكفاءة عالية، وبوجود المنهاج المتميز والقابل للتطبيق، وبتهيئة المكان المناسب للتعليم، وإعداد المجتمع لتقبل ذلك بتوجيه العناصر المؤثرة، وبإيجاد الإعلام المناسب، والتحفيز لتقبل ذلك معنوياً ومادياً، وغير ذلك من عناصر البيئة العلمية والتربوية.

لقد توفر في بداية الدعوة بعض عناصر البيئة التعليمية والتربوية وهي: المعلم الكفءﷺ، وتوفر المنهاج وهو القرآن والسنة، وتوفر المكان وهو دار الأرقم التي كانت المركز الأول لتعليم

أحكام الإسلام، والتخطيط للدعوة إليه؛ ففيها يلتقي النبي ﷺ بأصحابه ﷺ بصورة منظمة في أوقات محددة، بسرية تامّة بعيداً عن أعين المشركين، وقد كان لذلك المركز نظامه؛ ومنه السرية فقد استمرت اللقاءات من السنة الثالثة وحتى الهجرة، من غير أن يكتشف المشركون ذلك المركز، قال ابن هشام-رحمه الله-: **"ولم نسمع أبدًا أن قريشاً داهمت يوماً هذا المركز وكشفت مكان اللقاء، إنما أقصى ما وصلت إليه هو شكها أن يكون اللقاء في دار عند الصفا"**[1].

لقد كان لهذا المركز برنامج منظم؛ ففيه كان اللقاء بين المسلمين مع بعضهم، واللقاء بمعلمهم ومربيهم رسول الله ﷺ، فيغير التصورات والمعتقدات الجاهلية، كما يربيهم على أخلاق الإسلام من المحبة والمودة والرحمة والتعاون، والدعوة إلى الإسلام والولاء والبراء على أساسه، فأحدث ﷺ فيهم نقلة نوعية، فقدموا التضحية في سبيل الله على المال والأهل والنفس، وكذلك كان فيه اللقاء بالعناصر الجديدة؛ ممن يدخل في الإسلام، ففي قصة إسلام عمر بن الخطاب ﷺ في حواره مع أُخته- **"قلت: أين رسول الله ﷺ؟ قالت: فإنه في دار الأرقم"**[2].

وقد انطلق الجهر بالدعوة في جموع المشركين، بصور متعددة، فمن ذلك "عن عائشة- رضي الله عنها- قالت لما اجتمع أصحاب النبي ﷺ، في دار الأرقم، وكانوا ثمانية وثلاثين رجلا ألحَّ أبو بكرﷺ على رسول الله ﷺ في الظهور فقال:"يا أبا بكر إنا قليل" فلم يزل أبو بكر يُلح حتى ظهر رسول الله ﷺ"[3]، فوافق ذلك نزول الوحي بقول الله تعالى﴿ **فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ**

---

(1) ابن هشام، السيرة النبوية،١٨٨/٢، وانظر: الغضبان، منير محمد، النهج الحركي للسيرة النبوية، سرية التنظيم، ص٤٤، بتصرف يسير.

(2) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية؟،١٦٩/١، والسيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، تاريخ الخلفاء، مطبعة السعادة- مصر، الطبعة الأولى، ١٣٧١هـ، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ص١٠٠، واللفظ له.

(3) ابن كثير، أبو الفداء، إسماعيل بن عمر بن كثير، القرشي، الدمشقي (٧٠٠هـ/٧٧٤م)، البداية والنهاية، مكتبة المعارف - بيروت، ٣١/٣. وقد وافق ذلك الاستعدادُ النفسي للصحابة -رضي الله عنهم- الأمرَ بالجهر بالدعوة من الله تعالى، واستمر التخطيط للدعوة، ومخاطبة أهل مكة وغيرهم من الحجاج، والزائرين لها للتجارة أو لغيرها.

ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٩٤﴾ [الحجر٩٤]، فجهرﷺ بالدعوة، واحتمل في ذلكﷺ هو وأصحابه‌رضي الله عنهم أشد الإيذاء المادي والمعنوي، ولولا فضل الله تعالى، ثم التربية العميقة لهذا الجيل المبارك، لقُضي على الإسلام في مهده.

ولا بُد من التأكيد أنّ إيجاد البيئة المناسبة للدعوة الإسلامية لا يقتصر على المكان فقط، بل هو منظومة متكاملة من المعطيات الشاملة والمتكاملة والمتعاضدة، فالمعلم والقائد المتميز الذي يقود للانضباط متوفر في شخص النبيﷺ وثلة من أصحابه‌رضي الله عنهم، ومعالجة الناحية الاقتصادية بالإنفاق في سبيل تحقيق الأهداف متوفر- وإن كان بمستوى يسير- والبعد عن المعوقات والمثبطات، ولتوفير هذا العنصر ابتدأت الدعوة سراً، وتم تخير العناصر المناسبة الذين يصلحون لحمل هذه الرسالة، ولكن لغياب بعض العناصر المهمة في مكة المكرمة، فلم يتحقق الكثير من الأهداف، حيث بقيت البيئة العامة مناوئة للدعوة.

إن البحث عن البيئة الأنسب قضية مهمة جداً، كانت تُشغل رسول الله ﷺ، عبر مراحل الدعوة؛ فاللقاء مع الوفود في الحج، والهجرة إلى الحبشة، والذهاب إلى الطائف، وبيعة العقبة، وبعثه مصعباًرضي الله عنه إلى المدينة للتمهيد للهجرة، وللتأسيس لبناء الدولة؛ ولتكون نقطة التحول الرئيسة في تأسيس البيئة الأنسب للدعوة الإسلامية .

إنّ البيئة المتكاملة بدأت بالظهور التدريجي بعد الهجرة النبوية، حيث كانت نقطة التحول الرئيسة، فأصبح للمسلمين دولة لها نظامها العام الذي يخدم الدعوة بصورة كبيرة ومتطورة، فالنظام العقدي والتعبدي والاجتماعي، والاقتصادي والسياسي والعسكري، بل والنظام العام في المجتمع كله يعين على الانضباط، فكانت أولُ أعمالهﷺ بناء مسجد قباء، ثم المسجد النبوي، ليكون المسجد البيئة الأولى للتعليم والتربية، والتخطيط، والمنطلق للكثير من الأعمال، وفيه يتعلمون النظام بصورة شاملة، وانطلق ﷺ مع أصحابه‌رضي الله عنهم في بناء المجتمع، وإيجاد البيئة الشاملة التي تعين

على تحقيق الالتزام بالإسلام، فجاءت الأحكام والتشريعات من القرآن والسنة، في الجانب الاجتماعي والعلمي والاقتصادي والعسكري، وكذلك السعي نحو الرقي بالأهداف والتصورات والفكر، والسمو في الأخلاق الشامل، حتى وصلوا بحق إلى الجيل الفريد[1] في كل ميدان، ولم يكد النبيﷺ يغادر الدنيا إلاّ وقد أوجد أرقى بيئة، وأعظم أُمة أُخرجت للناس.

وتجدر الإشارة إلى تطور دور المسجد- كمكان- في العمل على انضباط المجتمع، من خلال التعليم وتنوع حلقات العلم فيه، ووجود نظام دقيق يلتزمه العلماء في التدريس، ومنهم علماء الحديث؛ من حيث مستويات المادة العلمية المُقدمة وتتابعها، والتزام الطلاب النظام في تلك الحلقات" وقد كان نظام الحلقات نظاماً دقيقاً يقوم على انضباط الطلبة والتزامهم بالأدب السامي بحضرة شيخهم، تحت إشراف نقيب، وعلى كفاءة المحدث العلمية والتعليمية التربوية، ولكي يضبط الطلبة ما يُروى لهم كانوا يعمدون إلى الكتابة ومقابلة المكتوب بالكتاب الأصل، أو عرضه على الشيخ، والطريقة الثانية هي المذاكرة، وقد اشترطوا في المرتحل من أجل التعلم مجموعة من الشروط منها استيفاء العلم الموجود في البلاد، وهكذا يظهر أن النظم التعليمية عند المحدثين نظم دقيقة تهدف إلى تكوين شخصيات فذة، لها مواقف إيجابية"[2]، حيث كانت هذه الشخصيات الفذة هي المؤهلة لقيادة المجتمع، فلم تكن ثقافته وعلمه يقتصر على الفقه والعلم الشرعي البحت، بل ظهر عندهم التميز في مختلف التخصصات، وقد استثمرت الدولة الإسلامية تلك الطاقات، فجعلها ذلك في مقدمة الأمم والشعوب؛ وخاصة في زمن الخلفاء الراشدين، حيث كان بداية البناء والتأسيس، ثم ارتقى ذلك في الدولة الأموية، وتجلى في زمن الدولة العباسية.

---

(1) كما أشار إلى ذلك سيد قطب-رحمه الله- بقوله:" جيل قرآني فريد"، قطب، سيد، معالم في الطريق، دار الشروق، الطبعة الشرعية العاشرة، ص١٤.

(2) أقلاينة، المكي، النظم التعليمية عند المحدثين في القرون الثلاثة الأولى، كتاب الأمة سلسلة فصلية تصدر عن وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، قطر، ص١٥٤-١٥٦ ، باختصار.

وينبغي التقرير أنَّ إيجاد البيئة المناسبة للانضباط هو جهد بشري، قد يظهر فيها بعض السلبيات التي ينبغي أن تُعالج أولاً بأول حتى لا تكبر وتستفحل، ولكن وِفْقَ فقه الأولويات التي يقررها العلماء المتخصصون.

إنَّ العمل على إيجاد البيئة المناسبة للانضباط في المجتمع يتحقق في الأمة الإسلامية، حين يتقدم علماؤها المتخصصون، ودعاتها المخلصون، وأصحاب الكفاءة في كل ميدان.

ويكفي نقل صورة عن تعظيم العلم والعلماء وواقع حلقات العلم، ومجالس الإصلاح، حيث يظهر التعظيم، والهيبة، والوقار، والسمت الحسن، والترتيب وأثر النظام على المعلم والطلاب، فعن سفيان الثوري-رحمه الله تعالى- قال:" لا أعلم شيئا من الأعمال أفضل من طلب الحديث لمن حسنت فيه نيته"، وعن ابن المبارك-رحمه الله تعالى- قال:" ما أعلم شيئا أفضل من طلب الحديث لمن أراد به الله عز وجل"، وعن الشافعي-رحمه الله تعالى- قال:" كلما رأيت رجلا من أصحاب الحديث، فكأنما رأيت رجلاً من أصحاب النبي ﷺ"، وعن إسماعيل بن أبي أُويس- رحمه الله تعالى- قال كان مالك-رحمه الله تعالى- إذا أراد أن يحدث؛ توضأ وجلس على صدر فراشه، وسرَّح لحيته، وتمكن من جلوسه بوقار وهيبة، وحدث فقيل له في ذلك فقال:" أحبُّ أن أعظم حديث رسول الله ﷺ، ولا أحدِّث إلا على طهارة؛ متمكنا" وكان يكره أن يُحدِّث في الطريق أو وهو قائم، أو مستعجل، وقال:" أحبُّ أن أتفهم ما أحدث به عن رسول الله ﷺ"[1]؛ وهذا يدل على التزامه بنظام وترتيب معتاد عند التحديث، والذي كان يجلس ويتتلمذ في هذه المجالس عامة الأمة وفيهم غير الطلبة المتخصصين، من التجار، والقادة العسكريين، وأصحاب المهن من الحدادين والنجارين والخياطين وغيرهم.

---

[1] السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة، الجامعة الإسلامية-المدينة المنورة، الطبعة الثالثة، ١٣٩٩م، ص٥١.

وفي هذا الزمن حيث ازدادت الدقة في تمايز التخصصات المتنوعة، ينبغي بذل المزيد من الجهد لبناء وتأسيس فئات المجتمع الإسلامي على النظام، بتأمين البيئة المناسبة، في مراحل الدراسة المتتابعة في الحضانة والروضة والمدارس والمعاهد والجامعات والمراكز، وعقد الدورات المتخصصة، وهذا يعمل على إيجاد الشخصية الإسلامية المنضبطة في ميادين الحياة المتنوعة.

وقد أشار النبيﷺ إلى أهمية البيئة وأثرها على في إيجاد الانضباط وتنميته وتقويته في قصة: رجل من بني إسرائيل أمر ونصح بترك قريته التي يُعمل فيها بالمعصية والرحيل إلى قرية صالحة فيها أناس يتجلى فيهم الانضباط بالصلاح والتقوى، **فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ** رضي الله عنه **أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ**ﷺ **قَالَ:" كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى رَاهِبٍ فَأَتَاهُ فَقَالَ إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ فَقَالَ لَا فَقَتَلَهُ فَكَمَّلَ بِهِ مِائَةً ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ فَقَالَ إِنَّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ فَقَالَ نَعَمْ وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ انْطَلِقْ إِلَى أَرْضِ كَذَا وَكَذَا فَإِنَّ بِهَا أُنَاسًا يَعْبُدُونَ اللَّهَ فَاعْبُدْاللَّهَ مَعَهُمْ وَلَا تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ فَإِنَّهَا أَرْضُ سَوْءٍ فَانْطَلَقَ حَتَّى إِذَا نَصَفَ الطَّرِيقَ أَتَاهُ الْمَوْتُ فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ فَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ جَاءَ تَائِبًا مُقْبِلًا بِقَلْبِهِ إِلَى اللَّهِ وَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدَمِيٍّ فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ فَقَالَ قِيسُوا مَا بَيْنَ الْأَرْضَيْنِ فَإِلَى أَيَّتِهِمَا كَانَ أَدْنَى فَهُوَ لَهُ فَقَاسُوهُ فَوَجَدُوهُ أَدْنَى إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَرَادَ فَقَبَضَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ "**(1)

إنَّ أمرَ ونصيحةَ العالِم الأكثر انضباطاً " أعلم أهل الأرض" لذلك التائب بترك مكان المعصية والذهاب إلى مكان فيه أناس صالحون ليعيش معهم، ويعبد الله معهم، لتكون بيئة صالحة

---

(1) متفق عليه: البخاري، الصحيح، كتاب أحاديث الأنبياء، باب:[مرسل من غير ترجمة]والترجمة التي قبله هي: حديث الغار، رقم٣٤٧٠، ومسلم، الصحيح، كِتَاب التَّوْبَةِ، بَاب قَبُولِ تَوْبَةِ الْقَاتِلِ وَإِنْ كَثُرَ قَتْلُهُ، رقم٢٧٦٦.

تُعينه على الانضباط بأمر الله وطاعته، قال الإمام النووي-رحمه الله-:" قال العلماء في هذا استحباب مفارقة التائب المواضع التى أصاب بها الذنوب، والأخدان المساعدين له على ذلك، ومقاطعتهم ما داموا على حالهم، وأن يستبدل بهم صحبة أهل الخير والصلاح والعلماء والمتعبدين الورعين ومن يقتدى بهم وينتفع بصحبتهم، وتتأكد بذلك توبته "[1]، وقال الإمام ابن حجر: فيه فضل التحول من الأرض التي يصيب الإنسان فيها المعصية لما يغلب بحكم العادة على مثل ذلك إما لتذكره لأفعاله الصادرة قبل ذلك والفتنة بها، وإما لوجود من كان يعينه على ذلك ويحضه عليه ولهذا قال له الأخير ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء ففيه إشارة إلى أن التائب ينبغي له مفارقة الأحوال التي اعتادها في زمن المعصية والتحول منها كلها، والإشتغال بغيرها"[2].

وقد ذكر الإمام النووي-رحمه الله- في باب: زيارة أهل الخير ومجالستهم، وصحبتهم، ومحبتهم، وطلب زيارتهم، والدعاء منهم وزيارة المواضع الفاضلة[3] آيات كريمة وأحاديث شريفة تدل على الاقتداء برسول الله ﷺ في زياراته لأهل الفضل والعلم، والاستفادة من علمهم وسلوكهم، والاجتهاد في محبتهم والتأثر بهم، وزيارتهم، والتأكيد على التمايز بين الجليس الصالح والجليس السوء، والاقتصار في الصحبة على المؤمنين، وحُسن اختيار الزوجة الصالحة لعظيم أثرها على الزوج والأبناء، ولأنَّ الأسرة هي منطلق المجتمع المنضبط.

ويمكن العمل على إيجاد بيئة منضبطة من خلال ما يأتي:

١- **تفعيل دور المسجد والخطباء والأئمة والدعاة**، كونهم يُخاطبون جميع فئات المجتمع.

٢- **تقديم العلماء والأئمة، وأصحاب الكفاءات والمتخصصين في الميادين المتنوعة**، مع تنظيم عملهم، وتفعيل دورهم، وتقديمهم لقيادة المجتمع.

---

(١) النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم، ٨٣/١٧.

(٢) ابن حجر، فتح الباري، ٥١٧/٦-٥١٨.

(٣) النووي، رياض الصالحين، باب رقم٤٥، ص١٥٣-١٥٨.

٣- **نشر أماكن العلم، والدعوة، التي تُربى فيها الأمة**-صغاراً وكباراً، وذكوراً وإناثاً- على النظام، من خلال تعليم العقيدة، والقرآن الكريم، والسنة: حفظاً وتفسيراً، وفهماً، وتطبيقاً وأخلاقاً وسلوكاً، كما ينبغي العمل على نشر أماكن تعليم التخصصات الأخرى التي تُعين على بناء الأمة في ميادين الحياة المتنوعة المهنية والتجارية والعسكرية وغيرها.

٤- **العمل على إزالة أماكن الفساد، والتقليل من المفسدين**، وبذل الجهود في إصلاحهم، مع الاستفادة من المتخصصين في علاج من يحتاج إلى ذلك، والتعاون مع المسئولين.

٥- **تفعيل الإعلام المرئي والمسموع والمقروء**؛ في بناء المجتمع المنضبط.

٦- **تفعيل دور الأسرة بصورة متكاملة.**

٧- **ضبط التعامل والاتصال مع العالم الخارجي**، فلا انفتاح ولا إغلاق مطلق، ولكن سعي للاستفادة الإيجابية من كل تطور، أو صناعة.

المطلب الثاني: سن القوانين

إنّ إيجاد القوانين والأنظمة التي تضبط وتنظم العلاقات بين فئات المجتمع وفق أسس شرعية، وفيها تحقيق للمصلحة المقبولة في أمور الدين والدنيا، وفيها المراعاة للأحوال والأوضاع العامة للمجتمع، أو للفئة المخاطبة بتلك القوانين؛ وبما يحقق العدل للأفراد؛ قضية ضرورية، يعرف العاملون من خلالها حقوقهم وواجباتهم، فلا يبغي بعضهم على بعض، وإذا وقع خلل احتكموا إلى تلك القوانين والأنظمة، فلا تتفاقم المشكلة، ولا تزداد العداوات.

وقد عرف البشر عبر الزمان أنواعاً من القوانين والتنظيم لحياتهم، في بلاد الروم، وفي بلاد فارس، بل وقبل تلك الدول، وأما العرب في شبه الجزيرة العربية فعرفوا القوانين والأنظمة

من خلال العرف، والعشيرة، والبيئة، وبقايا من آثار دين إبراهيم-عليه الصلاة والسلام-، وكذلك الالتقاء على نظم وجدوا فيها مصلحة مناسبة لهم.

لقد عرف العرب قبل البعثة حلف الفضول وقد وصفه ابن هشام فقال" **تداعت قبائل من قريش إلى حلف، فاجتمعوا له في دار عبدالله بن جدعان، لشرفه وسنِّه فكان حلفهم عنده: بنو هاشم، وبنو المطلب، وأسد بن عبدالعزى، وزهرة بن كلاب، وتيم بن مرة؛ فتعاقدوا وتعاهدوا على أن لا يجدوا بمكة مظلومًا من أهلها وغيرهم ممن دخلها من سائر الناس إلا قاموا معه، وكانوا على من ظلمه حتى تُرد عليه مظلمته فسمَّت قريش ذلك الحلف حلف الفضول**"[1]، وقد أثنى النبي ﷺ على هذا الحلف بعد البعثة فقال ﷺ:" **لقد شهدت في دار عبدالله بن جدعان حلفاً، ما أحبُّ أنّ لي به حمر النَّعَم**[2]**، ولو أُدعى به في الإسلام لأجبت**"[3].

وقد كانت بعض أنظمة العرب تقع نتيجة اتفاق وتحالف، كما وقع الحلف السابق، وهو يقع ضمن الجانب الإيجابي الذي يستحق المدح والثناء، ولكن قد وقعت اتفاقات تعد من الناحية الشرعية والإنسانية غير مقبولة: كالصحيفة التي تعاقدت فيها بعض قبائل العرب في مكة، قال ابن هشام:" **خبر الصحيفة: ائتمار قريش بالرسول ﷺ، قال ابن اسحاق:" فلما رأت قريش أن أصحاب رسول الله ﷺ قد نزلوا بلداً أصابوا به أمناً وقراراً، وأنَّ النجاشي قد منع من لجأ إليه منهم، وأنَّ عمر رضي الله عنه قد أسلم فكان هو وحمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه مع رسول الله ﷺ وأصحابه -رضي الله عنهم- وجعل الإسلام يفشوا في القبائل اجتمعوا وائتمروا أن يكتبوا كتابا يتعاقدون فيه على بني المطلب على: أن لا يُنكحوا إليهم، ولا ينكحوهم، ولا يبيعوهم شيئاً، ولا يبتاعوا منهم، فلما**

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ١/٢٦٤.

(٢) قال الزبيدي:"والعَرَب تَقولُ: خَيْرُ الإبل حُمْرُها"، الزَّبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ١١/٩٠.

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية،١/٢٦٦، ورواه مختصراً الإمام أحمد، المسند،١/١٩٣، رقم١٦٧٦، وقال الشيخ شعيب:" إسناده صحيح".

اجتمعوا لذلك كتبوه في صحيفة ثم تعاهدوا، وتواثقوا على ذلك ثم علقوا الصحيفة في جوف الكعبة توكيدا على أنفسهم"[١].

وفي السنة السادسة من الهجرة وقَّع المسلمون على صلح الحديبية مع أهل مكة، وهم مشركون، وكانوا محاربين، وتضمَّن الاتفاق أهم الأمور التي تنظم العلاقة بين الطرفين .

ويلفت الانتباه أنّ المسلمين فقد استفادوا في مكة من نظام وقانون المجتمع، حيث قال الدكتور منير الغضبان:" **الاستفادة من قوانين المجتمع المشرك(الحماية والجوار)**، لقد كان المجتمع الجاهلي يقيم وزناً كبيراً لهذا القانون، وهو حماية القوي الضعيفَ؛ فإذا دخل الضعيف في جوار القوي فإنّه يتمتع بحمايته التامة، ويمنع أيَّ اعتداء يقع عليه، ويعطية حرية التحرك والتفكير ولا يستطيع العدو أن ينال من هذا المستجير، ولو تم ذلك فإنَّ هذا يعني حرباً تقع بين الفريقين، ومن أجل هذا فالذي يعلن الإجارة، لا بد أن يكون عزيزاً منيعاً في قومه، قادراً على الحماية، ومدخلاً في حُسبانه كل المفاجآت الممكنة"[٢]، وهذا ينبغي أن يُلفت انتباه الجاليات المسلمة للاستفادة من قوانين الدول التي يقيمون فيها، أو يسافرون إليها لفترة وجيزة.

ومما لا شك فيه أنَّ التشريعات المستمدة من القرآن والسنة بدأت تصقل شخصية المسلمين من بداية البعثة، وكان ذلك في تطور ورقّي مستمر؛ وخاصة مع زيادة عدد المسلمين، حيث بدءوا يُعبّرون عن بعض تلك المسائل في دعوة الإسلام وتشريعاته وأحكامه؛ المخالفة للنظم والعادات الجاهلية، وتقديم ذلك بصورة تُشبه التعبير القانوني، والنموذج المُعبّر عن هذه المرحلة هو كلام جعفر بن أبي طالبﷺمع النجاشي وقومه،- وهو نموذج في خطاب الآخر[٣]-، قال ابن هشام:" **الحوار الذي دار بين المهاجرين والنجاشي، حيث أرسل إلى أصحاب رسول الله ﷺ فدعاهم فلما جاءهم رسوله، اجتمعوا قال بعضهم لبعض ما تقولون للرجل إذا جئتموه قالوا: نقول والله ما**

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ٣/٢.

(٢) الغضبان، المنهج الحركي للسيرة النبوية، ص ٦١.

(٣) في وقت الخطاب، حيث أسلم النجاشي فيما بعدﷺ.

علمنا، وما أمرنا به نبينا ﷺ، كائناً في ذلك ما هو كائن، فلما جاءوا وقد دعا النجاشي أساقفته، فنشروا مصاحفهم حوله سألهم فقال لهم: ما هذا الدين الذي قد فارقتم فيه قومكم، ولم تدخلوا في ديني، ولا في دين أحد من هذه الملل، فكان الذي كلمه جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه فقال له:" أيها الملك كنا قوما أهل جاهلية نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولا منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا الى الله لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئا، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام، فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به من الله؛ فعبدنا الله وحده فلم نشرك به شيئا، وحرمنا ما حرم علينا وأحللنا ما أحل لنا، فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا؛ ليردونا الى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى وأن نستحل من الخبائث فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا الى بلادك واخترناك على من سواك ورغبنا في جوارك ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك، فقال له النجاشي: هل معك مما جاء به عن الله من شيء؟، فقال له جعفر: نعم، فقال له النجاشي: فاقرأه عليَّ، فقرأ عليه صدراً من (كهيعص)، فبكى، والله النجاشي حتى اخضلت لحيته، وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلا عليهم، ثم قال النجاشي: إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة[1] واحدة، انطلقا[2] فلا والله لا أسلمهم إليكما ولا يُكادون"[3].

---

(1) قال ابن الأثير:"المشكاة: الكوة غير النافذة، وقيل الحديدة التي يُعلّق عليها القنديل، أراد أنّ القرآن والإنجيل كلام الله تعالى، وأنهما من شيء واحد، "، ابن الأثير الجزري، مجد الدين، أبو السعادات، المبارك بن محمد، (ت٦٠٦هـ)، النهاية في غريب الحديث والأثر، خرّج أحاديثه وعلّق عليه: أبوعبد الرحمن صلاح بن محمد بن عويضة، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ٤/٢٨٥.

(2) الخطاب لعمرو بن العاص، وعبدالله بن أبي ربيعة، اللذين أرسلتهما قريش، انظر ابن هشام، السيرة النبوية، ٢/١٨٠.

(3) ابن هشام، السيرة النبوية، ٢/١٧٩-١٨٠.

لقد كان لهذا الخطاب المنظم والمُعبِّر عن تشريعات وقوانين وأنظمة الإسلام، بصورة شاملة ومتنوعة؛ وازن فيه بين الفكر والعاطفة الصادقة، فأشار إلى الجانب العقدي، والأخلاقي، وحرية الاختيار، وطلب النصرة، ورفع الظلم، والسماح بحرية العبادة، وغير ذلك مما يُمكن أن يُستنتج من كلام جعفرﷺ، حيث قدّمه بإيجاز رائع، من تلخيصه، ومن خلال تلاوته للقرآن الكريم، مما جعل له الأثر الكبير في إيمان ملِك من أعظم ملوك الأرض في ذلك الزمان.

وأما القانون في الدولة فبدأ ذلك بإشارات تُعد من التمهيد، والتخطيط، والأمل بإنشاء الدولة الإسلامية- والتي هي المحتضن الأساس في سن القوانين والأنظمة- قد بدأ مبكراً في مكة المكرمة وتتطور الأمر شيئاً فشيئاً، عندما جاء خبّابﷺ يشكو من شدة التعذيب، بشّره النبي ﷺ بأن الإسلام سيتم، والأمن سيسود؛ وهذا -غالباً- لا يتحقق بغير نظام وقانون:"**شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة فقلنا ألا تستنصر لنا ألا تدعو لنا ؟! فقال:" قد كان من قبلكم؛ يؤخذ الرجل فيُحفر له في الأرض، فيجعل فيها، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه، فيجعل نصفين، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه، فما يصده ذلك عن دينه. والله ليتمن هذا الأمر حتى يسيرَ الراكب من صنعاء إلى حضرموت، لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه؛ ولكنكم تستعجلون**"[١].

ويظهر الأمر بصورة أوضح من خلال بيعة العقبة الثانية؛ التي تُعد اتفاقية بين رسول اللهﷺ وبين فئة من المواطنين، انضبط الأنصار على أساسها بحمايتهم للمهاجرين، وأسست لدورٍ قادم[٢]، ويمكن التعبير عنها بأنه عقد البيعة بين القائد وهو النبي ﷺ وبين فئة من الشعب وهم الأنصار -رضي الله عنهم-؛ حيث هاجر النبي ﷺ، وتسلّم قيادة ذلك الشعب، وتلك الأرض نتيجة لذلك، وسن لهم القوانين والأنظمة التي حكمهم بها، قال ابن هشام:" **شروط البيعة في العقبة**

---

(١) رواه البخاري ، الصحيح، كتاب المناقب، باب: علامات النبوة في الإسلام، رقم٣٦١٢.

(٢) حيث ظهر ذلك في مشاورتهم في القتال ببدر، ص٦٥.

الأخيرة، قال ابن إسحاق: وكانت بيعة الحرب حين أذن الله لرسوله ﷺ في القتال شروطا سوى شرطه عليهم في العقبة الأولى كانت الأولى على بيعة النساء وذلك أن الله تعالى لم يكن أذن لرسوله ﷺ في الحرب فلما أذن الله له فيها وبايعهم رسول الله ﷺ في العقبة الأخيرة على حرب الأحمر والأسود أخذ لنفسه واشترط على القوم لربه وجعل لهم على الوفاء بذلك الجنة"[1].

وقد أشار إلى تبعات هذه الاتفاقية العباس ﷺ فقال "فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه، ومانعوه ممن خالفه، فأنتم وما تحملتم من ذلك، وإن كنتم ترون أنكم مُسلِمُوه، وخاذلوه بعد الخروج به إليكم فمن الآن فدعوه فإنه في عز ومنعة من قومه وبلده"[2].

وبعد الهجرة مباشرة بدأ التطبيق العملي لذلك بتأسيس الدولة؛ وسن القوانين، وأول مظاهره، المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار؛ والتي تحقق نتيجتها تقاسم الأموال والممتلكات بين فئات من الشعب، وحققت التكافل الاجتماعي، وغير ذلك من المعاني الإنسانية الراقية.

وقد جاءت كتابة الوثيقة[3] لتزيد من تنظيم علاقة المسلمين مع بعضهم، ولتُنظم ما يتعلق بحقوق المواطنة لسائر فئات المجتمع، فيتحقق في قوانين وأنظمة الدولة الإسلامية-وهي في مرحلة التأسيس والبناء- المراعاة والحفظ لحقوق فئات المجتمع المتنوعة، فكان دستور الدولة

---

(1) ابن هشام، السيرة النبوية، ٢/٣٠٢.

(2) المرجع نفسه، ٢/٢٩٠.

(3) رواها ابن هشام، السيرة النبوية، ٣ /٣١-٣٥. عن ابن إسحاق، وقد تحدث الدكتور أكرم ضياء العمري، في الحكم على صحة الوثيقة ومما قاله-بعد إشارته لمصادر تلك الوثيقة-:"هذه هي الطرق التي وردت منها الوثيقة بنصها الكامل، والتطابق كبير بين سائر الروايات، سوى بعض التقديم والتأخير في العبارات، ولا يؤثر هذا الاختلاف على مضمونها العام، ولكن نصوصاً من الوثيقة وردت في كتب الحديث بأسانيد متصلة، والراجح أنّ الوثيقة في الأصل وثيقتان: إحداها تتناول موادعة الرسولﷺ لليهود، والثانية: وثيقة الحلف بين المهاجرين والأنصار؛ توضح التزامات المسلمين مهاجرين وأنصار وحقوقهم وواجباتهم، والوثيقة تصلح أساساً للدراسة التاريخية؛ التي لا تتطلب درجة الصحة التي تقتضيها الأحكام الشرعية؛ خاصة أن الوثيقة وردت من طرق تتضافر في إكسابها القوة"، العمري، أكرم ضياء، السيرة النبوية الصحيحة، محاولة لتطبيق قواعد المحدثين في نقد روايات السيرة النبوية، مكتبة العبيكان، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثامنة، وهي الطبعة الأولى الخاصة بمكتبة العبيكان، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، ١/٢٧٢-٢٩٨، باختصار وتصرف يسير.

الإسلامية على قسمين: الأول: وهو المكتوب: ويتمثل في القرآن الكريم، والوثيقة، وجزء من السنة، والقسم الثاني: وهو غير المكتوب، وهو ما لم يُدّون من سيرة النبيﷺ وسنته وأحكامه وقضاياه، حيث كان الرجوع إليه في مختلف القضايا فيحكم بها، وهذه أهم نصوص الوثيقة؛ التي قال عنها الدكتور أكرم ضياء العمري:"إعلان دستور المدينة(المعاهدة)[1]، وقال الدكتور منير الغضبان:" إعلان دستور الدولة"[2].

فقد اشتملت الوثيقة على أهم القضايا[3] التي ضبطت العلاقات بين أفراد المجتمع، وأصبحت المحاسبة على أساسها ومن ذلك ما يأتي:

١- **النص الصريح على قيادة النبيﷺ لهذا المجتمع، وهذه الدولة،"إنَّه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده، فإنَّ مرده إلى الله عز وجل وإلى محمد رسول الله ﷺ"** [4]، وهو اعتراف ظاهر وواضح بقيادة النبيﷺ، من قبل المواطنين، ومنهم غير المسلمين كاليهود وغيرهم من أهل المدينة.

٢- **الولاء والبراء بين المسلمين يحكُمُه الشرع الحنيف،** حيث جاء النص على وحدة المسلمين، وأنهم أمة واحدة، ويتعاونون في إعانة المثقل بالديون، وأنَّ المؤمنين يتعاونون على من بغى منهم حتى يردوه إلى الحق ولو كان ولد أحدهم، وإنّ سِلم المؤمنين واحدة. **"إنهم أمة واحدة من دون الناس المسلمين من قريش ويثرب، ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم إنهم أمة**

---

(١) العمري، الدكتور أكرم ضياء، السيرة النبوية الصحيحة،١/٢٧٢.

(٢) الغضبان، المنهج الحركي للسيرة النبوية، ص١٨٥.

(٣) انظر: العمري، الدكتور أكرم ضياء، السيرة النبوية الصحيحة،١/٢٧٢-٢٩٨، باختصار وتصرف.

(٤) ابن هشام، السيرة النبوية، ٣/٣٤-٣٥.

واحدة من دون الناس؛ المهاجرون من قريش على ربعتهم[1] يتعاقلون[2] بينهم وهم يفدون عانيهم[3] بالمعروف والقسط بين المؤمنين"[4]

٣- البيان الواضح لأهم أسس السلم والحرب، "إنّ سلم المؤمنين واحدة، لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله إلا على سواء وعدل بينهم"[5].

٤- حرية العقيدة، "لليهود دينهم وللمسلمين دينهم"[6].

٥- الدفاع المشترك عن المدينة[7]، "إنّ بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة"[8]، "اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين"[9]، وعدم إجارة مال لقريش، ولا من ينصرها، "إنّه لا تُجار قريش ولا من نصرها"[10].

٦- فكاك الأسير" وهم يفدون عانيهم[11] بالمعروف والقسط بين المؤمنين"[12].

---

(1) يُقال:ربَعْتُ القوم أربُعُهم: إذا أخذت رُبع أموالهم، يريد ألم أجعلك رئيساً مطاعاً، لأنّ الملك كان يأخذ الربع من الغنيمة في الجاهلية"، ابن الأثير، النهاية، ١٧١/٢ .

(2) " المعاقل: أي يكونون على ما كانوا عليه من أخذ الديات وإعطائها، ومعاقلهم التي كانوا عليها: أي مـراتبهم وحالاتهم "، ابن الأثير، البداية، ٢٥٢/٣-٢٥٣، باختصار.

(3) " العاني: الأسير، وكل من ذل واستكان، وخضع فقد عنا"، ابن الأثير، النهاية، ٢٨٤/٣.

(4) ابن هشام، السيرة النبوية، ٣١-٣٢.

(5) المرجع نفسه، ٣٣/٣ .

(6) المرجع نفسه ٣٤/٣.

(7) يُمكن أن يُفهم من ذلك الدفاع عن الدولة المسلمة، أو يُقاس عليه.

(8) ابن هشام، السيرة النبوية، ٣٤/٣.

(9) المرجع نفسه، ٣٤/٣.

(10) المرجع نفسه، ٣٥/٣.

(11) " العاني: الأسير، وكل من ذل واستكان، وخضع فقد عنا"، ابن الأثير، النهاية، ٢٨٤/٣.

(12) ابن هشام، السيرة، ٣٢/٣.

٧- تنظيم القضايا الاقتصادية المهمة في تلك الفترة، بل وبعد ذلك "إنّ المؤمنين لا يتركون مفرحاً[١] بينهم أن يعطوه بالمعروف في فداء أو عقل[٢]"[٣]، "إنّ على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم"[٤]، "إنّ اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين"[٥].

٨- تحذير المؤمنين من نصرة من ابتدع ما يخالف الإسلام، وفي هذا حماية لعقيدة الأمة الإسلامية، وتحقيق للأمن الفكري في المجتمع، وإبعاد كل ما من شأنه التأثير السلبي على الانضباط في أي مجال من مجالاته "إنّه لا يحل لمؤمن أقر بما في هذه الصحيفة وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر محدثا ولا يؤويه، وأنّه من نصره أو آواه فإن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل[٦]"[٧].

٩- عدم إقامة حلف مع موالي المؤمنين دون موافقة ذلك المؤمن" لا يُحالف مؤمنٌ مولى مؤمن دونه"[٨].

١٠- إقرار مبدأ التسامح والتناصح بين مواطني الدولة، وهم هنا أهل المدينة" إنّ بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم"[٩].

ولقد استمر تطور القوانين الناظمة لعلاقات أبناء المجتمع في الدولة، وقد وُجدت قوانين وتشريعات مؤقتة ناسبت فترة زمنية محددة، فلما ازداد تأهيل الناس للأحكام الجديدة نُسخت الأحكام السابقة بأحكام دائمة أنسبَ منها تصلح لتكون دائمة، حيث استقرّ التنظيم لأهم الأسس

(١) قال ابن هشام:" المفرح المثقل بالدين والكثير العيال "، ابن هشام، السيرة النبوية، ٣٥/٣.

(٢) " العقل: الدية"، ابن منظور، لسان العرب، ٢٣٣/١٠.

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية، ٣٣/٣.

(٤) المرجع نفسه، ٣٣/٣.

(٥) المرجع نفسه، ٣٤/٣.

(٦) "الصرف: التطوع، العدل: الفرض"، ابن منظور، لسان العرب، ٢٢٩/٨.

(٧) ابن هشام، السيرة النبوية، ٣٣/٣.

(٨) المرجع نفسه، ٣٣/٣.

(٩) المرجع نفسه، ٣٤/٣.

والقوانين في سائر القضايا الاجتماعية والتعليمية والاقتصادية والسياسية والدولية وغير ذلك، حتى أكمل الله تعالى هذا الدين وأتمه، قَالَ تَعَالَى: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾[المائدة٣]، قال محمد عبدالحي الكتاني:" لا ننكر أنّ التمدن الإسلامي جرى مجرى النشوء الطبيعي في كل شيء وسار سيراً، تدريجياً إلى أن وصل إلى أوجه في السمو فمن لم يتأمل ذلك ولم يحط نظرًا في الموضوع بما له وعليه، لا بد أن يغيب عن علمه ما بلغته الإدارات والعمالات والصناعة والتجارة في تلك العشر سنوات التي قضاها في المدينة المنورة بعد الهجرة النبوية، وأنّ الترقي والعمران وصل فيها إلى إحداث ما يعرف من الوظائف اليوم في إدارة الكتابة والحساب والقضاء والحرب والصحة ونحو ذلك"[1].

ومما لا شك فيه أن إبقاء المرونة-مع ثبات الأُصول التي لا تتأثر بتغير الزمان- يُعطي لأحكام الإسلام صلاحية للتطبيق عبر الزمان والمكان[2]، قال الدكتور محمد عقلة:" من الخصائص المميزة للمنهج الإسلامي أنّه يجتمع فيه صفتا الثبات والمرونة و التطور"[3]، ولا تخفى أهمية التقنين للقوانين والأنظمة وفق الأُسس الشرعية والقواعد والأُصول العامة.

ولا بُد من التأكيد أنّ النظام والقانون الذي حكم الدولة الإسلامية، قد سبقه التدرج في بعض الأحكام، مع إيجاد الدافع الداخلي لتقبل الأحكام قالت أُم المؤمنين السيدة عائشة -رضي الله عنها- "**إنّما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء لا تشربوا الخمر لقالوا لا ندع الخمر أبداً،**

---

(1) الكتاني، الإدريسي، الحسني، الفاسي، محمد عبد الحي(١٣٠٥هـ/١٨٨٨م-١٣٨٢هـ/١٩٦٢م)، نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدراية، الناشر : دار الكتاب العربي، بيروت، ١٢/٢.

(٢) انظر: القرضاوي، الدكتور يوسف، شريعة الإسلام صالحة للتطبيق في كل زمان ومكان، مكتبة وهبة، مصر- القاهرة، الطبعة الخامسة، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

(3) عقلة، الدكتور محمد، الإسلام مقاصده وخصائصه، ص٨١.، وانظر سيد قطب، خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، دار الشروق، الطبعة الشرعية الخامسة عشر، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

ولو نزل لا تزنوا لقالوا لا ندع الزنا أبداً"[1]، قال الحافظ ابن حجر" أشارت-رضي الله عنها- إلى الحكمة الإلهية في ترتيب التنزيل، وأن أول ما نزل من القرآن: الدعاء إلى التوحيد، والتبشير للمؤمن والمطيع بالجنة، وللكافر والعاصي بالنار، فلما اطمأنت النفوس على ذلك أنزلت الأحكام، ولهذا قالت-رضي الله عنه-:" **ولو نزل أول شيء: لا تشربوا الخمر، لقالوا لا ندعها**"؛ وذلك لما طُبعت عليه النفوس من النفرة عن ترك المألوف "[2].

ونتيجة لغرس الاستعداد النفسي لتقبل الأحكام والتشريعات الإسلامية[3]، ظهرت الميزةُ الكبرى لأحكامه، فسَهُل الالتزام وتجلّى الاحترام لذلك النظام، وكانت الصورة العامة في المجتمع هي الانضباط، ولم تقع المخالفة إلا نادراً، بل وجد من يأتي معتذراً لأنه لم ينضبط؛ فقد"**أتى رجلٌ** رسولَ الله ﷺ، **وهو في المسجد فناداه فقال:" يا رسول الله إني زنيت"، فأعرض عنه، حتى ردّد** عليه أربع مرات، **فلما شهد على نفسه أربع شهادات دعاه النبي ﷺ فقال**ﷺ:"**أبك جنون". قال:** "لا" **قال**ﷺ:" **فهل أحصنت**" . **قال:**" نعم" **فقال النبي** ﷺ: "**اذهبوا به فارجموه**"[4].

إنّ الهدف الأساس والمقصود الأكبر من تلك القوانين والأنظمة هو ضبط الأقوال الأعمال والسلوك، ومنع وقوع الاعتداءات والإساءات على النفس والمال والعرض، بل حفظ الضرورات الخمس[5]، فرغم رُقي المجتمع الإسلامي، إلا أن الخطأ والخلل والاعتداء قد يقع فيه، وخاصة ممن لم يتعمق الإيمان في قلبه، أو ممن ضعف أمام فتنة في المال أو غيره.

---

(1) البخاري، الصحيح، كتاب فضائل القرآن، باب تأليف القرآن، رقم٤٩٩٣.

(2) انظر: ابن حجر، فتح الباري، ٤٠/٩.

(3) سيأتي المزيد من التفصيل لذلك في الانضباط في العقيدة، تقوية الباعث، ص١٠٣.

(4) متفق عليه:البخاري، الصحيح، كتاب الأحكام، باب من حكم في المسجد حتى إذا أتى على حد أمر أن يخرج من المسجد فيقام، ٧١٦٧. ومسلم في الصحيح، كتاب الحدود، باب: من اعترف على نفسه بالزنى، ١٦٩١.

(5) يُضاف إلى الضرورات الثلاث السابقة: الدين والعقل.

لقد جاء تشريع عقوبات الحدود[1] والتعزير؛ لتكون رادعاً عملياً، حيث تُطبق بعدل وإنصاف؛ عَنْ عَائِشَةَ - رضي الله عنها- أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّتْهُمُ الْمَرْأَةُ الْمَخْزُومِيَّةُ الَّتِى سَرَقَتْ، فَقَالُوا: مَنْ يُكَلِّمُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلاَّ أُسَامَةُ ﷺ حِبُّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَكَلَّمَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ- فَقَالَ:« أَتَشْفَعُ فِى حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ » . ثُمَّ قَامَ فَخَطَبَ قَالَ ﷺ:« يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا ضَلَّ مَنْ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ الضَّعِيفُ فِيهِمْ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ، وَايْمُ اللَّهِ، لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعَ مُحَمَّدٌ يَدَهَا»[2].

إنّ مما ينبغي أن يُشار إليه أنّ تطبيق الحدود يتحقق بعد وجود ضوابط للتطبيق، وإذا كان هناك شبهة فتدرأ تلك الحدود بها، والذي يُطبق تلك الحدود هو الحاكم المسلم أو من يقوم مقامه، يقول الأستاذ علي الشحود :"إن المجتمع الإسلامي - حيثما وجد مجتمع إسلامي حق - هو أقل مجتمعات الأرض جريمة، وإنَّ العامل الأول في ذلك هو هذه التربية التي تربط القلب بالله، يحبه ويخشاه، والإسلام مع ذلك نظام واقعي، لا يفترض في الناس المناعة والجو موبوء بالجراثيم، إنَّما يكافح الجرثومة في ذات الوقت الذي يربي فيه مناعة القلوب، فأما السرقة فجرثومتها الجوع والفقر، ويسعى النظام الإسلامي إلى مكافحة الجوع والفقر بتشريعاته وتنظيماته وتوجيهاته جميعا حتى لا يوجد في الأرض جائع يضطر إلى السرقة بسبب الجوع، وأما الزنا فجرثومته الفتنة والإثارة والتبرج والخلاعة، والفراغ من القيم الجادة التي تستوعب مشاعر الناس وطاقاتهم،

---

(١) انظر: الذهبي، الدكتور محمد حسين، أثر إقامة الحدود في استقرار المجتمع، تحقيق: بديع السيد اللحام، دار الهجرة، دمشق- سوريا، وبيروت- لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م، ص٦٣، ولا بد من التنبيه أنّ إقامة الحدود يتحقق بعد تهيئة البيئة والجو المناسب، وإزالة ما يدرء ويمنع من إقامة الحد وغير ذلك.
تجدر الإشارة هنا أنّ عمر بن الخطاب ﷺ تولى القضاء في خلافة أبي بكر ﷺ عاماً لم يأت من يشتكي، قال الطبري:" وقال عمر أنا أكفيك القضاء فمكث عمر سنة لا يأتيه رجلان" الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ٣٥١/٢.

(٢) متفق عليه: البخاري، الصحيح، كتاب: الحدود، باب: كَرَاهِيَةِ الشَّفَاعَةِ فِى الْحَدِّ ، إِذَا رُفِعَ إِلَى السُّلْطَانِ، ٦٧٨٨، ومسلم، الصحيح، كتاب: الحدود، باب قطع السارق الشريف وغيره والنهي عن الشفاعة في الحدود، رقم١٦٨٨.

والترف والترهل، والإسلام يمنع ذلك كله ويحاربه، وفي ذات الوقت يدعو إلى التعجيل بالإحصان - بالزواج - ويدعو إلى تيسيره، لكي تأخذ الأمور منطلقها الطبيعي ولا يحتاج أحد إلى الجريمة، وكذلك في بقية الحدود يسعى النظام الإسلامي إلى الإحاطة بمنبع الجريمة قبل أن يلوث الجو بالجرائم، ومع ذلك ينظر الإسلام في كل حالة مفردة : هل ارتكب الجريمة مرتكبها وهو معذور؟! فإن قامت الشبهة فإن الإسلام يدرأ الحد بالشبهة، ولا يوقع الحد إلا عند التيقن من أن مرتكب الجريمة غير معذور. وهذا هو تصرف عمر ﷺ حين أوقف حد السرقة في عام الرمادة[1]، عام الجوع"[2].

ولا بد من التقرير أن تشريع عقوبات الحدود جاء لحفظ المجتمع، وضبطه من وقوع الجرائم، أو انتشارها، والمتتبع لإقامة الحدود في الدولة الإسلامية يجد ندرة وقوعها؛ وذلك لاهتمام الإسلام بالوقاية من الجريمة قبل وقوعها، ولأنَّ العقوبات تتناسب مع تلك الجريمة، فهي ممن يعلم حقيقة الإنسان، وما يردعه، قال الأستاذ علي الشحود:" والحد في ذاته أداة للوقاية من الجريمة، فإنَّ شدته الملحوظة قد قُصِد بها تخويف من تُحدِّثُه نفسه بارتكاب الجريمة - وهو غير معذور - فيفكر مرات ومرات قبل أن يقدم على التنفيذ، ثم إن الإسلام حين يوقع الحد على مرتكب الجريمة - غير المعذور - لا ينبذه من أجل جريمته . إنما الحد كفارة للتطهير، لذلك يرد له الإسلام صفحته بيضاء نقية، فلا يلمز ولا يغمز ولا يغتاب ، ولا توصد في وجهه الأبواب حتى لا يعود إلى الجريمة من جديد، أي تشريع في الأرض كله قديمها وحديثها - أحاط بموضوع

---

(1) الطبري، أبو جعفر، محمد بن جرير٢٢٤-٣١٠هـ، تاريخ الأمم والملوك، وهو العام الثامن عشر للهجرة ٥٠٧/٢-٥١٠. وقال الدكتور الصلابي:" وقد قام عمر ﷺ بوقف حد السرقة في عام الرمادة، وهذا ليس تعطيلاً لهذ الحد، لأنَّ شروط تنفيذ الحد لم تكن متوفرة"، الصلاّبي، الدكتور علي محمد محمد[كذا]، فصل الخطاب في سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب شخصيته وعصره، دار الفجر، مصر- القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، وقف إقامة الحد عام المجاعة، ص٢٨٩.

(2) الشحود، علي بن نايف، االمفصل في شرح حديث:" من بدل دينه فاقتلوه"، المبحث الرابع: شبهة تعارض أحكام الشريعة، ٢١٥٢/٣.

الجريمة والعقاب هذه الإحاطة، فشمله من كل جوانبه، ووضع له التشريع الأمثل كما فعلت شريعة الله ؟ ومع ذلك يعــدلون ؟!، قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [المائدة: ٥٠]"[١].

إن هذه الأحكام التي وجدت التطبيق العملي لها واحترامها، بسبب تربيــة الأمــة علــى الانضباط، والحرص على عدم مخالفتها، فهي ممن يعلم طبيعة البشر وما يناسبهم، وما يصلحهم، وما يربيهم، قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾[الملك: ١٤].

المطلب الثالث: التدريب

إنَّ الهدف الأساس من التدريب هو نقل المعلومات والخبرات إلى فئة معينة باستخدام أساليب مناسبة، لتطوير القدرات، وزيادة المهارات، وإيجاد واكتشاف الكفاءات، وزيادة الإنتاج المادي والمعنوي كماً ونوعاً، واكتشاف المشكلات والقيام بحلِّها، ويوضح الدكتور مهدي حسن بعض الأهداف من التدريب فيقول:" تتجه هذه الأهداف التدريبية نحو إيجاد حلول لمشكلات محددة يُعاني منها التنظيم من خلال: إعداد وتدريب الأفراد القادرين على التعامل مع تلك المشكلات، وتطبيق أساليب وأدوات متطورة في علاجها، وبذلك تُصبح مهمة جهاز التدريب كمحاولة للكشف عن تلك المشكلات وتحليل أسبابها ودافعها، وتصميم العملية التدريبية لتوفير الظروف المناسبة للتغلب عليها؛ ولذلك فإنّ وضوح الأهداف لحل المشكلات يؤدي بالضرورة إلى تغيير جذري في إدارة العملية التدريبية، وتطوير في إجراءات التخطيط للتدريب بشكل يتناسب وتلك الأهداف"[٢].

وقد حرص العلماء والمتخصصون على تدريب العاملين؛ لتحقيق تلك الأهداف وغيرها، مع الإشارة إلى أنَّ التدريب يتطور مع الزمان بما يتناسب مع المعطيات، حيث يُشرف على

---

(١) الشحود، علي بن نايف، المفصل في شرح حديث:" من بدل دينه فاقتلوه"، المبحث الرابع: شــبهة تعــارض أحكام الشريعة، ٢١٥٢/٣.

(٢) زويلف، الدكتور مهدي حسن، تخطيط القوى العاملة بين النظرية والتطبيق، ص١٥٩-١٦٠، باختصار.

التدريب أجهزة متكاملة، وهيئات متخصصة، وينفق عليه أموالاً تصل إلى الملايين أحياناً؛ وكل ذلك استشعاراً بأهميته وتقديراً لفوائده، ومثاله:"أنَ أبا حنيفة-رحمه الله- لم يكن يحمل أصحابه **على قبول ما يُلقيه عليهم، بل كان يحملهم على إبداء ما عندهم، إلى أن يتضحَ عندهم الأمر كوضح الصبح؛ فيقبلون ما وضح دليله وينبذون ما سقطت حجته وكان يقول ما معناه :"لا يحل لأحد أن يقول بقولنا حتى يعلم من أين قلنا"؛ وهذا هو سرٌ ظهور مذهبه في الخافقين ظهورًا لم يعهد له مثيل وهو السبب الأصلي لبراعة المتفقهين عليه وكثرتهم؛ إذ طريقته تلك هي الطريقة المثلى في التدريب على الفقه وتنشئة الناشئين**[1].

فقد حرص العلماء والمصلحون على نقل ما لديهم من علم ومهارات وقدرات، ولم يبخلوا بتدريب التلاميذ على القيام بالدور المطلوب، وهم يراقبون، ويصوِّبون، ثم ينصحون ويوجهون، كما حرص الآباء على أمر أطفالهم بالصلاة ليتعلموا ويتدربوا على أدائها، وكذلك في الحج، فقد صرّح بعض العلماء بالهدف من ذلك وهو التدريب فقال أبو حنيفة-رحمه الله-:" لا يصح إحرامه، ولا يلزمه شيء من محظورات الإحرام، وإنَّما يُحج به على جهة التدريب"[2].

وقد بين العلماء المنهج العملي في تحقيق الهدف وهو التدريب على أداء العبادات، وتعليمهم المهارات، وقد وصف القلقشنديُ منهجَ المعلم في تعامله مع تلاميذه؛ فقال :"مُقبلاً بطلاقة وجهه في درسه على جماعته، باذلاً في استمالتهم طاقة جهده محسناً إليهم جهد طاقته، مربياً لهم كما يربي الوالد الولد، موفياً من حقوقهم في التعليم؛ ما يبقى له ذِكره على الأبد منمياً ناشئتهم

---

(١) الزيلعي، أبو محمد الحنفي، عبدالله بن يوسف، نصب الراية لأحاديث الهداية، دار الحديث-مصر، ١٣٥٧م، تحقيق : محمد يوسف البنوري، مع الكتاب: حاشية بغية الألمعي في تخريج الزيلعي١/٢٥. ولا شك أنَ للأئمة الثلاثة التميز والفضل الكبير، ولسائر الأئمة الكبار.

(٢) الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار، إدارة الطباعة المنيرية، مع الكتاب : تعليقات يسيرة لمحمد منير الدمشقي، ٥/١٧.

بالتدريب الحسن؛ تنمية الغروس[1] جاهداً في ترقيهم بالتدريج، حتى يُؤهِل من لم يكن تظن فيه أهلية الطلب لأن يتصدى للفتاوى وإلقاء الدروس"[2].

وقد عرفت بعض المساجد دور المُعيد الذي يقوم ببعض أعمال الأستاذ، وفيه نوع من التدريب على القيام بدور المعلم، كما أدّى ذلك لاستمرار الانضباط بالمنهج المعتمد، وكان هذا في جانب العلوم النظرية، أما في جانب المهارات الميدانية؛ التي يزيد فيها التركيز على المجهود البدني، كركوب الخيل، واستخدام السيف، والرمح، والقوس، والحراب؛ فقد لقيت اهتماماً كبيراً، من ناحية التدريب ومن ذلك"أن عائشة -رضي الله عنها- قالت:" **لقد رأيت رسول الله ﷺ يوما على باب حجرتي والحبشة يلعبون في المسجد ورسول الله ﷺ يسترني بردائه أنظر إلى لعبهم**"[3]. **وصرّحت فقالت**:"**يلعبون بحرابهم**"[4]، قال الحافظ ابن حجر-رحمه الله-:"واللعب بالحراب ليس لعباً مجرداً، بل فيه تدريب الشجعان على مواقع الحروب والاستعداد للعدو"[5].

وإذا كان النص في الرواية السابقة على المشاهدة والإقرار على ذلك وفية حُجة، فقد جاءت بعض الروايات مصرّحة بالتشجيع للأحباش على التدريب؛ **بقوله ﷺ**:"**دُونكم يا بني أرفِدة**"[6]، والمقصود بقوله دونكم "الإغراء بلعبهم بالحراب، وفيه إذن وتنهيض لهم وتنشيط"[7].

---

(1) تشبيهاً بالغرسة، التي يتعاهدها صاحبها؛ بالرعاية والاهتمام.

(2) القلقشندي، أحمد بن علي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، تحقيق: د.يوسف علي طويل، دار الفكر- دمشق، الطبعة الأولى١٩٨٧، ٢٣٩/١١

(3) متفق عليه: البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الصلاة، باب: أصحاب الحراب في المسجد، رقم٤٥٤، ومسلم في صلاة العيدين باب الرخصة في اللعب الذي لا معصية فيه، في أيام العيد، رقم ٨٩٢.

(4) متفق عليه: المصدران السابقان؛ البخاري، رقم٤٥٥، ومسلم، الموضع السابق نفسه.

(5) ابن حجر، فتح الباري، ٧٩٦/١.

(6) متفق عليه: البخاري، الجامع الصحيح، كتاب العيدين، باب: الحراب والدَّرق يوم العيد، ٩٤٩، ومسلم الموضع السابق نفسه.

(7) ابن حجر، فتح الباري، ٦٣٠/٢-٦٣١.

وقد قال رسول الله ﷺ: "لا سَبَقَ إلا في خف أو في حافر أو نصل"[1]، وهذا فيه توجيه للاهتمام بأدوات القوة في ذلك الزمان، قال الإمام الخطّابي-رحمه الله تعالى-:"الجُعْلُ والعطاءُ لا يستحق إلا في سباق الخيل والإبل، وما في معناهما، وفي النصل وهو الرمي، وذلك أن هذه الأمور عدة في قتال العدو وفي بذل الجعل عليها ترغيب في الجهاد وتحريض عليه، قال: وأما السباق بالطير والزَجْل بالحمام، وما يدخل في معناه مما ليس من عدة الحرب، ولا من باب القوة على الجهاد فأخذ السَبَق عليه قمار محظور لا يجوز"[2]، فالتوجيه لما فيه فائدة، قال ابن القيم "فالسباق إنَّما يقصد منه التعليم والتدريب والتمرين على الفروسية "[3].

ولا يخفى أنّ لكل زمان وسائله، والمقصود هنا تحصيل التدريب الذي يقود إلى غرس النظام في حياة الأفراد والشعوب، وفي مختلف ميادين الحياة، فعقد الدورات المتخصصة في الجامعات وغيرها من المراكز المّجهَّزة بأحدث التقنيات الحديثة، وبإشراف أصحابِ الكفاءة العالية، والتطوير المستمر والارتقاء بالطرق والأساليب والوسائل؛ قضية تستحق المتابعة والرعاية الدائمة من قبل أصحاب القرار والسلطة.

---

(1) رواه أصحاب السنن الأربعة: الترمذي، أبو عيسى، محمد بن عيسى السلمي، السنن، كتاب الجهاد، ما جاء في الرهان والسبق، رقم١٦٩٨، ٤/٢٠٥، وقال أبوعيسى[الترمذي]:"حديث حسن صحيح"، دار إحياء التراث العربي-بيروت، تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون، الأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها، وأبو داود السجستاني، الأزدي، سليمان بن الأشعث، السنن، كتاب: الجهاد، باب: في السبق، رقم ٢٥٧٤ ، ٢/٣٤، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، تعليقات كَمَال يوسُفْ الحوُت، والأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها، النسائي، أبو عبد الرحمن، أحمد بن شعيب، السنن، كتاب الخيل، باب: السبق، رقم٣٥٦١، ٦ /٢١٤، مكتب المطبوعات الإسلامية-حلب، الطبعة الثانية ، ١٤٠٦ -١٩٨٦ تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة، الأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها، ابن ماجه، أبو عبدالله القزويني، محمد بن يزيد، كتاب الجهاد، باب: السبق والرهان، رقم٢٨٧٨، ٢/٩٦٠، دار الفكر- بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، مع الكتاب: تعليق محمد فؤاد عبد الباقي، والأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها.

(2) الخطّابي، البستي، الإمام أبو سليمان، حمد بن محمد، ت٣٨٨هـ، معالم السنن شرح سنن أبي داود، كتاب الجهاد، ومن باب: السبَق، ٧٢٦، ٢/٢٢٤-٢٢٥، خرّجه الدكتور محمد محمد تامر، مصر-القاهرة، مطبعة المدني، الطبعة الأولى١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

(3) ابن القيم، الزرعي، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب ، الفروسية، دار الأندلس-السعودية- حائل، الطبعة الأولى ، ١٤١٤ – ١٩٩٣، تحقيق: مشهور بن حسن بن محمود بن سلمان، ص١٩٢.

المطلب الرابع: مواءمة العمل

إنّ الحرص على تهيئة العمل ليتناسب وقدرات العاملين وطاقتهم وكفاءتهم، مع تهيئة الجو العام والبيئة الملائمة للعمل من مختلف جوانبه؛ ليتناسب ويُعين على حُسن الأداء، والتميز بذلك والتفوق الشامل؛ قضية جديرة بالاهتمام والمتابعة؛ فاختيار الشخص المناسب والمؤهل لأداء ذلك العمل؛ يؤدي للحصول على أرقى النتائج وأفضلها، فالعمل المتوافق مع الكفاءة يُعين على الإبداع، مع تهيئة البيئة المناسبة للإبداع، وحيث سبقت الإشارة إلى أهمية الكفاءات[1]، فينبغي تكليفها بالعمل الذي يناسبها، والذي يتحقق فيه مجال الإبداع والإنتاج بصورة أكبر؛ وأن تتم تهيئة الظروف التي تُعين على حُسن الأداء، وتحقق الأهداف المقصودة من ذلك العمل بأحسن وأرقى صورة.

إنّ المعلم المبدع والمتميز -مثلاً- في الرياضيات لا يُكلف بتدريس الاجتماعيات، وكذلك مع تكليفه بتدريس تخصصه، يجب تهيئة المدرسة، والأدوات التي يحتاجها في العملية التعليمية، لتُعين على خدمة المعلم، بإيصال رسالته على أكمل وجه؛ فيُهتم بتجهيز الغرف الصفية المناسبة، والمرافق الهامة، والساحات، والملاعب، والمختبرات، والصالات، والسور المحيط بها، والبعد عن أماكن الإزعاج، إضافة إلى الحوافز المشجعة على الإنتاج والإبداع والتميز، مع وجود المنهاج الملائم والمتميز، وغير ذلك مما يخدم العملية التربوية.

إن الاهتمام بمواءمة العمل للمكلف به قضية جديرة بالاهتمام، فقد طبّقها النبي ﷺ في قيادته لأمته، وهي نوع من أنواع أداء الأمانة لأصحابها، فقد جاء أعرابي يسأل عن الساعة، فأخبره النبي ﷺ بعلامة مهمة وهي:"**فإذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة". قال:" كيف إضاعتها؟"**

---

(1) ص٢٨-٣١.

قال:"إذا وسِّد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة"[١]. قال الإمام العيني:"إذا وُسِّد الأمرُ: المراد به جنس الأمور التي تتعلق بالدين: كالخلافة والقضاء والإفتاء ونحو ذلك، ويقال: أي بولاية غير أهل الدين والأمانات، ومن يُعينهم على الظلم والفجور، وعند ذلك تكون الأئمة قد ضيعوا الأمانة التي فرض الله عليهم، حتى يُؤتمن الخائن ويخون الأمين، وهذا إنما يكون إذا غلب الجهل وضعف أهل الحق عن القيام به"[٢]، ومن الأمانة تهيئة الجو المناسب للمبدعين في الأمة الإسلامية، وفتح المجال لهم لنشر العلوم التي تنفع الأمة وتحقق رقيها، وتزيد من إبداعها، وتؤدي رسالتها؛ فتصلح أمر الدين والدنيا، بل ينبغي على دول المسلمين أن تبذل جهداً مناسباً وقوياً وفاعلاً في استقدام الطاقات التي هاجرت؛ لأنها كُلفت في بلادها في أعمال لا تُناسبها، أو لمعرفتهم أن الأعمال التي سيكلفون بها لا تُناسبهم، فتهيئ الأعمال الملائمة والأجور المناسبة.

ومما يُشار إليه أنَّ النبي ﷺ عندما أراد أن يأمر برفع الأذان اهتم بمواءمة العمل، **فعن عبدالله بن زيد** ﷺ **قال: أتيتُ النبيَّ ﷺ، فأخبرته كيف رأيتُ الأذان، فقال**ﷺ**:" ألقه على بلال فإنه أندى منك صوتاً"**[٣]، فعبدالله بن زيد ﷺ هو الذي رأى كيفية الأذان، ولكنّ النبيﷺ علم أنّ مؤهلات بلال ﷺ أنسب لهذا العمل فقدّمه لهذا العمل وكلّفه به.

إنَّ احترام الطاقات والقدرات وتوظيفها فيما يناسبها له آثاره الكبيرة، ونتائجه الجليلة، قال الشيخ الغزالي:"لا بُد لكي تتم رسالة الإنسان في الحياة من احترام ملكات الإنسان"[٤].

---

[١] البخاري، الصحيح، كتاب العلم، باب من سئل علما وهو مشتغل في حديثه فأتم الحديث ثم أجاب السائل، رقم٥٩.

[٢] العيني، بدر الدين، أبو محمد، محمود بن أحمد، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، إشراف ومراجعة صدقي جميل العطار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ١٠/٢.

[٣] البيهقي، أبو بكر، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى، السنن الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا مكتبة دار الباز-مكة المكرمة، ١٤٤٤هـ / ١٩٩٤م، ٣٩٩/١. وأمر بلال بالأذان ثابت في الصحيحين: البخاري، كتاب الأذان، باب:بدء الأذان، رقم٦٠٤، ومسلم، كتاب الصلاة، باب: بدء الأذان، رقم٣٧٧.

[٤] الغزالي، محمد، الإسلام والطاقات المعطلة، ص٢٨.

وقد أشار ابنُ القيم إلى تخصصات بعض الصحابة - رضي الله عنهم- لأعمال معينة فقال:" فصل في خُدّامه ﷺ فمنهم أنس بن مالك ﷺ "[1]، وأشار إلى تميز بعضهم بعمل وإنْ شاركه في أصله غيره:" فصل في كُتّابه ﷺ: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، والزبير، وعامر بن فهيرة، وعمرو بن العاص، وأبي بن كعب، وعبدالله بن الأرقم، وثابت بن قيس بن شماس، وحنظلة بن الربيع الأسيدي، والمغيرة بن شعبة، وعبدالله بن رواحة، وخالد بن الوليد، وخالد بن سعيد بن العاص، -وقيل: إنَّه أول من كتب له- ومعاوية بن أبي سفيان، وزيد بن ثابت-رضي الله عنهم-، وكان ألزَمهم لهذا الشأن وأخصهم به "[2].

وقد راعى النبي ﷺ، طبيعة ونظام الفئة المخاطبة، فالانضباط في إرسال الكتب والرسائل إلى الملوك؛ يقتضي أن تُختم، **فعن أنس بن مالك ﷺ أن نبي الله ﷺ أراد أن يكتب إلى رهط أو أناس من الأعاجم فقيل له:"إنَّهم لا يقبلون كتاباً إلا عليه خاتم، فاتخذ النبي ﷺ خاتما من فضة نقشه محمد رسول الله"**[3].

ومن مواءمة العمل أن يجتهد المسئول باختيار العمل الذي يتناسب وطاقات وقدرات المكلف به، فلا يكلف العامل فوق طاقته، وكذلك يُجتهد في إزالة الموانع من القيام بذلك العمل، ولا يُكلف أحداً فوق طاقته.

---

(1) ابن القيم، الزرعي، أبو عبد الله، محمد بن أبي بكر أيوب، زاد المعاد في هدي خير العباد، مؤسسة الرسالة - مكتبة المنار الإسلامية -بيروت- الكويت، الطبعة الرابعة عشر ، ١٤٠٧ - ١٩٨٦، تحقيق : شعيب الأرناؤوط - عبد القادر الأرناؤوط، ١/١١٣.

(2) المرجع السابق نفسه.

(3) متفق عليه: البخاري، كتاب اللباس، باب: نقش الخاتم، ٥٨٧٢، ومسلم، الصحيح، كتاب اللباس والزينة، باب: في اتخاذ النبي ﷺ خاتماً، لمّا أراد أنة يكتب للعجم، رقم٢٠٩٢.

المطلب الخامس: الاختبارات

إنّ اختبار القدرات العلمية والعملية، ومعرفة تفاوت مستوى العاملين، وتقييم الإنجازات، في ضوء نظام يحرص على أفراده، ويعمل على الرقي المستمر بهم، ويشعرون هم بحرصه عليهم، بل قد يفوق ذلك الحرص حرصَ الآباء والأمهات، كذلكم كان النبي ﷺ، في تعامله مع أصحابه -رضي الله عنهم- قال الله تعالى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡ﴾[الأحزاب: ٦]، ولا بدَّ من التنبيه أنَّ اختبارات النبي ﷺ لأصحابه لها ميزاتها الخاصة، ففيها الرحمة والحب، وغير ذلك من المعاني النبيلة؛ وفيها الترقية والرفعة لهم، وإيصال المبادئ السامية، وقد يقع الاختبار- في حالات نادرة - من المسلمين لغيرهم[1].

قال الإمام البخاري-رحمه الله-:"طرح الإمام المسألة على أصحابه ليختبر ما عندهم من العلم، عن ابن عمر-رضي الله عنهما-قال: **قال رسول الله ﷺ: "إنّ من الشجر شجرة لا يسقط ورقها وإنّها مثل المسلم فحدثوني ما هي؟. فوقع الناس في شجر البوادي قال عبد الله:" ووقع في نفسي أنها النخلة فاستحييت" ثم قالوا:" حدثنا ما هي يا رسول الله ؟ قال:"هي النخلة"**[2].

وقد ذكر الإمام ابن حجر-رحمه الله- عدداً من فوائد الحديث فذكر منها:"امتحان العالم أذهان الطلبة بما يخفى، مع بيانه لهم إنْ لم يفهموه"[3].

إنَّ اتباع أسلوب الاختبار لإيصال هذه المعلومة قد ترك أثراً إيجابياً عند ابن عمر-رضي الله عنهما-، فهو قد تميز بمعرفة الجواب الذي غفُل عنه كبار الصحابة-رضي الله عنهم- وفي السؤال تشبيه هام للمسلم بنوع من الشجر، وهذا يحتاج إلى مزيد من التفكير والبحث العقلي،

---

(١) سيأتي ذلك-إن شاء الله- في المبادئ والأصول العامة في تعامل المسلم مع غيره، ص٢٥٤.

(٢) البخاري، الصحيح، كتاب العلم، باب طرح الإمام المسألة على أصحابه ليختبر ما عندهم من العلم، ٦٢، ورواه مسلم، الصحيح، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب مثل المؤمن مثل النخلة رقم ٢٨١١.

(٣) ابن حجر، فتح الباري، ٢١٥/١.

وحيث شبه المسلم بالنخلة، فهذه الشجرة التي لها نظام خاص يختلف عن سائر الأشجار، قال ابن حجر "وبركة النخلة موجودة في جميع أجزائها مستمرة في جميع أحوالها، فمن حين تطلع إلى أن تيبس تؤكل أنواعاً، ثم بعد ذلك ينتفع بجميع أجزائها حتى النَّوى"[1].

وقد استخدم النبي ﷺ أسلوب السؤال والحوار واختبار ما عندهم من إجابة، ومن ثم القيام بتصحيح بعض المفاهيم والتصورات، فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- أنَّ رسول الله ﷺ قال:" أتدرون ما المفلس؟ قالوا:" المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع" فقال:" إنَّ المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة: بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه، أخذ من خطاياهم، فطرحت عليه ثم طرح في النار"[2].

قال الإمام النووي: "معناه أن هذا حقيقة المفلس، وأما من ليس له مال، ومن قلَّ ماله، فالناس يسمونه مفلساً، وليس هو حقيقة المفلس؛ لأنَّ هذا أمر يزول وينقطع بموته، وربما ينقطع بيسار يحصل له بعد ذلك في حياته وإنّما حقيقة المفلس هذا المذكور في الحديث فهو الهالك الهلاك التام، والمعدوم الإعدام المقطع، فتؤخذ حسناته لغرمائه، فإذا فرغت حسناته أخذ من سيئاتهم فوضع عليه ثم ألقي في النار فتمت خسارته وهلاكه وإفلاسه"[3].

والذي يظهر أنّ استخدام أُسلوب الاستفهام والاختبار، لمعرفة ما عند الطلاب والتلاميذ من نظرة لبعض المعاني والمصطلحات، ليس المقصود به إصدار حكم وإعطاء نتيجة فقط، بل تصويب نظرة، وتحقيق هدف سام بالارتقاء بنظرة التلاميذ، وضبط المعاني في نفوسهم، لتكون وفق نظرة شرعية تختلف عن غيرهم من الناس.

---

(1) ابن حجر، فتح الباري، ٢١٤/١.

(2) مسلم، الصحيح، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، رقم٢٥٨١.

(3) النووي، المنهاج شرح صحيح، ١٣٥/١٦-١٣٦. مرجع سابق.

فالصحابة -رضي الله عنهم- قد أجابوا عن هذا الاختبار بما يعرفه الناس؛ ولكنّ رسول الله ﷺ، علّمهم فهماً جديداً لهذا المصطلح.

إنّ أغلب المجتمعات في الوقت المعاصر تستخدم الاختبارات في تقييم مستوى الدارسين والعاملين، ويحدث ذلك في أغلب المدارس والجامعات، بل وفي الدورات التخصصية، إلا أنّ مما ينبغي الإشارة إليه والإشادة به هو أنّ بعض الدول قد طوّرت من طبيعة ومنهجية الاختبار والتقييم للأفراد، فلم يعد الأمر يقتصر على الاختبار الورقي، بل دخل في ذلك الحاسوب، كما دخل مشروع التخرج بكتابة بحث أو صنع جهاز أو آلة، أو التطوير لعمل معين في شركة أو مؤسسة، وهذا يتطلب التعاون بين المؤسسات التعليمية والشركات المتنوعة في ميدان العمل، بما يعود بالفائدة على الجهتين بل على المجتمع كله، مع الحرص على تحويل العلم النظري إلى تطبيق عملي، والسعي نحو الحكم على بعض الكفاءات بمزيد من التميز ومكافئتهم المادية والمعنوية.

إنّ شعور الدارسين بوجود الاختبار-بصرف النظر عن أسلوبه- يجعل الدارس ينضبط بالاهتمام بالموضوع من حيث نظامه وأدواته، وهو كذلك يُبعد عن التسيب واللا مبالاة، كما يحقق أو ينبغي يحقق-غالباً- التقارب والتعاون بين أصحاب التخصصات المتشابهة؛ لإيجاد رقي وتطور أكبر وأكثر لتلك الدول والمجتمعات.

ولعل وجود النقابات لأصحاب التخصصات المتشابهة في هذا الزمان يُشكل حافزاً للرقي والتطور، ومعالجة ما يمكن أن يقع من مخالفات أو ضعف في الأداء، كما يُسهم في حل المشكلات وتحقيق نظام متشابه، وانضباط عام بأخلاق وقواعد ذلك العمل أو التخصص.

الفصل الثاني: مجالات الانضباط

المبحث الأول: الانضباط في مجال الاعتقاد

المطلب الأول: العقيدة هي المنطلق الأول للعمل الإسلامي

المطلب الثاني: الفهمُ الدقيق لِأصول ومسائل العقيدة

المبحث الثاني: الانضباط في مجال العبادات (الصلاة أنموذجاً)

المطلب الأول: الانضباط بالوقت

المطلب الثاني: التهيئة للصلاة بما تحتاج إليه

المطلب الثالث: إيجاد البيئة المناسبة لحُسن الأداء

المطلب الرابع: تحقيق مظاهر الانضباط في أداء الصلاة

المبحث الثالث: الانضباط في مجال الحياة الاجتماعية

المطلب الأول: أثر العرف والعادات والتقاليد في تحقيق الانضباط

المطلب الثاني: الانضباط الاجتماعي في جانبي الأفـراح والأحـزان، وهـو جانبـان:

الجانب الأول: الانضباط الاجتماعي في جانب الأفراح

الجانب الثاني: الانضباط الاجتماعي في الأحزان والآلام

المبحث الرابع: الانضباط في مجال الاقتصاد

المطلب الأول: المبادئ والأصول والقواعد والتوجيهات الاقتصادية العامة

المطلب الثاني: العبادات المالية

المبحث الخامس: الانضباط في المجال العسكري

المطلب الأول: الأصول العامة والأخلاق السامية في الجهاد الإسلامي

المطلب الثاني: الأسس الرئيسة للانضباط العسكري

المطلب الثالث: دراسة تطبيقية على الانضباط في المجتمع الإسلامي

الفصل الثاني: مجالات الانضباط

إنَّ مظاهر احترام النظام والبعد عن الفوضى والعشوائية في الإسلام تشمل جميع جوانب الحياة، حيث تبدأ من العقيدة لتنطلق مؤثرة في ميادين الحياة كلها، وأولها الشعائر التعبدية وأعظمها الصلاة؛ فأوقاتها محددة، ومقدارها مقيد بعدد معين، وكيفيتها منضبطة بوضوح، والأصل في أدائها من قبل الرجال؛ اتباع الإمام في حركاته من أول التكبير بالصلاة وحتى ختامها بالسلام، ثم تبدأ في أهم جوانب الحياة الإنسانية، وهي المعاملات، وأكثرها حساسية هو الجانب الاجتماعي؛ وخاصة في ميدان الأفراح وميدان الأحزان، حيث يكون الإنسان أكثر انفعالا وعاطفة، ومع ذلك فهو لا يسير خلف عاطفته بصورة عشوائية وفوضوية، بل يضبطها بأوامر الله تعالى وأوامر رسولهﷺ، وإذا انطلق إلى الميدان الاقتصادي والتجاري؛ فتجد المال والمغريات الدنيوية ضعيفة أمام العقيدة والمبدأ، وإذا كانت القوة العسكرية تُغري أهلها؛ فإنَّ الباحث في جوانب الانضباط العسكري عند المسلمين؛ يجد التناسق والترابط بين القوة من جهة والأخلاق والمبادئ السامية من جهة أُخرى، وأساس ذلك العدل والرحمة، واحترام الإنسانية.

إنَّ الشمول في جوانب الحياة عند المسلم يقيه ويبعد عنه الكثير مما يقع به الآخرون، من اندفاع أو انفعال أو فوضى، كما أنَّ وضوح قواعد ومبادئ الانضباط الشامل؛ يجعل الإنسان منسجم مع عقيدته وأخلاقه، ثم إنَّ فيه دعوةً للآخرين وتأثيراً إيجابياً عليهم، **وتظهر بعض مظاهر الانضباط في العقيدة والعبادات والمعاملات فيما يأتي:**

المبحث الأول

الانضباط في مجال العقيدة

إنّ الدعوة إلى تحقيق الانضباط بالعقيدة الإسلامية، وبما يقتضيه ذلك من آثار، وانعكاس ذلك عملياً على السلوك والأعمال وسائر شئون الحياة؛ قضيةٌ مهمة جداً، ينبغي أن يكون لها الأولوية في تغيير الكثير من السلوكيات في حياة الفرد والمجتمع، والسعي الحثيث للارتقاء والتقدم المستمر في جميع جوانب الحياة؛ لتتحقق الآثار المتعددة والشاملة، وتجني الأمة ثمارها الطيبة، يقول الدكتور مصطفى البغا:"إنّ العقيدة في نظام الإسلام تتصل بجميع أجزاء هذا النظام، فهي الأساس الذي تُبنى تشريعاته وأحكامه وأنظمته، وهي التي تُكوّن الأساس الفكري لعقلية المسلم، والأساس النفسي لسلوكه، ومنها تنبثق نظرته إلى الحياة الاقتصادية، والحياة السياسية، وعلى أساسها يبني نظام حياته كلها، وخلاصة الأمر أنّ مضمون العقيدة الإسلامية له تأثير كبير في الحياة الإسلامية، وأنها تتخلل جميع أحكام الإسلام، وهي اللبنة الأساس في بنائه، وهي التي تمد باقي أجزائه بالحياة، وتحدد اتجاهاتها ومعالمها"[1].

ويظهر الانضباط في مجال العقيدة من خلال المطلبين الآتيين:

المطلب الأول: العقيدة هي المنطلق الأول للعمل الإسلامي

المطلب الثاني: الفهمُ الدقيق لِأصول ومسائل العقيدة

---

(1) البغا، الدكتور مصطفى ديب، نظام الإسلام في العقيدة والأخلاق والتشريع، ص١٢-١٣، بتصرف واختصار.

المطلب الأول: العقيدة هي المنطلق الأول للعمل الإسلامي

إنَّ العقيدة الإسلامية هي نقطة الإنطلاقة الكبرى في حياة المسلم وهي الموجه الأول له في علاقاته مع الخالق تبارك وتعالى، ومع نفسه، ومع المسلمين، ومع بني جنسه، والنموذج المنشود هو القدوة الذي ظهرت آثاره العظيمة والكبيرة في كلام الصحابة-رضي الله عنهم- وأخلاقهم وأعمالهم ومن سار على نهجهم، ثم في نتائجه وثماره، يقول الدكتور عمر الأشقر-رحمه الله-:" لقد امتدح اللهُ تعالى أهلَ الإيمان، وأثنى عليهم النبيﷺ، وإنَّ حقيقة الإيمان الذي نال ذلك الثناء العطر هو عقيدة تستقر في القلب، ويعلن صاحبها بلسانه ما يوافقها، وبسلوكه وأعماله ما يُعبِّر عنها بصورة صادقة؛ لأنَّ ذلك جزء من الإيمان"[1].

إنَّ الرسل-عليهم الصلاة والسلام- قد انطلقوا جميعاً في دعوتهم إلى الله تعالى، بالدعوة إلى التوحيد **قَالَ تَعَالَى:﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥ ﴾** [الأنبياء:٢٥] وأولهم بعد آدم هو نوح، وكان بينهما عشرة قرون كلها على التوحيد، فعن أبي أمامة رضي الله عنه **أَنَّ رَجُلًا، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَبِيٌّ كَانَ آدَمُ؟ قَالَ: «نَعَمْ، مُكَلَّمٌ»، قَالَ: فَكَمْ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ نُوحٍ؟قَالَ: «عَشَرَةُ قُرُونٍ»**[2].

وقد تحقق الانضباط بالتوحيد عشرة قرون متتالية، ولكنَّ الشيطان بدأ بخطوات لإخراج الناس من التوحيد والطاعة إلى عبادة الأصنام، واستمرت تلك الأصنام بالانتقال من قبيلة إلى أخرى حتى وصلت إلى الجزيرة العربية، **فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ – رضي الله عنهما – قال:" صَارَتِ الأَوْثَانُ الَّتِي كَانَتْ فِي قَوْمِ نُوحٍ فِي الْعَرَبِ بَعْدُ: أَمَّا وُدٌّ فَكَانَتْ لِكَلْبٍ بِدَوْمَةِ الْجَنْدَلِ، وَأَمَّا سُوَاعٌ**

---

[1] الأشقر، أ.د عمر سليمان عبدالله، العقيدة في الله، علاقة العقيد بالإيمان والشريعة، دار النفائس، الأردن-عمان، الطبعة الخامسة عشر، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٤م، ص٢١-٢٤، باختصار وتصرف.

[2] ابن حبان، أبو حاتم، الدارمي، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، ، البُستي ت ٣٥٤هـ، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، المحقق: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٤ – ١٩٩٣، كِتَابُ التَّارِيخِ، باب: ذِكْرُ الْإِخْبَارِ عَمَّا كَانَ بَيْنَ آدَمَ وَنُوحٍ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا مِنَ الْقُرُونِ، ٦٩/١٤، رقم٦١٩٠، قال الشيخ شعيب:"إسناده صحيح".

فَكَانَتْ لِهُذَيْلٍ، وَأَمَّا يَغُوثُ فَكَانَتْ لِمُرَادٍ ثُمَّ لِبَنِي غُطَيْفٍ بِالْجُرُفِ عِنْدَ سَبَا، وَأَمَّا يَعُوقُ فَكَانَتْ لِهَمْدَانَ، وَأَمَّا نَسْرٌ فَكَانَتْ لِحِمْيَرَ لِآلِ ذِي الْكَلَاعِ. أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ، فَلَمَّا هَلَكُوا أَوْحَى الشَّيْطَانُ إِلَى قَوْمِهِمْ أَنِ انْصِبُوا إِلَى مَجَالِسِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَجْلِسُونَ أَنْصَابًا، وَسَمُّوهَا بِأَسْمَائِهِمْ فَفَعَلُوا فَلَمْ تُعْبَدْ حَتَّى إِذَا هَلَكَ أُولَئِكَ وَتَنَسَّخَ الْعِلْمُ عُبِدَتْ"[1].

لقد أرسل الله تعالى أول رسله، ليصحح المسيرة، ويعيد البشرية إلى العقيدة الصحيحة والعبودية والطاعة لله تعالى، فمكث نوحﷺ ألف سنة إلا خمسين عاماً في الدعوة إلى عبادة الله تعالى، ونبذ الشرك، والتحذير من عواقب عدم الاستجابة، قال تعالى:﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [العنكبوت: ١٤]، وقال تبارك وتعالى:﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾ ﴾ [هود:٢٥-٢٦].

وتعاقب الأنبياء وتتابعوا على الدعوة إلى التوحيد، قال تعالى:﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [هود: ٥٠]، وقال تعالى:﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ ﴾ [هود: ٦١]، وقال تعالى:﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ۚ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ ﴾[هود: ٨٤].

---

[1] رواه البخاري، الصحيح، كتاب: التفسير، باب:﴿ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [نوح:٢٣]، رقم٤٩٢٠.

لقد جاءت بعثة النبي ﷺ؛ بعد أن تنكبت البشرية طريق الأنبياء-عليهم الصلاة والسلام- فاستلم النبي ﷺ راية التوحيد، وحملها للناس كافة، فبدأ دعوته المباركة ليعيد البشرية إلى توحيد الله تعالى، ونبذ الشرك، **فعن ربيعة بن عبّاد الديلي رضي الله عنه قال:" رأيت رسول الله ﷺ بسوق ذي المجاز[1] يقول:" يا أيها الناس، قولوا: لا إله إلا الله تُفلحوا"، فما رأيت أحداً يقول شيئاً، وهو لا يسكت، يقول: أيها الناس، قولوا: "لا إله إلا الله تفلحوا"، إلا أن وراءه رجلاً أحول وضيء الوجه ذا غديرتين[2] يقول: "إنه صابئ كاذب" فقلت: من هذا؟، قالوا: محمد بن عبد الله، وهو يذكر النبوة قلت: من هذا الذي يُكذّبه؟، قالوا: عمه أبو لهب"**[3]، فواصل ﷺ مسيرته واحتمل الإيذاء في سبيل تبليغ الدعوة إلى الله تعالى.

وقد سعى النبي ﷺ إلى تحقيق الإخلاص لله سبحانه في القول والعمل، وتحقق العبودية الكاملة لله تعالى في جميع جوانب الحياة، لأنّ من حقق الإيمان وجب مخاطبته بتحقيق الانضباط الكامل، قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴾ [البقرة:٢٠٨]، قال الإمام ابن كثير:" يقول تعالى آمرًا عباده المؤمنين به المصدّقين برسوله: أنْ يأخذوا بجميع عُرَى الإسلام وشرائعه، والعمل بجميع أوامره، وترك جميع زواجره ما استطاعوا من ذلك"[4].

لقد استمرت الدعوة إلى تحقيق وتقوية العقيدة عبر مراحل البعثة، حيث كان الجهد ينصب على تقوية الإيمان، وغرس معانيه الشاملة، وكذلك كان الأمر والتوجيه لمن يبعثه من أصحابه-رضي الله عنهم- إلى الأمم الأخرى، كونها أهم أولويات الدعوة الإسلامية، وسار الدعاة

---

(1) قال السهيلي:"وَذُو الْمَجَازِ: سُوقٌ عِنْدَ عَرَفَةَ، من أسواق العرب في الجاهلية"، السهيلي، عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد، ت ٥٨١ هـ، الروض الأنف في شرح غريب السير، ٢/٢١٥، بتصرف يسير.

(2) "الغديرتان الذؤابتان اللتان تسقطان على الصدر"، ابن منظور، لسان العرب، ١١/١٧.

(3) ابن حنبل، أحمد بن محمد، ١٦٤-٢٤١هـ، المسند ، ١٦٠٦٦، تعليق شعيب الأرنؤوط :" صحيح لغيره".

(4) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ١/٥٦٥.

إلى الله تعالى على ذلك المنهج؛ فعن ابن عباس- رضي الله عنهما- قال: لَمَّا بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ مُعَاذًا نَحْوَ الْيَمَنِ، قَالَ لَهُ ﷺ: " إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يُوَحِّدُوا اللَّهَ تَعَالَى، فَإِذَا عَرَفُوا ذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ، فَإِذَا صَلُّوا فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً فِي أَمْوَالِهِمْ تُؤْخَذُ مِنْ غَنِيِّهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فَقِيرِهِمْ، فَإِذَا أَقَرُّوا بِذَلِكَ فَخُذْ مِنْهُمْ، وَتَوَقَّ كَرَائِمَ[1] أَمْوَالِ النَّاسِ"[2].

إنّ العقيدة الإسلامية هي المنطلق الأول والأساس الأعظم لتحقيق الانضباط، فمن أراد أن يُعيد للأمة عزتها ومكانتها، فهذه هي نقطة الانطلاقة الكبرى. **وفيما يأتي بيان كون العقيدة هي الضامن والباعث الأول على الانضباط:**

إنّ المسلم الذي تيقن بأنّ جميع الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- قد بدأوا دعوتهم إلى الله تعالى بالتوحيد والعقيدة، ينبغي له أن يتساءل **كيف غرس النبي ﷺ الباعث على الالتزام بالإسلام، وحقق الانضباط الشامل به؟!؛ وذلك للاستفادة والاقتداء به ﷺ في توجيه الأفراد والأمة في كل ميدان.**

إنّ العمل على إيجاد الرغبة الداخلية، ثم العزيمة القوية نحو الالتزام بالعمل، والتقيد بالنظام، والسعي نحو تحقيق الأهداف؛ قضية لها أهميتها في التعامل مع الأفراد والبيئات والمجتمعات؛ وذلك لإحداث التغييرات الإيجابية المطلوبة، والارتقاء بمستوى العمل، **وفيما يأتي أهم الأسس في إنشاء وتقوية الباعث للانضباط:**

---

(1) قال ابن حجر:"الكرائم: جمع كريمة أي نفيسة ففيه ترك أخذ خيار المال والنكتة فيه أن الزكاة لمواساة الفقراء فلا يناسب ذلك الإجحاف بمال الأغنياء إلا إن رضوا بذلك" ابن حجر، فتح الباري، ٣/٣٦٠.

(2) البخاري، الصحيح، كتاب التوحيد، باب: مَا جَاءَ فِي دُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ أُمَّتَهُ إِلَى تَوْحِيدِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، رقم ٧٣٧٢، ومسلم ، الصحيح، كتاب: الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام، رقم.١٤٥٨. مسلم، الصحيح، كتاب الإيمان، باب: الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام رقم ١٩.

١. التأكيد على المفهوم الشامل للعبودية لله تعالى؛ والتي هي من أهم مقتضيات العقيدة، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ»[1]، وقد ذكر الإمام البخاري-رحمه الله تعالى- هذا الحديث في كتاب الإيمان، في باب أُمُورِ الإِيمَانِ، وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾ [البقرة:١٧٧]، وقوله تعالى:﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ﴾ [المؤمنون:١]، وأما الإمام مسلم فذكره في كتاب الإيمان، في باب: بيان عدد شعب الإيمان، وأفضلها وأدناها، وفضيلة الحياء وكونه من الإيمان، وعلّق الإمام الغزالي- رحمه الله تعالى- على ما يُستفاد من معاني هذا الحديث فقال:"فهذا ما يدل على ارتباط كمال الإيمان بالأعمال"[2]، إنّ الله تعالى قد ذكر في الآية الكريمة أعمالًا -هي من أنواع البر والصلاح الذي يحبه- مع الإيمان به سبحانه والإيمان باليوم الآخر، وكذلك ذكر النبي ﷺ إماطة الأذى عن الطريق وعدَّها جزءًا من الإيمان، فكيف بما هو أكبر من ذلك وأعظم أثرًا؟!.

ويصف سيد قطب-رحمه الله تعالى- أثر العبادة فيقول:"عبادة الله وحده بلا شريك، وتقوى الله تُهيمن على الشعور والسلوك، وطاعة لرسوله ﷺ تجعل أمره هو المصدر الذي

---

(1) متفق عليه: البخاري، الصحيح، رقم٩، ومسلم، الصحيح، رقم٣٥.

(2) الغزالي، أبو حامد، محمد بن محمد بن أحمد الطوسي، ت٥٠٥هـ، إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت، ١٢٣/١.

يستمدون منه نظام الحياة وقواعد السلوك"[1]، فالمقصود أن تؤثر العقيدة في نظام الحياة وقواعد السلوك، بحيث تنعكس آثارها الإيجابية العظيمة على الفرد والجماعة.

ويجدر التأكيد والتقرير أنّ إتقان الأعمال وإحكامها، والسعي الدءوب نحو التميز بحُسن الأداء، هو جزء أصيل ومهم من مقتضيات الإيمان بالله تعالى، وكذلك تقيد المسلم بالعمل المطلوب منه، وسعيه لإنجازه على أفضل ما يمكن، بل والطموح في الوصول إلى أعلى المقامات السامية، كما ورد عن عمر بن عبدالعزيز-رحمه الله تعالى-أنّه قال:" إن لي نفسا توّاقة لا تعطى شيئاً إلا تاقت إلى ما هو أعلى منه، وإنّي لما أُعطيت الخلافة تاقت نفسي إلى ما هو أعلى منها وهي الجنة، فأعينوني عليها يرحمكم الله"[2].

إنّ من مقتضيات الانضباط الصعود بانتظام إلى الحافلات، واحترام قانون السير للأشخاص والحافلات، وعدم التعدي على أي شخص في اصطفافه في ترتيب دوره في أي عمل، وكذلك احترام القانون الإداري في مختلف الدوائر والمؤسسات الخاصة والعامة، وغير ذلك من مناحي الحياة المتنوعة.

٢. القلب: **هو مركز العبودية الأول**، وهو الموجه لأعضاء الجسد، فهو يستحق زيادة الاهتمام به، وبذل الجهد في إصلاحه، **فعن النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ-رضي الله عنهما- قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يقول:" أَلاَ وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلاَ وَهِيَ الْقَلْبُ"**[3]. قال ابن حجر" وخُص القلب بذلك؛ لأنه أمير البدن وبصلاح الأمير

---

(1) قطب، سيد، في ظلال القرآن، ٣٧١١/٦.

(2) ابن كثير، البداية والنهاية، ٢٠٨/٩.

(3) متفق عليه: البخاري، الصحيح، كتاب: الإيمان، باب: فَضْلِ مَنِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ، ومسلم، الصحيح، كتاب: المساقاة، باب: أَخْذِ الْحَلاَلِ وَتَرْكِ الشُّبُهَاتِ، رقم١٥٩٩.

تصلح الرعية، وبفساده تفسد وفيه تنبيه على تعظيم قدر القلب والحث على صلاحه، والأصل في الاتقاء والوقوع هو ما كان بالقلب لأنه عماد البدن"[1].

إنَّ استجابة القلب للأوامر، يتحقق بالإقناع، ومداومة التوجيه والتذكير، والتنويع في الأساليب، والمعرفة لأنواع المؤثرات، وحُسن استخدامها، والجمع بين العاطفة والفكر بالحكمة، قال الدكتور مجدي الهلالي:" جعل الله عز وجل القلب محلاً لعبوديته؛ ففيه تجتمع المشاعر والوجدانيات داخل الإنسان من حُب وكره ورجاء وفرح وحزن ورغبة ورهبة، وفزع وسكينة، وغير ذلك من العواطف، ولقد جعله سبحانه وتعالى ملكاً على الجسم كله، فما من حركة إرادية يقوم بها أي عضو إلا وتأتي استجابة لأوامره؛ فهو محل الإرادة واتخاذ القرار، وما على الجميع إلا التنفيذ، ففعل الجوارح يعكس حجم الإيمان الموجود في القلب"[2].

٣- **بيان الجدوى من إنجاز العمل المطلوب، ومدى الحاجة له، والآثار المترتبة على إنجازه، وأهمية تحقيق الهدف المطلوب منه**، فكلما زادت الجدوى من العمل زاد الأجر، وكذلك في تحقيق المصالح الدنيوية؛ التي تؤدي إلى رفعة المسلمين بين الأمم، ولذا فإنك تجد في كثير من المسائل والأعمال -التي يتم الترغيب فيها- بيان الأجر والثواب المترتب على فعلها، ومن ذلك: ما جاء **عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ:"إِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللهِ إِلاَّ أُجِرْتَ عَلَيْهَا، حَتَّى مَا تَجْعَلُ فِي فِي امْرَأَتِكَ"**[3]، بل لا بدّ من استشعار الهدف الأسمى ووضوحه في حياة المسلم وهو رضا الله تعالى، ودخول الجنة والنجاة من النار، كما

---

(1) ابن حجر، فتح الباري، ١٢٨/١، باختصار.

(2) الهلالي، الدكتور مجدي، الإيمان أولاً فكيف نبدأبه؟، دار التوزيع والنشر الإسلامية، مصر، الطبعة الأولى١٤٢١هـ/٢٠٠٠م ص٢٢-٢٤، باختصار.

(3) متفق عليه: البخاري، الصحيح، كتاب: الإيمان، بَابٌ مَا جَاءَ أَنَّ الأَعْمَالَ بِالنِّيَّةِ وَالْحِسْبَةِ، رقم ٥٦، ومسلم، الصحيح، كتاب: الوصية، باب: الْوَصِيَّةِ بِالثُّلُثِ، رقم١٦٢٨.

ينبغي على قادة المجتمعات استخدام الوسائل المادية والمعنوية في التشجيع على إنجاز أعمال معينة، وإيجاد روح التنافس في الخير بين الأفراد.

٤. **ترك الانضباط ببعض الأعمال يوقع في النفاق العملي**[١] : عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:" آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ"[٢]، وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو-رضي الله عنهما- أَنَّ النَّبِيَّ ﷺقَالَ:" أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ[٣]"[٤]. قال الحافظ ابن حجر-رحمه الله-:"هذه العلامات الثلاث منبهة على ما عداها إذ أصل الديانة منحصر في ثلاث: القول، والفعل، والنية، فنبه على فساد القول بالكذب، وعلى فساد الفعل بالخيانة وعلى فساد النية بالخُلف"[٥]،فالمسلم يحرص على إيمانه فيجتهد أن لا يقع منه ما يُناقض أو يتنافى أو يُخالف كمال الإيمان، فالإيمان ليست كلمة تُقال باللسان فقط، ولكن يترتب عليه تبعات وأعمال بتنفيذ الأوامر، واجتناب المحذورات والمحرمات.

٥. **حل العقبات التي تعترض الانضباط:** فالإنسان يُحسن في الميدان النظري أكثر من الميدان العملي-غالباً-، وخاصة في ظل وجود عقبات تمنع أو تُضعف من الإتقان في الميدان العملي،

---

(١) قال الإمام الترمذي:" معنى هذا عند أهل العلم نفاق العمل وإنما كان نفاق التكذيب على عهد رسول الله ﷺ، هكذا روي عن الحسن البصري شيئا من هذا أنه قال: النفاق نفاقان: نفاق التكذيب ونفاق العمل"، الترمذي، السنن، كتاب: الإيمان، باب: ما جاء في علامة المنافق، في تعليقه على حديث رقم ٢٦٣٢، ٩/٥. وقال ابن حجر:"والنفاق لغة: مخالفة الباطن للظاهر، فإن كان في اعتقاد الإيمان فهو نفاق الكفر وإلا فهو نفاق العمل، ويدخل فيه الفعل والترك وتتفاوت مراتبه"، ابن حجر، فتح الباري، ٨٩/١، فيبقى مسلماً، ولكنّ أفعاله تشابهت مع أفعال المنافقين.

(٢) متفق عليه: البخاري، الصحيح، كتاب: الإيمان، باب عَلَامَاتِ الْمُنَافِقِ، رقم٣٣، ومسلم، الصحيح، كتاب: الإيمان، باب: بَيَانِ خِصَالِ الْمُنَافِقِ، رقم٥٩.

(٣) الفجور في الخصومة، والفجور: الميل عن الحق والاحتيال في رده" ابن حجر، فتح الباري، ٩٠/١.

(٤) متفق عليه: المصدران السابقان، البخاري، رقم٣٤، ومسلم٥٨.

(٥) ابن حجر، فتح الباري، ١٣٤/١.

ويشير الشيخ محمد قطب إلى العقبة الكبرى التي تعترض الدعاة فيقول:"العقبة الكبرى أمام الدعاة اليوم أنّهم أمام قوم يقولون بأفواههم: ((لا إله إلا الله))، ولكنهم يرفضون أن يكون لها مقتضيات في واقع حياتهم، ويرفضون أن يُقروا بأنّ عدم العمل بمقتضياتها يُفرغها من مضمونها الحقيقي، ولا يجعل لها واقعاً محسوساً ملموساً هو الذي أُنزل هذا الدين من أجله، وجَهِدَ الرسولﷺ في تكوينه، وحين آمن من آمن بالرسولﷺ، ودخلت في أعماق قلبه عقيدة (لا اله إلا إله الله)، زالت العقبة الكبرى، وصارت القلوب مستعدة للتلقي، والسلوك مستعداً للتشكيل -لا نقول بلا جهد يبذل من جانب المربى ومن جانب المتلقي. كلا!- فبناء النفوس أمْر يحتاج دائماً إلى جهد يُبذل، سواء من المربي أو من المتلقي، ولكنّه يكون أيسر-ولا شك- حين تكون النفوس مقبلة والقلوب مشروحة، ثم يتجه إلى العمل في واقع حياته بمقتضيات (لا اله إلا إله الله)، سواء في الحياة العامة بتحكيم شريعة الله، أو الحياة الخاصة بالتخلّق بأخلاقيات: ((لا اله إلا إله الله))"[1]

٦- **دراسة حياة القدوات والمتميزين، وأصحاب الكفاءات، وفي مقدمتهم الأنبياء الرسل – عليهم الصلاة والسلام-، ثم الصحابة-رضي الله عنهم-، والعلماء والأئمة للتأسي بهم والسير على منهجهم:** إنّ الدارس لحياة الصحابة-رضي الله عنهم-باعتبارهم خير من جسّد الإسلام يجد أنهم قد حققوا التميز في جميع جوانب الحياة الدينية والدنيوية، من عبادة وعلم ودعوة وجهاد، واقتصاد وإدارة؛ انطلاقاً من العقيدة الراسخة؛ فقد تغلبوا على العقبات بقوة إيمانهم، وعمق تربيتهم، وثباتهم وصبرهم، فهم الذين أقاموا دولة عظمى حققت السعادة والطمأنينة لأبنائها، كما كانت عظيمة مهيبة الجانب؛ انتصرت على أعدائها.

[1] قطب، محمد، مكانة التربية في العمل الإسلامي، دار الشروق، مصر-القاهرة، الطبعة الثانية١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، ص٢٣، باختصار وتصرف يسير.

لقد عاش الجيل الأول في توازن بين أمور حياتهم بلا إفراط ولا تفريط، وفق منهج عقدي وتربوي كبير ومثمر، يقول الدكتور مجدي الهلالي:" لقد كان المنهج السماوي في تربية هؤلاء الأخيار يركِّز على ربط القلوب بالله، فإذا ما اتصلت القلوب بالله، وذاقت حلاوة معرفته، فإن تغيير الظاهر يتم بعد ذلك بالإشارة، وبأقل مجهود كما حدث في تحريم الخمر بقوله سبحانه﴿ فَاجْتَنِبُوهُ ﴿٩٠﴾ ﴾ [المائدة: ٩٠]، عندما سارعوا إلى سكب كل ما عندهم من خمر، وكان للقرآن الكريم تأثير عظيم في قلوبهم، فقد كانوا يتلقونه للتنفيذ الفوري، ولإعادة صياغة حياتهم بناء على أوامره، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ ﷺ، قَالَ:" **كَانَ الرَّجُلُ مِنَّا إِذَا تَعَلَّمَ عَشْرَ آيَاتٍ، لَمْ يُجَاوِزْهُنَّ حَتَّى يعرف مَعَانِيهِنَّ وَالْعَمَلَ بِهِنَّ**"[1]. ومع المنهج السماوي المتدرج في تربية الصحابة- رضي الله عنهم-، والذي كان من أهم سماته العمل على ربط القلوب بالله، وتهيئتها لتلقي نور الهداية الربانية"[2].

هذا المنهج العظيم المنبثق من العقيدة في التلقي للقرآن والسنة؛ وهو الفهم الصحيح، وحُسن التلقي للأوامر، فالتطبيق العملي لذلك، مع العزيمة القوية والنية الصادقة في التغيير؛ هو الذي أوصل الصحابة-رضي الله عنهم-إلى المقدمة والسيادة والتميز، وهذا هو الذي يجب على العلماء والدعاة بعثه في الأمة الإسلامية؛ لأنها تحتاج إليه ليعود لها دورها وتتبوأ مكانها في مقدمة الأمم.

إنَّ للعقيدة آثاراً عظيمة أولها الانضباط وعدم التأرجح كما قال الدكتور مصطفى البغا:" إنَّ الإيمان بالله تعالى يُنشيء في القلب والعقل حالة من الانضباط لا تتأرجح معها الصور ولا تهتز معها القيم"[3].

---

(1) الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن، ٧٤/١، وعَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ: حَدَّثَنَا مَنْ كَانَ يُقْرِئُنَا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهُمْ كَانُوا " يَقْتَرِئُونَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَشْرَ آيَاتٍ، فَلَا يَأْخُذُونَ فِي الْعَشْرِ الْأُخْرَى حَتَّى يَعْلَمُوا مَا فِي هَذِهِ مِنَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ، قَالُوا: فَعَلِمْنَا الْعِلْمَ وَالْعَمَلَ" قال الشيخ شعيب:" إسناده حسن من أجل عطاء: وهو ابن السائب. أبو عبد الرحمن: هو السلَمي، واسمه عبد الله بن حبيب، من كبار التابعين"" ابن حنبل، المسند، ٤٦٧/٣٨، رقم٢٣٤٨٢.

(2) الدكتور مجدي الهلالي، الإيمان أولاً فكيف نبدأبه؟، ص٦-٧، بتصرف واختصار.

(3) البغا، الدكتور مصطفى ديب، نظام الإسلامفي العقيدة والأخلاق والتشريع، ص١٠١.

ثم أشار إلى الاستقامة فقال:" التوحيد ينشيء في العقل والقلب الاستقامة؛ لأنَّ الإنسان الذي يُدرك أنّه عبد مخلوق لخالق واحد يتصف بصفات الكمال المطلق، لا شك أنه يستقيم في التعامل معه بقلبه وعقله، ولا يضطرب ولا يطيش"[(١)].

المطلب الثاني: الفهمُ الدقيق لِأُصول العقيدة ومسائلها

إنّ الفهم الصحيح للعقيدة الإسلامية واستشعار أثرها العظيم في حياة المسلم يؤدي إلى الانضباط في الأقوال والأعمال والسلوك؛ فلخصائصها الأثر العظيم في صقل الشخصية؛ فهي تمتاز بالوضوح واليسر والسهولة، وتتوافق مع الفطرة الإنسانية، واستعداده للعبودية، فيسهل تقبلها واعتناقها، والدعوة إليها، قَالَ تَعَالَى: ﴿ **فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ** ﴿٣٠﴾ ﴾ [الروم: ٣٠]، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **" كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ"**[(٢)]، قال الحافظ ابن حجر:" وأشهر الأقوال أن المراد بالفطرة الإسلام"[(٣)]، وإنَّ أهم **مسائل العقيدة التي تُعين المسلم على الانضباط، واجتناب الضلال في ميادين الحياة المتنوعة ما يأتي:**

١- **الفصل في الاعتقاد بين مقام الإلوهية، ومقام النبوة**، فالله تعالى هو وحده المستحق للعبادة والدعاء، بينما الرسول ﷺ هو المُبلِّغ والدال على الحق والصواب، كما أمره الله تعالى، حيث

---

(١) البغا، الدكتور مصطفى ديب، نظام الإسلامفي العقيدة والأخلاق والتشريع، ص١٠٤. وقد ألّف قبل ذلك ابن تيمية-رحمه الله- كتاباً مستقلاً بعنوان الاستقامة ومما قاله:" قاعدة في وجوب الاستقامة والاعتدال، ومتابعة الكتاب والسنة في باب أسماء الله وصفاته، وتوحيده بالقول والاعتقاد"، ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام، ٦٧١-٧٢٨هـ، تحقيق: أحمد جاد، دار الحديث، القاهرة-مصر، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ص١٢.

(٢) متفق عليه: البخاري، الصحيح، كتاب: الجنائز، باب: مَا قِيلَ فِي أَوْلَادِ الْمُشْرِكِينَ، رقم١٣٨٥ ومسلم، الصحيح، باب مَعْنَى كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ وَحُكْمِ مَوْتِ أَطْفَالِ الْكُفَّارِ وَأَطْفَالِ الْمُسْلِمِينَ، رقم٢٦٥٨.

(٣) ابن حجر، فتح الباري، ٣/٢٤٨.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾ [النجم:٣-٤]، فالمسلم في أقواله وأعماله يراقب الله تعالى، ويقتدي برسولهﷺ ، قال الله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ۝٢١ ﴾ [الأحزاب:٢١]، وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ- رضي الله عنهما- سَمِعَ عُمَرَ-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- ، يَقُولُ عَلَى الْمِنْبَرِ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ:" لاَ تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ؛ فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا: عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُه"[1]؛ إنَّ الانضباط في العقيدة يقتضي التأكيد على مقامه الساميﷺ فهو عبدالله ورسوله، والحذر من الإطراء وهو كما قال ابن حجر" المدح بالباطل"[2]، ولا بد من التنبيه أن التحذير من الإطراء والإفراط في مقام النبي الكريم ﷺ، هدفه الأساس أن لا تقع الأمة في الانحراف كما وقعت فيه الأمم السابقة؛ ولذلك فقد حذّر النبيﷺ أمته من الوقوع، وخاصة في المناسبات الإجتماعية[3] .

٢- إنّ لله تعالى أسماء حسنى وصفات علا، وهي توقيفية[4]، وتليق به تبارك وتعالى، وتقتضي حُسن مراقبته، والتوجه إليه سبحانه، والسعي لتحقيق آثار الإيمان بها، ومن ذلك ما قاله الإمام البيهقي-رحمه الله- في تعليقه على بعض الأسماء:" الرحمن: وهو المريد لرزق كل حي في دار البلوى والامتحان، ومنها: "الرحيم: المريد لإنعام أهل الجنة، ومنها: الغفار: وهو المريد لإزالة العقوبة بعد الاستحقاق، ومنها الكريم: هو المريد لتكثير الخيرات عند المحتاج"[5]، فالمسلم يستشعر أسماء الله تعالى وصفاته، فيعتقد أنَّ الله تعالى رقيب على عباده لا تخفى عليه

---

(١) البخاري، الصحيح، كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: قول الله ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا ۝١٦ ﴾ [مريم/١٦]

(٢) ابن حجر، فتح الباري، ٦/٦٨٥.

(٣) انظر الانضباط الاجتكاعي.

(٤) مصدرها القرآن الكريم والسنة النبوية، وليست اجتهادية.

(٥) البيهقي، أحمد بن الحسين أبو بكر ٤٥٨ هـ، الأسماء والصفات، مكتبة السوادي – جدة الطبعة: الأولى، باب: ما جاء في الجلال والجبروت والكبرياء والعظمة والمجد وهذه صفات يستحقها بذاته، ١/٣٤٩.

خافية، حليم يُمهل عباده، حكيم يضع الأمور في مواضعها المناسبة، وغيرها. وكلما استشعر المسلم تلك الأسماء والصفات ازداد تعظيمه لله تعالى، وتحقق في قلبه حُب الله وطاعته، فانعكست آثار الإيمان بها على أخلاقه وأعماله وسلوكه كله.

إنّ المسلم يُعظِّمُ الله تعالى في سائر شئونه، ويتقيه في سره وعلانيته، و يخاف من تقصيره وذنوبه، ويعتقد أنّ الله تعالى يُنعم على عباده المطيعين بالطُمأنينة وراحة النفس، ويُكثِّر عليهم الخيرات.

٣- إنّ المسلم يتذكر حال الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- ويقتدي بهم في تعظيمهم لله تعالى وخوفهم من غضبه وسخطه، وانضباطهم في أقوالهم وأعمالهم وفق رضاه تبارك وتعالى، ومن ذلك ما ذكره الله تعالى عن نبيه عيسى -عليه الصلاة والسلام- قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ ﴾ [المائدة: ١١٦ - ١١٧]، قال الإمام الطبري:" قَالَ عِيسَى- عليه الصلاة والسلام- : تَنْزِيهًا لَكَ يَا رَبِّ وَتَعْظِيمًا أَنْ أَفْعَلَ ذَلِكَ أَوْ أَتَكَلَّمَ بِهِ، مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ، يَقُولُ : لَيْسَ لِي أَنْ أَقُولَ ذَلِكَ لِأَنِّي عَبْدٌ مَخْلُوقٌ، يَقُولُ: إِنَّكَ يَا رَبِّ لاَ يَخْفَى عَلَيْكَ مَا أَضْمَرَتْهُ نَفْسِي مِمَّا لَمْ أَنْطِقْ بِهِ وَلَمْ أُظْهِرْهُ بِجَوَارِحِي، فَكَيْفَ بِمَا قَدْ نَطَقْتُ بِهِ وَأَظْهَرْتُهُ بِجَوَارِحِي ؟، يَقُولُ: لَوْ كُنْتُ قَدْ قُلْتُ لِلنَّاسِ{اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ} كُنْتَ قَدْ عَلِمْتَهُ"[1].

([1]) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (٢٢٤ - ٣١٠هـ) جامع البيان في تفسير القرآن، المحقق : مكتب التحقيق بدار هجر، الناشر : دار هجر، الطبعة : الأولى، ١٣٦/٩.

إنّ المسلم ينضبط بكلامه وأفعاله، فلا يقول ولا يفعل فعلاً إلاّ بما يحق له، ولا يتجاوز الضوابط والقواعد الشرعية؛ وخاصة في العقيدة، ولذا فالأصل به أنّه يستغني عن رقابة البشر، ويستحضر رقابة رب البشر تبارك وتعالى.

٤- **إنّ المسلم يعتقد بوجود مخلوقات نورانية وهم الملائكة**-عليهم الصلاة والسلام- لها أعمال متعددة منها: تسجيل وكتابة أقوال المسلم وأفعاله، قَالَ تَعَالَى:﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾[ق:١٨]، فالمسلم يستشعر بمعية الملائكة، وحضورها معه، فيحرص أن لا تكتب عنه إلا الخير في جميع أقواله وأعماله.

٥. **يؤمن المسلم بالقدر خيره وشره**، ويعتقد أنّ علم الله تعالى أزلي، وللإنسان حرية الاختيار، ويحاسب على اختياره وأعماله، ويسعى للتقدم المستمر والتميز في جميع أعماله، وهو بتحقيقه للإيمان والطاعة يوقن أن ما أصابه بعد ذلك ففيه الخير؛ لأنه قام بالمطلوب منه على أفضل وجه، **فعن أنس ﷺ قال سمعت النبي ﷺ يقول:" عجبت للمؤمن إنّ الله لم يقض قضاء إلا كان خيراً له**"(١). **وعَنْ صُهَيْبٍ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:« عَجَبًا لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لأَحَدٍ إِلاَّ لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ »**(٢).

٦- **إنّ المسلم يستشعر أنه مطالب بتعمير هذه الأرض مادياً ومعنوياً، ويؤمن أنّ الأخذ بالأسباب سنة واجبة**، فلا يتواكل، بل يبذل أقصى ما يستطيع من جهد في إنجاز العمل المطلوب على أفضل صورة، فيرضى بالنتائج المتحققة، قَالَ تَعَالَى:﴿ **اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ**

(١) ابن حنبل، أحمد بن محمد، المسند، ٣/١١٧، رقم١٢١٨١، قال الشيخ شعيب الأرنؤوط:" حديث صحيح، وهذا إسناد حسن في المتابعات والشواهد".

(٢) مسلم، الصحيح، كتاب:الزهد والرقائق، باب: الْمُؤْمِنُ أَمْرُهُ كُلُّهُ خَيْرٌ، رقم٢٩٩٩".

ﭐلۡأَرۡضِ وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا فَٱسۡتَغۡفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٞ مُّجِيبٞ ﴿٦١﴾ ﴾ [هود:٦١]، قال الإمام الطبري:" وجعلكم عُمَّارًا فيها"[١].

إنَّ المسلم الذي فهم عقيدته يعتقد اعتقاداً جازماً أنّه أولى بتعمير الأرض، لأنّه استجاب لله تعالى في الأمر الأول: بالتوحيد والعبودية، فعليه أن يستجيب للتوجيه والتنبيه الثاني: وهو التعمير، وإصلاح الأرض والرقي المادي، فالكون مُسخّر لخدمة الإنسان، فعليه أن يوجه قدراته نحو الابتكار والإبداع والتطور المستمر، مع علمه أن هناك سنناً كونيه لا تتخلف ولا تحابي أحداً، فعليه أن يفهم قوانين التميز، ويحسن التعامل معها، قال الإمام ابن القيم-رحمه الله-:" فإنَّ الله سبحانه اقتضت حكمته ربط المسببات بأسبابها وجعل التوكل والدعاء من أقرب الأسباب التي تحصل المقصود، فالتوكل امتثال لأمر الله وموافقة لحكمته وعبودية القلب، فإنَّ الله أمر بالقيام بالأسباب فمن رفض ما أمره الله أن يقوم به فقد ضاد الله في أمره وكيف يحل لمسلم أن يرفض الأسباب كلها"[٢].

إنَّ التأكيد المتتابع على بيان أهمية الأخذ بالأسباب- في كل شيء- وعد ذلك جزءًا من العقيدة يجعل الأمة الإسلامية أمة عملية وواقعية، يقول الدكتور عبدالكريم زيدان:"إنَّ إسقاط الأسباب، والإعراض عنها، وعدم مباشرتها بحجة التوكل، يُفضي بفاعل ذلك إلى مخالفة الشرع، فإنّ الله تعالى قد أمر بالأخذ بالأسباب، فإنّه يعرض عما أمره الله تعالى به"[٣] .

---

(١) الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن، ٤٥٣/١٢

(٢) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٣ – ١٩٧٣، تحقيق: محمد حامد الفقي، ٤٧٨/٣.

(٣) الدكتور عبد الكريم زيدان، السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، الطبعة الثالثة ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ص٣١.

المبحث الثاني

الانضباط في مجال الشعائر التعبدية (الصلاة)

إنَّ للشعائر التعبدية آثاراً عظيمة في تحقيق الانضباط؛ فأوقاتها محددة، ومقدارها مقيـد، والأعمال المطلوبة فيها معلومة، وأماكنها واضحة المعالم.

ففي الصيام شهر محدد هو شهر رمضان، يتقيد الصائمون جميعاً بالامتناع عن المفطرات، ويتميزون بالاستعلاء على الشهوات، وبتحقيق الضبط للإرادة، والتقوية للعزيمة؛ فتجد المسلم يُدخل الماء في الوضوء أو غيره إلى فمه، ولا يأذن لذرة ماء أن تدخل إلى جوفه، كما يتقيدون بوقت الإفطار بأذان المغرب؛ فتجد المفطرات من تمر وماء وغيره أمامهم، ولا يتناول أحدٌ منهم شيئاً منها حتى يسمع المؤذن يقول:" الله أكبر".

وفي الحج أشهر معلومات لأداء هذا الركن العظيم؛ فتجد ملايين المسلمين يطوفون في مكان محدد بصورة متتابعة ومنظمة، وكذلك في السعي، وتجدهم يتوافدون إلى أماكن محددة كالوقوف بعرفة، والمبيت بمزدلفة، والمبيت بمنى، كما يلتزمون بترتيب محدد ومنظم لأداء تلك الأعمال العظيمة.

وفي الزكاة أنصبة محددة لكل نوع، وتؤدّى إلى جهات معلومة، ولا يُتجاوز الوقت المحدد لأدائها، ويؤديها المسلم بطيب نفس مستشعراً العبودية لله تعالى في إخراجها، ويلتزم الأدب في حُسن الأداء.

وفي ميدان بعض العبادات المخصوصة تجد المسلم يحافظ على قراءة على الأذكار ويلتزم بأوقاتها في الصباح والمساء، ويتقيد بالأذكار المرتبطة بأماكن معينة كدخول المسجد والخروج منه وغيرها.

إنّ المتأمل والباحث في مظاهر الانضباط في العبادات عند المسلم، والمستشعر لآثارها على سلوكه وأقواله وأعماله؛ يجعله يوقن أنّ لكل عبادة روحها ومدرستها الخاصة بها في تعليم الانضباط، فهذه وقفات ونظرات وتأملات يسيرة في أعظم عبادة وهي الصلاة .

فقد جاءت الصلاة عبادة يومية؛ لتحقق للمسلم معانٍ عظيمة، ومتعددة الجوانب، ومما يظهر من آثارها العظيمة أنها تُعلِّمه الانضباط: فالدخول في الصلاة لا بدّ أن يسبقه استعداد وتهيئة بالوضوء؛ وهو نوع من الاستعداد المادي بغسل أعضاء من البدن، وكذلك لا بدّ من لبس ملابس ملائمة، واختيار مكان طاهر، وغير ذلك، وأما الاستعداد المعنوي؛ فيتحقق بالاستعداد النفسي للصلاة، والإقبال على الله تعالى، إضافة إلى ضرورة التقيد بالوقت المحدد لبداية أداء الصلاة، والالتزام بالمقدار من غير زيادة ولا نقصان، فبقوله "الله أكبر"، فلا كلام مع أحد، بل خشوع وتوجه إلى الله تعالى، والتزام بترتيب محدد في هيئات الصلاة، فالقيام فيه التلاوة، ثم الركوع فيه أذكار خاصة، وكذلك في الاعتدال منه، وفي السجود بعده، وهكذا حتى يُكْمِلَ المسلم صلاته، فهو في انقطاع عن الدنيا وإقبال على الله تعالى.

إنّ للصلاة رسالة كبيرة ينبغي استشعارها؛ ومن ذلك أنه يتعلم ويمارس الترتيب والتنظيم لسائر شئونه، يقول الدكتور محمد حسن أبو يحيى:" ومما لا شك فيه أنّه إذا خلُصت النية وصدقت العزيمة، فإن المصلي سيؤدي الصلاة وفق حركات معينة يرضى عنها الله تعالى ورسولهﷺ، وهو بهذا المسلك يتعلم النظام والطاعة، وكيف يتعلم النظام والطاعة؟"[1]، بل يتعلم ما يشمل النظام والطاعة وغيرهما من المبادئ والمقاصد السامية وهو الانضباط .

إنّ الانضباط الذي تهدف الشعائر التعبدية المخصوصة إلى تحقيقه- وفي مقدمتها الصلاة- هو الانضباط الشامل الذي تنعكس آثاره على حياة الفرد والمجتمع، ومنه الطاعة

---

(1) أبو يحيى، الدكتور محمد حسن، أهداف التشريع الإسلامي، دار الفرقان، الأردن- عمان، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ص٣٣٠.

والالتزام بالأوامر الصادرة من جهات لها حق الطاعة، حيث يظهر أثر الصلاة في تحقيق الانضباط عبر مظاهر متنوعة وشاملة. **ومن أهم مظاهر الانضباط في الصلاة ما يأتي:**

المطلب الأول: الانضباط بوقت الصلاة وبعدد ركعاتها

إنّ لكل صلاة من الصلوات الخمس وقت محدد لأدائها ؛ فلا تُقبل صلاة قبل بداية وقتها، كما لا يُقبل أداؤها بعد نهاية وقتها، كما أن مقدارها مقيد فلا زيادة ولا نقصان على ذلك، وإنّ التزام المسلم بذلك ينبغي أن يعلمه احترام النظام، والتقيد بالوقت المخصص لبداية الأعمال، وعدم التأخر عنه، وأداء الفعل بمقداره المطلوب، قال الله تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾﴾ [البقرة:٢٣٨]، قال ابن كثير:" يأمر الله تعالى بالمحافظة على الصلوات في أوقاتها "(١).

وقد جاءت السنة المشرفة ببيان بداية وقت كل صلاة ونهايته، ومن ذلك ما رواه عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو-رضي الله عنهما-أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ قَالَ:" إِذَا صَلَّيْتُمْ الْفَجْرَ فَإِنَّهُ وَقْتٌ إِلَى أَنْ يَطْلُعَ قَرْنُ الشَّمْسِ الْأَوَّلُ(٢)، ثُمَّ إِذَا صَلَّيْتُمْ الظُّهْرَ فَإِنَّهُ وَقْتٌ إِلَى أَنْ يَحْضُرَ الْعَصْرُ، فَإِذَا صَلَّيْتُمْ الْعَصْرَ فَإِنَّهُ وَقْتٌ إِلَى أَنْ تَصْفَرَّ الشَّمْسُ فَإِذَا صَلَّيْتُمْ الْمَغْرِبَ فَإِنَّهُ وَقْتٌ إِلَى أَنْ يَسْقُطَ الشَّفَقُ فَإِذَا صَلَّيْتُمْ الْعِشَاءَ فَإِنَّهُ وَقْتٌ إِلَى نِصْفِ اللَّيْلِ"(٣)، وعنه ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:" وَقْتُ الظُّهْرِ إِذَا زَالَتْ الشَّمْسُ وَكَانَ ظِلُّ الرَّجُلِ كَطُولِهِ مَا لَمْ يَحْضُرْ الْعَصْرُ، وَوَقْتُ الْعَصْرِ مَا لَمْ تَصْفَرَّ الشَّمْسُ وَوَقْتُ صَلَاةِ الْمَغْرِبِ مَا لَمْ يَغِبْ الشَّفَقُ وَوَقْتُ صَلَاةِ الْعِشَاءِ إِلَى نِصْفِ اللَّيْلِ الْأَوْسَطِ وَوَقْتُ صَلَاةِ الصُّبْحِ

---

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٦٤٥/١.

(٢) قال الإمام النووي-رحمه الله-:"قرن الشمس الأول معناه وقت لأداء الصبح، فإذا طلعت الشمس قال خرج وقت الاداء وصارت قضاء"، النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم، ١٠٩/٥.

(٣) مسلم، الصحيح، كِتَاب الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةِ، بَاب أَوْقَاتِ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، رقم٦١٢.

مِنْ طُلُوعِ الْفَجْرِ مَا لَمْ تَطْلُعْ الشَّمْسُ فَإِذَا طَلَعَتْ الشَّمْسُ، فَأَمْسِكْ عَنْ الصَّلَاةِ فَإِنَّهَا تَطْلُعُ بَيْنَ قَرْنَيْ شَيْطَانٍ"[1].

وقد شرع الإسلام الأذان للإعلام العام بدخول وقت الصلاة، ولدعوة الرجال ومن شاء من النساء للصلاة في السجد، قال الله تعالى:﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴾ [النساء: ١٠٣].

وتجدُر الإشارة إلى أنّ الاهتمام بالمواقيت عند علماء الحديث قد اتخذ صوراً ومناهج متعددة: فمنهم من أفردها في موضوع مستقل ضمن كتابه، كالإمام البخاري، حيث جاء كتاب مواقيت الصلاة ترتيبه التاسع من كتب الصحيح، وبعده جاء كتاب الأذان، وأما الإمام مالك، فجعل كتاب وقوت الصلاة ترتيبه الأول، وبعده كتاب الطهارة وبعده جاء كتاب الصلاة.

ومنهم من جعلها ضمن كتاب الصلاة، ولكنّه قدَّم أبواب المواقيت على سائر الأبواب، كما فعل ذلك الإمامان الترمذي وابن ماجه في السنن، حيث جاء ترتيب كتاب الصلاة ترتيبه الثاني في كتب الكتابين.

ومنهم من قدّم باباً واحداً هو في فضل الصلوات، وهو الإمام الدارمي في السنن، وجاء كتاب الصلاة في الترتيب الثاني بعد كتاب الطهارة.

وأما الإمام النسائي فجاء كتاب المواقيت في ترتيبه السادس من كتابه السنن، وسبقه بكتاب الصلاة وأتبعه بكتاب الأذان.

ويمكن الجزم أنّ جميع مصادر السنة قد اهتمت بالمواقيت في كتاب مستقل أو ضمن كتاب الصلاة، أو بصور أخرى، وفي ذلك البيان الواضح لأوقات الصلاة يتحقق الوجوب على

---

(1) المصدر السابق نفسه، وهو متابعة للحديث السابق.

المسلم أن يلتزم به ولا يخرج عنه، مع العلم أن المسافر أو المعذور بمرض أو نوم، أو من يجمع بين صلاتين بعذر المطر أو غيره، لا يُعد مقصّراً ولا مفرّطاً.

وقد جاء الحث على تحقيق الانضباط بوقت الصلاة وبعدد ركعاتها بصور متعددة، وأساليب متنوعة، وأهمها ما يأتي:

أولاً: بيان فضيلة الصلاة على وقتها، والتحذير من تأخيرها

إن بيان قيمة الشيء، وما يتحصّل من فعله؛ يُعد من أهم أسباب الاهتمام به، والحرص على أدائه، وهذا من الأساليب النبوية في دعوة الأمة إلى الانضباط بأحكام الإسلام، ويظهر ذلك في الصلاة بصورة جلية، **فعن أبي عَمْرٍو الشَّيْبَانِيِّ عن عَبْدِ اللهِ بن مسعودﷺ قَالَ:" سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺأَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ؟!، قَالَ:" الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا" قَالَ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ:" ثُمَّ بِرُّ الْوَالِدَيْنِ" قَالَ ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ:" الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ"، قَالَ : حَدَّثَنِي بِهِنَّ وَلَوِ اسْتَزَدْتُهُ لَزَادَنِي"**[1].

وجاء الانضباط بأداء الصلاة على وقتها – مع غيره من أحكام الصلاة- نتيجة منظومة متكاملة من الأحاديث النبوية، ومن ذلك أنّ المسلم يستشعر حُسن التخلُّص من الذنوب، وهو حريص على ذلك، فالصلاة كالنهر الجاري بباب بيته، فلا يحتاج المصلي لقطع مسافات لإزالة ما علق به من صنوف الكدر للاغتسال بماء النهر الذي هو أنظف الماء، **فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَﷺ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:" أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ هَلْ**

---

(1) متفق عليه: البخاري، الصحيح، كتاب: مواقيت الصلاة، باب: فضل الصلاة لوقتها، رقم٥٢٧، ومسلم، الصحيح، كتاب: الإيمان، باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال، رقم٨٥، وعنده بلفظ:"أيُّ العمل أفضل؟"، بتصرف يسير.

يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ[1] شَيْءٌ؟ قَالُوا: لَا يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ، قَالَ فَذَلِكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ يَمْحُو اللَّهُ بِهِنَّ الْخَطَايَا"[2].

إنّ الانضباط بالمحافظة على الصلاة من أهم أسباب دخول الجنة، فعن عُبَادَةَ بْنُ الصَّامِتِ رضي الله عنه قال: أَشْهَدُ أَنِّى سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ "خَمْسُ صَلَوَاتٍ افْتَرَضَهُنَّ اللَّهُ تَعَالَى؛ مَنْ أَحْسَنَ وُضُوءَهُنَّ، وَصَلاَّهُنَّ لِوَقْتِهِنَّ، وَأَتَمَّ رُكُوعَهُنَّ، وَخُشُوعَهُنَّ؛ كَانَ لَهُ عَلَى اللَّهِ عَهْدٌ أَنْ يَغْفِرَ لَهُ، وَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ فَلَيْسَ لَهُ عَلَى اللَّهِ عَهْدٌ، إِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ"[3]

وقد جاء التحذير من عدم الانضباط بوقت الصلاة، فعَنْ أَبِى ذَرٍّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ لِى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « كَيْفَ أَنْتَ إِذَا كَانَتْ عَلَيْكَ أُمَرَاءُ يُؤَخِّرُونَ الصَّلاَةَ عَنْ وَقْتِهَا أَوْ يُمِيتُونَ الصَّلاَةَ عَنْ وَقْتِهَا ». قَالَ قُلْتُ فَمَا تَأْمُرُنِى قَالَ « صَلِّ الصَّلاَةَ لِوَقْتِهَا، فَإِنْ أَدْرَكْتَهَا مَعَهُمْ فَصَلِّ فَإِنَّهَا لَكَ نَافِلَةٌ »[4].

قال الإمام النووي:" إِنَّ الْمَنْقُول عَنْ الْأُمَرَاء الْمُتَقَدِّمِينَ وَالْمُتَأَخِّرِينَ إِنَّمَا هُوَ تَأْخِيرهَا عَنْ وَقْتهَا الْمُخْتَار، وَلَمْ يُؤَخِّرهَا أَحَد مِنْهُمْ عَنْ جَمِيع وَقْتهَا، فَوَجَبَ حَمْل هَذِهِ الْأَخْبَار عَلَى مَا هُوَ الْوَاقِع، وَفِي هَذَا الْحَدِيث: الْحَثّ عَلَى الصَّلَاة أَوَّل الْوَقْت، وَفِيهِ: أَنَّ الْإِمَام إِذَا أَخَّرَهَا عَنْ أَوَّل وَقْتهَا

---

(1) قال ابن حجر " درنه" الدرن: الوسخ" الفتح، ٢/١١.

(2) متفق عليه: البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب الصلوات الخمس كفارة، رقم٥٢٨، ومسلم، الصحيح، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: المشي إلى الصلاة تمحي به الخطايا، رقم ٦٦٧.

(3) أبو داود، السنن، كتاب: الصلاة باب فِى الْمُحَافَظَةِ عَلَى وَقْتِ الصَّلَوَاتِ ، رقم٤٢٥، قال الألباني:" صحيح" ورواه ابن ماجه، السنن، كتاب: إِقَامَةِ الصَّلَوَاتِ وَالسُّنَّةِ فِيهَا، بَابُ مَا جَاءَ فِي فَرْضِ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ وَالْمُحَافَظَةِ عَلَيْهَا، رقم ١٣٩٩، ورواه أحمد، المسند، رقم٢٢٧٥٦، قال الشيخ شعيب:" إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين غير عبيد الله الصنابحي "

(4) مسلم، الصحيح، كتاب المساجد، باب كَرَاهِيَةِ تَأْخِيرِ الصَّلاَةِ عَنْ وَقْتِهَا الْمُخْتَارِ وَمَا يَفْعَلُهُ الْمَأْمُومُ إِذَا أَخَّرَهَا الإِمَامُ، رقم٦٤٨.

يُستَحبّ لِلمَأمُومِ أن يُصلّيهَا فِيْ أوّلِ الوَقتِ مُنفَرِدًا ، ثُمَّ يُصلّيهَا مَعَ الإِمَامِ فَيَجْمَع فَضِيلَتَيْ أوّلِ الوَقتِ وَالجَمَاعَة"[1].

ثانياً: إرسال جبريل عليه الصلاة والسلام؛ لتحديد أوقات الصلاة، وعدد ركعاتها، فقد أرسل الله تعالى جبريل ليؤم النبيَ ﷺ في أول وقت كل صلاة وفي آخره من الصلوات الخمس، وهذا يدل على المزيد من التشريف والتعظيم، كما أنّ فيه تنبيه للمسلمين على الاهتمام والحرص على أدائها في الوقت المحدد، فعَنِ ابْنِ شِهَابٍ أَنَّ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ أَخَّرَ الْعَصْرَ شَيْئًا فَقَالَ لَهُ عُرْوَةُ أَمَا إِنَّ جِبْرِيلَ قَدْ نَزَلَ فَصَلَّى أَمَامَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ عُمَرُ: اعْلَمْ مَا تَقُولُ يَا عُرْوَةُ قَالَ: سَمِعْتُ بَشِيرَ بْنَ أَبِي مَسْعُودٍ يَقُولُ : سَمِعْتُ أَبَا مَسْعُودٍ ﷺ يَقُولُ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ:" نَزَلَ جِبْرِيلُ فَأَمَّنِي فَصَلَّيْتُ مَعَهُ ثُمَّ صَلَّيْتُ مَعَهُ ثُمَّ صَلَّيْتُ مَعَهُ ثُمَّ صَلَّيْتُ مَعَهُ ثُمَّ صَلَّيْتُ مَعَهُ يَحْسُبُ بِأَصَابِعِهِ خَمْسَ صَلَوَاتٍ"[2].

وقد كان انضباط الأداء النبوي للصلاة، وأداء الصحابة-رضي الله عنهم- في الأوقات المحددة، وبالتقيد بالعدد المحدد ، وكان الجواب النبوي لمن يسأل عن وقت الصلاة بالالتزام العملي بتوقيت جبريل عليه الصلاة والسلام، فعَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ رَجُلاً سَأَلَهُ عَنْ وَقْتِ الصَّلاَةِ فَقَالَ ﷺ لَهُ:" صَلِّ مَعَنَا هَذَيْنِ"ـ يَعْنِى الْيَوْمَيْنِ ـ [فصلّى النبي ﷺ في اليوم الأول كل صلاة من الصلوات الخمس في أول وقتها، وفي اليوم الثاني في آخر وقتها] ثم

---

(1) النووي، شرح صحيح مسلم، ٢/٤٤٣.

(2) متفق عليه: البخاري، الصحيح ، كتاب بدء الخلق، باب ذِكْرِ الْمَلاَئِكَةِ، رقم ٣٢٢١، مسلم، الصحيح، كتاب: المساجد باب أَوْقَاتِ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، رقم ١٤١٠.

قَالَ:" أَيْنَ السَّائِلُ عَنْ وَقْتِ الصَّلاَةِ". فَقَالَ الرَّجُلُ أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ:" وَقْتُ صَلاَتِكُمْ بَيْنَ مَا رَأَيْتُمْ"[1].

إنّ الأمة الإسلامية وهي تستشعر أنّ الله تعالى بعث جبريل -عليه الصلاة و السلام- لتحديد أوقات الصلاة من خلال أدائه العملي، وبيان النبيﷺ لأمته أول وقت الصلاة وآخره، يشعر بعظمة الصلاة، ومدى أهمية تحديد وقتها أداء؛ فيحرص المسلم على الانضباط بوقت أدائها.

وقد كان هدي النبي ﷺ العام هو المحافظة على الصلوات في أول وقتها، وعدّ ذلك من أفضل الأعمال، فعَنْ أُمِّ فَرْوَةَ-رضي الله عنها- قَالَتْ سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَىُّ الأَعْمَالِ أَفْضَلُ قَالَ:" الصَّلاَةُ فِى أَوَّلِ وَقْتِهَا"[2].

وقد فرض الله تعالى الصلاة من فوق سبع سماوات خمس مرات في اليوم: وفي ذلك تعظيم لقدرها[3]، وأما عن أحكامها فمن المعلوم أنّ الوحي جاء بأحكامها إلى النبيﷺ وهو على الأرض، ولتحقيق المزيد من الاهتمام بها، وابتدأ الله تعالى فرضها بخمسين صلاة، وخفف عن الأمة أداءها حتى أصبحت خمساً[4]، ولكنها في الأجر خمسين، ليدل ذلك على عظيم أجرها، ورفعة مكانتها عند الله تعالى، وواجب المسلم تعظيم ما يُعظمه الله سبحانه.

ولعلّ مما يُستفاد من ذلك إعطاء الأوامر قيمتها التي تستحقها، من حيث اختيار الأمر والزمان والمكان الأنسب لإصدارها.

---

(1) متفق عليه: البخاري، الصحيح، كتاب مواقيت الصلاة، باب: مواقيت الصلاة وفضله﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا﴾ [النساء: ١٠٣]، رقم٥٢١، رواه مسلم، الصحيح، كتاب المساجد، باب أَوْقَاتِ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، رقم ١٤٢٢.

(2) أبو داود، السنن، كتاب: الصلاة، باب فِى الْمُحَافَظَةِ عَلَى وَقْتِ الصَّلَوَاتِ، رقم٤٢٦، قال الألباني: صحيح.

(3) ألف الإمام المروزي، محمد بن نصر(٣٩٤هـ)، كتاباً سمّاه تعظيم قدر الصلاة، ضبط نصوصه الأستاذ أحمد أبو المجد، دار العقيدة، الطبعة الأولى٢٠٠٣م-١٤٢٣هـ، مصر، الإسكندرية، والقاهرة.

(4) متفق عليه: البخاري، كتاب الصلاة، باب كَيْفَ فُرِضَتِ الصَّلاَةُ فِي الإِسْرَاءِ، رقم٣٤٩، ومسلم، الصحيح، الإيمان، باب الإِسْرَاءِ بِرَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- إِلَى السَّمَوَاتِ وَفَرْضِ الصَّلَوَاتِ

ثالثاً: الحث على التبكير في الذهاب إلى المسجد

إنَّ الاجتهاد بالحضور المبكر إلى المسجد[1]-وهو المكان الأنسب لأداء صلاة الفرض- يُعين على حُسن الأداء؛ وخاصة مع الاشتغال بصلاة تحية المسجد، والنوافل، وتلاوة القرآن، والدعاء، وغير ذلك؛ وهذا مما يجعل المسلم يتهيأ لأداء صلاة الفريضة، بصدر منشرح، وقلب حاضر، وعقل متدبر، **فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ:" وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي التَّهْجِيرِ لَاسْتَبَقُوا إِلَيْهِ "**[2]، قال الإمام النووي:" التَّهْجِير: التَّبْكِير إِلَى الصَّلَاة أَيّ صَلَاة كَانَتْ"[3]

إنَّ وقت انتظار الصلاة، يُبعد المصلي عن المشاغل الأخرى، ويزيد من الاستعداد النفسي، والراحة البدنية، ويُعين على تدبر الآيات التي تُتلى، ويساعد في تحقيق الخشوع، وهو نوع من أنواع الرباط في سبيل الله تعالى، **فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:" أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ فَذَلِكُمْ الرِّبَاطُ"**[4].

إنَّ من يستشعر الآثار الكبيرة للحضور المبكر إلى المسجد ينبغي أن ينعكس أثر ذلك على سلوكه في الحضور في الوقت المناسب في جميع أعماله؛ فلا يتأخر، بل يستعد له بما يُناسبه قبل بدايته .

---

(١) حكم صلاة الجماعة مسالة فقهية تراجع في مواضعها.

(٢) متفق عليه: البخاري، الصحيح، كتاب: الأذان، باب: فضل التهجير إلى الظهر، رقم ٦٥٤، ومسلم، كتاب الصلاة، باب تَسْوِيَةِ الصُّفُوفِ وَإِقَامَتِهَا وَفَضْلِ الأَوَّلِ فَالأَوَّلِ مِنْهَا وَالازْدِحَامِ عَلَى الصَّفِّ الأَوَّلِ وَالْمُسَابَقَةِ إِلَيْهَا وَتَقْدِيمِ أُولِي الْفَضْلِ وَتَقْرِيبِهِمْ مِنَ الإِمَامِ، رقم٤٣٧.

(٣) النووي ، المنهاج شرح صحيح مسلم، ٢/١٨٠.

(٤) رواه مسلم، الصحيح، كتاب: المساجد، باب: فَضْلِ صَلَاةِ الْجَمَاعَةِ وَانْتِظَارِ الصَّلَاةِ ، رقم٦٤٩.

المطلب الثاني: التهيئة للصلاة بما تحتاج إليه

إنّ الأعمال العظيمة ترتبط غالباً بمقدمات تُعد توطئة وتهيئة لها، وهذا يقتضي الاستعداد لها بما تستحق من إجلال وتعظيم، ومن ذلك التهيئة لأداء الصلاة بعدة أُمور أهمها ما يأتي:

أولاً: لبس اللباس المناسب: حيث يلبس المسلم اللباس الذي يستر عورته، بل يجتهد في لبس أحسن الثياب، تنفذاً وتعظيماً لأمر الله تعالى حيث قال: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾[الأعراف:٣١]، وعن ابن عباس-رضي الله عنهما- قال:" كان رجال يطوفون بالبيت عراة، فأمرهم الله بالزينة -والزينة: اللباس، وهو ما يواري السوأة، وما سوى ذلك من جَيِّد البزّ[١] والمتاع؛ فأُمروا أن يأخذوا زينتهم عند كل مسجد"[٢].

وينبغي على المرأة البالغة أن يكون لباسها في الصلاة ملائماً لذلك، ويكون ساتراً لجسدها عدا الوجه والكفين، **فَعَنْ عَائِشَةَ-رضي الله عنها- عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ « لاَ يَقْبَلُ اللَّهُ صَلاَةَ حَائِضٍ إِلاَّ بِخِمَارٍ[٣] »**[٤]، قال الخطّابي" يريد بالحائض المرأة التي قد بلغت سن المحيض، ولم يُرِد به المرأة التي هي في أيام حيضها، فإنّ الحائض لا تصلي بوجه"[٥].

ومما يرد في هذا المقام حبُّ اللباس الجميل وهو من الأُمور التي يحبها الناس، **فَعَنْ عَبْدِاللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:« لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِى قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ».**

---

(١) "البَزّ : الثيابُ أو مَتاعُ البيتِ من الثيابِ ونحوها" الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص٦٤٧

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٤٠٥/٣.

(٣) " الخمار: ما يُتخمر به من ستر رأس"، شمس الحق العظيم آبادي، عون المعبود، ٢٤٣/٢.

(٤) أبو داود، السنن، كتاب: الصلاة، باب الْمَرْأَةِ تُصَلِّى بِغَيْرِ خِمَارٍ، رقم٦٤١. قال الألباني:" صحيح".

(٥) الخطّابي، معالم السنن، ١٨٠/١.

قَالَ رَجُلٌ إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً. قَالَﷺ « إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ[1]»[2].

ومما يستفاد من ذلك أنَّ على المسلم أن يستعد للعمل باللباس الذي يناسبه، ويجتهد أن يكون على أحسن هيئة، وأجمل صورة، وعلى المصلي أن يجتنب اللباس الذي فيه صور وزخارف تُشغل المصلي، وذلك مما يُعين على الخشوع؛ فقد لبس النبيﷺ لباساً فيه أعلام، فقال ﷺ:" فَإِنَّهَا أَلْهَتْنِي آنِفًا عَنْ صَلاَتِي"[3]، فإذا كان النبيﷺ وهو أعظم الناس خشوعاً خاف على صلاته مما يُشغل ويلهي فعلى المسلم أن يكون أشد خوفاً، قال الحافظ ابن حجر:" ويستنبط منه كراهية كل ما يشغل عن الصلاة من الأصباغ والنقوش ونحوها"[4].

ومما ينبغي أن يُدركه العلماء والمربون والإداريون في تعليمهم وتوجيههم للأُمة نحو الانضباط بأي عمل، هو الاجتهاد في إزالة العوائق والمُشغِلات عن حُسن الأداء، والسعي لتركيز الفكر بالقضايا المهمة، لأنّ ذلك مما يُعين على الإبداع والإتقان، وحُسن الإنجاز للأعمال.

ثانياً: الطهارة وأثرها

وهي شرط من شروط صحة الصلاة، وتتحقق بالوضوء أو الاغتسال أو التيمم، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:" لاَ يَقْبَلُ اللَّهُ صَلاَةَ أَحَدِكُمْ إِذَا أَحْدَثَ حَتَّى يَتَوَضَّأَ"[5].

إنَّ كمال الانضباط يقتضي أن يكون الاستعداد للصلاة بأداء الوضوء على النحو الذي فعله النبيﷺ وهي أفضل صورة ممكنة، وتؤدَّى بيسر وسهولة، وفي الالتزام بالأداء بهذه الكيفية

---

(1) قال الإمام النووي :"بطر الحق: دفعه وإنكاره ترفعاً وتجبراً، وغمط الناس: احتقارهم" النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم، ٩٠/٢. باختصار

(2) رواه مسلم، الصحيح، كتاب: الإيمان، باب تَحْرِيمِ الْكِبْرِ وَبَيَانِهِ، رقم١٤٧.

(3) متفق عليه: البخاري، الصحيح، كتاب: الصلاة، باب: إِذَا صَلَّى فِي ثَوْبٍ لَهُ أَعْلاَمٌ وَنَظَرَ إِلَى عَلَمِهَا، رقم٣٧٣، ومسلم، كتاب: المساجد، باب: إِذَا صَلَّى فِي ثَوْبٍ لَهُ أَعْلاَمٌ وَنَظَرَ إِلَى عَلَمِهَا، رقم٥٥٦.

(4) ابن حجر، فتح الباري، ٤٨٣/١.

(5) متفق عليه: البخاري، كتاب: الحيل، باب: في الصلاة، رقم، ٦٩٥٥، ومسلم، الصحيح، كتاب: الطهارة، باب: ، بَاب صِفَةِ الْوُضُوءِ وَكَمَالِهِ، رقم٢٢٦.

الأجر العظيم والثواب الجزيل، فعن حُمْرَانَ مَوْلَى عُثْمَانَ، أنه رَأَى عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ ﷺ دَعَا بِإِنَاءٍ فَأَفْرَغَ عَلَى كَفَّيْهِ ثَلَاثَ مِرَارٍ فَغَسَلَهُمَا ثُمَّ أَدْخَلَ يَمِينَهُ فِي الْإِنَاءِ فَمَضْمَضَ، وَاسْتَنْشَقَ ثُمَّ غَسَلَ وَجْهَهُ ثَلَاثًا وَيَدَيْهِ إِلَى الْمِرْفَقَيْنِ ثَلَاثَ مِرَارٍ ثُمَّ مَسَحَ بِرَأْسِهِ ثُمَّ غَسَلَ رِجْلَيْهِ ثَلَاثَ مِرَارٍ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ثُمَّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:" مَنْ تَوَضَّأَ نَحْوَ وُضُوئِي هَذَا ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ لَا يُحَدِّثُ فِيهِمَا نَفْسَهُ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ"(١).

ويستفاد من ذلك أنه ينبغي أن يُستعد للعمل قبل مباشرته بما له تعلُّق به، وخاصة إذا كان ذلك العمل لا يقوم إلاّ بذلك الترتيب.

المطلب الثالث: إيجاد البيئة المناسبة لحُسن الأداء

إنّ النبي ﷺ قد عمل على إيجاد البيئة المناسبة لأداء الصلاة بأفضل صورة فاهتم بالمكان فبنى مسجد قباء ثم المسجد النبوي الشريف، وقد استمر الاهتمام ببناء المساجد عبر التاريخ الإسلامي، وقد حث النبي ﷺ على بناء المساجد، ومما قاله ﷺ:"« مَنْ بَنَى مَسْجِدًا لِلَّهِ بَنَى اللَّهُ لَهُ فِى الْجَنَّةِ مِثْلَهُ »(٢). **وقد اتخذ الاهتمام بالمساجد صوراً متعددة ومن أهمها ما يأتي:**

أولاً: الحث على تهيئة المساجد

إنّ للمساجد لها دوراً كبيراً في تربية الأمة الإسلامية، ومنها انطلق الفاتحون، وتخرّج العلماء الربانيون، وتاريخياً كان أولها وفي مقدمتها المسجد الحرام، قال تعالى:﴿ وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾[البقرة:١٢٥]. وقد جاء الأمر الرباني لنبيين كريمين– عليهما الصلاة والسلام– بتهيئة البيت الأول الذي أُقيم لعبادة الله تعلى، وطاعته؛

---

(١) متفق عليه: البخاري، كتاب: الوضوء، بَابٌ: الْوُضُوءِ ثَلَاثًا ثَلَاثًا، رقم١٥٩، ومسلم، الصحيح، كتب الطهارة باب صِفَةِ الْوُضُوءِ وَكَمَالِهِ، رقم٥٦٠.

(٢) متفق عليه، البخاري، كتاب الصلاة، باب: من بنى مسجدًا، رقم٤٥٠، ومسلم، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة؟، باب: فضل بناء المساجد والحث عليه، رقم٥٣٣.

ويتحقق ذلك بتطهيره من الشرك، والنجاسة، وإبعاده عن قول الزور، وأي إيذاء، وكذلك بتنظيفه وتطيبه بأنواع الطيب، وإضاءته، وغير ذلك، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾﴾ [التوبة: ١٨]، وقد بين العلماء أنّ عمارة المساجد تشمل العمارة المادية والمعنوية: فالعمارة المادية بالبناء وإصلاح ما يحتاج إلى ذلك من الأعمدة والجدران والسقف، ومعاهدته بالتنظيف، وإصلاح ما يقع فيه الخلل. وأما البناء المعنوي- وهو الأهم-: فيتحقق بالصلاة وتلاوة القرآن الكريم والاعتكاف، ونشر العلم والدعوة، وانطلاق الدعاة والمجاهدين، وغير ذلك مما يُقدّم صورة صافية عن الإسلام العظيم[1].

لقد كان المسجد هو النّواة الأولى في بناء الدولة الإسلامية، يلتقي فيه النبيﷺ بأصحابه- رضي الله عنهم- في اليوم خمس مرات في صلاة الفريضة، بل وفي غيرها فكان يعلمهم أحكام الإسلام، ويدير شئونهم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وسائر أمورهم، فيجب على المسلمين العمل على أن يعود للمسجد دوره وآثاره في بناء الأمة.

ثانياً: الحرص على راحة المصلين في المسجد،واتخذ ذلك صوراً متعددة منها:

١- إبعاد ما له رائحة كريهة عن أهل المسجد: كالثوم والبصل، وما يشبهه من ذوات الروائح الكريهة[2]، قالﷺ: **"مَنْ أَكَلَ مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ - يَعْنِي الثُّومَ - فَلاَ يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا"**[3].

---

(١) ابن الجوزي، عبدالرحمن بن علي بن محمد، زاد المسير في علم التفسير، الناشر : المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٤، ٣/٤٠٧-٤٠٨، بتصرف.

(٢) يمكن أن يُقاس على ذلك الدخان.

(٣) متفق عليه: البخاري، الصحيح، كتاب الأذان، باب مَا جَاءَ فِي الثُّومِ النِّيِّ وَالْبَصَلِ وَالْكُرَّاثِ، رقم٨٥٣، ومسلم، الصحيح، كتاب المساجد، باب: من أكل ثوماً أو بصلاً، رقم٥٦١.

٢- التحذير من الخصومة، ورفع الصوت، ونشد الضالة، والبيع والشراء، ونحوها من المعاملات[1]: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « مَنْ سَمِعَ رَجُلاً يَنْشُدُ ضَالَّةً فِى الْمَسْجِدِ فَلْيَقُلْ لاَ رَدَّهَا اللَّهُ عَلَيْكَ فَإِنَّ الْمَسَاجِدَ لَمْ تُبْنَ لِهَذَا »[2].

٣- التحذير من حمل السلاح أو ما يُمكن أن يُؤذي: عَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه قال النَّبِيِّ ﷺ:"إِذَا مَرَّ أَحَدُكُمْ فِي مَسْجِدِنَا، أَوْ فِي سُوقِنَا وَمَعَهُ نَبْلٌ فَلْيُمْسِكْ عَلَى نِصَالِهَا، أَوْ قَالَ فَلْيَقْبِضْ بِكَفِّهِ؛ أَنْ يُصِيبَ أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِنْهَا شَيْءٌ"[3].

٤- إكرام واحترام ومكافئة العاملين على إصلاح وتهيئة المساجد: فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَجُلاً أَسْوَدَ، أَوِ امْرَأَةً سَوْدَاءَ - كَانَ يَقُمُّ[4] الْمَسْجِدَ فَمَاتَ فَسَأَلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْهُ فَقَالُوا:" مَاتَ"، قَالَ:" أَفَلاَ كُنْتُمْ آذَنْتُمُونِي بِهِ، دُلُّونِي عَلَى قَبْرِهِ ، أَوْ قَالَ قَبْرِهَا - فَأَتَى قَبْرَهُ فَصَلَّى عَلَيْهِ"[5].

٥- الإتيان إلى المسجد بسكينة ووقار: فمن تأخّر في الحضور إلى المسجد فلا يركض، بل يمشي بسكينة ووقار؛ لأنَّ ذلك من أسباب الخشوع، فقد قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:"إِذَا نُودِىَ

---

(١) أفرد الإمام النووي، في رياض الصالحين، كتاب الأمور المنهي عنها، باب: كراهية الخصومة في المسجد، ورفع الصوت فيه، ونشد الضالة، والبيع والشراء، والإجارة، ونحوها من المعاملات، راجعه وأشرف على تحقيقه الدكتور عبد العظيم بدوي، دار ابن رجب، الطبعة الأولى١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ص٥٤٢.

(٢) رواه مسلم، الصحيح، كتاب: المساجد، باب: النَّهْىِ عَنْ نَشْدِ الضَّالَّةِ فِى الْمَسْجِدِ، وَمَا يَقُولُهُ مَنْ سَمِعَ النَّاشِدَ، رقم 568.

(٣) متفق عليه: البخاري، الصحيح، كتاب: الصلاة، باب: المرور في المسجد، رقم٤٥٢٥ ، ومسلم، الصحيح كتاب: البر والصلة والآداب، باب: أَمْرِ مَنْ مَرَّ بِسِلاَحٍ فِى مَسْجِدٍ أَوْ سُوقٍ أَوْ غَيْرِهِمَا مِنَ الْمَوَاضِعِ الْجَامِعَةِ لِلنَّاسِ أَنْ يُمْسِكَ بِنِصَالِهَا، رقم٢٦١٥.

(٤) " أي يجمع القمامة " قاله ابن حجر، فتح الباري، ٥٥٣/١، والمقصود تحقيق المحافظة على نظافة المسجد، وإظهاره بأجمل صورة.

(٥) متفق عليه، البخاري، الصحيح، كتاب الصلاة، باب: كنس المسجد والتقاط الخرق والقذى والعيدان، رقم٤٥٨ ومسلم، الصحيح، كتاب: الجنائز، باب: الصلاة على القبر، رقم٩٥٦.

بِالصَّلَاةِ فَأْتُوهَا وَأَنْتُمْ تَمْشُونَ وَعَلَيْكُمُ السَّكِينَةُ فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا وَمَا فَاتَكُمْ فَأَتِمُّوا »[١]، قال الإمام النووي:" فِيهِ : النَّدْب الْأَكِيد إِلَى إِتْيَان الصَّلَاة بِسَكِينَةٍ وَوَقَار، وَالنَّهْي عَنْ إِتْيَانهَا سَعْيًا، سَوَاء فِيهِ صَلَاة الْجُمُعَة وَغَيْرهَا، سَوَاء خَافَ فَوْت تَكْبِيرَة الْإِحْرَام أَمْ لَا. وَالْمُرَاد بِقَوْلِ اللَّه تَعَالَى :﴿ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ [الجمعة: ٩] الذَّهَاب، يُقَال سَعَيْت فِي كَذَا أَوْ إِلَى كَذَا إِذَا ذَهَبْت إِلَيْهِ ، وَعَمِلْت فِيهِ، وَمِنْهُ قَوْله تَعَالَى: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ [النجم: ٣٩] قَالَ الْعُلَمَاء: وَالْحِكْمَة فِي إِتْيَانهَا بِسَكِينَةٍ وَالنَّهْي عَنْ السَّعْي أَنَّ الذَّاهِب إِلَى صَلَاة عَامِد فِي تَحْصِيلهَا وَمُتَوَصِّل إِلَيْهَا، فَيَنْبَغِي أَنْ يَكُون مُتَأَدِّبًا بِآدَابِهَا، وَعَلَى أَكْمَل الْأَحْوَال"[٢].

ومما لا شك فيه أنَّ إيجاد البيئة التي تُعين على حُسن الأداء لا يقتصر على إيجاد المكان المناسب، وتهيئته بما يحتاج إليه فقط، بل إنّ الأمر أشمل من ذلك؛ فقد عمل النبيﷺ على إيجاد الدافع النفسي العميق؛ من خلال التوجيه المستمر بشتى الأساليب عبر سنوات الدعوة الإسلامية في المحافظة على الصلاة حتى في أشد الظروف كالجهاد في سبيل الله، أو حتى على من ابتُلي بمرض، أو فقد عضواً من جسده كفقد البصر، فعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ‏ ﷺ قَالَ:" أَتَى النَّبِىَّ ﷺ رَجُلٌ أَعْمَى فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّهُ لَيْسَ لِى قَائِدٌ يَقُودُنِى إِلَى الْمَسْجِدِ. فَسَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُرَخِّصَ لَهُ فَيُصَلِّىَ فِى بَيْتِهِ فَرَخَّصَ لَهُ، فَلَمَّا وَلَّى دَعَاهُ فَقَالَﷺ:« هَلْ تَسْمَعُ النِّدَاءَ بِالصَّلاَةِ ». فَقَالَ: نَعَمْ"، قَالَ « فَأَجِبْ »[٣].

وقد ظهر المنهج النبوي من خلال التأكيد المستمر؛ وبصوره المتعددة بالمحافظة على الصلاة، ومن ذلك الحرص العظيم على متابعة من يتخلف عن أدائها لمرض شديد، أو عذر كبير،

---

(١) متفق عليه: البخاري، الصحيح، كتاب الأذان، باب لاَ يَسْعَى إِلَى الصَّلاَةِ وَلْيَأْتِ بِالسَّكِينَةِ وَالْوَقَارِ، رقم ٦٣٦، ومسلم، الصحيح، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، اسْتِحْبَابِ إِتْيَانِ الصَّلاَةِ بِوَقَارٍ وَسَكِينَةٍ وَالنَّهْىِ عَنْ إِتْيَانِهَا سَعْيًا، رقم ٦٠٢.

(٢) النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ٥/١٠١.

(٣) رواه مسلم، الصحيح، كتاب المساجد، باب: يَجِبُ إِتْيَانُ الْمَسْجِدِ عَلَى مَنْ سَمِعَ النِّدَاءَ، رقم٦٥٣.

حتى وصف ابن مسعود رضي الله عنه انضباط المجتمع الإسلامي بأدائها في المسجد فقال:" مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَلْقَى اللَّهَ غَدًا مُسْلِمًا فَلْيُحَافِظْ عَلَى هَؤُلاَءِ الصَّلَوَاتِ حَيْثُ يُنَادَى بِهِنَّ فَإِنَّ اللَّهَ شَرَعَ لِنَبِيِّكُمْ ﷺ سُنَنَ الْهُدَى، وَإِنَّهُنَّ مِنْ سُنَنِ الْهُدَى، وَلَوْ أَنَّكُمْ صَلَّيْتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ كَمَا يُصَلِّى هَذَا الْمُتَخَلِّفُ فِى بَيْتِهِ لَتَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ، وَلَوْ تَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ لَضَلَلْتُمْ، وَمَا مِنْ رَجُلٍ يَتَطَهَّرُ فَيُحْسِنُ الطُّهُورَ، ثُمَّ يَعْمِدُ إِلَى مَسْجِدٍ مِنْ هَذِهِ الْمَسَاجِدِ إِلاَّ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِكُلِّ خَطْوَةٍ يَخْطُوهَا حَسَنَةً وَيَرْفَعُهُ بِهَا دَرَجَةً وَيَحُطُّ عَنْهُ بِهَا سَيِّئَةً وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا إِلاَّ مُنَافِقٌ مَعْلُومُ النِّفَاقِ وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يُؤْتَى بِهِ يُهَادَى بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ حَتَّى يُقَامَ فِى الصَّفِّ"[1].

إنَّ كلام هذا الصحابي رضي الله عنه يدل على الأثر العظيم لتوجيهات النبي ﷺ بالمحافظة على الصلاة، وكبير أثرها في حياة الصحابة-رضي الله عنهم-.

٦- التخلُّص من المشْغلات عن حسن الأداء

إنَّ مراعاة أوضاع العاملين، وتقدير ما يحتاجون إليه، من أعظم ما يُعين على حسن الأداء، وهو من عوامل تهيئة البيئة الملائمة للانضباط، فمن كان به جوع ويشتهي الطعام، وقد حضر وقت صلاة العِشاء، فليأكل ما يسُد حاجته، ثم يدرك الصلاة، وكذلك إذا كان صائماً فليفطر على تمرات، ثم يُصلي المغرب فعن أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:« إِذَا قُرِّبَ الْعَشَاءُ، وَحَضَرَتِ الصَّلاَةُ، فَابْدَءُوا بِهِ قَبْلَ أَنْ تُصَلُّوا صَلاَةَ الْمَغْرِبِ، وَلاَ تَعْجَلُوا عَنْ عَشَائِكُمْ »[2] وعن عائشة-رضي الله عنها-قالت: إِنِّى سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:« لاَ صَلاَةَ بِحَضْرَةِ الطَّعَامِ وَلاَ

---

(1) رواه مسلم، الصحيح، كتاب: المساجد، باب: صَلاَةُ الْجَمَاعَةِ مِنْ سُنَنِ الْهُدَى، رقم ٦٥٤.

(2) متفق عليه: البخاري، الصحيح، كتاب الأذان، إذا حضر الطعام وأُقيمت الصلاة، رقم٦٧٢، ومسلم، الصحيح، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب كَرَاهَةِ الصَّلاَةِ بِحَضْرَةِ الطَّعَامِ الَّذِى يُرِيدُ أَكْلَهُ فِى الْحَالِ وَكَرَاهَةِ الصَّلاَةِ مَعَ مُدَافَعَةِ الأَخْبَثَيْنِ، رقم ٥٥٧.

وَهُوَ يُدَافِعُهُ الأَخْبَثَانِ »[1].وعَنِ ابْنِ عُمَرَ-رضي الله عنهما- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:« إِذَا وُضِعَ عَشَاءُ أَحَدِكُمْ، وَأُقِيمَتِ الصَّلاَةُ فَابْدَءُوا بِالْعَشَاءِ وَلاَ يَعْجَلَنَّ حَتَّى يَفْرُغَ مِنْهُ »[2].

قال الإمام البخاري-رحمه الله-:" وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ-رضي الله عنهما- يَبْدَأُ بِالْعَشَاءِ" و" وَكَانَ يُوضَعُ لَهُ الطَّعَامُ وَتُقَامُ الصَّلاَةُ فَلاَ يَأْتِيهَا حَتَّى يَفْرُغَ وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ قِرَاءَةَ الإِمَامِ"، وَقَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ مِنْ فِقْهِ الْمَرْءِ إِقْبَالُهُ عَلَى حَاجَتِهِ حَتَّى يُقْبِلَ عَلَى صَلاَتِهِ وَقَلْبُهُ فَارِغٌ"[3].

قال الإمام النووي:" في هذه الأحاديث كراهة الصلاة بحضرة الطعام الذي يريد أكله؛ لما فيه من اشتغال القلب به، وذهاب كمال الخشوع، وكراهتها مع مدافعة الأخبثين: وهما البول والغائط، ويلحق بهذا ما كان في معناه مما يشغل القلب، ويذهب كمال الخشوع"[4].

وهذا يقتضي الاهتمام بالعاملين بالتخفيف عنهم، وتقدير أوضاعهم، ومراعاة حاجاتهم، وإزالة المشغلات عن حُسن الأداء، لتحقيق أكبر درجات الانضباط.

المطلب الرابع: تحقيق مظاهر الانضباط في أداء الصلاة

إنَّ التوجيهات المستمرة والحكيمة قد أثرت بشكل واضح على أداء الصحابة-رضي الله عنهم- للصلاة، وقد جاء ذلك نتيجة أوامر متعددة، وتوجيهات مهمة، واتخذ الانضباط في الصلاة صوراً متعددة فيما يأتي أهمها:

---

(1) متفق عليه: البخاري، الصحيح، كتاب: الأذان، باب: إذا حضر الطعام، وأُقيمت الصلاة، رقم٦٧١، ومسلم، الصحيح، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب كَرَاهَةِ الصَّلاَةِ بِحَضْرَةِ الطَّعَامِ الَّذِى يُرِيدُ أَكْلَهُ فِى الْحَالِ وَكَرَاهَةِ الصَّلاَةِ مَعَ مُدَافَعَةِ الأَخْبَثَيْنِ، رقم٥٦٠.

(2) متفق عليه: البخاري، الصحيح، كتاب الأذان، إذا حضر الطعام وأُقيمت الصلاة، رقم٦٧٤، ومسلم، الصحيح، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب كَرَاهَةِ الصَّلاَةِ بِحَضْرَةِ الطَّعَامِ الَّذِى يُرِيدُ أَكْلَهُ فِى الْحَالِ وَكَرَاهَةِ الصَّلاَةِ مَعَ مُدَافَعَةِ الأَخْبَثَيْنِ، رقم٥٥٩.

(3) ذكره البخاري، الصحيح ، كتاب الأذان، إذا حضر الطعام وأُقيمت الصلاة، والأثر الثاني عن ابن عمر تابع للمرفوع رقم٦٧٣، ذكر ذلك ابن حجر، فتح الباري، ٢٧٩/٢.

(4) النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ٤٨/٥.

١- **الأصل العام هو الاقتداء بأمر رسول الله ﷺ وفعله، فقد أمرﷺ بالاقتداء به بالتزام الكيفية التي يؤدي فيها الصلاة، فقالﷺ "صلوا كما رأيتموني أصلي"[١]**، والانضباط بـأمره فـي توجيهه لمن صلّى فلم يُحسن الأداء، ولم ينضبط بالكيفية المطلوبة، فعلّمه النبي ﷺ الكيفيـة الصحيحة، **فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَدَخَلَ رَجُلٌ فَـصَلَّى فَـسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَرَدَّ وَقَالَﷺ:" ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ"، فَرَجَعَ يُصَلِّي كَمَا صَلَّى،ثُمَّ جَـاءَ، فَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ:" ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ ثَلاثًا" فَقَالَ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِـالْحَقِّ مَـا أُحْسِنُ غَيْرَهُ، فَعَلِّمْنِي، فَقَالَ:" إِذَا قُمْتَ إِلَى الصَّلاَةِ، فَكَبِّرْ، ثُمَّ اقْرَأْ مَا تَيَسَّرَ مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ، ثُمَّ ارْكَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ رَاكِعًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَعْتَدِلَ قَائِمًا، ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ سَاجِدًا، ثُـمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ جَالِسًا، وَافْعَلْ ذَلِكَ فِي صَلاَتِكَ كُلِّهَا"[٢]**، وهذا يؤكد أنَّ تكرار الفعل مـن أهم ما يُعين على الانضباط، وخاصة مع وجود المربي والموجه المتقن.

٢- التحذير من الحركات والأعمال التي تمنع أو تُضعف حُسن الأداء

فقد جاءت الأحاديث تؤكد على أنّ المسلم يُناجي ربه في صلاته، وأنه ممنوع عليه الكلام، والحركات التي لا صلة بالصلاة، وقد تدرج النبي ﷺ في تحقيق الانضباط بذلك، تنفـذاً لأمـر الله تَعَالَى:﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ ﴾ [البقرة:٢٣٨]، قال الإمام ابن كثير:" يأمر الله تعالى بالمحافظة على الصلوات في أوقاتها، وحفظ حدودها"[٣]، **ومن ذلك ما يأتي:**

---

(١) متفق عليه: البخاري، الصحيح، كتاب الأذان، باب: الأذان للمسافر إذا كانوا جماعة والإقامة وكـذلك بعرفـة وجمع وقول المؤذن الصلاة في الرحال في الليلة الباردة أو المطيرة، رقـم ٦٣١، و روى مـسلم أصـله، الصحيح، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب: من أحق بالإمامة رقم٦٧٤.

(٢) متفق عليه: البخاري، الصحيح، كتاب: الأذان، باب: باب أَمْرِ النَّبِيِّ ﷺ الَّذِي لاَ يُتِمُّ رُكُوعَهُ بِالإِعَادَةِ، رقم٧٩٣. ومسلم، الصحيح، كتاب: الصلاة، باب: وُجُوبِ قِرَاءَةِ الْفَاتِحَةِ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ وَإِنَّهُ إِذَا لَمْ يُحْسِنِ الْفَاتِحَـةَ وَلاَ أَمْكَنَهُ تَعَلُّمُهَا قَرَأَ مَا تَيَسَّرَ لَهُ مِنْ غَيْرِهَا، رقم٣٦٧.

(٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ١/٦٤٥.

أ- المنع من الكلام أثناء الصلاة: عن عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود ﷺ قَالَ كُنَّا نُسَلِّمُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ فِى الصَّلاَةِ فَيَرُدُّ عَلَيْنَا فَلَمَّا رَجَعْنَا مِنْ عِنْدِ النَّجَاشِى سَلَّمْنَا عَلَيْهِ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْنَا فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، كُنَّا نُسَلِّمُ عَلَيْكَ فِى الصَّلاَةِ فَتَرُدُّ عَلَيْنَا. فَقَالَ ﷺ: « إِنَّ فِى الصَّلاَةِ شُغْلاً »[1]، وعن عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ ﷺ قَالَ:" كُنَّا نَتَكَلَّمُ فِى الصَّلاَةِ يُكَلِّمُ الرَّجُلُ صَاحِبَهُ وَهُوَ إِلَى جَنْبِهِ فِى الصَّلاَةِ حَتَّى نَزَلَتْ ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [البقرة:٢٣٨]، فَأُمِرْنَا بِالسُّكُوتِ وَنُهِينَا عَنِ الْكَلاَمِ"[2].

قال الإمام النووي:" إِنَّ الْمُصَلِّي وَظِيفَته أَنْ يَشْتَغِل بِصَلَاتِهِ فَيَتَدَبَّر مَا يَقُولهُ، وَلَا يُعَرِّج عَلَى غَيْرهَا، فَلَا يَرُدّ سَلَامًا وَلَا غَيْره، وفِيهِ دَلِيل عَلَى تَحْرِيم جَمِيع أَنْوَاع كَلَام الْآدَمِيِّينَ، وَأَجْمَعَ الْعُلَمَاء عَلَى أَنَّ الْكَلَام فِيهَا عَامِدًا عَالِمًا بِتَحْرِيمِهِ بِغَيْرِ مَصْلَحَتهَا وَبِغَيْرِ إِنْقَاذهَا وَشِبْهه مُبْطِل لِلصَّلَاةِ "[3].

وهذا يدل على أنَّ من مقتضيات الانضباط أنّه ينبغي للعامل أن يشتغل بعمله المطلوب منه، ويقبل عليه بعقله وجهده ولا يشتغل بما يبعده عن الإتقان والتميز والإبداع.

وقد أثّر الانضباط بالصلاة على قسيس نصراني فأسلم؛ وكان ذلك -بعد فضل الله تعالى- نتيجة الانضباط بعدم الكلام، فقد التقى معه الشيخ محمد حسّان وأورد قصته فقال:" التقيت برئيس جمعية شرطة المسلمين في أمريكا، وهو ضابط أمريكي الأصل، فقلت له: كيف أسلمت؟، وتعجبت كثيراً حينما قال لي: بأنه كان قسيساً متعصباً للنصرانية، يقول: لقد قرأت القرآن- أي الترجمة - وقرأت عدداً لا بأس به من أحاديث صحيح البخاري، وقد ذهبت يوماً لزميل لي وهو

---

(1) متفق عليه: البخاري، الصحيح، كتاب: العمل في الصلاة، باب:تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من إباحته، رقم١١٩٩، ومسلم، الصحيح، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: تَحْرِيمِ الْكَلاَمِ فِى الصَّلاَةِ وَنَسْخِ مَا كَانَ مِنْ إِبَاحَتِهِ، رقم٥٣٨. رجّح ابن حجر أنّ عودة عبد الله بن مسعود-رضي الله عنه- من الحبشة كانت قبل معركة بدر" فتح الباري، ١١١/٣.

(2) متفق عليه: البخاري، الصحيح، كتاب: العمل في الصلاة، باب: تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من إباحته، رقم١٢٠٠، ومسلم، الصحيح، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة ، باب: تَحْرِيمِ الْكَلاَمِ فِى الصَّلاَةِ وَنَسْخِ مَا كَانَ مِنْ إِبَاحَتِهِ، رقم٥٣٩.

(3) النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم، ٢/-٢٩٩-٣٠٠.باختصار

أمريكي مسلم، فقالوا: إنّه بالمسجد، فدخلت المسجد لأُنادي عليه، فسمعت الأذان وأنا بباب المسجد، يقول: لقد هزّت كلمات الأذان أعماقي، وشعرت بتغيير كبير داخلي، لا أستطيع أن أعبّر لك عنه لأنني ما تذوقت طعمه قبل أن أستمع إلى هذه الكلمات، ثم نظرت إلى المسلمين وهم يُصلون، يقومون معاً ويسجدون معاً، وأنا أُنادي على زميلي فلا يرد عليّ، فلمّا فرغ من الصلاة قلت له: أنا رئيسك في العمل، وأُنادي عليك فلم لا تُجيبني؟! قال: أنا في صلاة بين يدي ربي جل وعلا لا أُجيب إلاّ هو، فأحسست بسلام عميق في صدري لهذا الدين، فقلت لزميلي: ماذا تصنعون إن أردتم أن تدخلوا الإسلام؟! فأمرني بالاغتسال[1]، فاغتسلت، وخرجت إلى صحن المسجد، فشهدت أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله"[2].

وقد يظهر من بعض المصلين تقصير في الانضباط نتيجة خطأ أو عدم علم بحكم، أو غيره؛ فينبغي أن يُحسن في تصحيح ذلك الخطأ، بل ويترفق به، **فعَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ ﷺ قَالَ: بَيْنَا أَنَا أُصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنْ الْقَوْمِ، فَقُلْتُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ، فَرَمَانِي الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ، فَقُلْتُ وَا ثُكْلَ أُمِّيَاهْ[3] مَا شَأْنُكُمْ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ، فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بِأَيْدِيهِمْ عَلَى**

([1]) حبذا لو أمره بالشهادتين أولاً، ثم الاغتسال.

([2]) حسان، محمد، خطب الشيخ محمد حسان، دار ابن رجب، الطبعة الأولى١٤٢٦/٢٠٠٥م، مصر- المنصورة، ٨٤/٤.

([3]) قال الإمام النووي: قوله:" وَاثُكْل أُمِّيَاهُ": الثُّكْل؛ وَهُوَ فِقْدَان الْمَرْأَة وَلَدهَا، قَوْله:" فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بِأَيْدِيهِمْ عَلَى أَفْخَاذهمْ" يَعْنِي فَعَلُوا هَذَا لِيُسْكِتُوهُ ، وَهَذَا مَحْمُول عَلَى أَنَّهُ كَانَ قَبْل أَنْ يُشْرَع التَّسْبِيح لِمَنْ نَابَهُ شَيْء فِي صَلَاته. قَوْله :" فَوَاَللَّهِ مَا كَهَرَنِي": أَيْ مَا اِنْتَهَرَنِي.قَوْله ﷺ:" إِنَّ هَذِهِ الصَّلَاة لَا يَصْلُح فِيهَا شَيْء مِنْ كَلَام النَّاس، إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيح وَالتَّكْبِير وَقِرَاءَة الْقُرْآن" فِيهِ : تَحْرِيم الْكَلَام فِي الصَّلَاة، سَوَاء كَانَ لِحَاجَةٍ أَوْ غَيْرهَا، وَسَوَاء كَانَ لِمَصْلَحَةِ الصَّلَاة أَوْ غَيْرهَا، أَمَّا النَّاسِي فَلَا تَبْطُل صَلَاته بِالْكَلَامِ الْقَلِيل عِنْدنَا، لِحَدِيثِ مُعَاوِيَة بْن الْحَكَم ﷺ هَذَا ، الَّذِي نَحْنُ فِيهِ ؛ لِأَنَّ النَّبِيّ ﷺ لَمْ يَأْمُرهُ بِإِعَادَةِ الصَّلَاة، لَكِنْ عَلَّمَهُ تَحْرِيم الْكَلَام فِيمَا يُسْتَقْبَل. وَأَمَّا قَوْله ﷺ:"إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيح وَالتَّكْبِير وَقِرَاءَة الْقُرْآن" فَمَعْنَاهُ: هَذَا وَنَحْوه ، فَإِنَّ التَّشَهُّد وَالدُّعَاء وَالتَّسْلِيم مِنْ الصَّلَاة وَغَيْر ذَلِكَ مِنْ الْأَذْكَار مَشْرُوع فِيهَا، فَمَعْنَاهُ: لَا يَصْلُح فِيهَا شَيْء مِنْ كَلَام النَّاس وَمُخَاطَبَاتهمْ ، وَإِنَّمَا هِيَ التَّسْبِيح وَمَا فِي مَعْنَاهُ مِنْ الذِّكْر وَالدُّعَاء وَأَشْبَاههمَا مِمَّا وَرَدَ بِهِ الشَّرْع . قَوْله :"إِنِّي حَدِيث عَهْد بِجَاهِلِيَّةٍ"، قَالَ الْعُلَمَاء: الْجَاهِلِيَّة مَا قَبْل وُرُود الشَّرْع، سُمُّوا جَاهِلِيَّة لِكَثْرَةِ جَهَالَاتهمْ وَفُحْشهمْ"، النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم، ٢٩٨/٢، باختصار.

أفخاذهم، فلمّا رأيتهم يصمّتونني لكنّي سكتُّ فلمّا صلّى رسولُ اللَّه ﷺ فبأبي هُوَ وأمّي ما رأيتُ مُعلّمًا قبلَهُ ولَا بعْدَهُ أحسَنَ تعْليمًا منهُ؛ فواللَّهِ ما كهرَني، ولَا ضَرَبَني ولَا شتَمَني قالَ:" إنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ لَا يَصلُحُ فيهَا شَيْءٌ منْ كَلَامِ النَّاسِ؛ إنَّمَا هُوَ التَّسبيحُ والتَّكبيرُ وقراءةُ القُرآنِ"[1]، قال الإمام النووي:" قوله:"فبأبي هُوَ وأُمِّي مَا رَأيت مُعلّمًا قَبْله ولَا بَعْده أحْسَن تَعْليمًا مِنْهُ"، فيه: بَيَان مَا كَانَ عَلَيْهِ رَسُول اللَّه ﷺ مِنْ عَظِيم الْخُلُق الَّذِي شَهِدَ اللَّه تَعَالَى لَهُ بِهِ، وَرِفْقه بِالْجَاهِلِ، وَرَأْفته بِأُمَّتِهِ، وَشَفَقَته عَلَيْهِمْ. وَفِيهِ التَّخَلُّق بِخُلُقِهِ ﷺ فِي الرِّفْق بِالْجَاهِلِ، وَحُسْن تَعْلِيمه وَاللُّطْف بِهِ، وَتَقْرِيب الصَّوَاب إِلَى فهمه"[2]، بل إنَّ الرفق منهج عام في هدي النبيﷺ في تعليمه وتربيته، فعن عَائشةَ ﷺ قالت: قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ :" إنَّ اللهَ يُحبُّ الرِّفْقَ فِي الْأمْرِ كُلِّه"[3]

ومما ينبغي التنبيه عليه أنَّ على المسلم أن ينضبط بالعمل المطلوب منه: فوقت التدريس للتدريس، ووقت العمل للعمل، ووقت الأسرة لها، ووقت الترفيه للترفيه المباح، وهكذا في كل عمل، فعَنْ أبي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنِ النَّبيِّ ﷺ قال:" طُوبَى[4] لِعَبْدٍ آخِذٍ بِعِنَانِ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، إنْ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ، وَإِنْ كَانَ فِي السَّاقَةِ كَانَ فِي السَّاقَةِ"[5] قال الحافظ ابن حجر:" قوله "إن كان في الحراسة كان في الحراسة، وإن كان في الساقة كان في الساقة" هذا من المواضع التي اتحد فيها الشرط والجزاء لفظا، لكنَّ المعنى مختلف، والتقدير إن كان المهم في

---

(1) مسلم، الصحيح، كِتَاب الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةِ، بَاب: تَحْرِيمِ الْكَلَامِ فِي الصَّلَاةِ وَنَسْخِ مَا كَانَ مِنْ إِبَاحَتِهِ، رقم٥٣٧.

(2) النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم، ٢٩٨/٢.

(3) متفق عليه: البخاري، الصحيح، كِتَاب: الْأَدَبِ، بَابُ: الرِّفْقِ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ، رقم٦٠٢٤، ومسلم، الصحيح، كتاب: السلام، باب: النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام وكيف يُرد عليهم، رقم٢١٦٥.ت

(4) قال البخاري:" طُوبَى فُعْلَى مِنْ كُلِّ شَيْءٍ طَيِّبٍ، وَهْيَ يَاءٌ حُوِّلَتْ إِلَى الْوَاوِ وَهْيَ مِنْ يَطِيبُ"، في الصحيح، كتاب الجهاد والسير، باب الْحِرَاسَةِ فِي الْغَزْوِ فِي سَبِيلِ اللهِ، رقم٢٨٨٧. قال ابن حجر" المراد الدعاء له بالجنة؛ لأن طوبى أشهر شجرها، وأطيبه فدعا له أن ينالها، ودخول الجنة ملزوم نيلها" فتح الباري، ٨٣/٦.

(5) رواه البخاري، الصحيح، كتاب الجهاد والسير باب: الْحِرَاسَةِ فِي الْغَزْوِ فِي سَبِيلِ اللهِ، رقم٢٨٨٧، قال النووي "السَّاقَة: وَهُمْ الَّذِينَ يَكُونُونَ آخِر الْعَسْكَر" النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم، ٢٣٦/٦.

الحراسة كان فيها، وقيل معنى "فهو في الحراسة" أي فهو في ثواب الحراسة، وقيل:" هو للتعظيم؛ أي إن كان في الحراسة فهو في أمر عظيم، والمراد منه لازمه أي فعليه أن يأتي بلوازمه ويكون مشتغلا بخويصة عمله"[1]. والمقصود أنّ المنضبط بعمل ينبغي أن يأتي بلوازم ذلك العمل، ويوجه اهتمامه وجهده إلى إتقانه والإتيان به على أفضل صورة وأحسن صورة ممكنة.

ب- **المنع من الأعمال والحركات التي تتنافى مع الخشوع:** كمسح مكان السجود أكثر من مرة سواء كان من الحصى أو التراب أو السجاد أو غيره، **عَنْ مُعَيْقِيبٍ ﷺ قَالَ ذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ الْمَسْحَ فِى الْمَسْجِدِ – يَعْنِى الْحَصَى – قَالَ « إِنْ كُنْتَ لاَ بُدَّ فَاعِلاً فَوَاحِدَةً »**[2]، وعنه ﷺ **أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ فِى الرَّجُلِ يُسَوِّى التُّرَابَ حَيْثُ يَسْجُدُ قَالَ ﷺ:« إِنْ كُنْتَ فَاعِلاً فَوَاحِدَةً »**[3]، قال الإمام النووي:" مَعْنَاهُ : لَا تَفْعَلْ، وَإِنْ فَعَلْت فَافْعَلْ وَاحِدَة لَا تَزِدْ، وَهَذَا نَهْي كَرَاهَة تَنْزِيه، وَاتَّفَقَ الْعُلَمَاء عَلَى كَرَاهَة الْمَسْح؛ لِأَنَّهُ يُنَافِي التَّوَاضُع، وَلِأَنَّهُ يَشْغَل الْمُصَلِّي"[4]، وهذا لا يتنافى مع تجهيز المكان قبل البدء بالصلاة، بل من مقتضيات الانضباط تهيئة المكان لحُسن أداء الأعمال بصورة عامة، قال الإمام الحافظ ابن حجر-رحمه الله تعالى-:" قوله:" إذا قام": المراد به الدخول في الصلاة ليوافق حديث الباب[5] فلا يكون منهياً عن المسح قبل الدخول فيها، بل الأولى أن يفعل ذلك حتى لا يشتغل باله وهو في الصلاة به، والتقييد بالحصى

---

(1) ابن حجر، فتح الباري، ٨٣/٦.

(2) متفق عليه: البخاري، الصحيح، كتاب: العمل في الصلاة، باب: مسح الحصَى في الصلاة، رقم١٢٠٧ومسلم، الصحيح، كتاب: المساجد، ومواضع الصلاة، باب: كَرَاهَةِ مَسْحِ الْحَصَى وَتَسْوِيَةِ التُّرَابِ فِى الصَّلاَةِ، رقم٥٤٦.

(3) رواه مسلم، الصحيح، كتاب: المساجد، ومواضع الصلاة، باب: كَرَاهَةِ مَسْحِ الْحَصَى وَتَسْوِيَةِ التُّرَابِ فِى الصَّلاَةِ، بعد رقم٥٤٦.

(4) النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم، ٣١١/٢.

(5) الحديث السابق هو المُشار إليه هو السابق في: البخاري، الصحيح، كتاب: العمل في الصلاة، باب: مسح الحصَى في الصلاة، رقم١٢٠٧.

وبالتراب خرج للغالب لكونه كان الموجود في فرش المساجد إذ ذاك، فلا يدل تعليق الحكم به على نفيه عن غيره مما يصلي عليه من الرمل، وغير ذلك "[1]، من السجاد، والموكيت.

وكذلك جاء التحذير من الالتفات أثناء الصلاة، فعن عَائِشَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- قالت: **سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ: عَنِ الِالْتِفَاتِ الرَّجُلِ فِي الصَّلَاةِ فَقَالَ ﷺ: هُوَ اخْتِلَاسٌ يَخْتَلِسُ الشَّيْطَانُ مِنْ صَلَاةِ أَحَدِكُم**"[2]، فالانضباط بالصلاة يقتضي عدم الالتفات يميناً أو يساراً؛ والاجتهاد بتحقيق الإقبال الكامل على الفعل، والتعظيم لله تعالى، فإذا كان المسلم يحرص على ماله أن لا يُسرق منه شيء، فينبغي أن يكون على صلاته أشدّ حرصاً أن لا يسرق الشيطان منها شيئاً، ومما يلفت الانتباه أنّ الانضباط بأداء التحية العسكرية يُمنع فيها الالتفات فكيف بالصلاة؟!.

وقد حذّر النبي ﷺ من رفع البصر إلى السماء أثناء الصلاة: فقد روى أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ:"مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَرْفَعُونَ أَبْصَارَهُمْ إِلَى السَّمَاءِ فِي صَلَاتِهِمْ"، فَاشْتَدَّ قَوْلُهُ فِي ذَلِكَ حَتَّى قَالَ ﷺ:" لَيَنْتَهُنَّ عَنْ ذَلِكَ، أَوْ لَتُخْطَفَنَّ أَبْصَارُهُمْ"[3]، فانضباط القلب بالصلاة يقتضي انضباط الجوارح، فلا رفع للأبصار، بل خشوع ونظر إلى موضع السجود، واشتغال بأعمال الصلاة.

ج- **التحذير من فعل ما يُستقذر فعله كالبصاق والتنخم:** وقد عدّ النبيُّ ﷺ هذا الفعل من المساوئ، **فَعَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:«عُرِضَتْ عَلَيَّ أَعْمَالُ أُمَّتِي حَسَنُهَا وَسَيِّئُهَا، فَوَجَدْتُ فِي مَحَاسِنِ أَعْمَالِهَا الأَذَى يُمَاطُ عَنِ الطَّرِيقِ، وَوَجَدْتُ فِي مَسَاوِي أَعْمَالِهَا النُّخَاعَةَ تَكُونُ فِي الْمَسْجِدِ لاَ تُدْفَنُ»**[4]، وهذا الدفن بصورته السابقة كان مقبولاً لمّا كانت أرض المسجد من

---

(1) ابن حجر، فتح الباري، ٣/٧٩.

(2) رواه البخاري، الصحيح، كتاب: بدء الخلق، باب صِفَةِ إِبْلِيسَ وَجُنُودِهِ، رقم٣٢٩١.

(3) متفق عليه: البخاري، الصحيح، كتاب: الأذان، باب: رفع البصر إلى السماء في الصلاة، رقم٧٥٠، ومسلم، الصحيح، كتاب: الصلاة، باب: النهي عن رفع البصر إلى السماء في الصلاة، بلفظ :"أَوْ لاَ تَرْجِعُ إِلَيْهِم"رقم٤٢٨.

(4) رواه مسلم، الصحيح، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: النَّهْيِ عَنِ الْبُصَاقِ فِي الْمَسْجِدِ فِي الصَّلاَةِ وَغَيْرِهَا.

الحصى بحيث لا يبقى لها أيُ أثر، أما الآن فمع وجود السجاد والموكيت، فالصورة الراقية للفهم تقتضي استخدام المناديل الورقية، والمنظفات، في المساجد وفي أماكن التجمعات، وينبغي على المسلم أن يكون مستعداً للعطاس وغيره، فإذا كان يُميط الأذى عن الطريق فمن الأولى أنّه لا يسوقه أو يسببه للغير، فكيف إذا كان في صلاة أو في المسجد؟!.

ومن مظاهر الانضباط في صلاة الجماعة ما يأتي:

أ- الحرص على تسوية الصفوف وتراصها: عَنْ أَبِى مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ:" كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَمْسَحُ مَنَاكِبَنَا فِى الصَّلاَةِ"، وَيَقُولُ ﷺ:" اسْتَوُوا وَلاَ تَخْتَلِفُوا فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ، لِيَلِنِى مِنْكُمْ أُولُو الأَحْلاَمِ وَالنُّهَى، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ». قَالَ أَبُو مَسْعُودٍ فَأَنْتُمُ الْيَوْمَ أَشَدُّ اخْتِلاَفًا"[1]، قال الإمام القرطبي-رحمه الله تعالى-:" أُولُو الأَحْلاَمِ والنُّهى بمعنى واحد؛ وهي: العقول؛ لأنه ينهى صاحبه عن الرذائل، وإنما خصَّ ﷺ هذا النوع بالتقدُّم؛ لأنه الذي يتأتى منهم التبليغ، وأن يستخلف منهم إن احتاج إليهم، وفي التنبيه على سهو إن طرأ، ولأنَّهم أحق بالتقديم ممن سواهم؛ لفضيلة العلم والعقل"[2]. وهذا يدل أنّ من الوسائل التي تُعين على الانضباط تقديم القدوات وهم الفئة المتميزة بدقة الانضباط ليتأثر ويقتدي بهم من هو دونهم في ذلك، إضافة إلى التكريم والتقديم والرفعة في المرتبة لأهل التميز والإتقان في سائر الأعمال.

وقد حرص النبي ﷺ على تسوية الصفوف، وحذّر من مخالفة النظام في كيفية الصف في الصلاة، وقد وصف ذلك **النُّعْمَانُ بنُ بَشِيرٍ-رضي الله عنهما- فقَالَ : كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُسَوِّي**

---

(1) رواه مسلم، الصحيح، كتاب: الصلاة، باب: تَسْوِيَةِ الصُّفُوفِ وَإِقَامَتِهَا وَفَضْلِ الأَوَّلِ فَالأَوَّلِ مِنْهَا وَالازْدِحَامِ عَلَى الصَّفِّ الأَوَّلِ وَالْمُسَابَقَةِ إِلَيْهَا وَتَقْدِيمِ أُولِى الْفَضْلِ وَتَقْرِيبِهِمْ مِنَ الإِمَامِ، رقم٤٣٢.

(2) القرطبيُّ، الأنصاريُّ، أبو العبَّاس، أحمَدُ بنُ الشيخِ المرحومِ الفقيهِ أبي حَفْصٍ عُمَرَ بنِ إبراهيمَ الحافظ- رحمه الله وغَفَر له-، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، كتاب: الصلاة، ومن باب الأمر بتسوية الصفوف، رقم٣٤٢.

صُفُوفَنَا، حَتَّى كَأَنَّمَا يُسَوِّي بِهَا الْقِدَاحَ[1]، حَتَّى رَأَى أَنَّا قَدْ عَقَلْنَا عَنْهُ، ثُمَّ خَرَجَ يَوْمًا، فَقَامَ حَتَّى كَادَ يُكَبِّرُ، فَرَأَى رَجُلًا بَادِيًا صَدْرُهُ مِنَ الصَّفِّ فَقَالَ:"عِبَادَ اللهِ، لَتُسَوُّنَّ صُفُوفَكُمْ أَوْ لَيُخَالِفَنَّ اللهُ بَيْنَ وُجُوهِكُمْ"[2]، وقد كان ﷺ يتعاهد الصفوف، ويحرص على إقامتها، وتراصها، فعن أنس ﷺ قَالَ:" أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ فَأَقْبَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِوَجْهِهِ فَقَالَ ﷺ:" أَقِيمُوا صُفُوفَكُمْ وَتَرَاصُّوا"[3] قال الحافظ ابن حجر:" المراد بتسوية الصفوف اعتدال القائمين بها على سمت واحد، أو يراد بها سد الخلل الذي في الصف. وعلى هذا فهو واجب، والتفريط فيه حرام"[4]؛ ولذلك ينبغي على المسؤول تعاهد العمل ومتابعته، والتوجيه المستمر لحُسن الأداء، وسد الخلل، وإزالة العيب بأسرع ما يمكن.

ويُلحظ كذلك الانضباط في اتباع الإمام وعدم التقدم عليه أو التأخر عنه، فعَن عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ-رضي الله عنها- قَالت: قَالَ ﷺ:" إِنَّمَا جُعِلَ الإِمَامُ لِيُؤْتَمَّ بِهِ فَإِذَا صَلَّى قَائِمًا فَصَلُّوا قِيَامًا فَإِذَا رَكَعَ فَارْكَعُوا، وَإِذَا رَفَعَ فَارْفَعُوا، وَإِذَا قَالَ سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ فَقُولُوا رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ ، وَإِذَا صَلَّى قَائِمًا فَصَلُّوا قِيَامًا ، وَإِذَا صَلَّى جَالِسًا فَصَلُّوا جُلُوسًا أَجْمَعُونَ"[5].

إنَّ انضباط المسلمين في حُسن الأداء للصلاة، ينبغي أن تنعكس آثاره على سائر شئون حياتهم، وكذلك فإنها تؤثر على غيرهم، فقد ذكر الدكتور أحمد العليمي أثر انتظام صفوف الصلاة في إسلام مهندس طرق، وقد سئل ذلك المهندس عن سبب إسلامه فقال:" كنت مسئولاً عن مخيم لعمّال الطرق في مناطق القبائل البدائية، فطلبت من العمال أن ينتظموا في ذهابهم لتناول الطعام،

---

(1) قال ابن الأثير-رحمه الله-"القداح: السهام"، ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ١٦/٤.

(2) متفق عليه: البخاري:، الصحيح، كتاب: الأذان، باب: تسوية الصفوف عند الإقامة وبعدها، رقم٧١٧، ومسلم، الصحيح، كتاب: الصلاة، باب: تَسْوِيَةِ الصُّفُوفِ وَإِقَامَتِهَا وَفَضْلِ الأَوَّلِ فَالأَوَّلِ مِنْهَا، وَالازْدِحَامِ عَلَى الصَّفِّ الأَوَّلِ وَالْمُسَابَقَةِ إِلَيْهَا، وَتَقْدِيمِ أُولِي الْفَضْلِ وَتَقْرِيبِهِمْ مِنَ الإِمَامِ رقم٤٣٦.

(3) متفق عليه: البخاري:، الصحيح، كتاب: الأذان، باب: إِقْبَالِ الإِمَامِ عَلَى النَّاسِ عِنْدَ تَسْوِيَةِ الصُّفُوفِ، رقم٧١٩، ومسلم، كتاب: الصلاة، باب: التشهد في الصلاة، رقم٤٠٤.

(4) ابن حجر، فتح الباري، ٢٠٧/٢.

(5) متفق عليه: البخاري، الصحيح، كتاب: الأذان، باب: إِنَّمَا جُعِلَ الإِمَامُ لِيُؤْتَمَّ بِهِ، رقم٦٨٩، قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ ، قَالَ : الْحُمَيْدِيُّ قَوْلُهُ إِذَا صَلَّى جَالِسًا فَصَلُّوا جُلُوسًا هُوَ فِي مَرَضِهِ الْقَدِيمِ ثُمَّ صَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم جَالِسًا وَالنَّاسُ خَلْفَهُ قِيَامًا لَمْ يَأْمُرْهُمْ بِالْقُعُودِ وَإِنَّمَا يُؤْخَذُ بِالآخِرِ فَالآخِرِ مِنْ فِعْلِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم. ومسلم، الصحيح، كتاب: الصلاة، باب: ائْتِمَامِ الْمَأْمُومِ بِالإِمَامِ، رقم٤١١.

وألاّ يتزاحموا عند أخذه، فلم يستجب لي أحد، ثم طلبت منهم الانتظام عند صعود السيارات للذهاب إلى مواقع العمل أو العودة منها، حاولت أن يقفوا صفاً عند استلامهم للرواتب عند نهاية الأسبوع حتى يتمكنوا من التوقيع أو البصم على كشوفات الأسماء، فطلبوا الفلوس وأجلوا التوقيع إلى بداية يوم السبت، فلم أُفلح في تنظيمهم وضبطهم، إلاّ أنّي كنت أراهم في كل يوم عدة مرات يقفون صفاً مستقيماً ويقف أحدهم أمامهم، فلا يفعلوا أي حركة إلاّ إذا فعل، في انضباط تام، ونظام دقيق، وطاعة مطلقة لمن يتقدمهم، فقلت لهم: ها أنتم هؤلاء منضبطين، فقالوا: هذه الصلاة، فبدأت أسألهم عن الصلاة، فأخبروني بها، وأنها ركن من أركان الإسلام، فقلت: والله إنّ الدين الذي قدر على أن ينظمكم يا فوضويون، إنه لدين حق، فبحثت عن الدين الإسلامي، فهداني الله له، وكان ذلك سبب إسلامي"[١]

إن المطلوب استشعار آثار النظام في حياة المسلمين بصورة عامة، فالأمة الإسلامية إذا حققت الالتزام بدينها ستظهر مظاهر الانضباط العام في سلوكهم ومعاملاتهم، وسيكون-إن شاء الله تعالى- لذلك الآثار الكبيرة في زياد الإيمان والطاعة عند المسلمين،وفي إسلام غيرهم، فالصلاة لها آثارها العظيمة في تربية المسلم، والتي ينبغي أن نلمس آثارها في المجتمع، وقد نبَّه الله تعالى عباده إلى أثر الصلاة في نهيها عن الفحشاء والمنكر قال تعالى:﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، قال الإمام الطبري:" قال ابْنِ عَبَّاسٍ:" فِي الصَّلاَةِ مُنْتَهًى وَمُزْدَجَرٌ عَنْ مَعَاصِي اللَّهِ"، وعَنْ سَمُرَةَ بْنِ عَطِيَّةَ، قَالَ: قِيلَ لاِبْنِ مَسْعُودٍ: إِنَّ فُلاَنًا كَثِيرُ الصَّلاَةِ، قَالَ: "فَإِنَّهَا لاَ تَنْفَعُ إِلاَّ مَنْ أَطَاعَهَا"، وقَالَ سُفْيَانُ:" إِي وَاللَّهِ، تَأْمُرُهُ وَتَنْهَاهُ.قَالَ تَعَالَى:﴿ قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ ﴾ [هود: ٨٧]، فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ : وَكَيْفَ تَنْهَى الصَّلاَةُ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ إِنْ لَمْ يَكُنْ مَعْنِيًّا بِهَا مَا يُتْلَى فِيهَا ؟، قِيلَ : تَنْهَى مَنْ كَانَ فِيهَا، فَتَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ إِتْيَانِ الْفَوَاحِشِ ، لأَنَّ شُغْلَهُ بِهَا يَقْطَعُهُ عَنِ الشُّغْلِ بِالْمُنْكَرِ ، وَلِذَلِكَ قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ : وَذَلِكَ أَنَّ طَاعَتَهُ لَهَا إِقَامَتُهُ إِيَّاهَا بِحُدُودِهَا ، وَفِي طَاعَتِهِ لَهَا مُزْدَجَرٌ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ."[٢].

---

(١) العليمي، الدكتور أحمد بن محمد، الانضباط والطاعة وأثرهما التربوي، ٨-٩.

(٢) الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن، ٤٠٧/١٨.

إنّ هذه القواعد والتوجيهات، والإشارات ينبغي أن تقود إلى تحقيق النظام في سائر شئون المسلم، فإذا كانت الصلاة تبتدئ بالتكبير وتختم بالتسليم، كما روى ذلك علي ﷺقال: قَالَ رَسُـولُ اللَّهِ -ﷺ- « مِفْتَاحُ الصَّلاَةِ الطُّهُورُ وَتَحْرِيمُهَا التَّكْبِيرُ وَتَحْلِيلُهَا التَّسْلِيمُ »[1]، فإنّ أي عمـل أو وظيفة يلتزم بها المسلم فإنها يتقيد ببدايتها ونهايتها، كما يتقيد بما يقتضيه ذلك العمل.

---

(١) أبو داود، سنن أبي داود، كتاب: الطهارة، باب فَرْضِ الْوُضُوءِ، رقم٦١، ورواه الترمذي، السنن، كتاب: أبواب الطهارة عن رسول الله ﷺ، باب: ما جاء أن مفتاح الصلاة الطهور، رقم٣، قال أبو عيسى-الترمذي-:" هذا الحديث أصح شيء في هذا الباب، وأحسن"، قال الشيخ الألباني: "حسن صحيح"، ورواه ابن ماجه، السنن، كتاب: أَبْوَابُ الطَّهَارَةِ وَسُنَنِهَا، بَابُ: مِفْتَاحُ الصَّلَاةِ الطُّهُورُ، رقم٢٧٥.

المبحث الثالث

الانضباط في الجانب الاجتماعي

إنَّ العملَ على إيجاد نظام اجتماعي تسود فيه عادات وتقاليد وأعراف ونُظم توافق أحكام الشريعة الإسلامية قضية مهمة جداً؛ حيث إنَّ وجودها يُحقق في المجتمع تغييرات جذرية، ويُعمل فيه على استبدال بعض ما أَلِفَهُ الناس مما هو غير صالح، مع تثبيت المتوارث الإيجابي منها، إنَّ ذلك يُعين ويُسهِّل بصورة كبيرة على الالتزام بالإسلام؛ ولكنّ تحقيقه يحتاج إلى جهود حكيمة وكبيرة، وأساليب متنوعة في التأثير على النفوس لتتقبل تلك التغييرات الجذرية، بل ولتُصبح تلك النظم والعادات الإيجابية هي السائدة والمُقدَّمة والمُعظَّمة في المجتمع، بحيث يتحقق لتلك النظم احترام كبير من زواج وطلاق وعِدة وحِداد وتوارث وبيوع وغيرها.

إنَّ الأعراف والعادات والتقاليد توجد مع تتابع الزمان، يقول الدكتور سليمان عبيدات: "إنَّ العرف لا يوجد في المجتمع رأساً فيصنف على أنه عُرف، وإنما العرف عادة كانت متبعة في المجتمع تتوارثها الأجيال جيلاً عن جيلٍ، ولكن بعد أن ثبتت أهميتها، وبدأ الناس يألفونها وتوافرت عناصرها المادية والنفسية، وأصبحت تدخل في ضمير الأمة ووجدانها، فإنها تتحول مع مرور الزمن إلى عرف، وقد تتحول أول ما تتحول إلى عرف ناقص، وبعدها تأخذ شكلها التام، ومكانها اللائق في عادات القوم لتصبح عرفاً تاماً"[1].

ويظهر الانضباط الاجتماعي في الإسلام من خلال المطلبين الآتيين:

المطلب الأول: أثر العرف والعادات والتقاليد في تحقيق الانضباط

المطلب الثاني: الانضباط الاجتماعي في جانبي الأفراح والأحزان، وهو جانبان:

الجانب الأول: الانضباط الاجتماعي في جانب الأفراح

الجانب الثاني: الانضباط الاجتماعي في الأحزان والآلام

---

(١) عبيدات، الدكتور سليمان أحمد، دراسة في عادات وتقاليد المجتمع الأردني، الجامعة الأردنية، كلية التربية، مؤسسة مصري للتوزيع، طرابلس-لبنان، دت، ص٣١.

المطلب الأول: أثر العرف والعادات والتقاليد في تحقيق الانضباط

إنَّ الأعراف والعادات والتقاليد تبدأ بأن يتعارف الناس على مجموعة من الأقوال والأفعال والمواقف، بحيث تكون ضابطاً وحاكماً على كثير من أعمالهم وتصرفاتهم، ولها الأثر في توجيههم نحو سلوك وأعمال ومواقف معينة، لها أهمية عند صاحبها، يوضح ذلك الأستاذ عبدالوهاب خلاّف-رحمه الله- فيقول:" العرف: هو ما تعارفه الناس، وساروا عليه، من قول أو فعل، أو ترك، ويسمى العادة[1]، فالعرف العملي مثل: تعارف الناس البيع بالتعاطي من غير صيغة لفظية، والعرف القولي مثل: إطلاق الولد على الذكور دون الإناث، والعرف نوعان: الأول: عرف صحيح: وهو ما تعارفه الناس، ولا يخالف دليلاً شرعياً، ولا يُحل محرماً، ولا يُبطل واجباً، كتعارف الناس أنّ الزوجة لا تُزف إلى زوجها إلا بعد استلامها لجزء من مهرها، وأنّ ما يقدمه العاقد على زوجته من الهدايا لا يُعد من المهر، والثاني: وهو العرف الفاسد: وهو ما تعارفه الناس، ولكنه يخالف الشرع؛ فيحل محرماً أو يُبطل واجباً، كتعارفهم أكل الربا، وتعاملهم بعقود المقامرة، وبعض ما يفعلونه في الموالد والمآتم، فالعرف الصحيح يجب مراعاته في التشريع والقضاء، ولذا قال لعلماء:" العادة شريعة مُحكَّمة"[2].

وقد ذكر الدكتور محمد عثمان شبير القواعد المتعلقة بهذه القاعدة فقال:" قاعدة المعروف عرفاً كالمشروط شرطاً، والمعروف بين التجار كالمشروط بينهم، والحقيقة تُترك بدلالة العادة، والكتاب كالخطاب، والإشارة المعهودة للأخرس كالبيان باللسان، والممتنع عادة كالممتنع حقيقة، ولا يُنكر تغير الأحكام بتغير الأزمان، إنما تُعتبر العادة إذا اضطردت[3] أو غلبت"[4]

---

(١) قال الأستاذ عبدالوهاب خلاّف:" وفي لسان الشرعيين لا فرق بين العرف والعادة"، خلاّف، عبدالوهاب، علم أصول الفقه، مراجعة: محمد عبدالسلام محمد، دار ابن الهيثم، القاهرة-مصر، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، ص٩٣.

(٢) خلاّف، عبدالوهاب، علم أصول الفقه، ص٩٣.

(٣) قال :"أن يكون العمل بالعادة مستمراً"، شبير، محمد عثمان ، القواعد الكلية والضوابط الفقهية، دار الفرقان، عمان-الأردن، الطبعة الأولى١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ، ٢٦٧.

(٤) شبير، القواعد الكلية والضوابط الفقهية، ص ٢٣٠-٢٦٨، باختصار.

إن دور العادات والتقاليد والأعراف في تحقيق الانضباط الاجتماعي كبيرٌ جداً، حيث يقول الدكتور سليمان عبيدات في دراسته للعادات والتقاليد في المجتمع الأردني:" إنَّ دور التقاليد في عملية الضبط الاجتماعي لا يقل أهمية عن دور القوانين في المجتمع، بل يسد مكانه، على الرغم من أنَّ القوانين الوضعية مكتوبة والتقاليد غير مكتوبة وإن كانت مطبوعة في صدور الناس وعقولهم؛ فالتقاليد تُشكِّل ضابطاً مهماً في تنظيم الميول والاتجاهات والنزاعات، وتعمل على التماسك الاجتماعي وتقوية بنيانه، والسيطرة على الأفراد،؛ فتوجه إلى ما هو مفروض أو مرغوب أو مباح، كما تُحذِّر مما هو حرام أو عيب أو مكروه حتى قيل:" العرف سلطان"، وقد يكون العرف خاصة بطائفة من الناس كالعلماء أو التجار أو العمال، أو الأطباء أو المهندسين وغيره، وهنا يُعد عرفاً مهنياً"[١]

لقد اهتم العلماء بالعرف بصورة عامة[٢]، بل إنَّ أحدَ كبار أئمة المسلمين وهو الإمام مالك-رحمه الله- بنى الكثير من الأحكام الشرعية على عرف أهل المدينة في زمانه فيقول الأمر عندنا[٣] في مواضع متعددة، ومنها قوله:" **الأمر عندنا أن يقرأ الرجل وراء الإمام فيما لا يجهر فيه الإمام بالقراءة، ويترك القراءة فيما يجهر فيه الإمام بالقراءة"[٤]، كما يقول:" الأمر المجتمع عليه عندنا"، ومنها قوله:" الأمر المجتمع عليه عندنا أن من ابتاع شيئا من الفاكهة من رطبها أو يابسها فإنه لا يبيعه حتى يستوفيه"[٥].**

---

(١) عبيدات، الدكتور سليمان أحمد، دراسة في عادات وتقاليد المجتمع الأردني، ص٢٨-٣١، باختصار وتصرف يسير.

(٢) انظر: الشاطبي اللخمي الغرناطي المالكي، أبو إسحاق، إبراهيم بن موسى، حققه: إبراهيم رمضان، دار المعرفة، بيروت-لبنان، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، المجلد الأول ج٢/٥٧٠-٥٧٨.

(٣) في إحصائية سريعة في الموطأ رواية يحيى الليثي-عبر الموسوعة الشاملة- وجدته يقول ذلك في(٩٦) ستة وتسعين موضعاً. ويقول:" الأمر المجتمع عليه عندنا"، في(٤٦) ستة وأربعين موضعاً.

(٤) مالك، الموطأ، كتاب: الصلاة، باب ترك القراءة خلف الإمام فيما جهر فيه، رقم النص١٩٢.

(٥) مالك، الموطأ، كتاب: البيوع، باب بيع الفاكهة، رقم الباب١٦، وفي الباب الذي يليه حديث رقم١٢٩٧.

إنَّ مما تجدر الإشارة إليه هو أنَّ حياة الإنسان الاجتماعية تمر عادة بمنعطفات؛ يتأثر فيها ويتفاعل معها أكثر من غيرها، وفيها جانبان رئيسان: الأول: جانب الأفراح والسعادة، والثاني:جانب الأحزان والآلام، وتنحصر أهم القضايا الاجتماعية المُفرحة في الخطوبة والزواج والولادة والمناسبات السعيدة كالنجاح بالحصول على مستويات متقدمة في القضايا العلمية والعملية، والترقيات المادية والمعنوية، وتنحصر أهم القضايا الاجتماعية المُحزنة بالموت والحداد والظهار والطلاق والعدة.

ومن خلال تسليط الضوء على بعض مظاهر الانضباط الاجتماعي الذي حققه النبيﷺ؛ لتعزيز الاقتداء والتأسي برسول الله ﷺ؛ ولتحقيق السيطرة على النفس، وتطويرها والرقي بها إلى أعلى المستويات، وممن أشار إلى أهمية تحقيق السيطرة على النفس اللواء الركن محمود شيت خطَّاب حيث قال:"**الانضباط: وهو السيطرة على النفس لغرض تطوير الطبيعة البشرية إلى أرفع المستويات، وللأغراض الشخصية والاجتماعية أيضاً**"، **وإلى هذه الفضيلة يستند الطهر والتواضع والصبر**"[1]، والسيطرة الإيجابية على النفس تُوجد الانضباط الاجتماعي الذاتي؛ الذي يدفع نحو فعل الصواب دون أمر خارجي، وهذا يمكن أن يتحقق لثلة من المجتمع، وأما عامة المجتمع فلا بدَّ من جهود عملية وميدانية.

ولذلك ينبغي أن تُوجَّه الجهود التربوية والتعليمية نحو التغيير الإيجابي في المجتمع المسلم، ويتقدم ذلك العلماء والدعاة وأصحاب الكفاءات المتنوعة، كما ينبغي أن تكون تلك الجهود متدرجة ومستمرة وشاملة في جميع المراحل، ومن أهمها غرس العقيدة الإسلامية التي ينبغي أن تنعكس آثارها على الجوانب الأخرى ومنها الاجتماعية، كما ينبغي أن تنعكس آثار العبادات

---

(1) خطاب، اللواء الركن محمود شيت، بين العقيدة والقيادة، دار القلم – دمشق، الدار الشامية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨م، ص٦٣.

كالصلاة والصيام وغيرها، وكذلك بالعمل على إيجاد الأمن والاستقرار النفسي والاقتصادي، ونشر الأخلاق السامية، والشعور بالعدل والإنصاف، بل والعمل على تطبيق الشريعة الإسلامية في جميع جوانب الحياة، لتحقيق البيئة التي تُعين وتُسهّل انقياد الفرد والمجتمع في الجوانب الاجتماعية.

إن النظرة الفاحصة للمجتمع الإسلامي في زمن النبيﷺ، وزمن الخلفاء الراشدين-رضي الله عنهم- لبعض الجوانب الاجتماعية والتي تغلب فيها عاطفة الفرح أو الحزن، وتُظهِر الطبيعة البشرية على حقيقتها، ويتجلّى فيها الضعف البشري بصورة أكبر، تؤكِّد أنَّ الانقياد للإسلام هو الصفة العامة للمجتمع الإسلامي الأول بلا إفراط ولا تفريط، كما يظهر البعد عن الفوضى والعشوائية، ويظهر تحكُم المسلم بنفسه في أمتع لحظات الفرح، وفي أشدها حزناً وألماً، وإنْ ظهرت بعض الثغرات فهي من طبيعة البشر، التي لا عصمة لأحد منها إلا للأنبياء-عليهم الصلاة والسلام.

إنَّ تسليط الضوء على بعض تلك الجوانب الاجتماعية في المجتمع الإسلامي الأول يُظهر صورة ذلك المجتمع الإسلامي الواقعية بأنّه مجتمع فريد، وقياس مدى التزامه بالإسلام بصورة عملية، ويهدف كذلك لتتبع الطرق والأساليب النبوية التي صقلته وغيرته، كما يعطي للدعاة دفعة للأمام لتحقيق الرقي بالمجتمع المسلم المعاصر بصورة أكبر، ومعالجة قضاياه الاجتماعية، ومراعاة طبيعته الإنسانية، ومظاهر ضعفه البشري، من هنا يأتي السؤال الآتي: كيف برز الانضباط الاجتماعي في المجتمع الإسلامي؟! سيظهر بيان ذلك -إن شاء الله تعالى- من خلال المطلب الآتي:

المطلب الثاني: الانضباط الاجتماعي في جانبي الأفراح و الأحزان

إنَّ الإسلام وهو يسعى إلى قيادة البشرية جمعاء لكل خير، قد علم أن فطرة الإنسان وطبيعته أنه يزداد تأثراً وتفاعلاً وانفعالاً في المواقف المفرحة، وكذلك في المواقف المحزنة، حيث يظهر الضعف البشري بوضوح، وقد يخرج الإنسان عن منهجه المعتاد؛ لذلك فقد سعى للإسلام ليبقى المسلم منضبطاً؛ فأبعده عن العاطفة الهوجاء، أو الانفعال الذي لا تُحمد عُقباه، وذلك من خلال جانبي حياته البشرية.

الجانب الأول: الانضباط الاجتماعي في جانب الأفراح

حثَّ الإسلام على الفرح والسرور، وأمر بالعمل على إدخال السعادة على قلوب النَّاس، **فعن عبد الله بن الحارث بن جَزْءٍ رضي الله عنه قال :" ما رأيت أحداً أكثر تبسماً من رسول الله ﷺ"**[1]، قال المباركفوري:" أيْ لأنَّ شَأْنَ الْكُمَّلِ إِظْهَارُ الانْبِسَاطِ وَالْبِشْرِ لِمَنْ يُرِيدُونَ تَأَلُّفَهُ وَاسْتِعْطَافَهُ"[2]، بل إنَّ صفة التبسم من شمائله[3] الشريفةﷺ؛ لأنَ الدعوة إلى الله تعالى منهج مستمر في حياته ﷺ في مختلف الأوقات، كما تجدر الإشارة إلى أنَّه ﷺ كان يتفاعل مع المواقف الاجتماعية ويبتسم، وتنقل أحد أُمهات المؤمنين موقفاً اجتماعياً، وسرورها بتفاعل النبيﷺ معها في ذلك الموقف **فتقول عائشة -رضي الله عنها-:" فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ- وَتَبَسَّمَ-:" إِنَّهَا ابْنَةُ أَبِي بَكْرٍ"**[4] رضي الله عنه، **وقد حثَّ الإسلام على إدخال السرور على قلوب المسلمين وعدَّ ذلك عِبادةً يُتقرب بها إلى الله تعالى، فعن**

([1]) رواه الترمذي، السنن، كتاب: المناقب عن رسول الله ﷺ، باب: في بشاشة النبي ﷺ، رقم ٣٦٤١، قال أبو عيسى:" هذا حديث حسن غريب".

([2]) المباركفوري، تحفة الأحوذي، ٩/٥٠.

([3]) الترمذي، الشمائل المحمدية، باب: ما جاء في ضحك رسول اللهﷺ تحقيق وتعليق سيد عمران، دار الحديث – القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ص١٣٣-١٤١.

([4]) رواه مسلم، الصحيح، كتاب: فضائل الصحابة، باب في فَضْلِ عَائِشَةَ رضي الله تعالى عنها، رقم٢٤٤٢.

أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:"تبسُّمك في وجه أخيك لك صدقة"[1]، وبالتدبر لبعض القضايا والمناسبات الاجتماعية؛ يظهر شدة حرص الإسلام على السرور والبهجة، وكذلك مراعاته للطبيعة البشرية، والفطرة الإنسانية، بل بين الشيخ محمد أبو زهرة-رحمه الله تعالى-أن "أساس العلاقات الإنسانية في الإسلام كلها قائمة على الرحمة والمودة"[2]، فكيف تحقق الانضباط في الأفراح والمناسبات الاجتماعية؟، يظهر ذلك من خلال هذا الإنموذج:

الانضباط في الزواج، وفي العلاقة الأُسرية

لقد سعى علماء المسلمين لعرض مسائل وأحكام الإسلام بصورة ميسرة وحكيمة، وقد أولوا أحكام الأسرة القدر المهم الذي تستحقه، ومن ذلك أنهم وضعوا ميثاقاً للأسرة في الإسلام أشرف عليه نخبة من العلماء وقد جاءت مواد هذا الميثاق في مائة وأربع وستين مادة(١٦٤)، وأتبعوا ذلك بمذكرة توضيحية لتلك المواد، ومما قالوه في مقدمته:""وميثاق الأسرة في الإسلام"، يسد حاجة من حاجات الأمة في أهم مكوناتها، وهي الأسرة، ويكشف عن عدالة الإسلام ورحمته، ويُسره، وسماحته واعتداله ووسطيته، في أمره كله، بما في ذلك نظم الحياة الدنيوية، وعلى رأسها نظام الأسرة الذي يُعتبر القلب النابض لغيره من النظم؛ لأنَّ الأسرة نواة المجتمع وبذرته ووحدة تكوينه، بل هي صورة مصغرة عنه"[3]، **ويظهر الانضباط في الزواج والعلاقة الأُسرية في عدة أمور، أهمها ما يأتي:**

١- الابتعاد عن عدم العزوف عن الزواج لغير سبب شرعي: فعن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ:" جَاءَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ

---

(١) رواه الترمذي، السنن، كتاب البر والصلة عن رسول الله ﷺ، باب: ما جاء في صنائع المعروف، رقم١٩٥٦، قال أبو عيسى:" هذا حديث حسن غريب".

(٢) أبو زهرة، محمد، تنظيم الإسلام للمجتمع، مصر- القاهرة، الطبعة الأولى١٩٦٥م، ص ٤٩.

(٣) اللجنة الإسلامية العالمية للمرأة والطفل، المجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة، ميثاق الأسرة في الإسلام، المملكة الأردنية الهاشمية-عمان، جمعية العفاف،٢٠٠٨م، ص٢٠

تقَالُّوهَا[1] فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ؟!، قَدْ غَفَرَ اللهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ رضي الله عنه: أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ آخَرُ رضي الله عنه: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أُفْطِرُ، وَقَالَ آخَرُ رضي الله عنه: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ، فَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَيْهِمْ فَقَالَ:" أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلهِ، وَأَتْقَاكُمْ لَهُ؛ لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي"[2]، قال الإمام ابن حجر:" وفي الحديث: دلالة على فضل النكاح والترغيب فيه، وفيه تتبع أحوال الأكابر للتأسي بأفعالهم، وأنه إذا تعذرت معرفته من الرجال جاز استكشافه من النساء"[3].

إنَّ انضباط المسلم العام في حياته الاجتماعية يقتضي أن يتزوج فإن عجز عن ذلك لسبب شرعي فعليه الاجتهاد في الصيام وسائر العبادات، مع الاجتهاد بغض البصر.

وتجدر الإشارة إلى حرص أصحاب الفضل من العلماء والمسئولين وغيرهم على الحث والتشجيع على الزواج، "فَعَنْ عَلْقَمَةَ -رحمه الله- قَالَ كُنْتُ مَعَ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنه[4] فَلَقِيَهُ عُثْمَانُ رضي الله عنه بِمِنًى فَقَالَ:" يَا أَبَا عَبْدِالرَّحْمَنِ، إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً"، فَخَلَيَا فَقَالَ عُثْمَانُ رضي الله عنه:" هَلْ لَكَ يَا أَبَا عَبْدِالرَّحْمَنِ فِي أَنْ نُزَوِّجَكَ بِكْرًا تُذَكِّرُكَ مَا كُنْتَ تَعْهَدُ؟، فَلَمَّا رَأَى عَبْدُ اللهِ أَنْ لَيْسَ لَهُ حَاجَةٌ إِلَى هَذَا أَشَارَ إِلَيَّ، فَقَالَ: يَا عَلْقَمَةُ، فَانْتَهَيْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَقُولُ رضي الله عنه: أَمَا لَئِنْ قُلْتَ ذَلِكَ لَقَدْ قَالَ لَنَا النَّبِيُّ ﷺ:" يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ"[5]، فأمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه يرى رجلاً فاضلاً من رعيته وهو عبدالله بن مسعود رضي الله عنه فيرغب في إدخال السرور على قلبه بتزويجه.

---

(1) " أي استقلوها، رأى كل منهم أنها قليلة"، ابن حجر، فتح الباري، ٩/١٠٦.

(2) متفق عليه: البخاري، الصحيح، كِتَابُ النِّكَاحِ، بَابُ: التَّرْغِيبِ فِي النِّكَاحِ، رقم ٥٠٦٣، ومسلم، الصحيح، كتاب النكاح، باب: استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ووجد مؤنة واشتغال من عجز عن المؤن بالصوم، رقم١٤٠١.

(3) ابن حجر، فتح الباري، ٩/١٠٦.

(4) قال ابن حجر:" يعني ابن مسعود"، ابن حجر، فتح الباري، ٩/١٠.

(5) متفق عليه: البخاري، الصحيح، كتاب: النكاح، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ :"مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ لِأَنَّهُ فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ"، وَهَلْ يَتَزَوَّجُ مَنْ لَا أَرَبَ لَهُ فِي النِّكَاحِ؟، رقم٥٠٦٥، ومسلم، الصحيح، كتاب: النكاح، باب: استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ووجد مؤنة واشتغال من عجز عن المؤن بالصوم، رقم١٤٠٠.

٢- أرشد الإسلام إلى حُسن اختيار الزوجة كما أرشد إلى حُسن اختيار الزوج: عَنْ أَبِي هُرَيْـرَةَ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:" خَيْرُ نِسَاءٍ رَكِبْنَ الْإِبِلَ صَالِحُ نِسَاءِ قُرَيْشٍ أَحْنَاهُ عَلَى وَلَدٍ فِي صِغَرِهِ وَأَرْعَاهُ عَلَى زَوْجٍ فِي ذَاتِ يَدِهِ"(١). وعَنْه ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:" تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا، وَلِحَسَبِهَا، وَجَمَالِهَا، وَلِدِينِهَا، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ"(٢)، قال الإمام النووي-رحمه الله تعالى-:"الصَّحِيح فِي مَعْنَى هَذَا الْحَدِيث: أَنَّ النَّبِيّ ﷺ أَخْبَرَ بِمَا يَفْعَلهُ النَّاس فِي الْعَادَة فَـإِنَّهُمْ يَقْصِدُونَ هَذِهِ الْخِصَال الْأَرْبَع، وَآخِرهَا عِنْدهمْ ذَات الدِّين، فَاظْفَرْ أَنْتَ أَيّهَا الْمُـسْتَرْشِد بِـذَاتِ الدِّين، وَفِي هَذَا الْحَدِيث: الْحَثّ عَلَى مُصَاحَبَة أَهْل الدِّين فِي كُلّ شَيْء؛ لِأَنَّ صَاحِبهمْ يَـسْتَفِيد مِنْ أَخْلَاقهمْ وَبَرَكَتهمْ وَحُسْن طَرَائِقهمْ، وَيَأْمَن الْمَفْسَدَة مِنْ جِهَتهمْ"(٣)، حيث ينعكس أثر التزامهم بالإسلام على سلوكهم ومعاملاتهم مع غيرهم، وخاصة في القضايا الاجتماعية.

وقد جاء التوجيه لحُسن اختيار الزوج، فعن أبي حاتم المُزني ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ:" إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد"، قـالوا يا رسول الله! وإن كان فيه(٤)؟ قال:" إذا جاءكم من ترضون دينه، وخلقه؛ فـأنكحوه"- ثـلاث مرات-"(٥)، قال ابن حجر-رحمه الله تعالى-:" واعتبار الكفاءة في الدين متفق عليه؛ فـلا تحـل المسلمة لكافر"(٦)، ومما ينبغي أن يُشار إليه في هذا الحديث ذكر الخُلق بعد الدين، وهو كما قـال

---

(١) متفق عليه: ، كتاب: النكاح، بَابٌ: إِلَى مَنْ يَنْكِحُ وَأَيُّ النِّسَاءِ خَيْرٌ وَمَا يُسْتَحَبُّ أَنْ يَتَخَيَّرَ لِنُطَفِهِ مِنْ غَيْرِ إِيجَابٍ، رقم٥٠٨٢، ومسلم، الصحيح، باب: من فضائل نساء قريش، رقم٢٥٢٧.

(٢) متفق عليه: البخاري، الصحيح، كتاب: النكاح، بَابُ: الْأَكْفَاءِ فِي الدِّينِ، ومسلم، الصحيح، كتاب: النكاح، باب: استحباب نكاح ذات الدين، رقم١٤٦٦.

(٣) النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم، ٢٠١/٥.

(٤) " أَيْ شَيْءٌ مِنْ قِلَّةِ الْمَالِ أَوْ عَدَمِ الْكَفَاءَةِ " قاله المباركفوري، تحفة الأحوذي، ١٥٠/٣.

(٥) الترمذي، السنن، كتاب النكاح، باب: ما جاء إذا جاءكم من تضرون دينه فزوجوه، رقـم١٠٨٤. قـال أبـو عيسى:" هذا حديث حسن غريب".

(٦) ابن حجر، فتح الباري، ١٣٢/٩.

المباركفوري:" المعاشرة"[1]، فلا يُقتصر في الاختيار على من يؤدي العبادات من صلاة وصيام وزكاة، وتلاوة للقرآن الكريم، إذا كانت لا تنعكس آثار تلك العبادات العظيمة على أخلاقه ومعاملاته، بل ينبغي أن يُنظر إلى معاشرته ومعاملته الاجتماعية مع الناس، وكذلك معاملاته الاقتصادية من تجارة وبيع وشراء، وأخلاقه في موقع عمله، وتصرفاته في السفر وغيره، بل ينظر لأخلاقه في بيته ومع المقربين منه.

٣- **أجاز الإسلام للولي أن يعرض ابنته أو أخته أو غيرها، على صاحب الدين والخُلق الكفء لمثلها**[2]، وفي هذا مراعاة للفطرة البشرية، وحرص على العفاف. وقد فعل ذلك بعض الأكابر، فعن عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- يُحَدِّثُ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ﷺ حِينَ تَأَيَّمَتْ حَفْصَةُ بِنْتُ عُمَرَ -رضي الله عنها- مِنْ خُنَيْسِ بْنِ حُذَافَةَ السَّهْمِيِّ ﷺ، وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَتُوُفِّيَ بِالْمَدِينَةِ، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ:" أَتَيْتُ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ ﷺ فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ حَفْصَةَ، فَقَالَ:" سَأَنْظُرُ فِي أَمْرِي"، فَلَبِثْتُ لَيَالِيَ، ثُمَّ لَقِيَنِي فَقَالَ : قَدْ بَدَا لِي أَنْ لاَ أَتَزَوَّجَ يَوْمِي هَذَا، قَالَ عُمَرُ ﷺ: فَلَقِيتُ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ ﷺ، فَقُلْتُ: إِنْ شِئْتَ زَوَّجْتُكَ حَفْصَةَ بِنْتَ عُمَرَ فَصَمَتَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ؛ فَلَمْ يَرْجِعْ إِلَيَّ شَيْئًا، وَكُنْتُ أَوْجَدَ عَلَيْهِ مِنِّي عَلَى عُثْمَانَ فَلَبِثْتُ لَيَالِيَ، ثُمَّ خَطَبَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَأَنْكَحْتُهَا إِيَّاهُ، فَلَقِيَنِي أَبُو بَكْرٍ ﷺ فَقَالَ: لَعَلَّكَ وَجَدْتَ عَلَيَّ حِينَ عَرَضْتَ عَلَيَّ حَفْصَةَ -رضي الله عنها-، فَلَمْ أَرْجِعْ إِلَيْكَ شَيْئًا قَالَ عُمَرُ ﷺ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ:" فَإِنَّهُ لَمْ يَمْنَعْنِي أَنْ أَرْجِعَ إِلَيْكَ فِيمَا عَرَضْتَ عَلَيَّ إِلاَّ أَنِّي كُنْتُ عَلِمْتُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَدْ ذَكَرَهَا، فَلَمْ أَكُنْ لأُفْشِيَ سِرَّ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلَوْ تَرَكَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ قَبِلْتُهَا"[3].

---

(1) المباركفوري، تحفة الأحوذي، ٣/١٥٠.

(2) وهذا الأمر عظيم ينبغي تطبيقه مع زيادة التأني في ذلك؛ وخاصة في مجتمع لا يستوعب ذلك الأمر، أو يسيء النظرة لمن يفعل ذلك.

(3) البخاري، الصحيح، كتاب: النكاح، باب: عرض الإنسان ابنته أو أخته على أهل الخير، رقم٥١٢٢.

٤- أجاز الإسلام النظر إلى المخطوبة؛ بما يحصل به المقصود وهو الرغبة في زواجها، من غير استغلال لهذا الجواز الشرعي المنضبط بقدر الحاجة، وهي التي يُظهر الخاطب الرغبة في الزواج منها بما تعارف عليه المسلمون؛ ويُتبع ذلك عادة بإرسال الأم والأخوات لبيان الرغبة في ذلك، أو أن يقوم هو بالخِطبة لنفسه بعد التمهيد لذلك بما يراه مناسباً، فعن المغيرة بن شعبة ﷺ: " أنه خطب امرأة فقال النبي ﷺ: " انظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم[1] بينكما"[2]،

وقد منع الإسلام من خطبة المخطوبة لحكم متعددة منها: حتى لا تقع الخلافات وتنتشر العداوات، وحذراً من انتشار الفوضى الأخلاقية في المجتمع المسلم، بل وفي ذلك تكريم للمرأة في الإسلام، فعَنِ ابْنِ عُمَرَ-رضي الله عنهما- قَالَ: نَهَى النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَخْطُبَ الرَّجُلُ عَلَى خِطْبَةِ أَخِيهِ حَتَّى يَتْرُكَ الْخَاطِبُ قَبْلَهُ أَوْ يَأْذَنَ لَهُ الْخَاطِبُ»[3].

٥- قدَّر الإسلام الفطرة البشرية والطبيعة الإنسانية، وراعى الحاجات والرغبات، وهذَّب الشهوات، وركَّز على الانضباط بالعقيدة، ولم يتساهل فيها أبداً: فشرع الزواج، وأذن بإظهار الفرح، وسمح بالغناء غير المخالف للشريعة الإسلامية بكلماته، وطريقة أدائه، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ أَبْصَرَ النَّبِيُّ ﷺ نِسَاءً وَصِبْيَانًا مُقْبِلِينَ مِنْ عُرْسٍ فَقَامَ مُمْتَنًّا، فَقَالَ ﷺ:

---

(1) قال السندي " أن يؤدم بينكما؛ أن يُوفق ويؤلف"، السندي، كفاية الحالجة في شرح سنن ابن ماجه، وهو بحاشية السنن.

(2) الترمذي، السنن، كتاب النكاح، باب: ما جاء في النظر إلى المخطوبة، رقم ١٠٨٧، قال أبو عيسى [الترمذي]:" هذا حديث حسن"، وقد ذهب بعض أهل العلم إلى هذا الحديث وقالوا لا بأس أن ينظر إليها مالم ير منها محرما وهو قول أحمد و إسحق"، وابن ماجه، السنن، كتاب: النكاح، بَابُ: النَّظَرِ إِلَى الْمَرْأَةِ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَتَزَوَّجَهَا، ١٨٦٥.

(3) متفق عليه: البخاري، الصحيح، كتاب: النكاح، بَاب: لَا يَخْطُبُ عَلَى خِطْبَةِ أَخِيهِ حَتَّى يَنْكِحَ أَوْ يَدَعَ، رقم ٢١٣٩ ومسلم، الصحيح، كتاب: النكاح، باب تحريم الخطبة على خطبة أخيه حتى يأذن أو يترك، رقم١٤١٢، باختصار.

اللَّهُمَّ أَنْتُمْ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ"[1]، وعن الرُّبَيِّعِ بِنْتِ مُعَوِّذِ بْنِ عَفْرَاءَ-رضي الله عنهما-
قالت:" جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ فَدَخَلَ حِينَ بُنِيَ عَلَيَّ، فَجَعَلَتْ جُوَيْرِيَاتٌ لَنَا يَضْرِبْنَ بِالدُّفِّ وَيَنْدُبْنَ مَنْ قُتِلَ مِنْ آبَائِي يَوْمَ بَدْرٍ إِذْ قَالَتْ إِحْدَاهُنَّ وَفِينَا نَبِيٌّ يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ فَقَالَ ﷺ:" دَعِي هَذِهِ وَقُولِي بِالَّذِي كُنْتِ تَقُولِينَ"[2]، وقد بيّن الحافظ ابن حجر-رحمه الله-بعض ما يستنبط من أحكام من هذا الحديث فقال:" قال المهلب:" في هذا الحديث: إعلان النكاح بالدف وبالغناء المباح، وفيه إقبال الإمام إلى العرس وإن كان فيه لهو ما لم يخرج عن حد المباح، وفيه جواز مدح الرجل في وجهه ما لم يخرج إلى ما ليس فيه"،وإنما أنكر عليها ما ذكر من الإطراء حيث أطلق علم الغيب له وهو صفة تختص بالله تعالى كما قال تَعَالَى:﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾[النمل: ٦٥]، وقوله تعالى لنبيه ﷺ:﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ ﴾ [الأعراف: ١٨٨]، وسائر ما كان النبي ﷺ يُخبر به من الغيوب بإعلام الله تعالى إياه لا أنه يستقل بعلم ذلك، كما قال تعالى﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ ﴾[الجن٢٦] "[3]، ويُستنتج من ذلك أنّ النبيﷺ راعى الانضباط في العقيدة في الجانب الاجتماعي بل في أعظم حالات الفرح وهو الزواج، وفي ذلك توجيه للأمة بمراعاة القواعد الأساسية، والضوابط الرئيسة، وخاصة مسائل العقيدة.

٦- شرع الإسلام المهر إكراماً للزوجة، وحث على الوليمة، لإظهار البهجة بالزواج، ولزيادة الألفة والمودة باجتماع الأقارب والأصدقاء، والجيران، وغيرهم، فعن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ قَدِمَ عَبْدُالرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ رضي الله عنه فَآخَى النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَهُ وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ الأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه، فخرج

---

[1] متفق عليه: البخاري، الصحيح، كتاب: النكاح، باب: ذهاب النساء والصبيان إلى العرس، رقم٥١٨٠، ومسلم، الصحيح، كتاب: فضائل الصحابة، باب: من فضائل الأنصار-رضي الله تعالى عنهم-، رقم ٢٥٠٨.

[2] رواه البخاري، الصحيح، كتاب: النكاح، باب: ضرب الدف في النكاح والوليمة، رقم٥١٤٧، باختصار.

[3] ابن حجر، فتح الباري، ٢٠٣/٩، باختصار.

إلى السوق، فباع واشترى، فقالَ عَبْدالرَّحْمَنِ؇ تَزَوَّجْتُ أَنْصَارِيَّةً . فقالَ ﷺ « فَمَا سُقْتَ » قَالَ: وَزْنَ نَوَاةٍ مِنْ ذَهَبٍ . قالَ ﷺ:« أَوْلِمْ وَلَوْ بِشَاةٍ»[1]، وقد اختلف العلماء في مقدار وزن النواة؛ أهو بمقدار وزن نواة التمر[2]، أو غيره، والمقصود هنا ذكر المهر والوليمة وبيان مشروعيتهما، بل والحث عليهما، كما أنَّ من السُنة إجابةَ الدعوة للوليمة، فعَنْ نَافِعٍ قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- يَقُولُ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:" أَجِيبُوا هَذِهِ الدَّعْوَةَ إِذَا دُعِيتُمْ لَهَا" وَكَانَ عَبْدُ اللهِ يَأْتِي الدَّعْوَةَ فِي الْعُرْسِ وَغَيْرِ الْعُرْسِ وَهُوَ صَائِمٌ"[3]، أي أنَّه من شدة حرصه على إجابة الدعوة كان يأتيها حتى ولو كان صائماً، فكيف وهو غير صائم؟!

٧- الزواج آية من آيات قدرة الله تعالى، وفضله ورحمته، قالَ تَعالَى:﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الروم: ٢١]، فعلى الإنسان أن يستشعر هذه النعمة، قال الدكتور محمد عقلة:" الزواج إحدى آيات قدرة الله تعالى وحكمته، ومظهر من مظاهر فضله ونعمته، شرعه ليكون عبادة وسكناً واستقراراً، وهدوءاً وطمأنينة قلب، في كنفه يجد كل من الزوجين ما هو مبعث سعادته في الدنيا، وفلاحه في الآخرة، فقد عمل الإسلام على اتخاذ جميع الخطوات، وتلمس مختلف الأسباب التي من شأن الآخذ بها أن يؤول إلى بلوغ المقصد السامي الذي رامه التشريع الحكيم"[4].

---

(1) متفق عليه: البخاري، الصحيح، كتاب: النكاح، باب الْوَلِيمَةِ وَلَوْ بِشَاةٍ، رقم ٥١٦٧، ومسلم، الصحيح، كتاب: النكاح، باب: الصداق، وجواز كونه تعليم قرآن وخاتم حديد وغير ذلك من قليل وكثير، واستحباب كونه خمسمائة درهم لمن لا يجحف به، رقم١٤٢٧.

(2) انظر ابن حجر، فتح الباري٩/٢٣٤.

(3) متفق عليه: البخاري، الصحيح، كتاب: النكاح، باب: إجابة الداعي في العرس وغيره، رقم٥١٧٩، ومسلم، الصحيح، كتاب: النكاح، بَاب: الْأَمْرِ بِإِجَابَةِ الدَّاعِي إِلَى دَعْوَةٍ، رقم١٤٢٩.

(4) الدكتور محمد عقلة، نظام الأسرة في الإسلام، مكتبة الرسالة الحديثة، عمان- الأردن، الطبعة الثانية، ١٤١١هـ/١٩٩٠م، ص٥.

٨- أمر الإسلام بحفظ الأسرار الزوجية وحرّم إفشاءها، وعدّ من يفعلُ ذلك من أشر النـــاس، فعن أبي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّ مِنْ أَشَرِّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّـــهِ مَنْزِلَـــةً يَـــوْمَ الْقِيَامَةِ الرَّجُلَ يُفْضِي إِلَى امْرَأَتِهِ وَتُفْضِي إِلَيْهِ ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا"[١]، قال الإمام النووي-رحمه الله تعالى-:" وَفِي هَذَا الْحَدِيث: تَحْرِيم إِفْشَاء الرَّجُل مَا يَجْرِي بَيْنه وَبَيْن اِمْرَأَته مِنْ أُمُـــور الِاسْتِمْتَاع، وَوَصْف تَفَاصِيل ذَلِكَ، وَمَا يَجْرِي مِنْ الْمَرْأَة فِيهِ: مِنْ قَوْل أَوْ فِعْل وَنَحْوه. فَأَمَّـــا مُجَرَّد ذِكْر الْجِمَاع، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ فِيهِ فَائِدَة وَلَا إِلَيْهِ حَاجَة فَمَكْرُوه لِأَنَّهُ خِلَاف الْمُـــرُوءَة، وَإِنْ كَانَ إِلَيْهِ حَاجَة أَوْ تَرَتَّبَ عَلَيْهِ فَائِدَة بِأَنْ يُنْكِر عَلَيْهِ إِعْرَاضه عَنْهَا أَوْ تَدَّعِي عَلَيْهِ الْعَجْز عَنْ الْجِمَاع أَوْ نَحْو ذَلِكَ فَلَا كَرَاهَة فِي ذِكْره"[٢]، فالانضباط بحفظ الأسرار الزوجية يزيــد فـــي الألفة بين الزوجين، ويقوي العلاقة بينهما، فكيف لو انعكس ذلك وشعرت المرأة أنّ زوجها سيحدث الناس بما يكون بينهما؟!، لا شك أنّ ذلك سيفسد العلاقة ويدمرها.

وقد أمر الإسلام باحتمال كل من الزوجين للآخر، بل والحرص على إدخـــال الـــسرور عليه، وعدّ من يفعل ذلك من خير الناس، فعنِ ابْنِ عَبَّاسٍ-رضي الله عنهما- ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:" خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لأَهْلِي"[٣]، قال المباركفوري:"لأهله: أَيْ لِعِيَالِهِ وَذَوِي رَحِمِـــهِ، وَقِيلَ لِأَزْوَاجِهِ وَأَقَارِبِهِ؛ وَذَلِكَ لِدَلَالَتِهِ عَلَى حُسْنِ الْخُلُقِ" وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي"فَأَنَا خَيْرُكُمْ مُطْلَقًا وَكَـــانَ أَحْسَنَ النَّاسِ عِشْرَةً لَهُمْ وَكَانَ عَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ"[٤]، وعن أبي هريرة ﷺ قـــال: قـــال رســـول الله

---

[١] رواه مسلم، كِتَاب: النِّكَاح، بَاب: تَحْرِيمِ إِفْشَاءِ سِرِّ الْمَرْأَةِ، رقم١٤٣٧.

[٢] النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم، ١٦٢/٥.

[٣] رواه الترمذي، السنن، كتاب: المناقب، باب: فضل أزواج النبي ﷺ، رقم ٣٨٥٥، قال أبو عيسى[الترمــذي]: هذا حديث حسن غريب صحيح"، ورواه ابن ماجه، السنن، كتاب: النكاح، بَابُ: حُـــسْنِ مُعَاشَـــرَةِ النِّـــسَاءِ، رقم١٩٧٧.

[٤] المباركفوري، تحفة الأحوذي، ٣٣٨/٩.

ﷺ:"أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً، وخياركم خياركم لنسائهم خلقاً"[1]، وقال المباركفوري:" كمَالَ الْإِيمَانِ يُوجِبُ حُسْنَ الْخُلُقِ، وَالْإِحْسَانَ إِلَى كَافَّةِ النّاس، و"خِيَارُكُمْ خِيَـارُكُمْ لِنِـسَائِهِمْ""[2]؛ لِأَنَّهُنَّ مَحَلُّ الرَّحْمَةِ لِـضَعْفِهِنَّ "[3]، وشدة حاجتهنّ للرفق واللّيونة من الزوج، ولأنّ من كان رفيقاً ولطيفاً في التعامل مع زوجته وأهله، فالأصل أنّه سيكون كذلك مع عامة الناس، فهــذه الـشهادة النبوية الكريمة لمن كانت هذه صفته تقتضي المزيد من الاهتمام والعناية والحرص على أفــضل وأرقى صور التطبيق العملي النموذجي.

وتجدر الإشارة إلى أنّ العمل على تحقيق الانضباط الاجتماعي يحتاج إلى جهود تربويــة عميقة؛ وخاصة عند إرادة استبدال أو إجراء تغيير على عادة اجتماعية اعتاد الناس عليهــا، وتوارثوها، وكذلك ينبغي أن يتقدم ذلك التغيير قادة المجتمع، ومثال ذلك عادة التبنــي التــي ألغاها الإسلام،قال تعالى:﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ ﴾ [الأحزاب:٣٧]، قال ابن كثير- رحمه الله تعالى-:" يقول تعالى مخبراً عن نبيه، صلوات الله وسلامه عليه، إنّه قال لمولاه زيد بن حارثةﷺ وهو الذي أنعــم الله عليــه، أي: بالإســلام، ومتابعة الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام: { وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ} أي: بالعتق من الرق، وكان سيدًا كبير الشأن جليل القدر، حبيبًا إلى النبي ﷺ، يقال له: الحِبّ، ويقال لابنه أسامة: الحِـبّ ابن الحِبّ وكان رسول الله ﷺ قد زَوّجه بابنة عمته زينب بنت جحش الأسدية -وأمها أميمــة

([1]) رواه الترمذي، السنن، كتاب: الرضاع، باب: ما جاء في حق المرأة على زوجها، رقم١١٦٢، وابن ماجــه، السنن، كتاب: النكاح، بَابُ: حُسْنِ مُعَاشَرَةِ النِّسَاءِ، رقم١٩٧٨.

(2) هو حديث رواه ابن ماجه بلفظه، في السنن، كتاب: النكاح، باب: حُسن معاشرة النساء، رقم١٩٧٨، وقال الألباني:"صحيح"

([3]) المباركفوري، تحفة الأحوذي، ٢٤١/٣.

بنت عبد المطلب وأصدقها، وإنما أبحنا لك تزويجها وفعلنا ذلك؛ لئلا يبقى حرج على المؤمنين في تزويج مطلقات الأدعياء، وذلك أن رسول الله ﷺ كان قبل النبوة قد تبنى زيد بن حارثة، فكان يقال له: "زيد بن محمد"، فلما قطع الله هذه النسبة، ثم زاد ذلك بياناً وتأكيداً بوقوع تزويج رسول الله ﷺ بزينب بنت جحش- رضي الله عنها-لما طلقها زيد بن حارثة"[1].

الجانب الثاني: الانضباط في الأحزان والآلام

إنّ الحياة البشرية لا تكاد تخلو من الأحزان والآلام والمُكدّرات، فكيف يحقق المسلم الانضباط الاجتماعي فيها؟، من خلال نظرته وسلوكه وتعامله مع ما يُصيبه منها، أو يُصيب الآخرين من أقاربه وأحبابه وغيرهم، يتضح ذلك فيما يأتي:

١- **الاستعاذة بالله تعالى من الهم والحزن والغم**[2]، **هو هدي نبوي، ومنهج إسلامي مقرر** فالأحزان والآلام ليست مقصودة ولا مطلوبة، بل يُستعاذ بالله منها، ومن شرّها، **فعن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ** ﷺ **قال:"كُنْتُ أَخْدُمُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَكُنْتُ أَسْمَعُهُ ﷺ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ:" اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ، وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْبُخْلِ وَالْجُبْنِ، وَضَلَعِ الدَّيْنِ**[3] **وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ"**[4]، قال الإمام ابن حجر-رحمه الله تعالى-:" الهم لما يتصوره العقل من المكروه في الحال، والحزن لما وقع في الماضي، والعجز ضد الاقتدار، والكسل ضد النشاط، والبخل ضد الكرم، والجبن ضد الشجاعة"[5].

([1]) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٦/٤٢٥-٤٢٦.
([2]) "الغم وهو وقوع ما يكره، بخلاف الهم وهو توقع ما يكره"، ابن حجر، فتح الباري، ٧٦١/٨.
([3]) قال ابن حجر " قوله ضلع الدين: ثقل الدين وشدته، وذلك حيث لا يجد مَنْ عليه الدين وفاء، وغلبة الرجال أي شدة تسلطهم"، ابن حجر، فتح الباري، ١٧٣/١١.
([4]) رواه البخاري، الصحيح، كتاب: الدعوات، بَابُ التَّعَوُّذِ مِنْ غَلَبَةِ الرِّجَالِ، رقم ٦٣٦٣، باختصار.
([5]) ابن حجر، فتح الباري، ١٧٨/١١.

٢- منع الإسلامُ من إيصال الهم أو الحزن أو الضيق أو التكدير على أحدٍ من الناس، كما أمر بتخفيف الكرب، والتيسير على المعسرين، وحث على مساعدة المُبتلى، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:« مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ"[١]، وفي هذا حِرص على إبعاد الضيق والحزن عن حياة المسلمين، والعمل على إدخال السعادة والسرور عليهم، قال الإمام النووي-رحمه الله تعالى-:" وَهُوَ حَدِيث عَظِيم جَامِع لِأَنْوَاعٍ مِنْ الْعُلُوم وَالْقَوَاعِد وَالْآدَاب وَمَعْنَى: " نَفَّسَ الْكُرْبَة ": أَزَالَهَا. وَفِيهِ : فَضْل قَضَاء حَوَائِج الْمُسْلِمِينَ، وَنَفْعهمْ بِمَا تَيَسَّرَ مِنْ عِلْم أَوْ مَال أَوْ مُعَاوَنَة أَوْ إِشَارَة بِمَصْلَحَةٍ أَوْ نَصِيحَة وَغَيْر ذَلِكَ، وَفَضْل السَّتْر عَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَفَضْل إِنْظَار المعسر"[٢].

٣- الرضا بقدر الله تعالى عقيدة في حياة المسلم[٣]، ولكنَّه يجتهد في الأخذ بالأسباب، والارتقاء إلى أحسن الأحوال المادية والمعنوية، ورفع البلاء بكل الممكنات، فعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ- رضي الله عنهما- أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ﷺ، خَرَجَ إِلَى الشَّامِ حَتَّى إِذَا كَانَ بِسَرْغَ[٤] لَقِيَهُ أُمَرَاءُ الأَجْنَادِ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ ﷺ فَنَادَى عُمَرُ فِي النَّاسِ إِنِّي مُصَبِّحٌ عَلَى ظَهْرٍ[٥] فَأَصْبِحُوا عَلَيْهِ قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ ﷺ:" أَفِرَارًا مِنْ قَدَرِ اللهِ؟!"، فَقَالَ عُمَرُ ﷺ:" لَوْ غَيْرُكَ قَالَهَا يَا أَبَا عُبَيْدَةَ، نَعَمْ، نَفِرُّ مِنْ قَدَرِ اللهِ إِلَى قَدَرِ اللهِ، أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ لَكَ إِبِلٌ هَبَطَتْ وَادِيًا لَهُ

---

(١) رواه مسلم، الصحيح، كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، رقم٢٦٩٩، باختصار.

(٢) النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم، ٦٣/٩.

(٣) سيأتي في النقطة السابعة كلام للإمام النووي وابن حجر في التسليم بقدر الله تعالى.

(٤) " وهي المدورة اليوم، تقع على الحدود الجنوبية للمملكة الأردنية الهاشمية مع المملكة العربية السعودية"، الدكتور شوقي أبو خليل، أطلس الحديث النبوي، دار الفكر المعاصر، بيروت- لبنان، دار الفكر، دمشق- سورية، الطبعة الأولى١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م، ص٢١٧، بتصرف.

(٥) قال ابن حجر"قوله:" مصبح على ظهر" أي على رحيل"، ابن حجر، فتح الباري، ١٥٢/١.

عُدْوَتَانِ إِحْدَاهُمَا خَصِبَةٌ وَالْأُخْرَى جَدْبَةٌ أَلَيْسَ إِنْ رَعَيْتَ الْخَصْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ اللهِ وَإِنْ رَعَيْتَ الْجَدْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ اللهِ قَالَ فَجَاءَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ ﷺ، وَكَانَ مُتَغَيِّبًا فِي بَعْضِ حَاجَتِهِ فَقَالَ إِنَّ عِنْدِي فِي هَذَا عِلْمًا سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ:" إِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ فَلَا تَقْدَمُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلَا تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ"، قَالَ فَحَمِدَ اللَّهَ عُمَرُ ثُمَّ انْصَرَفَ"[1]،

قال الحافظ ابن حجر- رحمه الله تعالى:"والمراد أن هجوم المرء على ما يُهلكه منهي عنه، ولو فعل لكان من قدر الله، وتجنبه ما يؤذيه مشروع وقد يُقدّر الله وقوعه فيما فر منه، فلو فعله أو تركه لكان من قدر الله فهما مقامان: مقام التوكل، ومقام التمسك بالأسباب"[2]، فالمسلم قد يُبتلى بالمرض والفقر وغيرهما، لكنَّه يجتهد في العلاج ومراجعة أتقن وأمهر الأطباء، كما يجتهد في العمل لإزالة الفقر والحاجة، وإذا أخفق في اختبار سعى نحو النجاح، وهكذا في كل بلاء يُصيبه.

٤- **يُعدُّ المسلمُ الصبرَ على ما يُصيبه من الأمراض والأسقام، وفقدِ الأحبة، باباً من أبواب تكفير السيئات، وكسب الأجر والحسنات، ونوعاً من أنواع الطاعة**، فلذلك لا يتسخَّط، ولا يُفرط في الحزن، بحيث يصدر عنه ما يُخالف الشرع الحنيف، **فعن عَائِشَةَ-رضي الله عنها- قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:" مَا مِنْ مُصِيبَةٍ تُصِيبُ الْمُسْلِمَ إِلاَّ كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا عَنْهُ حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا"[3]، وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ وَأَبِي هُرَيْرَةَ-رضي الله عنهما- عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:" مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ وَلَا وَصَبٍ وَلَا هَمٍّ وَلَا حُزْنٍ وَلَا أَذًى وَلَا غَمٍّ حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا إِلَّا**

---

(1) متفق عليه: البخاري، الصحيح، كتاب: الطب، باب مَا يُذْكَرُ فِي الطَّاعُونِ، رقم٥٧٢٩، ومسلم، الصحيح، كتاب: السلام، باب الطاعون والطيرة والكهانة ونحوها، رقم٢٢١٩.

(2) ابن حجر، فتح الباري، ١٠/١٨٥.

(3) متفق عليه: البخاري، الصحيح، كتاب المرضى، باب: ما جاء في كفارة المرض، رقم ٥٦٤٠، ومسلم، الصحيح، كتاب: البر والصلة، باب: ثَوَابِ الْمُؤْمِنِ فِيمَا يُصِيبُهُ مِنْ مَرَضٍ أَوْ حُزْنٍ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا، رقم٢٥٧٢.

كَفَّرَ اللهُ بِهَا مِنْ خَطَايَــاهُ"[1] قال ابن حجر-رحمه الله تعالى-:"قوله:" من نصب : هو التعب، قوله:" ولا وصب": أي مرض، وقيل: هو المرض اللازم قوله:" ولا هم ولا حزن": هما مـن أمراض الباطن ولذلك ساغ عطفهما على الوصب، قوله:" ولا أذى": هو أعم مما تقدم وقيـل هو خاص بما يلحق الشخص من تعدي غيره عليه، قوله:" ولا غم": هو أيضا من أمــراض الباطن، وهو ما يضيق على القلب، وقيل في هذه الأشياء الثلاثة وهي: الهم، والغم، والحزن؛ أن الهم ينشأ عن الفكر فيما يتوقع حصوله مما يتأذى به، والغم كرب يحدث للقلب بسبب مـا حصل والحزن: يحدث لفقد ما يشق على المرء فقده، وقيل الهم والغم بمعنى واحد "[2].

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ:" إِنَّ اللَّــهَ قَــالَ: إِذَا ابْتَلَيْــتُ عَبْــدِي بِحَبِيبَتَيْهِ فَصَبَرَ عَوَّضْتُهُ مِنْهُمَا الْجَنَّةَ"، يُرِيدُ عَيْنَيْهِ[3] "[4]. قال ابن حجر-رحمه الله تعالى-:" والمراد أنه يصبر مستحضراً ما وعد الله به الصابر من الثواب لا أن يصبر مجرداً عن ذلك؛ لأن الأعمال بالنيات، وابتلاء الله عبده في الدنيا ليس من سخطه عليه، بل إما لدفع مكروه، أو لكفارة ذنوب، أو لرفع منزلة، فإذا تلقى ذلك بالرضا، تم له المراد، قوله:" عوضــته منهمــا الجنة"، وهذا أعظم العوض؛ لأن الالتذاذ بالبصر يفنى بفناء الدنيا والالتذاذ بالجنة باق ببقائها وهو شامل لكل من وقع له ذلك بالشرط المذكور"[5].

٤- **يحرص المسلم على استشعار نعم الله تعالى عليه وفضله الكبير،** فهو يزور المرضى، طاعة لله تعالى، ثم استشعاراً لنعمة الصحة، **فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ ، قَــالَ: قَــالَ رَسُــولُ اللهِ ﷺ:"**

---

(1) متفق عليه: البخاري، الصحيح، كتاب المرضى، باب: ما جاء في كفارة المرض، رقم٥٦٤١/٥٦٤٢، ومسلم، الصحيح، كتاب: البر والصلة، باب: ثَوَابِ الْمُؤْمِنِ فِيمَا يُصِيبُهُ مِنْ مَرَضٍ أَوْ حُزْنٍ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا، رقم٢٥٧٣.

(2) ابن حجر، فتح الباري، ١٠/١٠٦.

(3) "يريد عينيه"، من تفسير أنس بن مالك ﷺ كما ذكر ذلك الإمام العيني، عمدة القاري، ١٤/٦٤٨.

(4) رواه البخاري، الصحيح، كتاب: المرضى، باب: فضل من ذهب بصره، رقم٥٦٥٣.

(5) ابن حجر، فتح الباري، ١٠/١١٦، باختصار.

مَنْ عَادَ مَرِيضًا، نَادَى مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: طِبْتَ، وَطَابَ مَمْشَاكَ، وَتَبَوَّأْتَ مِنَ الْجَنَّةِ مَنْزِلاً"[1]،

والزيارة لا تقتصر على زيارة المسلمين، بل تشمل غيرهم من أهل الذمة، أو غير المحاربين، فعَنْ أَنَسٍ ﷺ، قَالَ: كَانَ غُلَامٌ يَهُودِيٌّ يَخْدُمُ النَّبِيَّ ﷺ، فَمَرِضَ فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ يَعُودُهُ فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَقَالَ لَهُ:" أَسْلِمْ"، فَنَظَرَ إِلَى أَبِيهِ، وَهُوَ عِنْدَهُ فَقَالَ لَهُ:" أَطِعْ أَبَا الْقَاسِمِ ﷺ،فَأَسْلَمَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺوَهُوَ يَقُولُ ﷺ:" الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ"[2]، إنها الرحمة النبوية؛ يزور خادمه غير المسلم، ويحرص على إنقاذه من النار في وقت لن يقدم فيه هذا الغلام للإسلام في الدنيا أي شيء، ولكنه ﷺ هو الذي أرسله الله تعالى رحمة للعالمين

قال تعالى:﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾[الأنبياء:١٠٧].

٥- يأمر النبي ﷺ بزيارة المقابر لتكون تذكرة ومحرضاً ومرغباً في الأعمال الصالحة، وتذكرة عملية بالموت، فعَنْ بُرَيْدَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:« نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ فَزُورُوهَا"[3].

٦- يوقن المسلم أنَّ الموت نهاية كل مخلوق حي، فهو يحرص على كتابة الوصية[4] لتكون تذكرة لنفسه، وحفظاً لحقوق الناس، وضبطاً لتصرف من بعده من الورثة،عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺقَالَ:" مَا حَقُّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ لَهُ شَيْءٌ يُوصِي فِيهِ يَبِيتُ لَيْلَتَيْنِ إِلاَّ وَوَصِيَّتُهُ مَكْتُوبَةٌ عِنْدَهُ".**قال عبدالله بن عمر-رضي الله عنهما-:" ما مرَّت**

---

[1] رواه الترمذي، السنن، كتاب: البر والصلة عن رسول الله ﷺ، باب: ما جاء في زيارة الإخوان، رقم٢٠٠٨، وقال:" حديث حسن غريب"، ورواه ابن ماجه، السنن، كتاب: الجنائز، بَابُ: مَا جَاءَ فِي ثَوَابِ مَنْ عَادَ مَرِيضًا، رقم١٤٤٣.

[2] رواه البخاري، الصحيح، كتاب: الجنائز، بَابٌ:أ إِذَا أَسْلَمَ الصَّبِيُّ هَلْ يُصَلَّى عَلَيْهِ وَهَلْ يُعْرَضُ عَلَى الصَّبِيِّ الْإِسْلَامُ، رقم١٣٥٦.

[3] رواه مسلم، الصحيح، كتاب: الجنائز، باب اسْتِئْذَانِ النَّبِيِّ ﷺ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي زِيَارَةِ قَبْرِ أُمِّهِ، رقم٩٧٧، باختصار.

[4] احتياطاً لتطبيق الوصية يُشهد عليها، ويوضع نسخة منها في المحكمة الشرعية.

عليّ ليلة منذُ سمعتُ رسول الله ﷺ قال ذلك إلا وعندي وصيَّتي"(1)، قال الإمام النـووي-رحمه الله تعالى-:" فيهِ : الْحَثّ عَلَى الْوَصِيَّة، وَقَدْ أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى الْأَمْر بِهَـا، لَكِـنَّ مَذْهَبنَا وَمَذْهَب الْجَمَاهِير أَنَّهَا مَنْدُوبَة لَا وَاجِبَة، لَكِنْ إِنْ كَانَ عَلَى الْإِنْسَان دَيْـن أَوْ حَـقّ أَوْ عِنْده وَدِيعَة وَنَحْوهَا لَزِمَهُ الْإِيصَاء بِذَلِكَ ، قَالَ الشَّافِعِيّ -رَحِمَهُ اللَّه تعالى- :" مَعْنَى الْحَدِيث مَا الْحَزْم وَالِاحْتِيَاط لِلْمُسْلِمِ إِلَّا أَنْ تَكُون وَصِيَّته مَكْتُوبَة عِنْده"، وَيُسْتَحَبّ تَعْجِيلهَا، وَأَنْ يَكْتُبهَا فِي صِحَّته، وَيُشْهِد عَلَيْهِ فِيهَا، وَيَكْتُب فِيهَا مَا يَحْتَاج إِلَيْهِ، فَإِنْ تَجَدَّدَ لَهُ أَمْـر يَحْتَـاج إِلَـى الْوَصِيَّة بِهِ أَلْحَقَهُ بِهَا، قَالُوا:" وَلَا يُكَلَّف أَنْ يَكْتُب كُلّ يَوْم مُحَقَّرَات الْمُعَامَلَـات؛ وَجُزْئِيَّـات الْأُمُور الْمُتَكَرِّرَة"(2)، والأصل أن ينضبط بالوقت الذي حدده النبي ﷺ فلا يتجاوز الليلتين، وقد ظهر ذلك الانضباط بالفعل والوقت عند ابن عمر-رضي الله عنهما-.

7- إذا فقد المسلم أخاً أو أباً أو ابناً أو زوجاً أو غيرهم، فعليه أن يرضـى بقـدر الله تعـالى، ويقول ما أمره به النبي ﷺ، فعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ-رضي الله عنها- أَنَّهَا قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّـهِ ﷺ يَقُولُ:" مَا مِنْ مُسْلِمٍ تُصِيبُهُ مُـصِيبَةٌ فَيَقُـولُ مَـا أَمَـرَهُ اللَّـهُ ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة١٥٦]، "اللَّهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا"، إِلَّا أَخْلَفَ اللَّهُ لَهُ خَيْـرًا مِنْهَا، قَالَتْ:" فَلَمَّا مَاتَ أَبُو سَلَمَةَ قُلْتُ: أَيُّ الْمُسْلِمِينَ خَيْرٌ مِنْ أَبِي سَلَمَةَ؛ أَوَّلُ بَيْتٍ هَاجَرَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ إِنِّي قُلْتُهَا فَأَخْلَفَ اللَّهُ لِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَتْ: أَرْسَلَ إِلَيَّ ﷺ حَاطِبَ بْنَ أَبِـي بَلْتَعَةَ ﷺ يَخْطُبُنِي لَهُ فَقُلْتُ: إِنَّ لِي بِنْتًا وَأَنَا غَيُورٌ فَقَالَ ﷺ:" أَمَّا ابْنَتُهَا فَنَدْعُو اللَّهَ أَنْ يُغْنِيَهَـا عَنْهَا، وَأَدْعُو اللَّهَ أَنْ يَذْهَبَ بِـالْغَيْرَةِ"(3)، ويلاحظ الانضباط بتنفيذ الأمر عند أم سلمة-رضي

---

(1) متفق عليه: البخاري، الصحيح، كتاب الوصايا، باب: الْوَصَايَا، رقـم٢٧٣٨، ومـسلم، الـصحيح، كتـاب: الوصية، باب[بدون ترجمة وهو الباب الأول]، رقم١٦٢٧، واللفظ له.

(2) النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم، ١٥/٦.

(3) رواه مسلم، الصحيح، كتاب: الجنائز، بَاب: مَا يُقَالُ عِنْدَ الْمُصِيبَةِ، رقم ٩١٨.

الله عنها- فقد نفَّذت أمر رسول الله ﷺ في أشد الظروف؛ حيث العاطفة والحزن الشديد على وفاة زوجها ﷺ، كما يلاحظ جزاء ذلك الانضباط بأن أصبحت أماً للمؤمنين-رضي الله عنها-، وأنَّ الله تعالى أكرمها بفضله، وأخلف عليها بالخير العظيم الذي لم تتوقعه.

٨- إذا كان المُتوفى زوجٌ فعلى الزوجة أن تعتد أربعة أشهر وعشراً، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [البقرة:٢٣٤]، قال ابن كثير-رحمه الله تعالى-:"هذا أمر من الله للنساء اللاتي يُتَوفَى عنهن أزواجهن: أن يعتددن أربعة أشهر وعشر ليال، وهذا الحكم يشمل الزوجات المدخول بهن وغير المدخول بهن بالإجماع"[1] فعن علقمة-رحمه الله تعالى-، عن ابن مسعود ﷺ:" أنه سئل عن رجل تزوج امرأة، ولم يفرض لها صداقاً، ولم يدخل بها حتى مات، فقال ابن مسعود ﷺ:" لها مثل صداق نسائها، لا وكس، ولا شطط[2]، وعليها العدة، ولها الميراث، فقام معقل بن سنان الأشجعي فقال قضى رسول الله ﷺ في بروع بنت واشق امرأة منا مثل الذي قضيت"، ففرح بها ابن مسعود"[3]، وهذا يُعد من الانضباط بالوقت؛ فالزوجة تتقيد بفترة حداد على زوجها، وهذا فيه نوع من الوفاء له، وكذلك تقدير لمشاعر أهله وأقاربه، وغير ذلك من المعاني النبيلة.

٩- أجاز الإسلام البكاء على وفاة القريب والصديق، ومنع من النياحة، وفي ذلك تقدير للعاطفة الإنسانية والطبيعة البشرية، وما يعتريها من حزن وعطف وألم وضعف بشري، عن أُسَامَةَ

---

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٦٣٥/١.

(٢) قال المباركفوري:" لَا وَكْسَ: أَيْ لَا نَقْصَ، وَلَا شَطَطَ: وَلَا زِيَادَةَ"، المباركفري، تحفة الأحوذي، ٢٢٠/٣.

(٣) رواه الترمذي، السنن، كتاب: النكاح، باب ما جاء في الرجل يتزوج المرأة فيموت عنها قبل أن يفرض لها، رقم١١٤٥، وقال:" حديث حسن صحيح"، ورواه أبو داود، السنن، كتاب: النكاح، باب: فيمن تزوج ولم يسم لها صداقاً حتى مات، رقم٢١١٤، والنسائي، السنن، كتاب: النكاح، التزويج على نواة من ذهب، رقم٣٣٥٤، وابن اجه، السنن، كتاب: النكاح، بَابُ: الرَّجُلِ يَتَزَوَّجُ وَلَا يَفْرِضُ لَهَا فَيَمُوتُ عَلَى ذَلِكَ، رقم١٨٩١.

بْنُ زَيْدٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قَالَ أَرْسَلَتِ ابْنَةُ[1] النَّبِيِّ ﷺ إِلَيْهِ إِنَّ ابْنًا لِي قُبِضَ، فَأْتِنَا، فَأَرْسَلَ يُقْرِئُ السَّلَامَ، وَيَقُولُ:" إِنَّ لِلهِ مَا أَخَذَ وَلَهُ مَا أَعْطَى، وَكُلٌّ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مُسَمًّى، فَلْتَصْبِرْ وَلْتَحْتَسِبْ"، فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ تُقْسِمُ عَلَيْهِ لَيَأْتِيَنَّهَا، فَقَامَ وَمَعَهُ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ، وَمَعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، وَأُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ، وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، وَرِجَالٌ-رضي الله عنهم- فَرُفِعَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ الصَّبِيُّ وَنَفْسُهُ تَتَقَعْقَعُ، فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ فَقَالَ سَعْدٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا هَذَا!، فَقَالَ:" هَذِهِ رَحْمَةٌ جَعَلَهَا اللهُ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ، وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءُ"[2]. قال الإمام النووي-رحمه الله تعالى-:"معناه: الحث على الصبر والتسليم لقضاء الله تعالى، وتقديره أنَّ هذا الذي أُخذ منكم كان له لا لكم فلم يأخذ إلا ما هو له، فينبغي أن لا تجزعوا، كما لا يجزع من استردت منه وديعة، أو عارية"[3]، وقال الإمام ابن حجر-رحمه الله تعالى-:"والذي يظهر أن الله تعالى أكرم نبيه -عليه الصلاة و السلام- لما سلم لأمر ربه وصبَّر ابنته، ولم يملك مع ذلك عينيه من الرحمة والشفقة بأن عافى الله ابنة ابنته في ذلك الوقت، فخلصت من تلك الشدة وعاشت، وقوله:" هذه": أي الدمعة أثر رحمة أي أن الذي يفيض من الدمع من حزن القلب بغير تعمد من صاحبه ولا استدعاء؛ لا مؤاخذه عليه؛ وإنما المنهي عنه الجزع وعدم الصبر"[4].

وقد حث الإسلام على الانضباط في المصائب والابتلاءات، وخاصة في أول وقوعها عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ:أَتَى عَلَى امْرَأَةٍ تَبْكِى عَلَى صَبِىٍّ لَهَا فَقَالَ لَهَا « اتَّقِى اللَّهَ وَاصْبِرِى ». فَقَالَتْ:" وَمَا تُبَالِى بِمُصِيبَتِى". فَلَمَّا ذَهَبَ قِيلَ لَهَا إِنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. فَأَخَذَهَا مِثْلُ

---

(1) قال الحافظ ابن حجر" هي زينب"، ابن حجر، فتح الباري، ٣/١٥٧.

(2) متفق عليه: البخاري، الصحيح، كتاب: الجنائز، بَابُ: قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ:"يُعَذَّبُ الْمَيِّتُ بِبَعْضِ بُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ، إِذَا كَانَ النَّوْحُ مِنْ سُنَّتِهِ"، رقم١٢٨٤، ومسلم، الصحيح، كتاب: الجنائز، باب: في شخوص بصر الميت يتبع نفسه، رقم٩٢٣.

(3) النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم، ٦/٢٢٤.

(4) ابن حجر، فتح الباري، ٣/١٥٧.

الْمَوْت، فَأَتَتْ بَابَهُ، فَلَمْ تَجِدْ عَلَى بَابِهِ بَوَّابِينَ فَقَالَتْ:" يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَمْ أَعْرِفْكَ". فَقَالَ ﷺ: « إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ أَوَّلِ صَدْمَةٍ ». أَوْ قَالَ « عِنْدَ أَوَّلِ الصَّدْمَةِ »[١].

وقد يقع من بعض الناس انضباط خاص في الأحزان والآلام، بحيث يُصبّر نفسه فلا يظهر حزنه، وهذا يقع لمصلحة شرعية، ومنها مراعاة حال قريب أو زوج، فعن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ قَالَ: اشْتَكَى ابْنٌ[٢] لأَبِي طَلْحَةَ قَالَ: فَمَاتَ، وَأَبُو طَلْحَةَ ﷺ خَارِجٌ، فَلَمَّا رَأَتِ امْرَأَتُهُ أَنَّهُ قَدْ مَاتَ هَيَّأَتْ شَيْئًا وَنَحَّتْهُ فِي جَانِبِ الْبَيْتِ، فَلَمَّا جَاءَ أَبُو طَلْحَةَ قَالَ: كَيْفَ الْغُلَامُ؟ قَالَتْ:" قَدْ هَدَأَتْ نَفْسُهُ، وَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ قَدِ اسْتَرَاحَ"، وَظَنَّ أَبُو طَلْحَةَ أَنَّهَا صَادِقَةٌ، قَالَ:" فَبَاتَ، فَلَمَّا أَصْبَحَ اغْتَسَلَ، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ أَعْلَمَتْهُ أَنَّهُ قَدْ مَاتَ، فَصَلَّى مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ثُمَّ أَخْبَرَ النَّبِيَّ ﷺ بِمَا كَانَ مِنْهُمَا ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:"لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُبَارِكَ لَكُمَا فِي لَيْلَتِكُمَا" قَالَ سُفْيَانُ: فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ:" فَرَأَيْتُ لَهُمَا تِسْعَةَ أَوْلَادٍ كُلُّهُمْ قَدْ قَرَأَ الْقُرْآنَ"[٣].

---

(١) متفق عليه: البخاري، الصحيح، كتاب: الجنائز، باب: قول الرجل للمرأة عند القبر:" اصبري"، رقم١٢٥٢، ومسلم، الصحيح، باب فِي الصَّبْرِ عَلَى الْمُصِيبَةِ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الأُولَى، رقم٩٢٦.

(٢) هو أخو أنس لأمه-رضي الله عنهم-.

(٣) متفق عليه: البخاري، الصحيح، كتاب: الجنائز، باب: مَنْ لَمْ يُظْهِرْ حُزْنَهُ عِنْدَ الْمُصِيبَةِ، رقم١٣٠١، ومسلم، الصحيح، كتاب: الجنائز، باب اسْتِحْبَابِ تَحْنِيكِ الْمَوْلُودِ عِنْدَ وِلَادَتِهِ وَحَمْلِهِ إِلَى صَالِحٍ يُحَنِّكُهُ وَجَوَازِ تَسْمِيَتِهِ يَوْمَ وِلَادَتِهِ وَاسْتِحْبَابِ التَّسْمِيَةِ بِعَبْدِ اللَّهِ وَإِبْرَاهِيمَ وَسَائِرِ أَسْمَاءِ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، رقم٢١٤٤.

المبحث الرابع

الانضباط في الجانب الاقتصادي

لقد جاء الإسلام بنظام شامل كامل نظم فيه جميع شئون حياة المسلم، في العقيدة والتصور والتعبد، كما نظم شئونه الاجتماعية وقضاياه وأموره الاقتصادية، فراعى حاجاته المادية، وأشبع رغباته، من غير إفراط ولا تفريط، بل باتزان واعتدال، فلم يأذن لأحد أن يترهب، أو أن يُهمل جانب الكسب، والرعاية لعياله، بل وجهه لينتفع بما سخَّر له الله تعالى في هذا الكون الفسيح من بر وبحر وسماء فقال تعالى:﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾ [لقمان: ٢٠]، يقول الدكتور مصطفى البغا:" الكون كله بأرضه وسمواته مُسخَّر للإنسان، إنَّ هذا الاتجاه إلى استثمار الكون والانتفاع به إلى أقصى حدود الإمكان، واعتبار ما في الكون نعماً مُقدّمة من الله تعالى خالق الكون والإنسان ينتفع ويتمتع بها، إنَّ هذا في تاريخ الحضارة كانت له نتائجُ عملية عظيمة جداً في الحضارة الإسلامية أولاً، وفي الحضارة الإنسانية عامّة"[1]، ونبَّه الله تعالى عباده أنَّ من نعمه تعالى عليهم ما أخرج لهم من الزينة والطيبات من الرزق، قال الله تعالى:﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ۚ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الأعراف:٣٢].

لقد جاء وصف النظام الاقتصادي في الإسلام بصور ميسرة ومن ذلك قول الدكتور محمود الخالدي:" إنَّ النظام الذي جاءت العقيدة الإسلامية هو النظام الصحيح الذي يُوافق الفطرة الإنسانية، ويُعالج جميع مشاكل البشر من الناحية الاقتصادية بمعالجات تتسم بالحسم والقوة والفائدة، مما يجعل الفرد والجماعة والدولة والعالم يعيشون في ظل حضارة لن يستطيع أرباب

(١) البغا، الدكتور مصطفى ديب، نظام الإسلام في العقدة والأخلاق والتشريع، ص٣٥.

القانون الوضعي أن يصلوها مهما بلغ بهم العقل من القدرة المادية أو سواها، وشتان بين النظام الذي يبتدعه العقل البشري والنظام الذي يشرعه الخالق تبارك وتعالى"[1].

إن ميدان الاقتصاد واسع رحب ففي الوقت الذي يُطالب فيه الإنسان بالعمل والسير في الأرض، فإنّه قد يقع منه اعتداء للحصول على المال بظلم أو تسلط على غيره، أو أن تقع فوضى وعشوائية في وسيلة الحصول على الكسب من غير نظر إلى نظام أو قانون يُنظم ذلك، ويُوجه ذلك بطريقة إيجابية نافعة؛ وخاصة أنّ حب التملك قضية فطرية، فكيف نظّم الإسلام ذلك وهذّبه، وكيف يحقق المسلم الانضباط الاقتصادي في نظرته وسلوكه وتعامله؟.

الجواب عن ذلك في المطلبين الآتيين:

المطلب الأول: المبادئ والأُصول والقواعد والتوجيهات الاقتصادية العامة

المطلب الثاني: العبادات المالية

المطلب الأول: المبادئ والأُصول والقواعد والتوجيهات الاقتصادية العامة

لقد جاء الاهتمام بتأسيس وبناء النظام الاقتصادي في الإسلام مبكراً؛ ذلك بأنّ الحياة الدنيا تقوم على جانبين المعنوي[2]والمادي؛ حيث تظهر أهم التوجيهات والملاحظات والمبادئ والأُصول في الجانب الاقتصادي فيما يأتي:

لقد شاء الله تعالى أن يعمل النبيﷺ بالتجارة قبل البعثة، ويسافر سعياً للعمل والحصول على الربح، وأن يكون السبب المباشر لزواجه[3] من السيدة خديجة-رضي الله عنها-؛ نتيجة قناعتها بأمانته وصدقه، وحسن إدارته المالية؛ بحصوله على الربح في تجارته مما فاق به غيره،

---

(1) الخالدي، الدكتور محمود، مفهوم الاقتصاد في الإسلام، مكتبة الرسالةالحديثة، سلسلة دراسات من أجل فهم صحيح للإسلام، الطبعة الأولى١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ص١٩.

(٢) سبقت الإشارة إلى الانضباط في العقيدة ص٩٩، والانضباط في الصلاة، ص١١٥.

(٣) لعل بعض العلاقات الاجتماعية تنشأ أحياناً نتيجة صلة اقتصادية مناسبة.

وهذا مع خلقه العظيم في تجارته ومع من يتعامل معه[1]، وبذلك يكون النبيﷺ قد تعرف على أهم مصادر المال وهي التجارة في فترة مبكرة من حياته.

كما ظهرت فوائد حُسن استخدام المال في خدمة العمل الإسلامي عبر التاريخ، بل بدأ ذلك مبكراً في أوائل البعثة النبوية، وتجلّى ذلك بما فعله أبو بكر الصديقؓ من إعتاق ثلة مباركة من المستضعفين وهم من خيرة الصحابة-رضي الله عنهم أجمعين- حتى عاتبه على ذلك أبوه أبو قحافة[2]،ونقل ذلك ابن هشام فقال:" أبو قحافة يلوم أبا بكرؓ، قال ابن إسحاق قال:" قال أبو قحافة لأبي بكر:" يا بني إني أراك تعتق رقابا ضعافاً، فلو أنك إذا ما فعلت أعتقت رجالا جلداً يمنعونك، ويقومون دونك فقال أبو بكرؓ:"يا أبت، إني إنما أريد ما أريد لله عز وجل"[3].

وقد أشاد النبيﷺ وهو على المنبر بصنيع أبي بكرؓ في الإنفاق في سبيل الله؛ وفي هذا فضيلة عظيمة واعتراف بفعله وأثره، **فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ؓ، قَالَ: خَطَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺالنَّاسَ وَقَالَ:"إِنَّ مِنْ أَمَنِّ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبَا بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا غَيْرَ رَبِّي لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ، وَلَكِنْ أُخُوَّةُ الْإِسْلَامِ وَمَوَدَّتُهُ، لَا يَبْقَيَنَّ فِي الْمَسْجِدِ بَابٌ إِلَّا سُدَّ إِلَّا بَابَ أَبِي بَكْرٍ"**[4]، قال الإمام النووي- رحمه الله تعالى-:" قَالَ الْعُلَمَاء : مَعْنَاهُ أَكْثَرُهُمْ جُودًا وَسَمَاحَة لَنَا بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، وَلَيْسَ هُوَ مِنْ الْمَنّ الَّذِي هُوَ الِاعْتِدَاد بِالصَّنِيعَةِ؛ لِأَنَّهُ أَذَى مُبْطِل لِلثَّوَابِ، وَلِأَنَّ الْمِنَّة لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ ﷺفِي قَبُول ذَلِكَ، وَفِي غَيْره"[5].

(1) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، خروجهﷺ إلى التجارة بمال خديجة رضي الله عنها، ٣/٥-٦.

(2) أسلم فيما بعدؓ.

(3) ابن هشام، السيرة النبوية، ٣/١٦١-١٦٢.

(4) متفق عليه: البخاري، الصحيح، كتاب:مناقب الأنصار، باب: هِجْـرَةُ النَّبِـيِّ ﷺ وَأَصْـحَابِهِ إِلَـى الْمَدِينَـةِ، رقم٣٩٠٤، ومسلم، الصحيح، كتاب: فضائل الصحابة، باب: مِنْ فَضَائِلِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ؓ، رقم٢٣٨٢.

(5) النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم، ٨/١٢٠.

وقد ظهرَ الاهتمامُ بالاقتصاد في بداية الهجرة؛ فقد كان غير المسلمين يسيطرون على الاقتصاد والسوق؛ ولأنّ الاقتصاد من أهم الأُسس التي تقوم عليها الدولة فقد أقام النبيﷺ للمسلمين سوقاً مستقلة؛ يديرها المسلمون، ويطورونها[1]، وقد ظهرت آثار حُسن استخدام المال في العمل الإسلامي عبر التاريخ، ولذا فالانضباط يقتضي من المسلم أن يعلم أن المال إذا استخدم في الخير في أمر الدين والدنيا فهو ممدوح، **فعن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: بعث إليَّ رسول الله ﷺ فقال: ائتني فأتيته وهو يتوضأ، فصعَّد فيَّ النظر ثم طأطأه فقالﷺ:" إني أرغب لك من المال رغبة صالحة"، قلت: يا رسول الله، ما أسلمت من أجل المال؛ ولكني أسلمت رغبة في الإسلام وأن أكون مع رسول الله ﷺ فقالﷺ:" يا عمرو، نعم المال الصالح للمرء الصالح"**[2].

إنَّ النظام الاقتصادي في الإسلام له كيانه، وقواعده وضوابطه، ومبادؤه وشموله، وله آثاره؛ التي تنعكس على الجوانب الأخرى الاجتماعية والعلمية والسياسية وغيرها، وقد عرَّفه الدكتور محمود الخالدي فقال:" هو النظام الذي يُعالج توزيع الأموال والمنافع على جميع أفراد الرعية، وتمكينهم من الانتفاع بها، وكيفية السعي لها وحيازتها"[3]؛ فهو نظام يسعى لتوزيع المال على اختلاف مصادره وأنواعه على جميع المواطنين بعدل وإنصاف.

وقد حث الإسلام على العفة عن مال الآخرين بالسؤال أو الطلب، أو حتى بإظهار الفقر والحاجة، كما أمر بالحرص على العمل والكسب، وحثَّ على عزة النفس، وهي سمة تميز بها مُعظم العلماء و الدعاة والمصلحين من الأمة الإسلامية وعلى رأسهم الصحابة-رضي الله عنهم-، **فَعَنْ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:" الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ، وَخَيْرُ**

---

(1) روى البلاذري عن عطاء بن يسار، قال: لما أراد رسول الله أن يتخذ السوق بالمدينة قالﷺ:" هذا سوقكم" البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر، فتوح البلدان، رقم النص، ٥٧، ١٥/١. وانظر: ما قاله أبو فارس في بناء الاقتصاد الإسلامي، أبو فارس، السيرة النبوية دراسة تحليلية، ص٣٠٠.

(٢) ابن حنبل، تاالإمام أحمد، المسند، رقم١٧٧٩٨، قال الشيخ شعيب الأرنؤوط:" إسناده صحيح على شرط مسلم".

(٣) الخالدي، الدكتور محمود، مفهوم الاقتصاد في الإسلام، ص٣٢.

الصَّدَقَةِ عَنْ ظَهْرِ غِنًى، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ"[1]. قال الإمام النووي- رحمه الله تعالى-:" فَالْمُنْفِقَة أَعْلَى مِنْ السَّائِلَة، وَالْمُتَعَفِّفَة أَعْلَى مِنْ السَّائِلَة؛ وَفِي هَذَا الْحَدِيث: الْحَثّ عَلَى الْإِنْفَاق فِي وُجُوه الطَّاعَات. وَفِيهِ دَلِيل لِمَذْهَبِ الْجُمْهُور: أَنَّ الْيَد الْعُلْيَا الْمُنْفِقَة"[2].

وقد تجلَّى ذلك بأمثلة عملية متعددة: منها عبدالرحمن بن عوف ﷺ في جوابه لعرض أخيه سعد بن الربيع ﷺ، فعَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ: قَدِمَ عَبْدُالرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ ﷺ الْمَدِينَةَ فَآخَى النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَهُ وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ الْأَنْصَارِيِّ ﷺ، وَكَانَ سَعْدٌ ذَا غِنًى فَقَالَ لِعَبْدِالرَّحْمَنِ أُقَاسِمُكَ مَالِي نِصْفَيْنِ وَأُزَوِّجُكَ، قَالَ:" بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ، دُلُّونِي عَلَى السُّوقِ، فَمَا رَجَعَ حَتَّى اسْتَفْضَلَ أَقِطًا وَسَمْنًا فَأَتَى بِهِ أَهْلَ مَنْزِلِهِ فَمَكَثْنَا يَسِيرًا، أَوْ مَا شَاءَ اللَّهُ - فَجَاءَ ، وَعَلَيْهِ وَضَرٌ"[3] مِنْ صُفْرَةٍ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ:" مَهْيَمْ" قَالَ يَا رَسُولَ اللهِ تَزَوَّجْتُ امْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ قَالَ ﷺ": مَا سُقْتَ إِلَيْهَا؟" قَالَ ﷺ: نَوَاةً مِنْ ذَهَبٍ، أَوْ وَزْنَ نَوَاةٍ مِنْ ذَهَبٍ قَالَ ﷺ:" أَوْلِمْ وَلَوْ بِشَاةٍ"[4]، قال الحافظ ابن حجر –رحمه الله تعالى-:" اشتغال بعض الصحابة بالتجارة في زمن النبي ﷺ،وتقريره ذلك، وفيه أن الكسب من التجارة ونحوها أولى من الكسب من الهبة"[5]، لقد أبى هذا الصحابي المهاجري الجليل ﷺ أن يقاسمه أخوه الأنصاري ﷺ ماله، رغم أنه أغنى الأنصار، فضرب بذلك

---

(1) متفق عليه: البخاري، الصحيح، كتاب: الزكاة، باب: لاَ صَدَقَةَ إِلاَّ عَنْ ظَهْرِ غِنًى، رقم١٤٢٧، ومسلم، الصحيح، كتاب: الزكاة، باب: بيان أنّ اليد العليا خير من اليد السفلى، وأن اليد العليا هي المنفقة وأنّ السفلى هي الآخذه، رقم١٠٣٤.

(2) النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم، ٣/٤٨٤.

(3) "أي لَطْخاً من خَلُوق أو طِيبٍ له لَونٌ وذلك من فِعل العَرُوس إذا دخل على زوْجَته . والوَضَر : الأثَر من غير الطِّيب"، ابن الأثير، غريب الحديث والأثر، ١/١٧١. ومهيم: "ما أمركم وشأنكم"، المرجع السابق، ٤/٣٢٢.

(4) متفق عليه: البخاري، الصحيح، كتاب: البيوع، باب: ما جاء في قول الله عز وجل ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَوٰةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا ۚ قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ ۚ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١﴾ ﴾ [الجمعة:١٠-١١]، وقوله:﴿ لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ ﴾[النساء:٢٩]، رقم٢٠٤٩، ومسلم، الصحيح، كتاب: النكاح، باب: الصداق وجواز كونه تعليم قرآن وخاتم حديد وغير ذلك من قليل وكثير واستحباب كونه خمسمائة درهم لمن لا يجحف به، رقم١٤٢٧، وقد سبقت الإشارة إلى المعاني الاجتماعية، في الانضباط الاجتماعي، ص١٤٢.

(5) ابن حجر، فتح الباري، ٤/٢٩٠.

أروع الأمثلة في العفة، والحرص على العمل بيده، والحضور إلى السوق، وتحصيل الكسب الحلال، بل وتحول خلال أيام يسيرة إلى أن يُولم من ماله الخاص فيطعم غيره، فما أحوج أبناء الإسلام إلى العمل بأيديهم، ليتبوءوا بذلك أرفع المقامات وأسماها في الدنيا والآخرة!.

لقد راعى الإسلام الفطرة الإنسانية في حب التملك فأقر ذلك بحكمة واتزان وعدل؛ حيث أجاز الملكية[1] بأنواعها: الفردية: وهي التي تكون لشخص بعينه ذكراً أو انثى، كما أجاز الملكية المشتركة وهي التي تكون للمجموعة من الشركاء بناء على رغبتهم ومصلحتهم المشتركة، أو التي تكون بسبب خارجي كالميراث قبل قسمته بين الورثة، كما أثبت الملكية العامة: وهي التي تكون لعموم الناس، كملكية الدولة للطرقات العامة، أو آبار الماء والنفط، أو المعادن المستخرجة من باطن الأرض، وقد يكون أصل هذه الملكية فردية أو مشتركة تحولت إلى ملكية عامة لمصلحة حقيقية وعادلة.

لقد نظَّم الإسلام قضية التملك وهذَّبها، ووضع القواعد والضوابط والأسس الناظمة لعملية التكسب المشروع، وقد أشار إلى ذلك الدكتور محمد المبارك فقال:" إنَّ لكل حضارة قواعد تشريعية تحدد طرق التملك، واكتساب الملكية، وطرق تبادلها، والحقوق الي تُكتسب بها، وحدود هذه الحقوق سواء في ذلك تملك الفرد أو الجماعة، وسواء أكانت الجماعة هي الدولة أو المجتمع كله أم كانت غيرها، وتحدد كذلك ما يكتسبه بالعمل أو بالجهد المبول للانتاج أو لتقديم خدمات مادية أو معنوية من حقوق وسائر علاقات العمل بين الناس وجميع قواعد العلاقات المالية بين الأفراد، أو بين الأفراد والدولة والمجتمع"[2].

كما أنَّ الإسلام قد أباح العملَ بالتجارة بعد انقضاء صلاة الجمعة، قال ابن كثير-رحمه الله تعالى-:" لَمَّا حَجَرَ[3] عليهم في التصرف بعد النداء وأمرهم بالاجتماع، أذن لهم بعد

---

(١) أبو حمد، الدكتور رضا صاحب، الخطوط الكبرى في الاقتصاد الإسلامي، الملكية: مفهومها وأنواعها ومشروعيتها، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان- الأردن، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، ص٦٩-٧٥. بتصرف واختصار.

(٢) المبارك، الدكتور محمد، **نظام الإسلام الاقتصاد مبادئ وقواعد**، الأسس العقائدية والأخلاقية، دار الفكر، بيروت- لبنان، الطبعة الثالثة ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ص١٩.

(٣) قال ابن الأثير:" حجر: المنع من التصرف"، ابن الأثير، النهاية، ١/٣٣٠.

الفراغ في الانتشار في الأرض والابتغاء من فضل الله"[1]، قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَوٰةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [الجمعة: ١٠]، فإذا كان التوجيه والتذكير بإباحة العمل بالتجارة في يوم الجمعة وبعد أداء الصلاة، فكيف بغيره من الأيام؟!.

لقد بين الإسلام أنَّ في الملكية العامة مصلحة مشتركة لجميع الناس، ومن مواردها القديمة الخراج: وهو مما كان يرد من أجرة الأرض التي فتحها المسلمون وأبقوا أهلها عليها، وسائر ما يدخل بيت المال من الأموال[2]، والتي الأصل أن يقاس عليها في هذا الزمان خزينة الدولة، ويوضح ذلك الأستاذ فتحي إبراهيم فيقول:" إنَّ بعض الأموال ذات الملكية العامة التي لا يحق للفرد احتجازها والاستئثار بها، وعدّد الرسولﷺ منها الماء والكلأ والنار، فهي شائعة لعموم الأمة، وقد يُضاف إليها بعض الأموال حسب كل عصر ومصر، والضرورة فيه لذلك كأن يُضاف النفط لهذه الأصناف من الأموال في هذا الزمان؛ وذلك لعدم الاستغناء عنه من خلال تنظيم واضح وأسلوب إداري ناجح لهذا المرفق المهم في حياة الناس"[3]؛ ولذلك فإنَّ تركيز المال بأيدي فئة قليلة من الناس وانحساره عن الغالبية يثير مفاسد وأحقاد وأضغان، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ:" ثَلاَثٌ لاَ يُمْنَعْنَ : الْمَاءُ، وَالْكَلأُ، وَالنَّارُ"[4]. قال الإمام السندي-رحمه الله-:" والمشهور بين العلماء أنَّ المراد بالكلأ: الكلأ المباح الذي لا يختص بأحد، والماء: ماء السماء والعيون والأنهار التي لا ملك لها، وبالشجر: الشجر الذي يحتطبه الناس من المباح"[5].

---

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ١٢٢/٨.

(٢) المرجع السابق، ص١٠٣، بتصرف.

(٣) حمدان، فتحي إبراهيم، **الاقتصاد الإسلامي بين آفاق التنمية ومعوقاتها**، المملكة الأردنية الهاشمية-عمان، دار الفاروق، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ/٢٠٠٨م، ص١٥٢-١٥٣.

(٤) رواه أبو داود، السنن، كتاب: الإجارة، باب: في منع الماء، وابن ماجه، السنن، كتاب: الرهون، بَابُ: الْمُسْلِمُونَ شُرَكَاءُ فِي ثَلاَثٍ، رقم٢٤٧٣، قال الألباني:" صحيح"، ورواه أحمد، المسند،

(٥) السندي، كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجه، ٩٠/٣، إنَّ ترجيح هذا المعنى يبعد عن الظلم والتعدي على المال العام، أو الخاص بشركة، أو فئة معينة.

وقد حث الإسلام على استثمار الكفاءات، وتفعيل الطاقات، وحارب الخمول والكسل، وسائر الآفات الاقتصادية، قال الشيخ محمد أبو زهرة:" العناية بإعداد كل إنسان للعمل، وتمكينه من العمل الذي يُناسبه؛ فإنَّ القوى المتعطلة تتربى عادة على الخمول، وعدم الاعتماد على النفس، ويسودها الفقر من غير محاولة لعمل، وفي وسط تلك الحال تموت الكرامة، وتهون النفس، وتتعود سلوك كل المسالك الذليلة. ولا علاج لهذا الداء إلا بالترغيب في العمل والحمل عليه، وتهيئة الأسباب، ليشعروا بعزة العمل، ونيل العيش بالجد"[1]، **بل أباح الإسلام التجارة في الأسواق التي كانت في الجاهلية، فعن ابن عَبَّاسٍ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-:" قَالَ كَانَتْ عُكَاظٌ وَمِجَنَّةُ وَذُو الْمَجَازِ أَسْوَاقًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَلَمَّا كَانَ الإِسْلامُ فَكَأَنَّهُمْ تَأَثَّمُوا فِيهِ، فَنَزَلَتْ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ﴾[البقرة: ١٩٨]، فِي مَوَاسِمِ الْحَجِّ"[2]، فإذا كان في موسم الحج تُباح التجارة، فكيف في غيرها؟!،** بل قد بيَّن الله تعالى في كتابه العزيز، أن الرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام كانوا يمشون في الأسواق، وأخرهم خاتمهم محمدﷺ، قال تعالى:﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾** ﴾ [الفرقان ٢٠]، **وقال تعالى:﴿ وَقَالُوا مَالِ هَٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا ﴿٧﴾ ﴾** [الفرقان: ٧].

إنَّ الأمانة في التعامل المالي فريضة شرعية وضرورة بشرية في ميزان الإسلام، وهو مبدأ عظيم يجعل الإنسان يشعر بالأمن والطمأنينة على تجارته وماله، قال الشيخ محمد أبوزهرة-

---

(1) أبو زهرة، محمد، تنظيم الإسلام للمجتمع، ص١١٢-١١٣، باختصار.

(2) رواه البخاري، الصحيح، كتاب: البيوع، باب: ما جاء في قول الله عز وجل:﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَوٰةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١﴾ ﴾ [الجمعة]، وقوله تعالى:﴿ لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ ﴾[النساء]، رقم٢٠٥٠.

رحمه الله-:" ومما أحاط به الإسلام المعاملات لتكون في دائرة الفضيلة التي ينمو المال بظلها- الأمانة، فقد أمر بها لكل إنسان لا فرق بين مسلم وغير مسلم، وغني وفقير، فالكل سواء في أنّ له الحق في المحافظة على ماله بأمانة"[1]، وهذا يقتضي أن يكلف بالعمل المالي من هو كفء، سواء كان عملاً إدارياً، أو مالياً بحتاً كبعض الأعمال المحاسبية، فعَنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلَا تَسْتَعْمِلُنِي؟ قَالَ: فَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى مَنْكِبِي، ثُمَّ قَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنَّكَ ضَعِيفٌ، وَإِنَّهَا أَمَانَةُ، وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ، إِلَّا مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا، وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا»[2].

كما أنّ ترك الشبهات منهج إسلامي مقرر في القضايا الاقتصادية وغيرها، فعَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنهما- قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:"الْحَلَالُ بَيِّنٌ وَالْحَرَامُ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا أُمُورٌ مُشْتَبِهَةٌ، فَمَنْ تَرَكَ مَا شُبِّهَ عَلَيْهِ مِنَ الإِثْمِ كَانَ لِمَا اسْتَبَانَ أَتْرَكَ، وَمَنِ اجْتَرَأَ عَلَى مَا يَشُكُّ فِيهِ مِنَ الإِثْمِ أَوْشَكَ أَنْ يُوَاقِعَ مَا اسْتَبَانَ، وَالْمَعَاصِي حِمَى اللهِ مَنْ يَرْتَعْ حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ"[3]. قال الإمام النووي-رحمه الله تعالى-:"أجمع العلماء على عظم وقع هذا الحديث وكثرة فوائده، قال العلماء:" وسبب عظم موقعه أنه ﷺ نبه فيه على إصلاح المطعم والمشرب والملبس وغيرها، وأنه ينبغي ترك المشتبهات؛ فإنه سبب لحماية دينه وعرضه وحذّر من مواقعة الشبهات، وأوضح ذلك بضرب المثل بالحمى ثم بين أهم الأمور وهو مراعاة القلب فقال ﷺ:" ألا وإنّ في الجسد مضغة إلى آخره فبين ﷺأن بصلاح القلب يصلح باقي الجسد وبفساده يفسد باقيه"[4]، قال ابن رجب-رحمه الله تعالى: "الحلال والحرام على قسمين :أحدهما: ما هو واضح لا خفاء به على عموم الأمة؛ لاستفاضته بينهم وانتشاره فيهم؛ فهذا هو الحلال البين والحرام البين. ومنه: ما

([1]) أبو زهرة، محمد، تنظيم الإسلام للمجتمع، ص١٧.

([2]) مسلم، الصحيح، كتاب: الإمارة، باب: كراهة الإمارة بغير ضرورة، رقم١٨٢٥.

([3]) متفق عليه: البخاري، الصحيح، باب: الحلال بين والحرام بين وبينهما مشبهات، رقم٢٠٥١، ومسلم، الصحيح، كتاب: تالمساقاة، باب: أخذ الحلال وترك الشبهات، رقم١٥٩٩.

([4]) النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم، ١١/٢٧.

تحليله وتحريمه لعينه كالطيبات من المطاعم والمشارب والملابس والمناكح والخبائث من ذلك كله ومنه: ما تحليله وتحريمه من جهة كسبه كالبيع والنكاح والهبة والهدية وكالربا والقمار والزنا والسرقة والغصب والخيانة وغير ذلك. القسم الثاني: ما لم ينتشر تحريمه وتحليله في عموم الأمة؛ لخفاء دلالة النص عليه ووقوع تنازع العلماء فيه ونحو ذلك، فيشتبه على كثير من الناس أهو من الحلال أو من الحرام؟، وأما خواص أهل العلم الراسخون فيه فلا يشتبه عليهم؛ بل عندهم من العلم الذي اختصوا به عن أكثر الناس ما يستدلون به على حل ذلك أو حرمته، فهؤلاء لا يكون ذلك مشتبها عليهم لوضوح حكمه عندهم"[1].

ولا يخفى أنَّ من أكثر المسائل المستجدة القضايا الاقتصادية المعاصرة، والتي ينبغي أن يتصدر للإفتاء بها نخبة من كبار العلماء، وأن تعقد المجامع الفقهية لإصدار فتوى في المسائل الكبرى؛ خاصة القضايا الاقتصادية في الدول الأجنبية، والتي ينبغي فيها المزيد من التأني والحذر!.

وقد ظهر ورع النبيﷺ وشدة توقيه الحلال في أيسر الأمور حتى لو كان ذلك تمرة وجدها ساقطة[2] فهو يخاف أن تكون من مال الصدقة؛ لأنَّ الصدقة لا تحل له، **فعَنْ أَنَسٍ﷛ قَالَ:" مَرَّ النَّبِيُّﷺ بِتَمْرَةٍ مَسْقُوطَةٍ فَقَالَﷺ:" لَوْلاَ أَنْ تَكُونَ من صَدَقَةٍ لأَكَلْتُهَا"**[3]. وكذلك ينبغي توقي الأخذ من المال بغير حق وخاصة ممن هم تحت مسئولية غيرهم، أو تحت الولاية كالصغار، **فعن أبي هريرة﷛ قال:" أخذ الحسن بن علي-رضي الله عنهما- تمرة من تمر الصدقة، فجعلها في**

([1]) ابن رجب، زين الدين أبو الفرج، البغدادي ثم الدمشقي، عبد الرحمن بن شهاب الدين، فتح الباري، دار ابن الجوزي - السعودية / الدمام - ١٤٢٢هـ، الطبعة: الثانية، تحقيق: أبو معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، ٢٠٤/١.

([2]) انظر: ابن حجر، فتح الباري، ٤١٨/٤.

([3]) متفق عليه: البخاري، الصحيح، كتاب:البيوع، باب: ما يتنزه من الشبهات، رقم٢٠٥٥، ومسلم، الصحيح، كتاب: الزكاة، باب: تحريم الزكاة على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى آله وهم بنو هاشم وبنو المطلب دون غيرهم، رقم١٠٧١.

فيه، فقال رسول الله ﷺ:" كخ كخ، ارم بها أما علمت أنا لا نأكل الصدقة؟[1]. قال الإمام النووي-رحمه الله تعالى-:"كخ": وَهِيَ كَلِمَة يُزْجَرُ بِهَا الصِّبْيَانُ عَنْ الْمُسْتَقْذَرَات فَيُقَال لَهُ: "كِخْ": أَيْ اُتْرُكْهُ، وَارْمِ بِهِ، وَفِي الْحَدِيث أَنَّ الصِّبْيَان يُوَقَّوْنَ مَا يُوَقَّاهُ الْكِبَار، وَتُمْنَع مِنْ تَعَاطِيه، وَهَذَا وَاجِب عَلَى الْوَلِيّ""[2].

وقد حذَّر النبيﷺ الناس من فتنة المال، وهو مما يقع في آخر الزمان من الحرص الشديد على المال مع عدم المبالاة بحرمته، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:" يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لاَ يُبَالِي الْمَرْءُ مَا أَخَذَ مِنْهُ أَمِنَ الْحَلاَلِ أَمْ مِنَ الْحَرَامِ"[3]، وهذا يقتضي شدة الحرص، والتوقي في الحصول على المال في آخر الزمان، قال ابن حجر-رحمه الله تعالى-:"ووجه الذم من جهة التسوية بين الأمرين، وإلا فأخذ المال من الحلال ليس مذموماً من حيث هو"[4]، فالذي يسوي بين الحرام والحلال مستحق للذم؛ لأن هدفه ومقصده الحصول على المال، بصرف النظر عن مصدره.

وقد فتح الإسلام أبواب التجارة بصورهاالمتنوعة والواسعة في البر والبحر والجو، وفي داخل بلاد المسلمين وخارجها، ومع المسلمين ومع غيرهم، وبأنواع البضاعة المتعددة، ونقداً ولأجل، ولم يستثن من ذلك إلا أنواعاً محدودة من البيوع كالربا والقمار والغش وما فيه غبن وخداع، وأنواع محدودة من البيوع مما فيه غرر، وإلا فالأصل في البيوع الحل والإباحة وعلى من يحرِّم نوعاً من البيوع الإتيان بالدليل.

---

(1) متفق عليه: البخاري، الصحيح، كتاب: الزكاة، باب: أخذ صدقة التمر عند صرام النخل، وهل يترك الصبي فيمس تمر الصدقة؟، رقم١٤٨٥، ومسلم، الصحيح، كتاب: الزكاة، باب: تحريم الزكاة على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى آله وهم بنو هاشم وبنو المطلب دون غيرهم، رقم١٠٦٩.

(2) النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم، ٣٣/٤.

(3) رواه البخاري، الصحيح، كتاب: البيوع، باب: من لم يبال من حيث كسب المال، رقم٢٠٥٩.

(4) ابن حجر، فتح الباري، ٢٩٧/٤.

وقد شرع الإسلام الضوابط والقواعد، وسنّ التشريعات في تنظيم البيع والشراء، والتبادل التجاري، وهي قواعد محدودة ومنها: الأصل في الأشياء الإباحة[1]، قال الدكتور عبدالكريم زيدان:" ويتخرج على هذه القاعدة العقود والتصرفات التي لم يرد نص صريح بجوازها ولا بتحريمها، وليس فيها شبهة الربا والضرر؛ فإنها تُعتبر مباحة عملاً بهذه القاعدة"[2]، وذكر الإمام البخاري-رحمه الله تعالى- أبواباً متعددة تدل على سعة أمر الاقتصاد في الإسلام منها: باب الْخُرُوجِ فِي التِّجَارَةِ[3]، وقال: باب: التجارة في البحر[4]، وقال باب: شراء النبيﷺ بالنسيئة[5]، وقال: باب: السهولة والسماحة في الشراء البيع، ومن طلب حقاً فليطلبه في عفاف[6]، وقد ورد في ذلك أحاديث متعددة

أ- عَنْ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا-:" أَنَّ النَّبِيَّﷺ اشْتَرَى طَعَامًا مِنْ يَهُودِيٍّ إِلَى أَجَلٍ وَرَهَنَهُ دِرْعًا مِنْ حَدِيدٍ"[7].

ب- عَنِ الْمِقْدَامِ ﷺ قال رَسُولِ اللهِ ﷺ:"إِنَّ نَبِيَّ اللهِ دَاوُدَ – عَلَيْهِ الصلاة السَّلَامُ – كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ"[8].

---

(1) زيدان، الدكتور عبدالكريم، الوجيز في شرح القواعد الفقهية في الشريعة الإسلامية، مؤسسة الرسالة ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ص١٧٨.

(2) المرجع السابق، ص١٨٠.

(3) البخاري، الصحيح، كتاب: البيوع، باب: حديث رقم٢٠٦٢.

(4) المصدر السابق، باب: حديث رقم٢٠٦٣.

(5) المصدر السابف، باب: حديث رقم٢٠٦٨.

(6) المصدر السابق، باب: حديث ٢٠٧٦.

(7) متفق عليه: البخاري، الصحيح، كتاب: البيوع، باب: شراء النبيﷺ بالنسيئة، رقم٢٠٦٨، ومسلم، الصحيح، كتاب: المساقاة، باب: الرهن وجوازه في الحضر والسفر، رقم١٦٠٣.

(8) رواه البخاري، الصحيح، كتاب: البيوع، باب: كسب الرجل وعمله بيده، رقم٢٠٧٢.

ج- عن أبي هُرَيْرَةَ ﷺقال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:" لأَنْ يَحْتَطِبَ أَحَدُكُمْ حُزْمَةً عَلَى ظَهْرِهِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ أَحَدًا فَيُعْطِيَهُ، أَوْ يَمْنَعَهُ"(١).

د- عنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّه-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ:" رَحِمَ اللَّهُ رَجُلاً سَمْحًا إِذَا بَاعَ، وَإِذَا اشْتَرَى، وَإِذَا اقْتَضَى"(٢).

هـ- عن حُذَيْفَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:" تَلَقَّتِ الْمَلائِكَةُ رُوحَ رَجُلٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ قَالُوا أَعَمِلْتَ مِنَ الْخَيْرِ شَيْئًا قَالَ: كُنْتُ آمُرُ فِتْيَانِي أَنْ يُنْظِرُوا وَيَتَجَاوَزُوا، عَنِ الْمُوسِرِ قَالَ: قَالَ فَتَجَاوَزُوا عَنْهُ(٣).

و- عَنِ ابْنِ عُمَرَ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- عَنِ النَّبِيِّ ﷺقَالَ:" إِنَّ الْمُتَبَايِعَيْنِ بِالْخِيَارِ فِي بَيْعِهِمَا مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا ، أَوْ يَكُونُ الْبَيْعُ خِيَارًا"(٤)، وعن حَكِيمَ بْنَ حِزَامٍ ﷺعَنِ النَّبِيِّ ﷺقَالَ:" الْبَيِّعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا، فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا، وَإِنْ كَذَبَا وَكَتَمَا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا"(٥).

ز- عن عَائِشَةُ-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- قالت: قال رَسُولُ اللهِ ﷺ:" مَا بَالُ أُنَاسٍ يَشْتَرِطُونَ شُرُوطًا لَيْسَ فِي كِتَابِ اللهِ، مَنِ اشْتَرَطَ شَرْطًا لَيْسَ فِي كِتَابِ اللهِ فَهُوَ بَاطِلٌ، وَإِنِ اشْتَرَطَ مِئَةَ شَرْطٍ، شَرْطُ اللهِ أَحَقُّ وَأَوْثَقُ"(٦)، والمقصود بذلك أنَّ أي شرط لا يتوافق مع كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ فلا قيمة له، ولا اعتبار.

١٠- الاقتصاد في الإسلام له ضوابط ومبادئ ينبغي مراعاتها: وقد أشار بعض العلماء إلى أهم الضوابط في النظام الاقتصادي في الإسلام فقال:" النية الصالحة: فبالنية الصالحة تتحول

---

(١) رواه البخاري، الصحيح، رقم٢٠٧٤.

(٢) متفق عليه: البخاري، الصحيح، كتاب: البيوع، باب: السهولة والسماحة في الشراء والبيع، ومن طلب حقاً فليطلبه في عفاف، رقم٢٠٧٦، ومسلم، الصحيح، كتاب: المساقاة، باب: فضل إنظار المعسر، رقم١٥٦٠.

(٣) رواه البخاري، الصحيح، كتاب: البيوع، باب: من أنظر موسراً، رقم٢٠٧٧.

(٤) متفق عليه: البيخاري، كتاب: البيوع، باب: كم يجوز الخيار؟، رقم٢١٠٧، ومسلم، الصحيح، كتاب: البيوع، باب: ثبوت خيار المجلس للمتبايعين، رقم١٥٣١.

(٥) رواه البخاري، الصحيح، كتاب: البيوع، باب: البيعان بالخيار ما لم يتفرقا، رقم٢١١٠.

(٦) رواه البخاري، الصحيح، كتاب: البيوع، باب: الشراء والبيع مع النساء، رقم٢١٥٥.

العادات إلى عبادات، والخلق الحسن: ومنها في عالم الاستثمار الصدق، والقناعة والوفاء بالوعد وإنظار المعسر، والتعامل بالطيبات: فالمستثمر المسلم لا يستزله طلب الربح بحيث يُخرجه عما أحله الله إلى ما حرمه، وأداء الحقوق: سواء أكانت أجوراً للعاملين، أم ديوناً للآخرين، وتجنب أكل أموال الناس بالباطل:فحرمة مال المسلم كحرمة دمه، ولا يحل ماله إلا بطيب نفس منه، وكذلك مع غير المسلم، ومن صور أكل أموال الناس بالباطل: الرشوة، والغش، والاحتكار، وعدم الإضرار بالآخرين، والالتزام باللوائح النظامية في إطار سيادة الشريعة؛ فالتاجر المسلم لا يضع نفسه تحت طائلة العقوبات الوضعية بسبب مخالفته للنظم واللوائح السائدة في المجتمع، وهذا من باب دفع المفاسد ومنع المضار، فلا يتأخر في تسديد المستحقات المالية حتى لا يقع تحت طائلة العقوبات"[1].

إنّ العمل على تحقيق الانضباط الاقتصادي يقتضي المعرفة بأحكام البيع والشراء وصور التبادل التجاري، ويقتضي من الدولة المسلمة والشركات والمؤسسات إعداد المتخصصين المهرة في سائر الأعمال الاقتصادية والزراعية والصناعية والمهنية ؛ لتوفير القدرة على حُسن إدارة الموارد الاقتصادية والمالية بأنواعها، والتوجه نحو استخراج المعادن والموارد الباطنة والظاهرة، وحسن استثمارها، والسعي نحو الرقي الاقتصادي، والسعي لتحقيق الاكتفاء الاقتصادي، كما ينبغي إتقان التبادل التجاري بين المسلمين مع بعضهم ومع غيرهم، والاجتهاد في الإنتاج، وتجاوز الاقتصار على الاستهلاك، والحذر من التبعية للغير، بل وتجنب الإسراف، والتحول نحو الإنتاج المثمر في كل ميدان، ودراسة أحوال الدول التي تحولت إلى دول اقتصادية متقدمة، والتعاون البناء معها، كاليابان والصين .

---

(1) المصلح، الدكتور عبدالله، ورفيقه الدكتور صلاح الصاوي، ما لا يسع التاجر جهله، دليل المستثمر إلى الأحكام الشرعية للمعاملات الاقتصادية المعاصرة، السعودية- الرياض، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ص٧-١٨، باختصار وتصرف.

إنّ تفعيل دور البنوك الإسلامية التي تتقيد بالنظام الشرعي في نظامها النظري، وتطبيقها العملي، وتفعيل أموال المسلمين التي تُعد بالمليارات، وإخراجها من البنوك الربوية الداخلية والخارجية، والعمل على تشغيل الأيدي العاملة، ورفع كفاءتها، وحُسن استثمارها.

وكذا التعاون للوصول إلى التكامل، والعمل على تحقيق الاكتفاء الذاتي بين دول المسلمين فريضة شرعية وضرورة بشرية؛ وذلك لتحقيق كيان الأمة الإسلامية وسيادتها، وتطبيق الشريعة الإسلامية في مختلف جوانب حياتها.

المطلب الثاني: العبادات المالية

لقد شرع الإسلام عبادات تقوم على الإنفاق المادي في سبيل الله تعالى، وطاعة له تبارك وتعالى، ولم يقتصر التشريع على العبادات البدنية فقط؛ وذلك لتحقيق الانضباط بالعبودية الكاملة لله تعالى، وعدم التفريق -من جهة الفعل- بين الصلاة والزكاة،، **ففي الصحيحين أن أبا بكر الصديق ﷺ قال :"وَاللَّهِ لأُقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلاَةِ وَالزَّكَاةِ؛ فَإِنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ الْمَالِ، قَالَ عُمَرُ ﷺ:" فَوَاللَّهِ مَا هُوَ إِلاَّ أَنْ قَدْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ ﷺ؛فَعَرَفْتُ أَنَّهُ الْحَقُّ"**(١).

وكذلك فإنّ الزكاة تؤدي آثاراً وثماراً عظيمة في المودة والمحبة والتعاون والانسجام بين الناس، وبيان ذلك فيما يأتي:

إنَّ الزكاة ركن عظيم من أركان الإسلام، ولها آثارها العظيمة على الفرد والمجتمع وهي تتعلق بأنواع متعددة من المال، ضمن قواعد وضوابط وضعها العلماء، وهي تؤدي رسالة عظيمة في الفرد والمجتمع والدولة، **وكان بعض الصحابة-رضي الله عنهم- يبايع النبي ﷺ على إيتاء الزكاة، فعن جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ ﷺ قال:" بَايَعْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَلَى إِقَامِ الصَّلَاةِ**

---

(١) متفق عليه: البخاري، الصحيح، كتاب: الزكاة، باب وُجُوبِ الزَّكَاةِ، ومسلم، الصحيح، كتاب: الإيمان، باب: الأَمْرِ بِقِتَالِ النَّاسِ حَتَّى يَقُولُوا لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّه، رقم٢٠.

وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَالنُّصحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ"[١]، وهذا يُشعر أنَّ الانضباط بأداء الزكاة مسألة كان لها الأولوية في أعمال المسلم.

ومما لا شك فيه أنَّ للزكاة رسالة كبيرة وعظيمة في المجتمع الإسلامي يشير إلى بعض ذلك الدكتور القرضاوي فيقول:" الزكاة مورد أساسي من الموارد المالية في الدولة الإسلامية، وهذا يُخرجها عن أن تكون عبادة محضة، فهي جزء من النظام المالي والاقتصادي في الإسلام، ولهذا عُنيت بها كتب الفقه المالي في الإسلام، وهي المؤسسة الأولى للضمان الاجتماعي في الإسلام، ونظرة سريعة إلى مصرفها، كما نص عليها القرآن، تشير بوضوح إلى الوجه الاجتماعي للزكاة، وإلى الأهداف الإنسانية التي تتوخى تحقيقها في المجتمع المسلم"[٢].

إنَّ الزكاة تؤدي رسالة اجتماعية عظيمة في المجتمع، وقد بين ذلك الدكتور القرضاوي فقال:" فإن خمسة من مصارفها الثمانية تتمثل في ذوى الحاجات الأصلية أو الطارئة من الفقراء والمساكين وفى الرقاب والغارمين وابن السبيل، ومصرف سادس لخدمة هذه المصارف وهو الجهاز الإداري لجمع الزكاة وتفريقها، أما المصرفان الباقيان فلهما علاقة بسياسة الدولة الإسلامية ورسالتها في العالم، ومهمتها في الداخل والخارج، فلها -من مال الزكاة- أن تؤلف القلوب على الإسلام، استمالة إليه، أو تثبيتًا عليه، أو ترغيبًا في الولاء لأمته، والمناصرة لدولته، أو نحو ذلك مما تقتضيه المصلحة العليا للأمة، كما أن للزكاة دورًا في تمويل الجهاد، ومنه نشر الدعوة، وحماية الأمة من الفتنة، وإعانة المجاهدين والدعاة حتى تعلو كلمة الإسلام، ويظهر دين محمد ﷺ على الدين كله، ولو كره المشركون"[٣]، مع ملاحظة أن الزكاة عبادة مستمرة ومتفاوتة القدر تؤدى في كل عام، كما أنَّ هناك زكاة يؤديها من يملك الزيادة على قوت يومه وهي زكاة الفطر التي ينبغي الانضباط بوقت أدائها وهو شهر رمضان، ويحرم تأخير أدائها إلا لضرورة.

---

(١) متفق عليه: البخاري، الصحيح، كتاب: الزكاة، بَابُ الْبَيْعَةِ عَلَى إِيتَاءِ الزَّكَاةِ، ومسلم، الصحيح، كتاب: الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة، رقم٢٦.

(٢) القرضاوي، الدكتور يوسف، فقه الزكاة، مؤسسة الرسالة الطبعة السابعة١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، بيروت- لبنان، ١٠/١.

(٣) القرضاوي، الدكتور يوسف، فقه الزكاة، ١٠/١.

وقد شرع الإسلام **الكفّارات المالية**؛ والتي تكون نتيجة خلل في الانضباط في جانب القول أو الفعل؛ وذلك لتكفير السيئات، وجبر ذلك الخلل، وفيها أيضاً تخفيف ورحمة للفقير والمحتاج، مما تنعكس آثاره الإيجابية على الفرد والمجتمع، ككفارة الإفطار في رمضان، وكفارة الظهار لمن لم يجد رقبة ولم يستطع الصيام، ومن ذلك كفارة اليمين، **فعن أبِي مُوسَى الأشعري ﷺ قال: إِنِّي أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي نَفَرٍ مِنَ الأَشْعَرِيِّينَ، فقال:"إِنِّي وَاللَّهِ- إِنْ شَاءَ اللَّهُ- لاَ أَحْلِفُ عَلَى يَمِينٍ، فَأَرَى غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا، إِلاَّ أَتَيْتُ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ، وَتَحَلَّلْتُهَا"**[1]، أي دفعت أو فعلت[2] كفارة ذلك اليمين، قال الشيخ محمد أبو زهرة:" نجد الكفارات للذنوب تعاوناً اجتماعياً، وكأنّ الذنب الذي يُرتكب، أو التقصير في عبادة هو اعتداء اجتماعي، فلا يُكفر الاعتداء الاجتماعي إلاّ تعاون اجتماعي يسُد النقص ويُزيل الخلل، **فعن معاذ بن جبل ﷺ : قال كنت مع النبي ﷺ في سفر فقال:" الصدقة تطفئ الخطيئة كما تطفئ الماء النار"**[3]، إذ كل معصية يجب لتكفيرها أن يتوب صاحبها، ويقلع عنها، وأن يُقدم للمجتمع معونة بقدر ما قدّم من أذى على طاقته"[4] ، وهكذا يظهر أنّ للكفّارات رسالة اجتماعية سامية على تؤديها في المجتمع، إضافة إلى أثره النفسي الإيجابي على صاحبها.

وقد شرع الإسلام **الصدقات المستحبة**: وهي باب كبير من أبواب الخير والرحمة والتعاون في المجتمع الإسلامي، يقدمها المسلم طاعة لله تعالى، والتي لها دور كبير في تقدم المجتمع ورفعته، **فعن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ:" مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلاَّ**

---

(1) متفق عليه: البخاري، الصحيح، كتاب: فرض الخمس، باب وَمِنَ الدَّلِيلِ عَلَى أَنَّ الْخُمُسَ لِنَوَائِبِ الْمُسْلِمِينَ، رقم٣١٣٣، ومسلم، الصحيح، كتاب: الأيمان، باب ندب من حلف يميناً فرأى غيرها خيرا منها أن يأتي الذي هو خير ويكفر عن يمينه، رقم١٦٤٩.

(2) النووي، النهاج شرح صحيح مسلم، ١١٢/١١، باختصار وتصرف.

(3) رواه الترمذي، السنن، كتاب: الإيمان، باب: ما جاء في حرمة الصلاة، رقم٢٦١٦، وقال أبو عيسى:" هذا حديث حسن صحيح"، وابن ماجه، السنن، كتاب: الفتن، بَابُ: كَفِّ اللِّسَانِ فِي الْفِتْنَةِ، رقم٣٩٧٣.

(4) أبو زهرة، محمد، تنظيم الإسلام للمجتمع، ص٢١.

مَلَكَانِ يَنْزِلاَنِ فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا:" اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا"، وَيَقُولُ الآخَرُ:" اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا"[1]،

فالإسلام دين يدعو إلى الإنفاق المستمر وفي طرق الخير كلها كتقديم الأموال للفقراء والمحتاجين، ومن ذلك الأوقاف المتنوعة؛ والتي ظهرت مبكرة في زمن النبيﷺ؛ واستمرت عبر التاريخ الإسلامي، ومنها: بناء المساجد، ومراكز العلم، والمدارس والمستشفيات وغيرها.

---

(١) متفق عليه: البخاري، الصحيح، كتاب: الزكاة، باب قول الله تعالى:{فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى}[الليل٥-١٠]، "اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقَ مَالٍ خَلَفًا، رقم١٤٤٢، ومسلم، الصحيح، كتاب: الزكاة، باب: في المنفق والممسك، رقم١٠١٠.

المبحث الخامس

الانضباط في الجانب العسكري

إنّ الإسلام جاء لتحقيق أعظم المبادئ الإنسانية من الرحمة والمحبة والتعاون، وعمل على أن ينتشر العدل والتوازن، وأن تسود مبادئ المساواة في الحقوق والواجبات بين أفراد المجتمع، وسعى أن يكون المسلمون في تعاملهم كالجسد الواحد، وكالبنيان المرصوص.

لقد تتابع الإيذاء على المسلمين، وكنتيجة طبيعية لشدة التحدي وقسوة المحاربة للإسلام والمسلمين، وكذلك لحاجة الدولة التي نشأت في المدينة لقوة تحميها، ولأنّ الانضباط العسكري من تعاليم الإسلام[1]، لذلك جاء الاهتمام بالانضباط العسكري.

وقد بيّن الدكتور أحمد رجب الأسمر مفهوم الانضباط العسكري فقال:" أن يكون الجيش ملتزماً بالتنظيم المعتمد له، يعرف كل جندي، وكل مسئول، وكل فرقة المكان المخصص لها، فالفرسان فرسان، والمشاة مشاة، والمقدمة مقدمة، والساقة ساقة[2]، وهكذا القلب والجناحان(الميمنة والميسرة). وأن يلتزم بالأوامر الصادرة إليه من القيادة ويطيعها، فلا اجتهادات فردية ولا اتباع للهوى"، ومن المعروف عسكرياً أن الجيش الأكثر ضبطاً من حيث

---

(1) انظر: القرعاوي، محمد بن عبدالعزيز السليمان، الجديد في شرح كتاب التوحيد، دراسة وتحقيق: محمد بن أحمد سيد أحمد، مكتبة السوادي، جدة-المملكة العربية السعودية، الطبعة : الخامسة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ص٣٢٩.

(2) قال النووي "السَّاقَة: وَهُمْ الَّذِينَ يَكُونُونَ آخِر الْعَسْكَر" النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم، ٦/٢٣٦، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال:" طُوبَى[2] لِعَبْدٍ آخِذٍ بِعِنَانِ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ الله، إِنْ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ، وَإِنْ كَانَ فِي السَّاقَةِ كَانَ فِي السَّاقَةِ"[2] رواه البخاري، الصحيح، كتاب الجهاد والسير باب: الْحِرَاسَةِ فِي الْغَزْوِ فِي سَبِيلِ الله، رقم٢٨٨٧.

النظام والطاعة ووحدة الرأي والموقف أجدر بتحقيق النصر من الجيش الذي يركب فيه كلّ رأسه، وينطلق على هواه فتعمُّه الفوضى، ويسوده الاضطراب"(١).

وهناك من وضَّح المفهوم بصورة أخرى فقال:"الانضباط يعني الالتزام، وعكسها الانفلات والفوضى، وتستخدمها الجيوش للدلالة على كفاءتها وقدراتها، وعلى مدى نجاح القيادة وفعاليتها. والالتزام ضروري للنجاح في الحياة، وهو سر تقدم الامم ونجاح الأعمال في كافة أنواع التنظيمات المدنية والعسكرية. والالتزام يعني إطاعة الأوامر والتعليمات واحترام القواعد والقوانين والتقيد بالنظام والالتزام بالتقاليد والأعراف، والانضباط الجيد هو الذي يستخدم النصح والارشاد وليس العقاب الدائم. والانضباط في الجيش هو عبارة عن الروح في الجسد، وهو عبارة عن حياة أو موت بالنسبة للجيش"(٢).

وهناك من دمج بين الضبط والربط العسكري فقال:" الضبط والربط اصطلاح غير محدد المفهوم والتعريف، وإن كان تصوراً يعني: الالتزام بقواعد السلوك العسكري والأنظمة والتعليمات والقوانين الصادرة عن هيئه اجتماعيه أو رسميه، وبشكل إجمالي يمكن تعريف الضبط والربط على أنه: التمسك والالتزام التام والدقيق بالنظام أي أنه التزام وليس اختيار أو طواعية، وبما أن الضبط والربط العسكري هو اصطلاح عسكري ومعناه ينصرف لأغراض عسكرية بحتة فإن المفهوم الخاص للضبط والربط العسكري هو" مجموعة الأوامر والتعليمات التي يتلقاها العسكري أثناء الخدمة ممن هم أعلى منه رتبة " وتنفيذ هذه الأوامر على نحو يؤكد دقه وسرعة تنفيذ الأوامر الصادرة إليه، ومدى ارتباط الفرد بالجهاز الذي يقوم بخدمته"(٣)

---

(١) الأسمر، الدكتور أحمد رجب، النبيﷺ المربي، دار الفرقان، الأردن، عمان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ص٥٨٠.

(٢) ابو النور،العميد أنور خلف، مساعد المفوض السياسي للشئون العسكرية، المفوض السياسي للامن الوطني، ٢٠١٠م، الموقع عبر الانترنت: *www.png.plo.ps*

(٣) شحادة،المقدم تامر، مدير الإدارة الادارة العامة للتدريب بالشرطة، الموقع **www.gca.gov.ps**

وهناك من لفت الانتباه إلى أهمية السيطرة والتحكم وتنفيذ القوانين لتحقيق السلوك المتميز فقال:" مفهوم الضبط والربط العسكري: يعني التحكم والسيطرة والتنظيم والتنفيذ الآلي والغريزي للأوامر والتعليمات؛ ولتحقيق ذلك لا بُدّ من تحقيق مجموعة من الإجراءات والقوانين المستمدة من القيم المجتمعية والدينية والمهنية والتي تهدف إلى تحقيق السلوك العالي والمرغوب فيه والذي اساسة الطاعة التامة للأوامر والتعليمات التي تصدر من قبل القيادات العليا"(١).

وإنّ المتتبع للسيرة النبوية يجد أنّ الدعوة إلى الإسلام بدأت بمنتهى الرفق واللطف - برغم شدة المعارضة والإيذاء والتعذيب-، وكان الصبر على الإيذاء واحتمال الأذى والكف عن الرد على ذلك الإيذاء بالقوة هو الهدي العام في الفترة المكية، واستمر المسلمون على ذلك ثلاثة عشر عاماً(٢)، لم يأذن النبيﷺ خلالها باستخدام القوة أو برفع سلاح، بل أمرهم بالصبر على أشد أنواع الإيذاء المادي والمعنوي، ، فعن خباب ﷺ قال:"شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة فقلنا ألا تستنصر لنا ألا تدعو لنا ؟! فقال:" قد كان من قبلكم؛ يؤخذ الرجل فيُحفر له في الأرض، فيجعل فيها، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه، فيجعل نصفين، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه، فما يصده ذلك عن دينه. والله ليتمنَّ هذا الأمر حتى يسيرَ الراكب من صنعاء إلى حضرموت، لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه؛ ولكنكم تستعجلون"(٣).

وقد ذكر الإمام البخاري-رحمه الله تعالى- في باب: ما لقي النبيﷺ وأصحابه من المشركين بمكة(٤)عدة أحاديث في ذلك، كما أنَّ سيرة النبيﷺ وسيرة أصحابه-رضي الله عنهم- مليئة بمواقف احتمال الأذى، ومن ذلك ما ذكره عَبْدُ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ، حيث قَالَ:" كَانَ أَوَّلَ مَنْ

(١) المدني: الرائد، خالد، الضبط العسكري والقيم، الموقع:www.png.plo

(٢) وهي الفترة الأطول في بعثة النبيﷺ.

(٣) البخاري، الصحيح، كتاب المناقب، باب: ما لقي النبيﷺ وأصحابه من المشركين بمكة، رقم٣٨٥٢.

(٤) المصدر السابق نفسه.

أظْهَرَ إِسْلامَهُ سَبْعَةٌ: رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَأَبُو بَكْرٍ، وَعَمَّارٌ، وَأُمُّهُ سُمَيَّةُ، وَصُهَيْبٌ، وَبِلَالٌ، وَالْمِقْدَادُ- رضي الله عنهم-، فَأَمَّا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَمَنَعَهُ اللَّهُ بِعَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ، وَأَمَّا أَبُو بَكْرٍ فَمَنَعَهُ اللَّهُ بِقَوْمِهِ، وَأَمَّا سَائِرُهُمْ فَأَخَذَهُمُ الْمُشْرِكُونَ، وَأَلْبَسُوهُمْ أَدْرَاعَ الْحَدِيدِ، وَصَهَرُوهُمْ فِي الشَّمْسِ، فَمَا مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ وَقَدْ وَاتَاهُمْ[1] عَلَى مَا أَرَادُوا، إِلاَّ بِلالاً ، فَإِنَّهُ هَانَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ فِي اللهِ، وَهَانَ عَلَى قَوْمِهِ، فَأَخَذُوهُ فَأَعْطَوْهُ الْوِلْدَانَ، فَجَعَلُوا يَطُوفُونَ بِهِ فِي شِعَابِ مَكَّةَ ، وَهُوَ يَقُولُ : أَحَدٌ أَحَدٌ"[2]، وهذا بلا شك يدل على شدة التعذيب.

وتتضح أهم مبادئ ومظاهر الانضباط العسكري من خلال المطلبين الآتيين:

المطلب الأول: الأصول العامة والأخلاق السامية في الجهاد الإسلامي

المطلب الثاني: الأسس الرئيسة للانضباط العسكري

المطلب الأول: الأصول العامة والأخلاق السامية في الجهاد الإسلامي

إنَّ الجهاد في الإسلام يختلف عن الحروب والنزاعات التي تقع بين الدول لتحقيق مصالح مادية، أو مطامع فردية، كما أنَّ للجهاد الإسلامي أُصوله وضوابطه وقواعده ومبادئه السامية حتى يصلح أن يُطلق عليه جهاد شرعي.

وتجدر الإشارة إلى سنة كونية وهي التدافع[3] والصراع بين أهل الحق وأهل الباطل، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾[يونس٩٩]، ففي قصة سماع عدد من المشركين لرسول اللهﷺ، لمَّا سُئل أبو جهل عن رأيه فيما سمع؛

---

(١) واتاهم": وافقهم على ما أرادوا من ترك إظهار الإسلام" السندي، كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجه، وهو بحاشية السنن، ٥٩/١.

(٢) ابن ماجه، السنن، كتاب: أبواب فضائل أصحاب رسول اللهﷺ، باب فَضَائِلُ بِلَالٍ ﷺ، رقم١٥٠، ورواه الإمام أحمد، المسند، رقم ٣٧٣٢، وقال الشيخ شعيب:" إسناده حسن".

(٣) " الدفع: الإزالة بقوة، والمدافعة: المزاحمة"، ابن منظور، لسان العرب، ٢٧٤/٥، باختصار.

لم يكن انتقاده للإسلام، بل كان اعتراضه على الشرف والمنزلة التي نالها بنو هاشم باصطفاء الله تعالى نبياً منهمﷺ، قال ابن هشام:" قال الأخنس بن شريق: يا أبا الحكم، ما رأيك فيما سمعت من محمد؟، فقال: ماذا سمعت؟!، تنازعنا نحن وبنو عبدمناف الشرف أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تحازينا على الركب، وكنا كفرسي رهان، قالوا منا نبي يأتيه الوحي من السماء فمتى ندرك مثل هذه؟! والله لا نؤمن به أبدا ولا نصدقه!"[1].

إنَّ المعرفة بهذه السنة تُوجب على أهل الإسلام الاستمرار في الدعوة إلى الله تعالى، والعمل على إزالة العوائق بين الناس والإسلام، كما تُوجب الاستعداد المستمر لأي عدوان محتمل، وأن يكونوا في مقدمة الأمم بإيجاد القوة العسكرية المدافعة عن الحق.

كما ينبغي على المؤمنين الحرص على فتح الميدان لتتعرف الأمم والشعوب على حقيقة الإسلام وصورته المشرقة، ففي دعوة أعدى أعداء الإسلام -وهم يهود خيبر-؛ تجد التوجيه النبوي بالحرص على إيمان الناس مهما صدر منهم من عداوة وبغضاء، **فعن علي بن أبي طالب ﷺ قال النبي ﷺ، يوم خيبر:" لأعطين الراية غدًا رجلًا يفتح على يديه يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، فبات الناس ليلتهم أيهم يعطى فغدوا كلهم يرجونه فقال : "أين علي؟". فقيل: "يشتكي عينيه"، فبصق في عينيه، ودعا له فبرأ، كأن لم يكن به وجع، فأعطاه فقال "أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا ؟" فقال:"أنفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم، فو الله لأن يهدي الله رجلاً بك خير لك من أن يكون لك حُمر النَّعم[2]"[3].**

---

(1) ابن هشام، السيرة النبوية، ٢/١٥٧.

(2) "حُمر النَّعم: وهو من ألوان الإبل المحمودة، قيل: المراد خير لك من أن تكون لك فتتصدق بها وقيل تقتنيها وتملكها، وكانت مما تتفاخر العرب بها"، ابن حجر، فتح الباري، ٤٧٨/٧.

(3) متفق عليه: البخاري، الصحيح، كتاب فضائل الصحابة -رضي الله تعالى عنهم- ، باب: مناقب علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي أبي الحسن -رضي الله تعالى عنه- رقم(٣٧٠١)، ومسلم، الصحيح، كتاب فضائل الصحابة -رضي الله تعالى عنهم-، باب: من فضائل علي بن أبي طالب -ﷺ- رقم(٢٤٠٦).

وقد أشار الدكتور عبد الكريم زيدان إلى سُنّة التدافع فقال:"والتدافع بين الحق والباطل في حقيقته تدافع بين أصحاب الحق وأصحاب الباطل؛ أي بين المؤمنين وبين غيرهم؛ لأنهم هم الذين يحملون معاني الحق، وغيرهم يحمل معاني الباطل، ويسعون إلى إظهار هذه المعاني في الخارج، وإقامة شؤون الحياة على أساسها؛ فيحصل التعارض والتزاحم والتدافع بين الفريقين"(١)، وبهذا التدافع تستخدم الأطراف المتدافعة القوة للدفاع عن ما تعتقده صواباً، أو يحقق لها مصالح مادية أو معنوية.

إنّ انضباط المسلمين في فهمهم لهذه السنة يقتضي **الاستعداد المستمر بالتخطيط الشامل** ومنه التخطيط العسكري، ويشير الدكتور يحيى البطوش إلى أهم ميزات الخطط العسكرية للنبيﷺ فيقول:" أولاً: وضوح الأهداف المراد الوصول إليها، وتحديدها بحيث يستوعبها الجند على كافة مستوياتهم مما يُسهّل تنفيذها. ثانياً: توفير الإمكانات المادية والبشرية اللازمة لتنفيذ الأهداف حسب القدرة. ثالثاً: التسيق بين جميع الأعمال الموصلة لتحقيق الأهداف على أساس من التعاون والانسجام. رابعاً: تحقيق الأمن النفسي للأفراد والجماعات؛ ففي كل الخطط يطمئن الجميع أنّ الأمور التي تواجههم قد أُخذت بعين الاعتبار. خامساً: تنمية مهارات وقدرات القادة عن طريق ما يقومون به من وضع الخطط التي تعد اختباراً للفعل، وتمريناً للبحث عن أساليب النجاح في الميدان حيث صراع العقول والإرادات. سادساً: تحقيق الاستثمار الأفضل للموارد المادية والبشرية، مما يؤدي إلى الاقتصاد في الوقت والتكاليف وسرعة الوصول إلى الهدف"(٢).

إنّ هناك فئة من الناس تأبى الانقياد للحق- رغم يقين الكثيرين منهم أن الإسلام هو الدين الحق- بل تعارضه وتحاربه، ولكنها إذا وجدت قوة تدافع عن الحق وأهله فقد تكف شرها

---

(١) زيدان، الدكتور عبدالكريم، السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد، ص٤٥، بتصرف يسير.

(٢) البطوش، الدكتور يحيى، التخطيط العسكري في السنة النبوية، ص٦٣-٦٥، باختصار.

أو تطلب السلم[1]، فعند ذلك يوافق المسلمون على ذلك من منطلق قوة لا من ضعف، وفي ذلك تنفيذ عملي لقول الله تعالى: ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ (60) ۞ وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (61) ﴾ [الأنفال: ٦٠-٦١]، وأرشد النبي ﷺ إلى أهم مصادر القوة، وهو الرمي، فعَنْ عُقْبَةَ بْنَ عَامِرٍ ﷺ قال سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ يَقُولُ: ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن ﴾ [الأنفال: ٦٠] أَلاَ إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْىُ أَلاَ إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْىُ، أَلاَ إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْىُ »[2]، ومع التطور المعاصر يشمل ذلك الطيران الحربي، وأنواع القاذفات، وغيرها.

إنَّ الجهاد كلمة عامة تشمل معاني بذل الجهد بالنفس أو المال أو اللسان في سبل الله ، قال ابن منظور:" والجهاد المبالغة واستفراغ الوسع في الحرب أو اللسان أو ما أطاق من شيء"[3]، فعَنْ أَنَسٍ ﷺ أَنَّ النَّبِىَّ ﷺ قَالَ: « جَاهِدُوا الْمُشْرِكِينَ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَأَلْسِنَتِكُمْ »[4]، قال الأمير الصنعاني-رحمه الله تعالى-:" الحديث دليل على وجوب الجهاد بالنفس: وهو بالخروج والمباشرة للكفار، وبالمال: وهو بذله لما يقوم به من النفقة في الجهاد والسلاح ونحوه؛ وهذا هو المفاد من عدة آيات في القرآن، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ﴾ [التوبة٤١]، والجهاد باللسان: بإقامة الحجة عليهم، ودعائهم إلى الله تعالى، وبالأصوات عند اللقاء والزجر ونحوه من كل ما فيه

---

(١) يرى اللواء محمود شيت خطاب أنَّ السلم هو الأصل في علاقة المسلمين مع غيرهم، وأن الحرب هي الإستثناء، حيث قال:" إنَّ السلم في الإسلام هو القاعدة الثابتة، والحرب هي الاستثناء"، اللواء محمود شيت خطاب، الرسول القائد، ص٣٣.

(٢) رواه مسلم، الصحيح، كتاب الإمارة، باب: فضل الرمي والحث عليه وذم من علمه ثم نسيه، رقم١٩١٧.

(٣) ابن منظور، لسان العرب، ١٣٣/٣، مادة جهد.

(٤) أبو داود، السنن، كتاب: الجهاد، باب كَرَاهِيَةِ تَرْكِ الْغَزْوِ، رقم ٢٥٠٦، والنسائي، السنن، كتاب: الجهد، باب: وجوب الجهاد، رقم٣٠٩٦، والإمام أحمد، المسند، ١٢٢٦٨، قال الشيخ شعيب الأرنؤوط :" إسناده صحيح على شرط مسلم".

نكاية للعدو، قال تعالى: ﴿ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ ﴾ [التوبة: ١٢٠]"[١]، فهذه العموم والشمول لمعاني الجهاد ينبغي أن يُحسن المسلمون استثماره؛ باستحضار الأجر والثواب في الدعوة إلى الله تعالى بشتى الأساليب المعاصرة والقديمة وفق الحكمة والأسلوب الأنسب.

كما ينبغي الإشارة إلى الحرص على استخدام مصطلح الجهاد عند المسلمين؛ لتمييزه عن أنواع القتال والحروب التي تُشنها الدول الأخرى؛ لأنَّ مبادئ الجهاد وقواعده وأُصوله من خصائص الأمة الإسلامية.

وتجدر الإشارة إلى أنَّ الجهاد بمعنى القتال في سبيل الله مستمر حتى يجاهد آخر المسلمين مع عيسى ﷺ، والانضباط يقتضي الاستعداد المستمر لأعداء الإسلام، **فعن جَابِرَ بْنَ عَبْدِاللَّهِ**-رضي الله عنهما- **يَقُولُ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: « لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِى يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ"، قَالَ:" فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ﷺ فَيَقُولُ أَمِيرُهُمْ:" تَعَالَ صَلِّ لَنَا". فَيَقُولُ:" لاَ، إِنَّ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ أُمَرَاءُ. تَكْرِمَةَ اللَّهِ هَذِهِ الأُمَّةَ »**[٢]، ويلاحظ أنه عند إطلاق كلمة الجهاد يراد بها قتال الكفار[٣]، وينبغي استحضار أنَّ اللجوء لاستخدام القوة يُستخدم عند الحاجة والضرورة فقط.

---

(١) الأمير الصنعاني، محمد بن إسماعيل، المتوفى : ١١٨٢هـ، سبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام، اعتنى به نشأت كمال، وأحاديث الكتاب مخرجة من كتب الألباني، دار البصيرة، الإسكندرية، الطبعة الأولى٢٠٠٢م، ١٨٤/٤.

(٢) متفق عليه: البخاري، الصحيح، كتاب: التوحيد، باب: قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ:" لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ يُقَاتِلُونَ"، وَهُمْ أَهْلُ الْعِلْمِ، رقم٧٣١١، ومسلم، الصحيح، الإيمان، باب: نُزُولِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ حَاكِمًا بِشَرِيعَةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ ، رقم١٨٢٢.

(٣) الدكتور مرعي بن عبدالله بن مرعي، أحكام المجاهد بالنفس في سبيل الله عز وجل في الفقه الإسلامي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ودار العلوم والحكم، سوريا، الطبعة الأولى١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م، ٢٧/١-٢٨.

كما ينبغي التأكيد على أهمية الإخلاص لله تعالى بالجهاد في سبيله تبارك وتعالى فالنية الداخلية القلبية هي التي تُحرك المجاهد، والمقصد الأسمى والغاية العظمى النبيلة التي يريد تحقيقها من الجهاد هي أن تكون كلمة الله هي العليا، **فعَنْ أَبِي مُوسَى ﷺ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺفَقَالَ: الرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلْمَغْنَمِ، وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلذِّكْرِ، وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِيُرَى مَكَانُهُ، فَمَنْ فِي سَبِيلِ اللهِ؟ قَالَﷺ:" مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ"**[١]، فغاية الجهاد هي غاية نبيلة سامية، فليس فيها تسلُّط على فئة ضعيفة، بل الهدف الأسمى أن يكونوا أُخوة للمسلمين لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم[٢]؛ ذلك أنَّ غاية الجهاد واضحة ومقررة، فالقتال عند المسلمين يختلف عن غيرهم، قال اللواء محمود شيت خطَّاب:" إنَّ الإسلام لا يؤمن بالحروب التي تثيرها العصبية العنصرية، كما يستبعد الحروب التي تثيرها المطامع والمنافع: حروب الاستعمار، والاستغلال، والبحث عن الأسواق والخامات، واستعباد المرافق والرجال، كما يستبعد الإسلام الحروب التي يثيرها حُب الأمجاد الزائفة، أو حُب المغانم الشخصية"[٣].

إنَّ الأخلاق السامية والمبادئ الراقية في جهاد المسلمين هي قضايا أساسية ينضبط المسلمون بها ولا يتنازلون عنها ولا يتساهلون في تحقيقها، فقد كان الرسولﷺ يؤكِّد على قادة الجند بحفظ ورعاية تلك المبادئ؛ فعن بُرَيْدَةَ ﷺ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَمَّرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ أَوْ سَرِيَّةٍ أَوْصَاهُ فِى خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللَّهِ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا، ثُمَّ قَالَﷺ: « اغْزُوا بِاسْمِ اللَّهِ فِى سَبِيلِ اللَّهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ، اغْزُوا، وَلاَ تَغُلُّوا، وَلاَ تَغْدِرُوا، وَلاَ تَمْثُلُوا، وَلاَ تَقْتُلُوا وَلِيدًا. وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَادْعُهُمْ إِلَى ثَلاَثِ خِصَالٍ - أَوْ خِلاَلٍ - فَأَيَّتُهُنَّ مَا أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلاَمِ، فَإِنْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ، ثُمَّ

---

(١) متفق عليه: البخاري، الصحيح، كتاب: الجهاد والسير، باب مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا، رقم٢٨١٠، ومسلم، الصحيح، كتاب: الإمارة، باب مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِىَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ، رقم١٩٠٤.

(٢) انظر حديث علي بن أبي طالبﷺ في دعوة يهود خيبر إلى الإسلام، في الانضباط العسكري ص١٨٨.

(٣) اللواء محمود شيت خطاب، الرسول القائد، ص٣٣.

ادعُهُمْ إِلَى التَّحَوُّلِ[1] مِنْ دَارِهِمْ إِلَى دَارِ الْمُهَاجِرِينَ وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ إِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ فَلَهُمْ مَا لِلْمُهَاجِرِينَ وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَى الْمُهَاجِرِينَ، فَإِنْ أَبَوْا أَنْ يَتَحَوَّلُوا مِنْهَا فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ يَكُونُونَ كَأَعْرَابِ الْمُسْلِمِينَ يَجْرِى عَلَيْهِمْ حُكْمُ اللَّهِ الَّذِى يَجْرِى عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَلاَ يَكُونُ لَهُمْ فِى الْغَنِيمَةِ وَالْفَىْءِ شَىْءٌ إِلاَّ أَنْ يُجَاهِدُوا مَعَ الْمُسْلِمِينَ، فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَسَلْهُمُ الْجِزْيَةَ فَإِنْ هُمْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَقَاتِلْهُمْ. وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تَجْعَلَ لَهُمْ ذِمَّةَ اللَّهِ وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ فَلاَ تَجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّةَ اللَّهِ وَلاَ ذِمَّةَ نَبِيِّهِ، وَلَكِنِ اجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّتَكَ وَذِمَّةَ أَصْحَابِكَ فَإِنَّكُمْ أَنْ تُخْفِرُوا ذِمَمَكُمْ وَذِمَمَ أَصْحَابِكُمْ أَهْوَنُ مِنْ أَنْ تُخْفِرُوا ذِمَّةَ اللَّهِ وَذِمَّةَ رَسُولِهِ. وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تُنْزِلَهُمْ عَلَى حُكْمِ اللَّهِ فَلاَ تُنْزِلْهُمْ عَلَى حُكْمِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَنْزِلْهُمْ عَلَى حُكْمِكَ فَإِنَّكَ لاَ تَدْرِى أَتُصِيبُ حُكْمَ اللَّهِ فِيهِمْ أَمْ لاَ »[2].

إنّ هذا الحديث فيه أهم المعاني والتوجيهات والأخلاق السامية والمبادئ الرفيعة التي ينضبط بها الجندي المسلم ويسير في ضوءها الجيش الإسلامي، وقد أشار الإمام النووي –رحمه الله تعالى– إلى أهمها فقال:"فِي هَذِهِ الْكَلِمَات مِنْ الْحَدِيث فَوَائِد مُجْمَع عَلَيْهَا: وَهِيَ تَحْرِيم الْغَدْر، وَتَحْرِيم الْغُلُول، وَتَحْرِيم قَتْل الصِّبْيَان إِذَا لَمْ يُقَاتِلُوا، وَكَرَاهَة الْمُثْلَة، وَاسْتِحْبَاب وَصِيَّة الْإِمَام أُمَرَاءَهُ وَجُيُوشه بِتَقْوَى اللَّه تَعَالَى، وَالرِّفْق بِأَتْبَاعِهِمْ، وَتَعْرِيفهمْ مَا يَحْتَاجُونَ فِي غَزْوهمْ، وَمَا يَجِب عَلَيْهِمْ، وَمَا يَحِلّ لَهُمْ، وَمَا يَحْرُم عَلَيْهِمْ، وَمَا يُكْرَه وَمَا يُسْتَحَبّ. قَوْله ﷺ:" ثُمَّ اُدْعُهُمْ إِلَى التَّحَوُّل مِنْ دَارهمْ إِلَى دَار الْمُهَاجِرِينَ، وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ إِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ فَلَهُمْ مَا لِلْمُهَاجِرِينَ، وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَى الْمُهَاجِرِينَ، فَإِنْ أَبَوْا أَنْ يَتَحَوَّلُوا مِنْهَا فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ يَكُونُونَ كَأَعْرَابِ الْمُسْلِمِينَ، يَجْرِي عَلَيْهِمْ حُكْم اللَّه الَّذِي يَجْرِي عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، وَلَا يَكُون لَهُمْ فِي الْغَنِيمَة وَالْفَيْء شَيْء إِلَّا أَنْ يُجَاهِدُوا مَعَ الْمُسْلِمِينَ، مَعْنَى

---

(1) الأصل أنّ الهجرة والتحول إلى المدينة النبوية كان قبل فتح مكة، ثم أصبح من دار الحرب إلى دار الإسلام، وسيأتي توضيح بعض ذلك في كلام الإمام النووي، وفي الفصل الثالث من هذه الرسالة.

(2) رواه مسلم، الصحيح، كتاب: الجهاد والسير، باب تَأْمِيرِ الإِمَامِ الأُمَرَاءَ عَلَى الْبُعُوثِ وَوَصِيَّتِهِ إِيَّاهُمْ بِآدَابِ الْغَزْوِ وَغَيْرِهَا، بعد رقم1731.

هَذَا الْحَدِيث: أَنَّهُمْ إِذَا أَسْلَمُوا اُسْتُحِبَّ لَهُمْ أَنْ يُهَاجِرُوا إِلَى الْمَدِينَة، فَإِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ كَانُوا كَالْمُهَاجِرِينَ قَبْلهمْ فِي اِسْتِحْقَاق الْفَيْء وَالْغَنِيمَة وَغَيْر ذَلِكَ، وَإِلَّا فَهُمْ أَعْرَاب كَسَائِرِ أَعْرَاب الْمُسْلِمِينَ السَّاكِنِينَ فِي الْبَادِيَة مِنْ غَيْر هِجْرَة وَلَا غَزْو، فَتَجْرِي عَلَيْهِمْ أَحْكَام الْإِسْلَام قوله ﷺ:"فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَسَلْهُمْ الْجِزْيَة، فَإِنْ هُمْ أَجَابُوك فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ" قوله ﷺ:" وَإِذَا حَاصَرْت أَهْل حِصْن فَأَرَادُوك أَنْ تَجْعَل لَهُمْ ذِمَّة اللَّه وَذِمَّة نَبِيّه، فَلَا تَجْعَل لَهُمْ ذِمَّة اللَّه وَذِمَّة نَبِيّه، وَلَكِنْ اِجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّتك وَذِمَّة أَصْحَابك، فَإِنَّكُمْ إِنْ تُخْفِرُوا ذِمَمكُمْ وَذِمَم أَصْحَابكُمْ أَهْوَن مِنْ أَنْ تُخْفِرُوا ذِمَّة اللَّه وَذِمَّة رَسُوله ﷺ"[1].

كما أنَّ من أعظم مبادئ المسلمين أنهم لا يتمنون لقاء العدو، فقد قال رسول الله ﷺ:"**لاَ تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ، وَسَلُوا اللَّهَ الْعَافِيَةَ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا**"[2]، قال الإمام النووي-رحمه الله-:"إِنَّمَا نَهَى ﷺ عَنْ تَمَنِّي لِقَاء الْعَدُوّ لِمَا فِيهِ مِنْ صُورَة الْإِعْجَاب، وَالِاتِّكَال عَلَى النَّفْس، وَالْوُثُوق بِالْقُوَّةِ، وَهُوَ نَوْع بَغْي، وَقَدْ ضَمِنَ اللَّه تَعَالَى لِمَنْ بُغِيَ عَلَيْهِ أَنْ يَنْصُرَهُ، وَلِأَنَّهُ يَتَضَمَّن قِلَّة الِاهْتِمَام بِالْعَدُوِّ وَاحْتِقَاره، وَهَذَا يُخَالِف الِاحْتِيَاط وَالْحَزْم"[3]، وقال:" وَفِي هَذَا الْحَدِيث الِاحْتِرَاز مِنْ الْمَكَارِه وَأَسْبَابهَا، وَفِيهِ التَّسْلِيم لِقَضَاءِ اللَّه عِنْد حُلُول الْآفَات"[4]

وفي مقارنة يسيرة بين هذه الأخلاق السامية والمبادئ النبيلة وبين أخلاق ومعاملات الجيوش الأخرى يظهر الفارق الشاسع، والمثال البارز هو ما فعله اليهود في فلسطين ولا زالوا!.

وقد جاء التأكيد على المعاني العظيمة في جهاد المسلمين، **ومن ذلك نهي النبي ﷺ عن قتل النساء والصبيان غير المقاتلين، فعن نافع أنَّ عَبْدَ اللهِ ﷺ:أَخْبَرَهُ أَنَّ امْرَأَةً وُجِدَتْ فِي بَعْضِ مَغَازِي**

---

(1) النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم، ٦/١٦٩.

(2) متفق عليه: البخاري، الصحيح، كتاب: الجهاد والسير، باب: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا لَمْ يُقَاتِلْ أَوَّلَ النَّهَارِ أَخَّرَ الْقِتَالَ حَتَّى تَزُولَ الشَّمْسُ، رقم ٢٩٦٦، ومسلم، الصحيح، كتاب: الجهاد والسير، باب: كراهة تمني لقاء العدو والأمر بالصبر عند اللقاء، رقم١٧٤٢.

(3)النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم،١٨٣/٦.

(4) النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم،٧/٢٦٤.

النَّبِيِّ ﷺ مَقْتُولَةً؛ فَأَنْكَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَتْلَ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ"[1]. قال الإمام النووي-رحمه الله تعالى-:" أَجْمَعَ الْعُلَمَاء عَلَى الْعَمَل بِهَذَا الْحَدِيث، وَتَحْرِيم قَتْل النِّسَاء وَالصِّبْيَان إِذَا لَمْ يُقَاتِلُوا، فَإِنْ قَاتَلُوا قَالَ جَمَاهِير الْعُلَمَاء: يُقْتَلُونَ، وَأَمَّا شُيُوخ الْكُفَّار فَإِنْ كَانَ فِيهِمْ رَأْي قُتِلُوا، وَإِلَّا فَفِيهِمْ وَفِي الرُّهْبَان خِلَاف"[2].

ولا بُدَّ من التأكيد على أنَّ الشورى من المبادئ الإسلامية العظيمة والقضايا الأساسية التي ينبغي على ولاة الأمر والمسئولين والقادة العسكريين اعتمادها في اتخاذهم للقرارات، وخاصة القرارات المصيرية التي تترتب آثارها على فئة من المجتمع، أو على المجتمع بصورة عامة؛ فإذا كان رسول الله ﷺ وخلفاؤه الراشدون ﷺ قد اعتمدوها وساروا عليها فأولى بمن يقتدي بهم أن يسير على ذلك، ومن ذلك مشاورة النبي ﷺ لأصحابه ﷺ في بدر، بل إنَّ بعض الصحابة ﷺ كان يُقدّم رأيه دون مشاورة أو طلب للرأي لعلمهم بحب النبي ﷺ وحرصه على سماع كل ما فيه مصلحة للإسلام والمسلمين، **قال ابن هشام-رحمه الله تعالى-:**"الحباب ﷺ يشير عليه ﷺ بمكان النزول، قال ابن اسحاق: فحدثت عن رجال من بني سلمة أنهم ذكروا أن الحُباب بن المنذر بن الجموح ﷺ قال يا رسول الله، أرأيت هذا المنزل أمنزلاً أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟! **قال ﷺ:" بل، هو الرأي والحرب والمكيدة"**، فقال: يا رسول الله، فإنَّ هذا ليس بمنزل، فانهض بالناس حتى نأتي أدنى ماء من القوم فننزله ثم نُغوِر ما وراءه من القُلب ثم نبني عليه حوضا فنملؤه ماء، ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون" **فقال رسول الله ﷺ :"لقد أشرت بالرأي"** فنهض رسول الله ﷺ ومن معه من الناس، فسار حتى إذا أتى أدنى ماء من القوم نزل عليه ثم أمر بالقُلب فغوِّرت وبنى حوضاً على القُلُب الذي نزل فمُلىء ماء، ثم قذفوا فيه

---

(1) متفق عليه: البخاري، الصحيح، كتاب: الجهاد والسير، باب: قتل الصبيان في الحرب، رقم٣٠١٤، ومسلم، الصحيح، كتاب: الجهاد والسير، باب: تحريم قتل النساء والصبيان، رقم١٧٤٤ .

(2) النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم، ١٨٨/٦.

الآنية"[1]، ويلاحظ ما يأتي: معرفة الصحابةﷺ بمحبة النبي ﷺ للآراء العسكرية النافعة، بل وتنازله عن رأيه العسكري-أحياناً- لأخذه بذلك الرأي، وفي هذا تعليم وتوجيه للأمة، ووجوب الاقتداء والانتفاع بذلك، وانضباط الصحابةﷺ بالوحي فهم لا يقدمون آراءهم إذا علموا أنَّ أمراً من الوحي قد صدر بذلك، وهذا من عظيم طاعتهم لله تعالى، وتقديرهم للوحي ويقينهم بعصمته، وأدبهم-رضي الله عنهم-.

وكذلك فقد أخذ النبيﷺ برأي سعد بن معاذﷺ في ترتيب موقع القيادة، قال ابن هشام:" بناء العريش لرسول الله ﷺ،قال ابن اسحاق:" إنَّ سعد بن معاذﷺ قال: يا نبي الله، ألا نبني لك عريشاً تكون فيه، ونعُد عندك ركائبك، ثم نلقى عدونا، فإن أعزَّنا الله وأظهرنا على عدونا كان ذلك ما أحببنا، وإن كانت الأخرى جلست على ركائبك فلحقت بمن وراءنا، فقد تخلَّف عنك أقوام يا نبي الله، ما نحن بأشد لك حباً منهم ولو ظنوا أنك تلقى حرباً ما تخلَّفوا عنك، يمنعك الله بهم، يناصحونك ويجاهدون معك فأثنى عليه رسول الله ﷺخيراً، ودعا له بخير، ثم بُني لرسول الله ﷺعريش فكان فيه"[2]؛ وهذا يقتضي حُسن الظن بالآخر، والإعتذار عنه، والبحث له عن عذر إذا ظهر تقصير.

كما ينبغي الاستفادة من رأي النساء، فقد تتنبه المرأة لقضايا قد يغفُل عنها القادة العظام، **ففي صلح الحديبية:" قال عمرﷺ فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ قَضِيَّةِ الْكِتَابِ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: قُومُوا فَانْحَرُوا، ثُمَّ احْلِقُوا قَالَ فَوَاللهِ مَا قَامَ مِنْهُمْ رَجُلٌ حَتَّى قَالَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فَلَمَّا لَمْ يَقُمْ مِنْهُمْ أَحَدٌ دَخَلَ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ-رضي الله عنها- فَذَكَرَ لَهَا مَا لَقِيَ مِنَ النَّاسِ فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: يَا نَبِيَّ اللهِ، أَتُحِبُّ ذَلِكَ اخْرُجْ ثُمَّ لَا تُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ كَلِمَةً حَتَّى تَنْحَرَ بُدْنَكَ وَتَدْعُوَ حَالِقَكَ فَيَحْلِقَكَ فَخَرَجَ فَلَمْ يُكَلِّمْ**

---

[1] ابن هشام، السيرة النبوية، نزول قريش بالعدوة والمسلمين ببدر، ٢/١٥٣، والآية الكريمة تشير إلى ذلك، قال الله تعالى: ﴿ إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ ﴾ [الأنفال: ٤٢].

[2] ابن هشام، السيرة النبوية، نزول قريش بالعدوة والمسلمين ببدر، ٢/١٥٣.

أحدًا منهم حتّى فعلَ ذلك نحرَ بُدْنَهُ، ودَعَا حَالقهُ فحلقهُ، فلمَّا رأوا ذلك قامُوا فنحروا، وجَعَلَ بعضُهُمْ يَحْلِقُ بعضًا حتَّى كادَ بعضُهُمْ يَقْتُلُ بعضًا غمًّا"[1].

واستمرت الشورى كمبدأ ونظام عام يلتزمه الخلفاء الراشدون-رضي الله عنهم- والقادة العظام ومن ذلك عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ-رضي الله عنهما- أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ﷺ، خَرَجَ إِلَى الشَّامِ حَتَّى إِذَا كَانَ بِسَرْغَ[2] لَقِيَهُ أُمَرَاءُ الأَجْنَادِ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ فَأَخْبَرُوهُ أَنَّ الْوَبَاءَ قَدْ وَقَعَ بِأَرْضِ الشَّامِ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فَقَالَ عُمَرُ ادْعُ لِي الْمُهَاجِرِينَ الأَوَّلِينَ فَدَعَاهُمْ فَاسْتَشَارَهُمْ وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ الْوَبَاءَ قَدْ وَقَعَ بِالشَّامِ فَاخْتَلَفُوا فَقَالَ بَعْضُهُمْ قَدْ خَرَجْتَ لأَمْرٍ، وَلاَ نَرَى أَنْ تَرْجِعَ عَنْهُ وَقَالَ بَعْضُهُمْ مَعَكَ بَقِيَّةُ النَّاسِ وَأَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلاَ نَرَى أَنْ تُقْدِمَهُمْ عَلَى هَذَا الْوَبَاءِ فَقَالَ ارْتَفِعُوا عَنِّي ثُمَّ قَالَ ادْعُوا لِي الأَنْصَارَ فَدَعَوْتُهُمْ فَاسْتَشَارَهُمْ فَسَلَكُوا سَبِيلَ الْمُهَاجِرِينَ وَاخْتَلَفُوا كَاخْتِلاَفِهِمْ فَقَالَ ارْتَفِعُوا عَنِّي ثُمَّ قَالَ ادْعُ لِي مَنْ كَانَ هَاهُنَا مِنْ مَشْيَخَةِ قُرَيْشٍ مِنْ مُهَاجِرَةِ الْفَتْحِ فَدَعَوْتُهُمْ فَلَمْ يَخْتَلِفْ مِنْهُمْ عَلَيْهِ رَجُلاَنِ فَقَالُوا نَرَى أَنْ تَرْجِعَ بِالنَّاسِ، وَلاَ تُقْدِمَهُمْ عَلَى هَذَا الْوَبَاءِ فَنَادَى عُمَرُ فِي النَّاسِ إِنِّي مُصَبِّحٌ عَلَى ظَهْرٍ فَأَصْبِحُوا عَلَيْهِ قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ أَفِرَارًا مِنْ قَدَرِ اللهِ فَقَالَ عُمَرُ لَوْ غَيْرُكَ قَالَهَا يَا أَبَا عُبَيْدَةَ نَعَمْ نَفِرُّ مِنْ قَدَرِ اللهِ إِلَى قَدَرِ اللهِ أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ لَكَ إِبِلٌ هَبَطَتْ وَادِيًا لَهُ عُدْوَتَانِ إِحْدَاهُمَا خَصِبَةٌ وَالأُخْرَى جَدْبَةٌ أَلَيْسَ إِنْ رَعَيْتَ الْخَصْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ اللهِ وَإِنْ رَعَيْتَ الْجَدْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ اللهِ قَالَ فَجَاءَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، وَكَانَ مُتَغَيِّبًا فِي بَعْضِ حَاجَتِهِ، **فَقَالَ: إِنَّ عِنْدِي فِي هَذَا عِلْمًا سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: إِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ فَلاَ تَقْدَمُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلاَ تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ" قَالَ: فَحَمِدَ اللَّهَ عُمَرُ ﷺ ثُمَّ انْصَرَفَ**"[3].

---

(1) رواه البخاري، الصحيح، كتاب: الشروط، باب: الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط، رقم٢٧٣١/٢٧٣٢.

(2) وهي المدورة اليوم، مركز الحدود الأردنية مع السعودية"، الدكتور شوقي أبو خليل، أطلس الحديث النبوي، دار الفكر المعاصر، بيروت- لبنان، دار الفكر، دمشق- سورية، الطبعة الأولى١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م، ص٢١٧.

(3) متفق عليه: البخاري، الصحيح، كتاب: الطب، باب مَا يُذْكَرُ فِي الطَّاعُونِ، رقم٥٧٢٩، ومسلم، الصحيح، كتاب: السلام، باب الطاعون والطيرة والكهانة ونحوها، رقم٢٢١٩.

المطلب الثاني: الأسس الرئيسة للانضباط العسكري

أولاً: اهتمام القائد بتنظيم الجيش وجعله بالصورة المناسبة للقتال، حيث تتطور الأساليب العسكرية مع تطور الأسلحة الحربية كسلاح الطيران والصواريخ والقاذفات، بل والأسلحة النووية والذرية، ففي القديم كان بعض القادة يجعل فئة في المقدمة، وأخرى في المؤخرة، وميمنة، وميسرة[1]، كما قد يكلف مجموعة من الجنود بأعمال محددة، والانضباط يقتضي أن يلتزم كل جندي بالموقع الذي حُدِّد له، فقد يرسل القائد بعض الجند ليتعلموا صنع سلاح جديد أو يتدربون على استخدامه، ويمنعون من شهود بعض الغزوات أو الجهاد في سبيل الله بالقتال، **فقد أرسل النبيﷺ بعض جنده إلى اليمن ليتعلموا ويتدربوا على صنع واستخدام أقوى الأسلحة وأهمها في ذلك الوقت وهي المنجنيق[2] والدبابات[3]، فقد روى الواقدي -رحمه الله- قال:" وَكَانَ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ وَغَيْلَانُ بْنُ سَلَمَةَ -رضي الله عنهما- بِجُرَشَ[4] يَتَعَلَّمَانِ عَمَلَ الدَّبَّابَاتِ وَالْمَنْجَنِيقِ يُرِيدَانِ أَنْ يَنْصِبَاهُ عَلَى حِصْنِ الطَّائِفِ"[5]، قَالَ تَعَالَى:﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾ ﴾** [آل عمران/١٢١]، قال سيد قطب-رحمه الله تعالى-:" والإشارة هنا إلى غدو النبي ﷺ من بيت عائشة - رضي الله عنها - وقد لبس لأمته[6] ودرعه بعد التشاور في الأمر، وما انتهى إليه من عزم على الخروج من المدينة للقاء المشركين

---

(1) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٢/١١٠.

(٢) قال الفيروزأبادي:" المنجنيق: آلةٌ تُرْمَى بها الحجارَةُ"، الفيروزأبادي، القاموس المحيط، ص١١٢٦.

(٣) قال ابن الأثير:" الدبابة: آلة تُتخذ من جلود وخشب يدخل فيها الرجال، ويُقربونها من الحصن المحاصر لينقبوه، وتقيهم ما يُرمون من فوقهم"، ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر،٢/٩١.

(٤) وتقع الآن بين مدينة أبها وجيزان جنوب المملكة العربية السعودية محاذية لليمن، انظر: أبو خليل، الدكتور شوقي، أطلس الحديث النبوي، ص١١٧.

(٥) الواقدي، الأَسْلَمِيُّ، مُحَمَّد بن عُمَر بن واقد ، ٢٠٧ هـ، المغازي، الموسوعة الشاملة، ص٩٢٤. وانظر: ابن كثير، البداية والنهاية، غزوة الطائف، ٤/٣٩٥.

(٦) " اللأمة: السلاح"، ابن منظور، لسان العرب، ١٣/١٥٤.

خارجها، وما أعقب هذا من تنظيم الرسول ﷺ للصفوف ، ومن أمره للرماة باتخاذ موقفهم على الجبل"[1].

ومن الاهتمام بتنظيم الجيش تسوية الصفوف بالصورة المناسبة، أو تحديد مواقعها المناسبة ووقت وآلية انطلاقها؛ فقد تكون تلك الصفوف صفوف طيران أو صواريخ، أوما يُعرف بالغارات الجوية، أو البارجات البحرية، أو القاذفات البرية، أو غيرها؛ فإنَّ لها تنظيمها المناسب

ومما لا يخفى أن تطور تنظيم الجيوش في الوقت المعاصر يحتاج إلى كيفيات جديدة معاصرة ومناسبة وقوية ومؤثرة، ولكنها تلتقي جميعها على تحقيق التنظيم، وهو المقصود بتنفيذ قول الله تعالى:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٌ مَّرۡصُوصٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الصف:٤]، قال سيد قطب-رحمه الله تعالى-:" ونقف أمام الحالة التي يُحب اللّه للمجاهدين أن يقاتلوا وهم عليها:«صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيانٌ مَرْصُوصٌ»، فهو تكليف فردي في ذاته، ولكنَّه فردي في صورة جماعية. في جماعة ذات نظام. ذلك أن الذين يواجهون الإسلام يواجهونه بقوى جماعية، ويؤلبون عليه تجمعات ضخمة فلا بد لجنود الإسلام أن يواجهوا أعداءه صفا صفا سويا منتظماً، وصفا متينا راسخا ذلك إلى أنَّ طبيعة هذا الدين حين يَغلب ويهيمن أن يهيمن على جماعة، وأن ينشئ مجتمعاً متماسكاً متناسقا. فصورة الفرد المنعزل الذي يعبد وحده، ويجاهد وحده، ويعيش وحده، صورة بعيدة عن طبيعة هذا الدين، وعن مقتضياته في حالة الجهاد، وفي حالة الهيمنة بعد ذلك على الحياة"[2]. ومن المصطلحات الحربية المعاصرة "الغارات الجوية": وهو انطلاق سِرب من الطائرات المقاتلة لضرب هدف محدد.

وهناك من وضَّح بعض صور ومظاهر الانضباط العسكري بصورة أخرى بما يأتي:

"بالنشاط والحيوية في المظهر وفي أداء العمل، والنظافة والأناقة في الملبس، والأمانة، والنظام

---

(1) قطب، سيد، في ظلال القرآن، ٤٦٧/١.

(2) المصدر نفسه، ٣٥٥/٦.

في حسن ترتيب المهمات، والنظافة في أماكن الإقامة والنوم، وحسن التصرف قولاً وعملاً، وسمو الاخلاق واحترام الرؤساء، والحنان على جنود، وتنفيذ الأوامر التي تصدر من مرؤوسيه بكامل الرضا بعيداً عن التذمر، والتعبير عن رأيه بشكل لائق أمام مرؤوسيه"[1].

ثانياً: تحديد السن المناسب الذي يقبل فيه الانتساب للجيش بحيث يُصبح جندياً، وهو في الأغلب لا يقل عن خمسة عشر عاماً، لكنَّ مع التطور المستمر يمكن أن يكون أقل من ذلك؛ وخاصة أن أسلحة ضخمة ومتطورة جداً تعمل وفق نظام الكتروني لا يحتاج تحريكها وانطلاقها إلى أكثر من الضغط على كبسة معينة، **فعن عُبَيْدُ اللهِ[2]، قَالَ: حَدَّثَنِي نَافِعٌ، قَالَ: حَدَّثَنِي ابْنُ عُمَرَ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَرَضَهُ يَوْمَ أُحُدٍ وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعَ عَشْرَةَ سَنَةً فَلَمْ يُجِزْنِي ثُمَّ عَرَضَنِي يَوْمَ الْخَنْدَقِ وَأَنَا ابْنُ خَمْسَ عَشْرَةَ فَأَجَازَنِي. قَالَ نَافِعٌ: فَقَدِمْتُ عَلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَهُوَ خَلِيفَةٌ[3] فَحَدَّثْتُهُ هَذَا الْحَدِيثَ فَقَالَ إِنَّ هَذَا لَحَدٌّ بَيْنَ الصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ وَكَتَبَ إِلَى عُمَّالِهِ أَنْ يَفْرِضُوا لِمَنْ بَلَغَ خَمْسَ عَشْرَةَ"[4]**. قال الإمام ابن حجر- رحمه الله تعالى-:" وقوله:" أن يفرضوا": أي يقدروا لهم رزقا في ديوان الجند، وكانوا يُفرِّقون بين المقاتلة وغيرهم في العطاء وهو الرزق الذي يجمع في بيت المال ويفرق على مستحقيه، واستدل بقصة ابن عمر-رضي الله عنهما- على أن من استكمل خمس عشرة سنة أجريت عليه أحكام البالغين وإن لم يحتلم فيُكلف بالعبادات وإقامة الحدود ويستحق سهم الغنيمة، ويقتل إن كان حربياً، ويفك عنه الحجر أن أونس رشده، وغير ذلك

---

(١) ابو النور،العميد أنور خلف، مساعد المفوض السياسي للشئون العسكرية، المفوض السياسي للأمن الوطني، ٢٠١٠م، الموقع عبر الانترنت: *www.png.plo.ps*

(٢) هو "ابن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب"، العيني، عمدة القاري، ٣٣٢/٢٠، وانظر ابن حجر، تهذيب التهذيب، باعتناء إبراهيم الزيبق، وعادل مرشد، مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، ٢١٠/٤.

(٣) أنعم به من خليفة، ومن أمير للمؤمنين يبادر إلى الانضباط بما يغلب على ظنه أنه التنفيذ لأمر النبيﷺ، ويجعله قانوناً في الدولة الإسلامية.

(٤) متفق عليه: البخاري، الصحيح، كتاب: الشهادات، باب: بُلُوغِ الصِّبْيَانِ وَشَهَادَتِهِمْ، رقم٢٦٦٤، ومسلم، الصحيح، كتاب: الإمارة، باب: بيان سن البلوغ، رقم١٨٦٨.

من الأحكام، وقد عمل بذلك عمر بن عبد العزيز-رحمه الله تعالى- "[1]، ويمكن أن يستفاد من ذلك بتحديد سن معين لتقديم مكافآت أكبر لمن تجاوز سناً معيناً أو أظهر قدرة على التعامل مع سلاح متطور.

ثالثاً: تنفيذ الأوامر العسكرية بدقة متناهية له أهمية قصوى، وفي مواقع ينبغي التقيد بتنفيذ الأوامر كما صدرت دون أدنى مخالفة، بل دون اجتهاد يؤثر على الأداء المطلوب؛ لأنّ المقصود هو تنفيذ ذلك الأمر بصورته المطلوبة فقط؛ وذلك لأنّ هناك معلومات وأهداف يعلمها القائد ولا يعلمها الجندي، فعن أَبِي إِسْحَاقَ[2] قَالَ: سَمِعْتُ الْبَرَاءَ بْنَ ﷺ يُحَدِّثُ قَالَ جَعَلَ النَّبِيُّ ﷺعَلَى الرَّجَّالَةِ يَوْمَ أُحُدٍ - وَكَانُوا خَمْسِينَ رَجُلاً - عَبْدَ اللهِ بْنَ جُبَيْرٍ، فَقَالَﷺ: إِنْ رَأَيْتُمُونَا تَخْطَفُنَا الطَّيْرُ فَلاَ تَبْرَحُوا مَكَانَكُمْ هَذَا حَتَّى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ، وَإِنْ رَأَيْتُمُونَا هَزَمْنَا الْقَوْمَ وَأَوْطَأْنَاهُمْ فَلاَ تَبْرَحُوا حَتَّى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ"، فَهَزَمُوهُمْ، قَالَ:" فَأَنَا وَاللَّهِ رَأَيْتُ النِّسَاءَ يَشْتَدِدْنَ قَدْ بَدَتْ خَلاَخِلُهُنَّ، وَأَسْوُقُهُنَّ رَافِعَاتٍ ثِيَابَهُنَّ"، فَقَالَ أَصْحَابُ عَبْدِ اللهِ بْنِ جُبَيْرٍ: الْغَنِيمَةَ - أَيْ قَوْمِ - الْغَنِيمَةَ ظَهَرَ أَصْحَابُكُمْ فَمَا تَنْتَظِرُونَ"، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ جُبَيْرٍ: "أَنَسِيتُمْ مَا قَالَ لَكُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَالُوا:" وَاللَّهِ لَنَأْتِيَنَّ النَّاسَ، فَلَنُصِيبَنَّ مِنَ الْغَنِيمَةِ، فَلَمَّا أَتَوْهُمْ صُرِفَتْ وُجُوهُهُمْ فَأَقْبَلُوا مُنْهَزِمِينَ" [3]، قال اللواء محمود شيت خطاب:"أسباب خسائر المسلمين في أحد: مخالفة الأوامر؛ لأنّ تنفيذ الأوامر هو الضبط العسكري؛ الذي يُعتبر روح الجندية، والسبب المباشر لكل انتصار في كل معركة، ومخالفة الرماة في ترك مواقعهم والإسراع لجمع الغنائم خطأ كبير وقع فيه المسلمون حينذاك ، إذ

---

(1) ابن حجر، فتح الباري، ٢٧٨/٥.

(2) " هو عمرو بن عبدالله السبيعي"، قاله الإمام العيني، عمدة القاري، ٣٥٩/١٠.

(3) متفق عليه: البخاري، الصحيح، بَابُ مَا يُكْرَهُ مِنَ التَّنَازُعِ وَالِاخْتِلاَفِ فِي الْحَرْبِ وَعُقُوبَةِ مَنْ عَصَى إِمَامَهُ. وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{وَلاَ تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ}[الأنفال٤٦]، قَالَ قَتَادَةُ الرِّيحُ الْحَرْبُ، رقم٣٠٤٣.

كشف للعدو ظهورهم فاستفاد خالد من هذه الفرصة السانحة لتطويقهم من الخلف، مما أدى إلى الإطباق عليهم من كافة الجهات"[1].

إنَّ الالتزام بتنفيذ الأوامر من أهم أُسس التي يقوم عليها الانضباط بصورة عامة، وفي الميدان العسكري[2] يظهر أثر ذلك بصورة أوضح، ففي هذا المثال: قيادة نبوية حكيمة، وجند من خيرة الجند في الميدان العسكري؛ فقد أثبت الصحابة-رضي الله عنهم- كفاءة متقدمة في كل ميدان، ومع ذلك ظهر الأثر السلبي لمخالفة الأمر العسكري، وعدم الانضباط بأمر القائد الأعلىﷺ، فقد أُصيب القائد وتغيرت نتائج المعركة، وإن لم تتحول إلى هزيمة، بل يكفيهم أنهم نجوا من ذلك الموقف الحرج، قال اللواء محمود شيت خطاب:"إن نجاة المسلمين من موقفهم الحرج الذي كانوا فيه بأحد نصر عظيم"[3]، ولو عُقدت مقارنة بين النتائج المتوقعة لو انضبط الرماة في موقعهم، وبين النتائج الواقعية؛ لظهر التفاوت الكبير بين النتيجتين؛ فقد أصبح من أهم وأعظم الأهداف النجاة من الموقف الحرج.

وقد يظن البعض أنَّ الانضباط بالأمر مسألة يسيرة في جميع المواضع، ولكنَّ حذيفةؓ يُبين صعوبة ذلك في أوقات ومواطن الشدة والحرب، **فعن إبراهيم التيمي عن أبيه قال:" كنا عند حذيفة فقال رجل:" لو أدركتُ رسول الله ﷺ قاتلتُ معه وأبليتُ" فقال حذيفةؓ:" أنت كنت تفعل ذلك؟ لقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ ليلة الأحزاب وأخذتنا ريح شديدة، فقال رسول الله ﷺ: "ألا رجل يأتيني بخبر القوم جعله الله معي يوم القيامة؟ فسكتنا فلم يجبه منا أحد ثم قال :"ألا برجل يأتينا بخبر القوم جعله الله معي يوم القيامة ؟" فسكتنا فلم يجبه منا أحد ثم قال:" ألا برجل يأتينا بخبر القوم جعله الله معي يوم القيامة؟"، فسكتنا فلم يجبه منا أحد فقال: "قم يا حذيفة فأتنا بخبر القوم" فلم أجد بُدًا إذ دعاني**

---

(1) خطاب، اللواء محمود شيت، الرسول القائد، ص١٢١.

(٢) ومن ذلك عدم التفات علي بن أبي طالبؓ، وقد سبق الإشارة إلى ذلك ص٥٢

(3) المرجع السابق، ص١٢٠.

باسمي أن أقوم قال:" اذهب فأتني بخبر القوم، ولا تذعرهم" حتى أتيتُهم فرأيت أبا سفيان يَصلي ظهره بالنار فوضعت سهماً في كبد القوس فأردت أن أرميه فذكرت قول رسول الله ﷺ:"ولا تُذعرهم علي"، ولو رميته لأصبته، فرجعت، فأخبرته بخبر القوم"[1]، فحذيفة﷛ يرى أبا سفيان[2] أمامه، وهو قائد المشركين وفي قتله مصلحة ظاهرة، لكنَّ انضباطه بأمر القائد والمسئول الأكبر ﷺ فيه مصلحة راجحة، وفيه التأني والحكمة، وكذلك لنع ذلك من الآثار الإيجابية التي ظهرت فيما بعد حيث أمر أبوسفيان المشركين بالانسحاب، فلعله لو قُتل لتمسك المشركون بالقتال، وقد أكرم الله تعالى أبا سفيان بالإسلام﷛[3] .

وكذلك أثناء مسير النبي ﷺ في معركة تبوك فعندما وصل إلى الحِجر أصدر أمـــره أن لا يخرج أحدٌ وحده، فخالف ذلك الأمر رجلان: أما أحدهما فمرض؛ فمات بسبب مخالفتـــه، وأمـــا الآخر فأدركته رحمة الله تعالى بدعاء رسول الله ﷺ، قال ابن هشام:" وقد كان رسول الله ﷺ حين مرَّ بالحِجر نزلها، واستقى الناس من بئرها، فلما راحوا قال رسول الله ﷺ:" لا تشربوا من مائها شيئاً، ولا تتوضئوا منه للصلاة، وما كان من عجين عجنتموه فاعلفوه الإبـل ولا تـــأكلوا منـــه شيئا، ولا يخرجن أحدٌ منكم الليلة إلا ومعه صاحب له، ففعل الناس ما أمرهم به رســول الله ﷺ إلا أن رجلين من بني ساعدة: خرج أحدهما لحاجته، وخرج الآخر في طلب بعير له فأما الـــذي ذهب لحاجته، فإنَّه خنق ، وأمَّا الذي ذهب في طلب بعيره، فاحتملتهُ الريح حتى طرحته بجبلـــي طيئ، فأخبر بذلك رسول الله ﷺ، فقال ﷺ:" ألم أنهكم أن يخرج منكم أحد إلا ومعه صاحبه"، ثـــم

---

[1] متفق عليه: البخاري، الصحيح، كتاب الجهاد والسير، باب فضل الطليعة، مختصراً، رقم٢٨٤٦. وفيـــه "قـــال الزبير أنا، فقال النبي ﷺ :"إن لكل نبي حوارياً وحواري الزبير"، مسلم، الصحيح، كتاب الجهاد والسير باب غزوة الأحزاب، رقم ١٧٨٨، واللفظ له، سبقت الإشارة ص٥٢.

[2] وكان قائداً مشركين ثم أسلم-رضي الله عنه-.

[3] سبقت الإشارة إلى ذلك، ص٥٣.

دعا رسول الله ﷺ للذي أصيب على خنق فشفي، وأما الآخر الذي وقع بجبلي طيىء فـإن طيئـاً أهدته لرسول الله ﷺ حين قدم المدينة فمات"[1].

لقد أصدر بعض القادة العسكريين أوامر ليتجلى فيها الاستعداد لتنفيذ الأمر دون معرفـة ظاهرة للحكم والفوائد المترتبة على ذلك، فقد قص الله تعالى علينا قصة طالوت وأنه طلب مـن الجند عدم الشرب من ماء النهر الذي سيمرون به وأذن لهم بشربة واحدة بشرط أن لا تزيد عـن غرفة واحدة، وبين لهم أنّ هذا ابتلاء من الله تعالى فلم يلتزم بتنفيذه إلاّ المؤمنون الصادقون، **قال تعالى:** ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ ۚ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ ۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ۚ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ (٢٤٩)﴾ [البقرة: ٢٤٩]، قال الإمام ابن كثير:" قال ابن عباس- رضي الله عنهما- وكثير من المفسرين: هذا النهر هو نهر الأردن، وهو المُسمّى بالشريعة فكان من أمر طالوت بجنوده عند هذا النهر عن أمر نبي الله له عن أمر الله له اختباراً وامتحاناً: أن من شرب من هذا النهر فلا يصحبني في هذه الغزوة، ولا يصحبني إلا من لـم يطعمـه إلا غرفـة بيده"[2].

رابعاً: إنّ تخصيص فئات مناسبة من أبناء الدولة لأعمال الجندية وجهـاد للأعـداء، وحمايـة للدولة ودفاع عن أمنها الداخلي والخارجي، وتفريغ الجند لذلك العمل، بل ومنعهم من الاشتغال بأعمال أخرى، مع كفايتهم وأهلهم مؤنة النفقة يحقق المزيد من الانضباط، ففـي زمـن أميـر

---

(1) ابن هشام، السيرة النبوية ٤/٨٨، وانظر: السهيلي، الروض الأنف،٤/٢٩٦.

(٢) ابن كثير، قصص الأنبياء، طبعة محتوية على تعليقات الألباني، مكتبة الصفا، الطبعـة ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، اعتنى بهذه الطبعة محمود بن جميل، ص٣٧٢-٣٧٣، وانظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم،١/٦٦٨

المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ فرض للجند العطاء الذي يكفيهم ويكفي عيالهم وزيادة، فلا يحتاجون لعمل آخر حتى يكفوا أهلهم المئونة والحاجة، قال الإمام الطبري-رحمه الله تعالى-:" ذكر فرض العطاء وعمل الديوان وفي هذه السنة[1] فرض عمر للمسلمين الفروض ودون الدواوين، وأعطى العطايا على السابقة في الإسلام لا على الأحساب، ولما أراد عمرﷺ وضع الديوان قال له علي وعبدالرحمن بن عوف-رضي الله عنهما-:" ابدأ بنفسك"، قال:" لا، بل أبدأ بعم رسول الله ﷺ، ثم الأقرب فالأقرب، ففرض للعباسﷺ وبدأ به، ثم فرض لأهل بدر خمسة آلاف خمسة آلاف، ثم فرض لمن بعد بدر إلى الحديبية أربعة آلاف، ثم فرض لمن بعد الحديبية إلى أن أقلع أبو بكرﷺ عن أهل الردة؛ ثلاثة آلاف في ذلك من شهد الفتح وقاتل عن أبي بكرﷺ، ومن ولى الأيام قبل القادسية كل هؤلاء ثلاثة آلاف ثلاثة آلاف، ثم فرض لأهل القادسية وأهل الشام ألفين ألفين، وفرض لأهل البلاء البارع منهم ألفين وخمسمائة ألفين وخمسمائة"[2].

وقد صرَّح بعض المعاصرين أن أميرَ المؤمنين عمر بن الخطابﷺ منع الجند من مزاولة الزراعة وغيرها، كما أشار إلى كفاية الجند ما يحتاجونه وأهلهم من المال فقال:" أما أنَّـهﷺ قد حرَّم على المسلمين أن يُزاولوا الزرع وغيره، ويُهملوا أمر الجندية فقد كان ذلك مقصوراً على الجندي النظامي، بينما كان المتطوعة أحراراً في المهن التي يزاولونها، ولا يخفى ما لوجود الجيش المنظم تحت السلاح والمرابط في مراكزه بقصد الإسراع في رد العدو، ونجدة الجند في الأماكن الأُخرى من الفائدة، وهكذا حصر بديوان الجند أسماء الغزاة جميعهم، ولكنه لم يغفل عن نسائهم وأولادهم، فكان الجندي وهو يُحارب في ساحة القتال بعيداً عن أهله وصغاره وعياله لا يفتكر بأمر إعاشتهم البتة؛ لأنَّه مطمئن من جهتهم اذ أنَّ الرواتب والأقوات تُدر عليهم كل شهر

---

(1) الخامسة عشر للهجرة النبوية الشريفة.

(2) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ٤٥٢/٢.

بصورة منظمة"[1]، وهذا فيه الانضباط بالتخصص والعمل الذي يكلَّف به الشخص؛ وهو من أهم أسباب الإتقان والإحكام والإبداع والتميز والتقدم والرقي للفرد والمجتمع.

خامساً: الانضباط بالوقت المحدد: وتظهر أهمية الانضباط بالوقت في الأوامر الحساسة كالجهاد؛ وخاصة في الأوامر التي يترتب عليها نتائج هامة، ومن ذلك ما ذكره ابن هشام :" **وبعث رسول الله ﷺ عبدالله بن جحش بن رئاب الأسدي، في رجب، مقفلَهُ من بدر الأولى، وبعث معه ثمانية رهط من المهاجرين ليس فيهم من الأنصار أحد، وكتب له كتاباً، وأمره أن لا ينظر فيه حتى يسير يومين، ثم ينظر فيه، فيمضي لما أمره به، ولا يستكره من أصحابه أحدًا**"[2].

فقد جاء النص صريحا لقائد هذه السرية أن يسير لمدة يومين قبل أن ينظر في كتاب التكليف العسكري، وقد انضبط بالزمان كما انضبط بالأمر العسكري؛ وهذا ما صرَّح به ابنُ هشام حيث قال:" **فلمَّا سار عبدالله بن جحش رضي الله عنه يومين، فتح الكتاب فنظر فيه فإذا فيه: إذا نظرت في كتابي هذا فامض حتى تنزل نخلة بين مكة والطائف، فترصد بها قريشًا، وتعلم لنا من أخبارهم . فلما نظر عبدالله بن جحش في الكتاب قال : سمعا وطاعة، ثم قال لأصحابه : قد أمرني رسول الله ﷺ أن أمضي إلى نخلة؛ أرصد بها قريشًا حتى آتيه منهم بخبر، وقد نهاني أن أستكره أحداً منكم، فمن كان منكم يريد الشهادة، ويرغب فيها فلينطلق، ومن كره ذلك فليرجع فأما أنا فماض لأمر رسول الله ﷺ فمضى ومضى معه أصحابه لم يتخلف عنه منهم أحد**"[3].

---

(1) نعمان ثابت، العسكرية في عهد العباسيين، راجعه وقدَّم له وعلَّق عليه: اللواء الركن حامد أحمد الورد، العراق، بغداد، مديرية المطابع العسكرية، ص٧٤.

(2) السيرة النبوية٢/١٦٢. وانظر: الهيثمي، نورالدين، علي بن أبي بكر،ت٨٠٧هـ، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، كتاب، المغازي والسير، باب: سرية عبدالله بن جحش رضي الله عنه، وقال:"رواه الطبراني ورجاله ثقات"،٦/١٩٨-١٩٩.

(3) المرجع السابق نفسه. وفي هذا النص فائدة أخرى إضافة إلى أهمية الانضباط بالوقت؛ وهي أثر انضباط القائد على الجند والعاملين بصفته قُدوة أمامهم.

سادساً: استخدام الرموز والدلالات الخاصة: وتظهر أهمية استخدام الرموز التي لها مغزى معين، وذلك بإيصال رسالة للقائد أو لبعض الجند؛ بحيث يعرف المقصود ولا يؤثر على معنويات الجند؛ ففي معركة الخندق، حيث كثرة العدو والإحاطة للمدينة من الجهات الثلاث، ولم يبق إلا الجهة التي فيها بنو قريظة، بل والمنافقون يرجفون[1] في المدينة ويعلنون حرباً نفسية، وكذلك وأحوال الطقس صعبة جداً؛ فالبرد قارص والريح شديدة، وقلة الطعام، وغير ذلك مما يُعرف من خلال دراسة غزوة الخندق، وتلاوة سورة الأحزاب، وأوجز وصف ما قاله الله تعالى:

﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾﴾ [الأحزاب: ١٠ – ١٢].

في ظل تلك الأجواء والأحوال الصعبة جداً أراد النبيﷺ أن يعرف حقيقة موقف بني قريظة من الاتفاقية[2] بعدما بلغه أنهم نكثوا العهد، قال ابن هشام:" **الرسولﷺ يستوثق من نقض كعب ميثاقه، فلمّا انتهى إلى رسول الله ﷺ الخبر والى المسلمين بعث رسول الله ﷺ سعد بن معاذ ﷺ وهو يومئذ سيد الأوس وسعد بن عبادةﷺ وهو يؤمئذ سيد الخزرج ومعهما عبد الله بن رواحةﷺ، وخوات بن جبير ﷺ فقالﷺ:" انطلقوا حتى تنظروا أحق ما بلغنا عن هؤلاء القوم أم لا، فإن كان حقاً فالحنوا لي لحنا أعرفه ولا تفتوا في أعضاد الناس، وإن كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم، فاجهروا به للناس، فخرجوا حتى أتوهم فوجدوهم على أخبث ما بلغهم عنهم فيما نالوا من رسول الله ﷺ، وقالوا مَن رسول الله؟!، لا عهد بيننا وبين محمد ولا عقد"،**

---

(١) الإرجاف: "الخوض في الأخبار السيئة ، والأخبار الكاذبة المثيرة للفتن والاضطراب"، الدكتور إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، ٣٥٦/١، بتصرف يسير واختصار.

(٢) انظر، سن القوانين، ص٧٣ وما بعدها، وكذلك قول ابن هشام:" قال-ابن إسحاق-وخرج عدو الله حيي بن اخطب النضري حتى أتى كعب بن اسد القرظي صاحب عقد بني قريظة وعهدهم، وكان قد وادع رسول الله ﷺ على قومه وعاقده على ذلك وعاهده"، ابن هشام، السيرة النبوية، ١٧٧/٤.

فشاتمهم سعد بن معاذ ﷺ وشاتموه- وكان رجلاً فيه حده- فقال له سعد بن عبادة ﷺ:" دع عنك مشاتمتهم؛ فما بيننا وبيهم أربى من المشاتمة"، ثم أقبل سعد وسعد ومن معهما إلى رسول الله ﷺ فسلموا عليه، ثم قالوا: عضل والقارة أي كغدر عضل والقارة بأصحاب الرجيع خبيب وأصحابه فقال رسول الله ﷺ:"الله أكبر ابشروا يا معشر المسلمين"[1]، ويمكن أن يلاحظ ما يأتي:

١- حرص النبي ﷺ على التوثق من صحة الأخبار والمعلومات التي ترد إليه-في أشد الظروف- ، فخبر نقض العهد والاتفاقية، قضية حساسة جداً يترتب عليها قرارات هامة، ونتائج حاسمة.

٢- أخذ النبي ﷺ بالأسباب المادية، فلم يُهمل هذه المعلومة، بل بعث جنده.

٣- اختيار أصحاب الكفاءة المتميزين للقيام بالأعمال الهامة والحساسة، فقد أرسل قادة المجتمع، ووجهاء قومهم، ومن يتحلون بالشجاعة، والقدرة على التصرف بحكمة.

٤- ترك القائد وهو النبي ﷺ لأصحاب الكفاءة اختيار الرموز والإشارات المناسبة التي تحقق الهدف المقصود، فأشاروا إلى خيانة سابقة؛ لتدل على خيانة لاحقة.

٥- الأمل والثقة والبشارة بنصر الله تعالى للمؤمنين في أشد الظروف والأحوال[2].

سابعاً: إصدار العقوبة المناسبة على الجندي بسبب تخلُّفه عن أمر عسكري وعدم انضباطه:

وهي مسألة هامة تشعر الجندي بضرورة الالتزام بالأوامر العسكرية، وأنَّ ذلك له دواعيه وآثاره، ففي قصة تخلُّف الثلاثة كعب بن مالك، ومرارة بن الربيع، وهلال بن أُمية-رضي الله

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ١٧٤/٤-١٧٥.

(٢) انظر: الصلاّبي، الدكتور علي محمد محمد، تبصير المؤمنين بفقه النصر والتمكين في القرآن الكريم، دار الفجر، القاهرة- مصر، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

عنهم- عن غزوة تبوك، أصدر القائد الأعلىﷺ أمره بمقاطعة هؤلاء[1]، رغم أن كعباً ﷺ لم يتخلف عن أي غزوة بعد بدر.

المطلب الثالث: دراسة تطبيقية على الانضباط في المجتمع الإسلامي

إنَّ المجتمع الإسلامي رغم عمق التربية، وأثر القيادة الحكيمة إلا أن البعض قد يضعف في لحظة من اللحظات وهذا من الطبيعة البشرية، والمثال الجلي في ذلك هو غزوة تبوك وهي آخر غزوة شارك فيها النبيﷺ، وقد وصل عدد الجند إلى ثلاثين ألفاً لم يتخلَّف من غير عذر إلاّ ثلاثة من المؤمنين[2]، وقد أفرد أستاذي الدكتور عبدالله السوالمة-حفظه الله تعالى- بحثاً نافعاً عنوانه: (حديث المخلَّفين الثلاثة والعبر التربوية المستفادة منه)[3]، ذكر فيه جوانب متعددة تدل على الانضباط أو تُعين عليه بصورة عامة؛ وعلى الانضباط العسكري بصورة خاصة:

١- على المسلم إفراغ الجهد في الأخذ بالأسباب، والله يتولى النتائج، كما ينبغي أخذ جانب الحيطة والحذر وعدم الركون، وعدم الاغترار بتلك الأسباب: قال الدكتور السوالمة:" ومما ينبغي أن يُستفاد منه هو أنَّ الإنسان عليه أن يُربي نفسه وأهله ومن يلوذون به على بذل الجهد والوسع في الأعمال، وتحمل المسئولية في جميع المستويات واتخاذ التدابير في جميع الظروف والأحوال، **فعن أنس بن مالكﷺ قال: قال رجل: يا رسول الله، أعقلها وأتوكل، أو أطلقها وأتوكل ؟، قالﷺ:" اعقلها وتوكل"**[4]"[5].

---

(١) متفق عليه: البخاري، الصحيح، كتاب: المغازي، حديث كعب بن مالكﷺ، رقم ٤٤١٨، ومسلم، الصحيح، كتاب: التوبة، باب: حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه، ٢٧٦٩.

(٢) تخلَّف عدد من المنافقين وصل عددهم إلى حوالي ثمانين وسيتم الإشارة إلى ذلك في النقطة الخامسة.

(٣) السوالمة، الأستاذ الدكتور عبدالله مرحول، حديث المخلَّفين الثلاثة والعبر التربوية المستفادة منه، المملكة العربية السعودية، الرياض، جامعة الملك سعود، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

(٤) الترمذي، السنن، كتاب: صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ، باب:رقم ٦٠[دون ترجمة]، رقم٢٥١٧، قال أبو عيسى:"هذا حديث غريب"، قال الشيخ الألباني : "حسن".

(٥) السوالمة، حديث المخلَّفين الثلاثة والعبر التربوية المستفادة منه، ص٦٥-٦٧.

٢- الإعلان أو الكتمان للمعلومات العسكرية إنما يُتخذ حسب المصلحة الشرعية: فعن عَبْدَاللهِ بْنَ كَعْبٍ ﷺوكَانَ قَائِدَ كَعْبٍ مِنْ بَنِيهِ قَالَ : سَمِعْتُ كَعْبَ بْنَ مَالِكٍﷺ حِينَ تَخَلَّفَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺوَلَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُرِيدُ غَزْوَةً إِلاَّ وَرَّى بِغَيْرِهَا حتى كانت تلك الغزوة... فَجَلَّى لِلْمُسْلِمِينَ أَمْرَهُمْ لِيَتَأَهَّبُوا أُهْبَةَ غَزْوِهِمْ فَأَخْبَرَهُمْ بِوَجْهِهِ الَّذِي يُرِيدُ"[١]، قال أستاذي:" يُستفاد من هذا أهمية الكتمان والسرية، وبخاصة في الحياة العسكرية، وذلك لأخذ العدو على غرة، فعن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قَالَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:"الْحَرْبُ خُدْعَةٌ"[٢].

٣- التدريبات والتمارين والدورات والاختبارات النظرية والميدانية لها أهمية قصوى في الميدان العسكري، قال أُستاذي:"أهمية تدريبات التحمل أو الدورات للكشف عن القدرات، والإعداد لتحمل المسئوليات، يجب على المربين والقادة، ومن له حق الطاعة أن يُدربوا من يقع تحت مسئولياتهم، على تحمل المشاق ومواجهة الصعاب، وأخذهم أحياناً بالحزم؛ لتعويدهم على الصبر والتحمل"[٣] قَالَ كَعْبٌﷺ": فَمَا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَتَغَيَّبَ إِلاَّ ظَنَّ أَنْ سَيَخْفَى لَهُ مَا لَمْ يَنْزِلْ فِيهِ وَحْيُ اللهِ، وَغَزَا رَسُولُ اللهِ ﷺتِلْكَ الْغَزْوَةَ حِينَ طَابَتِ الثِّمَارُ وَالظِّلاَلُ "[٤]

٤- المبادرة إلى الانضباط العسكري، وعدم التأخير أو التسويف: قال أُستاذي:" المبادرة إلى فعل الطاعات، وعمل الواجبات سبب في تحصيلها، والتسويف في فعلها سبب في

---

(١) متفق عليه: البخاري، الصحيح، كتاب: المغازي، حديث كعب بن مالكﷺ، رقم ٤٤١٨، ومسلم، الصحيح، كتاب: التوبة، باب: حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه، ٢٧٦٩.

(٢) متفق عليه: البخاري، الصحيح، كتاب: الجهاد والسير، بَابٌ الْحَرْبُ خُدْعَةٌ، رقم٣٠٣٠، ومسلم، الصحيح، كتاب: الجهاد والسير ، باب: جواز الخداع في الحرب، رقم١٧٣٩.

(٣) السوالمة، حديث المخلّفين الثلاثة والعبر التربوية المستفادة منه، ص٧٠-٧١، باختصار.

(٤) متفق عليه: البخاري، الصحيح، كتاب: المغازي، حديث كعب بن مالكﷺ، رقم ٤٤١٨، ومسلم، الصحيح، كتاب: التوبة، باب: حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه، ٢٧٦٩.

حرمانها"[1]، فعلى الجندي الحازم أن يبادر إلى تنفيذ أوامر القيادة، وعدم التأخير، اعتماداً على قُدراته على التنفيذ، أو اغتراره بقدرته على اللحاق بالجند إن تأخر، أو غير ذلك، فهذا صحابي جليل رضي الله عنه لم يخطط للتخلف، بل يظن بقدراته أنه يستطيع اللحاق بالجند قال كعب رضي الله عنه :"**فَطَفِقْتُ أَغْدُو لِكَيْ أَتَجَهَّزَ مَعَهُمْ فَأَرْجِعُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا، فَأَقُولُ فِي نَفْسِي أَنَا قَادِرٌ عَلَيْهِ فَلَمْ يَزَلْ يَتَمَادَى بِي حَتَّى اشْتَدَّ بِالنَّاسِ الْجِدُّ فَأَصْبَحَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَالْمُسْلِمُونَ مَعَهُ وَلَمْ أَقْضِ مِنْ جَهَازِي شَيْئًا فَقُلْتُ أَتَجَهَّزُ بَعْدَهُ بِيَوْمٍ ، أَوْ يَوْمَيْنِ ثُمَّ أَلْحَقُهُمْ، فَغَدَوْتُ بَعْدَ أَنْ فَصَلُوا لأَتَجَهَّزَ فَرَجَعْتُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا ثُمَّ غَدَوْتُ ثُمَّ رَجَعْتُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا فَلَمْ يَزَلْ بِي حَتَّى أَسْرَعُوا، وَتَفَارَطَ الْغَزْوُ وَهَمَمْتُ أَنْ أَرْتَحِلَ فَأُدْرِكَهُمْ وَلَيْتَنِي فَعَلْتُ فَلَمْ يُقَدَّرْ لِي ذَلِكَ**"[2]، وقد حث الرسول ﷺ على المبادرة بالأعمال بصورة عامة، ومنها الأعمال العسكرية، **فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:" بادروا بالأعمال**"[3]، قال الإمام النووي:" معنى الحديث: الحث على المبادرة إلى الأعمال الصالحة، قبل تعذُّرها، والاشتغال عنها بما يحدث "[4].

٥- **التعامل مع الجند على الظاهر:** فهذه هي القاعدة العامة في تعامل المسلم مع غيره بصورة عامة، ومن ضمن ذلك تعامل القائد مع الجند[5]،**قال كعب رضي الله عنه:"جَلَسَ ﷺ لِلنَّاسِ فَلَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ**

([1]) السوالمة، حديث المخلَّفين الثلاثة، ص٧٢، باختصار.

([2]) متفق عليه: البخاري، الصحيح، كتاب: المغازي، حديث كعب بن مالك رضي الله عنه، رقم ٤٤١٨، ومسلم، الصحيح، كتاب: التوبة، باب: حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه، ٢٧٦٩.

([3]) مسلم، الصحيح، كتاب الإيمان باب الحث على المبادرة بالأعمال قبل تظاهر الفتن، رقم ١١٨.

([4]) النووي ، المنهاج شرح صحيح مسلم، ١٣٣/٢.

([5]) السوالمة، حديث المخلَّفين الثلاثة والعبر التربوية المستفادة منه، ص٨٣، بتصرف واختصار.

جَاءَهُ الْمُخَلَّفُونَ فَطَفِقُوا يَعْتَذِرُونَ إِلَيْهِ، وَيَحْلِفُونَ لَهُ وَكَانُوا بِضْعَةً وَثَمَانِينَ رَجُـلاً فَقَبِـلَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلاَنِيَتَهُمْ وَبَايَعَهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ وَوَكَلَ سَرَائِرَهُمْ إِلَى اللهِ تعالى"[1].

٦- التأثير الإيجابي لانضباط المجتمع على الجنود: قـال كعـب رضي الله عنه:" نَهَـى رَسُـولُ اللهِ ﷺ الْمُسْلِمِينَ عَنْ كَلاَمِنَا أَيُّهَا الثَّلاَثَةُ مِنْ بَيْنِ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُ، فَاجْتَنَبَنَا النَّاسُ وَتَغَيَّـرُوا لَنَـا حَتَّى تَنَكَّرَتْ فِي نَفْسِي الأَرْضُ فَمَا هِيَ الَّتِي أَعْرِفُ فَلَبِثْنَا عَلَى ذَلِكَ خَمْسِينَ لَيْلَـةً فَأَمَّـا صَاحِبَايَ فَاسْتَكَانَا وَقَعَدَا فِي بُيُوتِهِمَا يَبْكِيَانِ، وَأَمَّا أَنَا فَكُنْتُ أَشَبَّ الْقَوْمِ وَأَجْلَدَهُمْ فَكُنْـتُ أَخْرُجُ فَأَشْهَدُ الصَّلاَةَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ وَأَطُوفُ فِي الأَسْوَاقِ، وَلاَ يُكَلِّمُنِي أَحَدٌ وَآتِي رَسُـولَ اللهِ ﷺ فَأُسَلِّمُ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي مَجْلِسِهِ بَعْدَ الصَّلاَةِ فَأَقُولُ فِي نَفْسِي هَلْ حَرَّكَ شَفَتَيْهِ بِـرَدِّ السَّلاَمِ عَلَيَّ أَمْ لاَ؟ ثُمَّ أُصَلِّي قَرِيبًا مِنْهُ فَأُسَارِقُهُ النَّظَرَ فَإِذَا أَقْبَلْتُ عَلَى صَلاَتِي أَقْبَلَ إِلَيَّ، وَإِذَا الْتَفَتُّ نَحْوَهُ أَعْرَضَ عَنِّي، حَتَّى إِذَا طَالَ عَلَيَّ ذَلِكَ مِنْ جَفْوَةِ النَّاسِ مَـشَيْتُ حَتَّـى تَسَوَّرْتُ جِدَارَ حَائِطِ أَبِي قَتَادَةَ وَهُوَ ابْنُ عَمِّي وَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَوَاللَّهِ، مَا رَدَّ عَلَيَّ السَّلاَمَ فَقُلْتُ يَا أَبَا قَتَادَةَ أَنْشُدُكَ بِاللَّهِ هَلْ تَعْلَمُنِي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَسَكَتَ فَعُدْتُ لَهُ فَنَشَدْتُهُ فَسَكَتَ فَعُدْتُ لَهُ فَنَشَدْتُهُ فَقَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ فَفَاضَتْ عَيْنَايَ وَتَوَلَّيْتُ حَتَّى تَسَوَّرْتُ الْجِدَارَ"[2]. فهذا المجتمع الإسلامي الذي انضبط بأمر قائده ﷺ ، حتى أقرب الناس إلى ذلك الجندي وهو ابن عمه أبو قتادة رضي الله عنه، فترك ذلك الانضباط أثره التربوي على ذلك الجندي رضي الله عنه. قال أستاذي:" وهكذا على الرغم من شدة شفقة الرسول ﷺ علـى أصـحابه- رضي الله عنهم- ورحمته بهم، ومع ذلك فقد أمر المجتمع بهجرانهم ومقاطعتهم في جميع المجالات؛ فلا أحد يكلمهم أو يُسلم أو يرد السلام عليهم؛ وما ذلك إلا لأنهم محل اهتمـام

---

(1) متفق عليه: البخاري، الصحيح، كتاب: المغازي، حديث كعب بن مالك رضي الله عنه، رقم ٤٤١٨، ومـسلم، الـصحيح، كتاب: التوبة، باب: حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه، ٢٧٦٩.

(2) متفق عليه: البخاري، الصحيح، كتاب: المغازي، حديث كعب بن مالك رضي الله عنه، رقم ٤٤١٨، ومـسلم، الـصحيح، كتاب: التوبة، باب: حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه، ٢٧٦٩.

ورعاية مربيهم وقائدهم ﷺ"(1)، فعَنْ عَبْدِ اللهِ(2) ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:" السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ مَا لَمْ يُؤْمَرْ بِمَعْصِيَةٍ؛ فَإِذَا أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلاَ سَمْعَ ، وَلاَ طَاعَةَ"(3).

٧- **التساهل في عدم الانضباط يتسبب في طمع الأعداء:** قال أستاذي:" من يتساهل في فعل الطاعات والقيام بالواجبات يتسبب في طمع الأعداء فيه"(4)، فقد جاء في الكتاب الذي قدم به النبطي من ملك غسان عدو الإسلام والمحارب للمسلمين آنذاك إلى كعب ﷺ:" فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي بِسُوقِ الْمَدِينَةِ إِذَا نَبَطِيٌّ مِنْ أَنْبَاطِ أَهْلِ الشَّامِ مِمَّنْ قَدِمَ بِالطَّعَامِ يَبِيعُهُ بِالْمَدِينَةِ يَقُولُ: مَنْ يَدُلُّ عَلَى كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ فَطَفِقَ النَّاسُ يُشِيرُونَ لَهُ حَتَّى إِذَا جَاءَنِي دَفَعَ إِلَيَّ كِتَابًا مِنْ مَلِكِ غَسَّانَ فَإِذَا فِيهِ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّ صَاحِبَكَ قَدْ جَفَاكَ وَلَمْ يَجْعَلْكَ اللَّهُ بِدَارِ هَوَانٍ ، وَلاَ مَضْيَعَةٍ فَالْحَقْ بِنَا نُوَاسِكَ فَقُلْتُ لَمَّا قَرَأْتُهَا وَهَذَا أَيْضًا مِنَ الْبَلاَءِ فَتَيَمَّمْتُ بِهَا التَّنُّورَ فَسَجَرْتُهُ بِهَا"(5)

ويمكن الرجوع إلى الدراسة لمتابعة الدروس والعبر المستفادة مع الرجوع إلى رواية الصحيحين وغيرها والشروح للوقوف على الكثير من الفوائد.

---

(1) السوالمة، الدكتور عبدالله مرحول، حديث المخلفين الثلاثة والعبر التربوية المستفادة منه ، ص٨٧، بتصرف واختصار.

(2) هو ابن عمر -رضي الله عنهما- ذكر ذلك ابن حجر، فتح الباري، ١٢٣/١٣.

(3) متفق عليه: البخاري، الصحيح، متاب: الأحكام، باب السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ لِلإِمَامِ مَا لَمْ تَكُنْ مَعْصِيَةً، رقم٧١٤٤، ومسلم، الصحيح، كتاب: الإمارة، باب: وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية، رقم١٨٣٩ .

(4) السوالمة، الدكتور عبدالله مرحول، حديث المخلفين الثلاثة والعبر التربوية المستفادة منه، ص٩٦.

(5) متفق عليه: البخاري، الصحيح، كتاب: المغازي، حديث كعب بن مالك ﷺ، رقم ٤٤١٨، ومسلم، الصحيح، كتاب: التوبة، باب: حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه، ٢٧٦٩.

الفصل الثالث: الانضباط في التعامل مع الآخر

المبحث الأول: الانضباط في التعامل مع المنافقين

المبحث الثاني: الانضباط في التعامل مع غير المسلمين

المطلب الأول: المبادئ والأصول العامة في تعامل المسلم مع غيره.

المطلب الثاني: الأحكام الخاصة في تعامل المسلم مع غيره.

الفصل الثالث

الانضباط في التعامل مع الآخر

إنَّ الله تعالى قد أرسل رسله- عليهم الصلاة والسلام- لهداية الناس إلى الحق، وشاء تبارك وتعالى أن يترك للناس حرية الاختيار بين الإيمان أو الكفر؛ وتنفيذاً لذلك لم يُكره الأنبياءُ – عليهم الصلاة والسلام- أممَهم على الإيمان؛ ولكنهم بينوا لهم طريق الحق وجزاء الإيمان والالتزام بمقتضاه، وحذروهم من الكفر والعصيان وبينوا لهم جزاء ذلك، فقال الله تعالى:﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ ﴾ [البقرة:٢٥٦-٢٥٧]، وقال تعالى:﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ ﴾[يونس/٩٩]؛ ونتيجة لذلك الاختيار فقد انقسم الناس إلى مؤمن وكافر، كما استمر الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- وأتباعهم بالدعوة إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة، وختم الله تعالى رسالاته بمحمدﷺ فلا نبي بعده، وقد أمر تعالى بالدعوة إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة، فقال الله تعالى:﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾[النحل١٢٥].

ولقد أخذ الله تعالى العهد والميثاق على الأنبياء والرسل -عليهم الصلاة والسلام- وأُممهم لئن بعث الله نبيه ورسولَه محمداًﷺ ليؤمنن به، وجاء الأمر للمسلمين بالإيمان بجميع الأنبياء والرسل وتعظيمهم وإجلالهم جميعاً، والصلاة والسلام عليهم، واعتقاد أنَّهم سلسلة مباركة

اصطفاهم الله تعالى عبر تتابع الزمان، وهم خيرة الله من خلقه، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ ۚ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي ۖ قَالُوا أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ (٨١) فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٨٢) أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ (٨٣) قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (٨٤) وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٨٥) ﴾ [آل عمران: ٨١-٨٥].

ولقد شاء الله تعالى أن يختم النبوات والرسالات بالإسلام الذي جاء به نبينا محمدﷺ فانقسم الناس إلى قسمين رئيسين: الأول: وهم المؤمنون الصادقون، وابتدأت تلك الفئة المباركة بالصحابة رضي الله عنهم، وستستمر – بعون الله وتوفيقه– سلسلة المؤمنين الصادقين إلى يوم القيامة، وأما القسم الثاني: فهم ثلاث فئات: الأولى: المنافقون: وهم الذين عملوا أعمالاً مخصوصة؛ فوصفوا بالنفاق، أو أنهم أظهروا الإيمان بألسنتهم وأبطنوا الكفر[1]، وأما الفئة الثانية: فهم الذين بقوا على الكتب التي غيّروا فيها وبدلوا فحرّفوها عن أصلها فنقضوا عهد الله تعالى وعهد أنبيائهم عليهم– الصلاة والسلام– بالإيمان بمحمدﷺ، وهم اليهود والنصارى، ومن ألحق بهم، وأما الفئة الثالثة: فهم غير الفئات الثلاث السابقة، ومنهم المشركون من عبدة الأوثان، أو البوذيين، أو اللا دينيين كالشيوعيين وغيرهم.

إن الإسلامَ هو دين الله تعالى الخالد الذي دعا إلى أصله من التوحيد وعبادة الله تعالى جميع الأنبياء والرسل –عليهم الصلاة والسلام– من لدن آدم ونوح–عليهما الصلاة والسلام– إلى

---

(1) أما من بقوا في دائرة الإسلام، ولكنهم ارتكبوا ذنوباً جاء التصريح بوصفها بالنفاق، فهم أصحاب النفاق العملي، وسيأتي التفصيل في المبحث الأول من هذا الفصل–إن شاء الله تعالى– .

النبي والرسول الخاتم محمدﷺ ؛ الذي ختم الله تعالى ببعثته النبوات والرسالات ونسخها؛ فلا يقبل الله سبحانه عقيدة أو شريعة أو ديناً غيره، ولذا فقد ضبط الإسلام كيفية تعامل المسلمين مع تلـــك الفئات ويظهر ذلك-إن شاء الله- في المباحث الآتية:

المبحث الأول: الانضباط في التعامل مع المنافقين

المبحث الثاني: الانضباط في التعامل مع غير المسلمين

المطلب الأول: المبادئ والأصول العامة في تعامل المسلم مع غيره.

المطلب الثاني: الأحكام الخاصة في تعامل المسلم مع غيره.

المبحث الأول

الانضباط في التعامل مع المنافقين

إنَّ الصدقَ والإخلاصَ مع تحقيق الإتباع لرسول الله محمدﷺ هو روح العبادة وجوهرها في الدين الإسلامي؛ ولذا فقد جاء الأمر بالإخلاص في مواطن متعددة، فقال الله تعالى:﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ ﴾ [البينة:٥]، وقال تعالى ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ﴾[الزمر:٢- ٣]، قال الإمام ابن كثير -رحمه الله تعالى-:" أي: فاعبد اللهَ وحده لا شريك له، وادعُ الخَلْقَ إلى ذلك، وأعلمهم أنَّه لا تصلح العبادة إلا له وحده، وأنَّه ليس له شريك؛ ولهذا قال: { ألا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ} أي: لا يقبل من العمل إلا ما أخلص فيه العامل لله، وحده لا شريك له"[1]، وعن عمر بن الخطابﷺ، قال سمعت رسول الله ﷺ يقول :" إنَّما الأعمال بالنيات، وإنَّما لكل امرئ ما نوى"[2].

إنَّ الأجورَ تتضاعف بحُسن النية ورِفعة المقصد، بل وفي تعدد نِيّات الخير في الفعل الواحد المزيد من الأجر والثواب؛ فمن دخل المسجد ونيته أداء الصلاة فقط فإنه ينال أجر ذلك، لكن من ذهب إلى المسجد وقصده أداء الصلاة، وحضور مجالس العلم، ومساعدة المحتاج، وزيارة المريض، والاطمئنان على أحوال المسلمين، والمشي في حوائجهم، وغير ذلك من مقاصد الخير فأجره أعظم، وبالمقابل تنقص الأجور بضعف النية، بل قد يُحرم من الأجر بسوء المقصد،

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٨٤/٧.

(٢) متفق عليه: البخاري، الجامع الصحيح، كتاب بدء الوحي، باب: كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ؟، رقم(١)، ومسلم، الصحيح، كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ: " إنما الأعمال بالنية "، وأنه يدخل فيه الغزو وغيره من الأعمال، رقم١٩٠٧.

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ:"قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:"قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى:" أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنْ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ"[1]؛ فاقتضى ذلك أن الله تعالى يقبلُ العملَ الصالح وهو ما توفر فيه شرطان: الإخلاص والإتباع، فقد يعمل الإنسان العمل وظاهره أنَّه عمل صحيح فيه إتباع لرسول الله ﷺ، ولكنّ نيّته الداخلية ليست ابتغاء مرضاة الله تعالى فهذا يُضيع الأجر ويفسد العمل؛ فيوصف صاحبه بالرياء إن ابتغى رضا الناس أو ثناءهم، أو قد يوصف بالنفاق إن صدرت منه أقوال أو أفعال معينة.

إنَّ الإسلام ظهر في مكة محارباً من عتاة الجاهلية وكُبرائها، حيث إنَّ عدد المسلمين قليل وأغلبهم من الفقراء، ولا تُوجد مطامعُ مادية لمن يؤمن، ولكن لمّا هاجر المسلمون وانتصروا في بدر بدأ ظهور قوة المسلمين العسكرية وقدرتهم على الرد على من خالفهم وعارضهم، وبدأت المطامع الاقتصادية بالظهور، فبدأ وجود النفاق والمنافقين بالظهور، وحرص المنافقون[2] على الاختباء خلف ادعاء الإيمان، أو أن يتظاهروا بأعمال لا تصدر من قلوبهم ؛ ليعاملوا معاملة المسلمين الصادقين، ولينالوا بعض المنافع الدنيوية، وليحققوا بعض المصالح الشخصية.

لقد عاشت فئة المنافقين في المجتمع الإسلامي؛ رغم أفعالها الشنيعة المخالفة للإسلام، والمعادية للمسلمين!؛ وهي لا تزال موجودة وإن أُطلق عليها مصطلحات جديدة، أو غيَّرت ثوبها فلبست ثوباً آخر؛ لكنها تبقى مصطلحات أو ثياباً ظاهرها فيها الرحمة وباطنها من قبلها العذاب والكيد للإسلام والمسلمين، وإن كان بعض من ركب تلك الموجات يحتج بالجهل أو الضعف أو الخوف والجبن؛ لكنَّ الصورة الحقيقية هي النفاق وأقرب المصطلحات هو **العلمانية**؛ التي تتركز

---

[1] رواه مسلم، الصحيح، كِتَاب: الزُّهْدِ وَالرَّقَائِقِ، باب: مَنْ أَشْرَكَ فِي عَمَلِهِ غَيْرَ اللَّهِ، رقم٢٩٨٥.

[2] قال الإمام الترمذي:" عن الحسن البصري-رحمه الله- أنه قال: النفاق نفاقان: نفاق التكذيب ونفاق العمل"، الترمذي، السنن، كتاب: الإيمان، باب: ما جاء في علامة المنافق، في تعليقه على حديث رقم ٢٦٣٢، ٩/٥. وقال ابن حجر:"والنفاق لغة: مخالفة الباطن للظاهر، فإن كان في اعتقاد الإيمان فهو نفاق الكفر وإلا فهو نفاق العمل، ويدخل فيه الفعل والترك وتتفاوت مراتبه"، ابن حجر، فتح الباري، ٨٩/١، فيبقى مسلماً، ولكنّ أفعاله تشابهت مع أفعال المنافقين.

الفكرة الرئيسة فيها حول فصل الدين عن السياسة، بل عن شئون الحياة[1] كلها، إلاّ أنَّ التسمية بذلك أو بغيره لا تمنع من كشف القناع عن كل من يحارب ويعادي المسلمين الصادقين المنادين بضرورة تحكيم الشريعة الإسلامية من العلماء والدعاة المخلصين، ورغم كل ذلك فينبغي التوقف عند المنهج الحق في التعامل مع هؤلاء، فقد انضبط المسلمون وعلى رأسهم الرسول ﷺ؟!، في التعامل مع المنافقين بضوابط متعددة، وتعاملوا مع ظاهرة النفاق بصور متنوعة فيما يأتي أهمها:

١- **الأصل العام والقاعدة الأساس في تعامل المسلم مع غيره هو الحكم بناءً على الظاهر**؛ فمن أظهر الإسلام يعامل بمعاملة المسلم، ومن أظهر الكفر يعامل كذلك، وأما علم الغيب وما في القلوب؛ فهو الذي لا يعلمه إلا الله وحده، وهذا هو المنهج الأساس والهدي العام في تعامل المسلمين ونظرتهم إلى غيرهم ممن يتظاهر بالإسلام، فقد أنكر النبي ﷺ على أحد الصحابة ﷺ أنَّه قتل من قال:" لا إله إلا الله محمد رسول الله"، رغم أن ذلك الرجل كان يقاتل المسلمين في صف المشركين أثناء المعركة ، **فعن أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- قَالَ : بَعَثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى الْحُرَقَةِ[2] فَصَبَّحْنَا الْقَوْمَ فَهَزَمْنَاهُمْ وَلَحِقْتُ أَنَا وَرَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ رَجُلاً مِنْهُمْ فَلَمَّا غَشِينَاهُ قَالَ:" لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ"، فَكَفَّ الْأَنْصَارِيُّ، فَطَعَنْتُهُ بِرُمْحِي حَتَّى قَتَلْتُهُ فَلَمَّا قَدِمْنَا بَلَغَ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ ﷺ:" يَا أُسَامَةُ، أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ:" لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ"، قُلْتُ:" كَانَ مُتَعَوِّذًا، فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَسْلَمْتُ قَبْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ"[3].**

---

(١) الحوالي، سفر بن عبدالرحمن، العلمانية، الدار السلفية للنشر والتوزيع، حولّي- الكويت، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م، ص١١. وقد فصل في هذه الرسالة العلمية ما يتعلق بالنشأة، وكيف بدأت في بلاد الغرب، ثم انتقلت كالسرطان القاتل إلى بلاد المسلمين.

(٢) "الحُرَقَة: وهم بطن من جهينة"، ابن حجر، فتح الباري، ١٩٥/١٢، وهي تقع شمال غرب المدينة النبوية، انظر: الدكتور شوقي أبو خليل، أطلس الحديث النبوي، ص١٤٥.

(٣) متفق عليه: البخاري، الصحيح، كتاب: المغازي، باب: بَعْثُ النَّبِيِّ ﷺ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ-رضي الله عنهما- إِلَى الْحُرَقَاتِ مِنْ جُهَيْنَةَ، رقم٤٢٦٩ ومسلم، الصحيح، كتاب: الإيمان، باب: تحريم قتل الكافر بعد أن قال:" لا إله إلا الله"، رقم٩٦ .

وقد بين الإمام النووي-رحمه الله تعالى- بعض أهم الفوائد المستفادة فقال :" وَمَعْنَاهُ أَنَّك إِنَّمَا كُلِّفْت بِالْعَمَلِ بِالظَّاهِرِ وَمَا يَنْطِق بِهِ اللِّسَان، وَأَمَّا الْقَلْب فَلَيْسَ لَك طَرِيقٌ إِلَى مَعْرِفَة مَا فِيهِ، فَأَنْكَرَ عَلَيْهِ امْتِنَاعه مِنْ الْعَمَل بِمَا ظَهَرَ بِاللِّسَانِ. وَقَالَ: أَفَلَا شَقَقْت عَنْ قَلْبه لِتَنْظُر هَلْ قَالَهَا الْقَلْب وَاعْتَقَدَهَا وَكَانَتْ فِيهِ أَمْ لَمْ تَكُنْ فِيهِ بَلْ جَرَتْ عَلَى اللِّسَان فَحَسْب؟، يَعْنِي وَأَنْتَ لَسْت بِقَادِرٍ عَلَى هَذَا فَاقْتَصِرْ عَلَى اللِّسَان فَحَسْب، يَعْنِي وَلَا تَطْلُب غَيْره. وَقَوْله ﷺ:" أَفَلَا شَقَقْت عَنْ قَلْبه" [1] فِيهِ دَلِيل لِلْقَاعِدَةِ الْمَعْرُوفَة فِي الْفِقْه وَالْأُصُول [2]: أَنَّ الْأَحْكَام يُعْمَل فِيهَا بِالظَّوَاهِرِ، وَاَللَّه يَتَوَلَّى السَّرَائِر" [3]. وهي القاعدة التي عامل النبيﷺ من آمن به بناءً عليها، وأصدر أحكامه وفقها، **فعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ -رضي الله عنها- قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ ﷺ:" إِنَّكُمْ تَحْتَكِمُونَ إِلَيَّ، وَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَلْحَنَ [4] بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ، وَإِنَّمَا أَقْضِي بَيْنَكُمْ عَلَى نَحْوِ مَا أَسْمَعُ، فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ مِنْ حَقِّ أَخِيهِ شَيْئًا، فَلاَ يَأْخُذْهُ، فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ يَأْتِي بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ"** [5].

إنَّ الانضباط بهذه القاعدة يُوجب على المسلم أن يقف عند حُدوده فلا يتعداها، فلا يحق له أن يُصدِر حكماً على إنسان لا يكون ذلك الحكم مبنياً على ظاهر ما صدر منه من قول أو فعل، وأما إذا أُصدر حكماً واحتج بأنَّ هذا الحكم بناءً على ما في قلب ذلك الإنسان فلا يُقبل منه؛ لأنَّه لا يطلع ولا يعلم ما في القلب أحدٌ إلاَّ الله تعالى وحده.

---

(1) إشارة إلى أحد روايات الحديث عند الإمام مسلم، في الصحيح، وهي في التخريج السابق.

(2) انظر شرح القواعد الفقهية، القاعدة الثالثة، "اليقين لا يزول بالشك"، وفي شرحها قول الشيخ أحمد الزرقا- رحمه الله تعالى-"لأنَّ الأحكام الفقهية إنما تُبنى على الظاهر"، ص٧٩، وقوله:" إذا كانت غلبة الظنّ غير مستندة إلى دليل فلا كلام في عدم اعتبارها مطلقاً"، ص٨١، الزرقا، أحمد بن محمد، ولد١٢٨٥هـ، وتوفي١٣٥٧هـ، تصحيح وتعليق: مصطفى الزرقا(ابن المؤلف)-رحمه الله تعالى، الطبعة الرابعة١٤٧١هـ/١٩٩٦م،

(3) النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم، ٢٠٣/١.

(4) قال ابن الأثير:"أعرف بالحجة وأفطن لها من غيره"، ابن الأثير، النهاية، ٢٠٨/٤.

(5) ابن حنبل، المسند، رقم٢٦٦١٨، قال الشيخ شعيب:" إسناده صحيح على شرط الشيخين".

٢- حرص الإسلام على لين العشرة في التعامل؛ فدعا إلى اللطف والرحمة، كما دعا إلى تأليف القلوب مادياً ومعنوياً؛ سعياً في إزالة بذور النفاق ودوافعه، فقال الله تعالى:﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾[الأنبياء:١٠٧]، وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" يا أيها الناس، إنَّما أنا رحمة مهداة"(١). وجاء التحذير من الوقوع في الخطأ والمعصية، وبيان عاقبة ذلك، والتقرير أن الله تعالى يعلم ما يُظهره الناس وما يكتُمونه، فقال تعالى:﴿ إِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلۡجَهۡرَ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ وَيَعۡلَمُ مَا تَكۡتُمُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾[الأنبياء:١١٠]، فعن عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ- رضي الله عنهما- قَالَ: حَدَّثَنِى عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ، قَالَ ﷺ:" لَمَّا كَانَ يَوْمُ خَيْبَرَ أَقْبَلَ نَفَرٌ مِنْ صَحَابَةِ النَّبِىِّ ﷺ فَقَالُوا" فُلاَنٌ شَهِيدٌ، فُلاَنٌ شَهِيدٌ"، حَتَّى مَرُّوا عَلَى رَجُلٍ، فَقَالُوا: فُلاَنٌ شَهِيدٌ". فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:« كَلاَّ، إِنِّى رَأَيْتُهُ فِى النَّارِ فِى بُرْدَةٍ غَلَّهَا (٢)أَوْ عَبَاءَةٍ ». ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:« يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، اذْهَبْ فَنَادِ فِى النَّاسِ، إِنَّهُ لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلاَّ الْمُؤْمِنُونَ». قَالَ فَخَرَجْتُ فَنَادَيْتُ « أَلاَ إِنَّهُ لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلاَّ الْمُؤْمِنُونَ »(٣)، فعن أبي هريرة ﷺ قال : جئت مع علي بن أبي طالب ﷺ حين بعثه رسول الله ﷺ إلى أهل مكة ببراءة قلت: ما كنتم تنادون؟، قال:" كنا ننادي، أنه لا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة"(٤)، فعندما يسمع المنافق أنَّ نفاقه سيكون السبب في حرمانه من الجنة فلعل ذلك يكون رادعاً له عن النفاق.

---

(١) الحاكم النيسابوري، أبو عبد الله، محمد بن عبد الله، المستدرك على الصحيحين، كتاب: الإيمان، هو صلى الله عليه وآله وسلم رحمة مهداة، ومعه تلخيص الذهبي، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى ، ١٤١١هـ / ١٩٩٠، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا، ٩١/١، رقم١٠٠. قال الحاكم:" هذا حديث صحيح على شرطهما" وقال الذهبي في التلخيص :" على شرطهما".

(٢) "الْبُرْدَة: كِسَاء مُخَطَّط، والْغُلُول قَالَ أَبُو عُبَيْد : هُوَ الْخِيَانَة فِي الْغَنِيمَة خَاصَّة، وَقَالَ غَيْره: هِيَ الْخِيَانَة فِي كُلّ شَيْء" النووي، شرح صحيح مسلم باختصار، ٢٢٨/١.

(٣) رواه مسلم، الصحيح، كتاب: الإيمان، باب: غِلَظِ تَحْرِيمِ الْغُلُولِ وَأَنَّهُ لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلاَّ الْمُؤْمِنُونَ، رقم١١٤.

(٤) النسائي، السنن، كتاب، مناسك الحج، باب: قوله عز وجل ﴿ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ ﴾ [الأعراف: ٣١]، ٢٣٤/٥، رقم٢٩٥٨، واللفظ له، والترمذي، السنن، كتاب: تفسير القرآن، باب: ومن سورة التوبة ، وقال:" هذا حديث حسن"، ٢٧٦/٥، رقم٣٠٩٢، ورواه أحمد، المسند، ٧٩/١، رقم٥٩٤.

ومن الأساليب الحكيمة أنّ الإسلام أحسن التعامل مع المؤلفة قلوبهم وهم فئات كما قال ابن كثير – رحمه الله تعالى– ومنهم من يُعطَى ليحسُن إسلامه، ويُثبّت قلبه، كما أعطى ﷺ يوم حنين أيضا جماعة من صناديد الطلقاء وأشرافهم: مائة من الإبل، مائة من الإبل وقال ﷺ: **"إني لأعطي الرجل وغيرُه أحبّ إلي منه، مخافة أن يَكُبّه الله على وجهه في نار جهنم"**[1]، كما كان ﷺ يُلين الكلام لبعضهم يتألّفهم في ذلك، فقد دخل أحدهم على النبي ﷺ وكان ذلك الشخص سيء الخلق فعامله النبي ﷺ بلطف ولين جانب تعجب منه أقرب الناس له، **فعن عَائِشَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- قَالَت: استَأْذَنَ رَجُلٌ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فقَالَ ﷺ: " ائذَنُوا لَهُ، بِئْسَ أَخُو الْعَشِيرَةِ– أَوِ ابْنُ الْعَشِيرَةِ -، فَلَمَّا دَخَلَ أَلَانَ لَهُ الْكَلَامَ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، قُلْتَ الَّذِي قُلْتَ ثُمَّ أَلَنْتَ لَهُ الْكَلَامَ قَالَ:" أَيْ عَائِشَةُ، إِنَّ شَرَّ النَّاسِ مَنْ تَرَكَهُ النَّاسُ أَوْ وَدَعَهُ النَّاسُ اتِّقَاءَ فُحْشِهِ"**[2]، **وهذا اللطف ولين الجانب هو من سمو خلقه فهو القائل ﷺ:"إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الأَمْرِ كُلِّهِ"**[3]، **فأكرمه الله تعالى بالثناء على حُسن خلقه فقال تعالى** ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[القلم: ٤]، بل عندما يموت أحدهم -وهو زعيم المنافقين- تظهر رحمة النبي ﷺ، فيصلي عليه لعل الله تعالى يرحمه، ولكن تأتي الآية الكريمة مبينة نفاقه – والعياذ بالله- **فعَنِ ابْنِ عُمَرَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- أَنَّهُ قَالَ رضي الله عنه: " لَمَّا تُوُفِّيَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيٍّ جَاءَ ابْنُهُ**[4] **عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ اللهِ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَأَعْطَاهُ قَمِيصَهُ، وَأَمَرَهُ أَنْ يُكَفِّنَهُ فِيهِ، ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي عَلَيْهِ، فَأَخَذَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه بِثَوْبِهِ فَقَالَ:" تُصَلِّي**

---

(1) متفق عليه: البخاري، الصحيح، كتاب: الإيمان، بَابٌ: إِذَا لَمْ يَكُنِ الإِسْلاَمُ عَلَى الحَقِيقَةِ، وَكَانَ عَلَى الاسْتِسْلاَمِ، أَوِ الخَوْفِ مِنَ القَتْلِ، رقم٢٧، ومسلم، الصحيح، كتاب: الإيمان، باب: تألف قلب من يخاف على إيمانه لضعفه، والنهي عن القطع بالإيمان من غير دليل قاطع، رقم١٥٠.

(2) متفق عليه: البخاري، الصحيح، كتاب: الأدب، بَابُ مَا يَجُوزُ مِنَ اغْتِيَابِ أَهْلِ الفَسَادِ وَالرِّيَبِ، رقم ٦٠٥٤، ومسلم، الصحيح، كتاب: البر والصلة، باب: مدارة من يُتقى فحشه، رقم٢٥٩١.

(3) متفق عليه: البخاري، الصحيح، كتاب: استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب: إِذَا عَرَّضَ الذِّمِّيُّ وَغَيْرُهُ بِسَبِّ النَّبِيِّ ﷺ وَلَمْ يُصَرِّحْ نَحْوَ قَوْلِهِ السَّامُ عَلَيْكَ، رقم٦٩٢٧، ومسلم، الصحيح، كتاب: السلام، باب: النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام، وكيف يرد عليهم، رقم٢١٦٥.

(4) الصحابي رضي الله عنه واسمه على اسم والده.

عَلَيْهِ وَهُوَ مُنَافِقٌ وَقَدْ نَهَاكَ اللَّهُ أَنْ تَسْتَغْفِرَ لَهُمْ!، قَالَ ﷺ:" إِنَّمَا خَيَّرَنِي اللَّهُ تَعَالَى، -أَوْ، أَخْبَرَنِي- فَقَالَ تَعَالَى: ﴿ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴾[التوبة: ٨٠] [1]، فَقَالَ ﷺ:" سَأَزِيدُهُ عَلَى سَبْعِينَ"، قَالَ:" فَصَلَّى عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَصَلَّيْنَا مَعَهُ[2] ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾[التوبة: ٨٤].

إنَّ الحكم على المنافق بالكفر قضية خطيرة جداً وحساسة؛ فينبغي الحذر الشديد، والتأني الكبير، والبحث إن كان له تأويل، أو عذر كأن يكون مكرهاً، لأنَّه يترتب على ذلك الحكم خروج المنافق من الملة الإسلامية؛ فلا يُزوَّج من المسلمين، ولا يُدفن في مقابرهم، وغير ذلك من الأحكام، ولذا فقد جاء الحكم على ابن سلول بعد مهلة كبيرة، وبعد يقين واضح ولولا نزول الآيات القرآنية التي لا تحتمل التأويل لبقي الحكم اليقيني عليه في علم الله تعالى، فعمر ؓ تراجع عن رأيه وموقفه لرأي أرجح وهو رأي النبيﷺ، وصلّى عليه[3].

ولقد استمر هذا المنهج الحكيم بصوره المتعددة وهو بإيجاز أنَّ الدولة الإسلامية-عبر تاريخها المشرق- أعطت لجميع سكانها حقوق المواطنة الكاملة -بما فيهم فئة المنافقين-؛ وذلك أملاً في أن يتحولوا إلى مواطنين صالحين يخدمون دينهم ووطنهم، أو أن تكف شرهم، أوتقلِّله وتُضعِفه.

---

(1) إلى هنا الحديث، وتكملة الآية: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾[التوبة:٨٠]. ويمكن أن يُستنتج أنه كان -أحياناً- يُوحى إلى رسول اللهﷺ بعض آية؛ لأنَّه لو أُنزلت الآية كاملة؛ والتي فيها التصريح بالكفر؛ لامتنع النبيﷺ من الصلاة عليه.

(2) وهنا يتجلّى الإتباع، فعمرؓ يقوا رأيه، ولكنَّه يخضع لحكم و رأي رسول اللهﷺ .

(3) يمكن أن يُجزم بذلك وأن يُقاس عليه إذا نُظر إلى أنّ فعل رسول اللهﷺ مبني على الاجتهاد البشري بصفته قائداً، وليس مبنياً على الوحي، وهو الظاهر والله أعلم، وانظر كلام الإمام الترمذي في تقسيمه لأنواع النفاق، ص١٠٧ .

٣- الحرص على وحدة المجتمع، والحيلولة دون وقوع الفتنة، وضروة معرفة العلماء والقادة بطبائع الناس وما يصلح لكل فئة؛ فقد علِم النبيُّ ﷺ أسماء منافقين، ولكنه لم يقتلهم أملاً في توبتهم وهدايتهم، وكذلك من باب السياسة الشرعية حتى لا تنتشر إشاعة- بين القبائل والدول التي لا تعرف عن حقيقة الإسلام – أنّ محمداً ﷺ يقتل أصحابه، أو أنَّ الدولة الإسلامية تقتل رعاياها وأبناءها، وفي الانضباط بذلك مراعاة للناحية الإعلامية، وحكمة دعوية فيها التأني والحلم في التعامل مع الأخطاء والجرائم التي قد تصدر من بعض طبقات المجتمع، فعن جَابِرٍ ﷺ قال:" غَزَوْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، وَقَدْ ثَابَ[1] مَعَهُ نَاسٌ مِن الْمُهَاجِرِينَ حَتَّى كَثُرُوا، وَكَانَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلٌ[2] لَعَّابٌ[3] فَكَسَعَ[4] أَنْصَارِيًّا فَغَضِبَ الأَنْصَارِيُّ غَضَبًا شَدِيدًا حَتَّى تَدَاعَوْا وَقَالَ الأَنْصَارِيُّ: "يَا لَلأَنْصَارِ"، وَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ:" يَا لَلْمُهَاجِرِينَ"، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ:" مَا بَالُ دَعْوَى أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ"، ثُمَّ قَالَ:" مَا شَأْنُهُمْ؟!"، فَأُخْبِرَ بِكَسْعَةِ الْمُهَاجِرِيِّ الأَنْصَارِيَّ قَالَ: فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ "دَعُوهَا فَإِنَّهَا خَبِيثَةٌ"، وَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيٍّ ابْنُ سَلُولَ:" أَقَدْ تَدَاعَوْا عَلَيْنَا، لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ"، فَقَالَ عُمَرُ ﷺ" أَلاَ نَقْتُلُ يَا رَسُولَ اللهِ هَذَا الْخَبِيثَ"، لِعَبْدِ اللهِ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ :" لاَ يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّهُ كَانَ يَقْتُلُ أَصْحَابَه"[5].

قال الإمام ابن قيم الجوزية-رحمه الله تعالى-:"كَانَ فِي تَرْكِ قَتْلِهِمْ فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ ﷺ مَصْلَحَةٌ تَتَضَمَّنُ تَأْلِيفَ الْقُلُوبِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَجَمْعَ كَلِمَةِ النَّاسِ عَلَيْهِ وَكَانَ فِي قَتْلِهِمْ تَنْفِيرٌ،

---

(1) " أي اجتمع"، قاله ابن حجر، فتح الباري، ٦/٥٤٧.

(2) "قيل كان يلعب بالحراب كما تصنع الحبشة وهذا الرجل هو: جهجاه بن قيس الغفاري؛ وكان أجير عمر بن الخطاب، والأنصاري هو: سنان بن وبرة حليف بني سالم الخزرجي"، قاله ابن حجر، فتح الباري، ٦/٥٤٧.

(3) "أي مزّاح"، قاله ابن حجر، فتح الباري، ٦/٥٤٧

(4) " أي ضربه على دبره"، قاله ابن حجر، فتح الباري، ٦/٥٤٧.

(5) متفق عليه: البخاري، الصحيح، كتاب: المناقب، باب: مَا يُنْهَى مِنْ دَعْوَةِ الْجَاهِلِيَّةِ، رقم٣٥١٨، ، ومسلم، الصحيح، كتاب: البر والصلة والأدب، باب: نَصْرِ الأَخِ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا، رقم٢٥٨٤.

وَالْإِسْلَامُ بَعْدُ فِي غُرْبَةٍ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَحْرَصُ شَيْءٍ عَلَى تَأْلِيفِ النَّاسِ، وَأَتْرَكُ شَيْءٍ لِمَا يُنَفِّرُهُمْ عَنْ الدُّخُولِ فِي طَاعَتِهِ"[١].

٤- حرص النبي ﷺ على استثمار الطاقات والصالحين من أقارب المنافقين وممن لهم بهم صلة؛ وذلك ليكون لهم دور فعَّال في مقاومة وإضعاف دور المنافقين[٢]: إنَّ العمل على استثمار الطاقات في التأثير الإيجابي على المنافقين له أهمية عُظمى، قال ابن هشام- رحمه الله تعالى-:" قال ابن إسحاق-رحمه الله تعالى- :" إنَّ عبد الله‌رضي الله عنه[٣] أتى رسول الله ﷺ فقال:" يا رسول الله، إنَّه بلغني أنك تريد قتل عبدالله بن أُبَيّ[٤] فيما بلغك عنه، فإن كنت لا بد فاعلاً فمرني به فأنا أحمل إليك رأسه، فو الله، لقد عَلِمت الخزرج ما كان لها من رَجُلٍ أبرّ بوالده منّي!، وإني أخشى أن تأمر به غيري فيقتله فلا تدعني نفسي أنظر إلى قاتل عبدالله بن أُبَيّ يمشي في الناس فأقتله فأقتل مؤمنا بكافر وأدخل النار، **فقال رسول الله ﷺ:" بل نترفق به، ونحسن صحبته ما بقي معنا**"، وجعل بعد ذلك إذا أحدث الحدث كان قومه هم الذين يعاتبونه ويأخذونه ويعنفونه، فقال رسول الله ﷺ لعمر بن الخطاب رضي الله عنه -حين بلَغه ذلك من شأنهم- كيف ترى يا عمر؟، أما والله، لو قتلته يوم قلت اقتله لأرعدت[٥] له آنف، لو أمرتها اليوم بقتله

(١) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، ت٧٥١ ، زاد المعاد في هَدْي خير العباد، حقق نصوصه، وخرّج أحاديثه، وعلّق عليه: شعيب الأرنؤوط وعبدالقادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ٤٩٧/٣.

(٢) قال ابن هشام:" سلول امرأة من خزاعة وهي أمُّ أبي بن مالك بن الحارث"، ابن هشام، السيرة النبوية، ٢٩٥/٢، وقال ابن حجر:" سلول امرأة وهي بنت ذهل بن شيبان وزوجها مرة بن صعصعة أخو عامر بن صعصعة فنسب بنوه"، ابن حجر، فتح الباري، ٣٨٧/٧.

(٣) الصحابي رضي الله عنه.

(٤) أي والده المنافق زعيم المافقين.

(٥) قال ابن الأثير:"أرعد وأبرق: إذا توعد وتهدد "، ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث الأثر، ٢١٣/٢.

لقتلته، قال عمر ﷺ:" قد والله، علمت لأمر رسول الله ﷺ أعظم بركة من أمري"[1]؛ فينبغي على الدعاة إلى الله تعالى استثمار الطاقات؛ -وخاصة من لهم بهم صلة قريبة- في التأثير الإيجابي على العناصر السلبية في المجتمع المسلم؛ لكف شرهم، ومنع عداوتهم، مع التأني والحكمة في التعامل.

٥- بيان صفات المنافقين وأقوالهم وأعمالهم، وبيان النتائج المترتبة على تلك الصفات والأقوال والأعمال، ويمثله في هذا الزمان الفكر المنحرف على اختلاف مسمياته، فينبغي أن يتخصص علماء في دراسة ذلك الفكر، والرد عليه بأسلوب علمي وحكيم؛ فقد جاءت الآيات القرآنية الكريمة[2] والأحاديث النبوية الشريفة مبينة للكثير من صفات المنافقين وأقوالهم وأعمالهم[3]، وهذا من إخبار الله تعالى لنبيه ﷺ وللمسلمين ليَحذَرُوهم وليجتنبوا ما وقعوا فيه؛ فقد جاءت سورة التوبة كاشفة وموضحة ومحذِّرة للكثير من أقوالهم وأعمالهم، وأنزل سورة بيَّنت صفاتهم باسمهم (المنافقون)؛ لتحذِّر المسلمين من الاغترار بأجسامهم وأقوالهم، وفي سورة النساء آيات متعددة[4]، وغيرها من السور الكريمة تبين حقيقتهم، وتحذِّر من خطرهم، والأفكار المنحرفة تدور حول منهج المنافقين وصفاتهم وأعمالهم:

إنَّ المنافقين يتركون الاستعداد للجهاد ويحرِصون على التخلف عنه، كتخلُّفهم عن معركة تبوك، والاعتذار عن عدم مشاركتهم بالأعذار الكاذبة المتنوعة، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ

---

(1) ابن هشام، السيرة النبوية، موقف عبدالله الابن من أبيه ٤/٢٥٥-٢٥٦، وانظر تفسير سورة المنافقون عند ابن كثير، تفسير القرآن العظيم،٨/١٢٥-١٣٤.

(2) إنَّ الإشارة إلى الآيات القرآنية ضرورية؛ لأنَّ حقيقة المنافقين وما في قلوبهم، وأعيانهم، هي من الغيب الذي لا يعلمه إلا الله تعالى، وقد أوحى الله تعالى إلى نبيه ﷺ ما شاء أن يعلمه من ذلك.

(3) أُلف في ذلك الإمام أبو نُعيم الأصبهاني، أحمد بن عبدالله، ٣٣٦-٤٣٠هـ، صفة النفاق ونعت المنافقين، تقديم وتحقيق: الدكتور عامر حسن صبري، دار البشائر الإسلامية، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، بيروت-لبنان، يقع الكتاب في٢٤٧ صفحة.

(4) ومن ذلك:آية: ٦٠-٧٣، و٨٠-٩١، و١٤٠-١٤٣.

﴿أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿٤٦﴾﴾[التوبة٤٦].

إنَّ في وجود المنافقين مع المؤمنين، وخروجهم معهم آثاراً سلبية كثيرة، وإن ظهر أنَّ في تخلفهم تقليل لعدد المؤمنين، قال تعالى:﴿ لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾﴾[التوبة٤٧]، قال الإمام الطبري – رحمه الله تعالى-" لو خرج -أيها المؤمنون- فيكم هؤلاء المنافقون ما زادوكم إلا خبالاً لم يزيدوكم بخروجهم فيكم إلا فسادًا وضرًا، وقوله:"ولأوضعوا خلالكم"، يقول: ولأسرعوا بركائبهم السَّير بينكم. وأما أصل "الخلال"، فهو من "الخَلَل"، وهي الفُرَج تكون بين القوم، في الصفوف وغيرها، قوله:"يبغونكم الفتنة"، يطلبون لكم ما تُفتنون به، عن مخرجكم في مغزاكم، بتثبيطهم إياكم عنه"[1].

إنَّ المنافقين هم أصحاب الأفكار الشاذة والمنحرفة عن الإسلام؛ يحرصون أن يظهروا بصورة مقبولة في المجتمع الإسلامي حتى يغترَ المؤمنون بهم ويُصدّقونهم: قال تعالى:﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾﴾ [المنافقون:٤]، ولكنَّ الذي في قلوبهم هو الكراهية والعداوة للمؤمنين؛ فلقد أنكر الإسلام على المنافقين استهزاءهم وسخريتهم بأُصول الدين وشعائره، ومحصلة حالهم وواقعهم أنهم يتمنون كل شر للمؤمنين، ويفرحون بكل مصيبة تحل بهم، كما أنهم يخافون أن يُكتشفوا؛ وهذا يوجب على المؤمنين الحذر الدائم منهم، قال تعالى:﴿ إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [التوبة:٥٠]،

---

[1] الطبري، التفسير وهو جامع البيان في تأويل القرآن، ٢٨٢/١٤-٢٨٧، باختصار، وتصرف يسير.

وقال تعالى: ﴿ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [التوبة:٦٤-٦٦]، وإنَّ العلماء الحكماء هم الأقدر على كشف حقيقتهم، كما أنهم الأقدر على التعامل معهم.

ولا بُد من إدراك مدى الحاجة إلى الجدية، وضرورةَ القرارات الحاسمة والحكيمة في التعامل مع هذا الصنف من البشر؛ والذي ينبغي أن يقوم على المفاصلة معهم، وتحقيق الولاء والبراء؛ الذي هو أوثق عرى الإسلام، قال تعالى:﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾[التوبة٨٤].

وقد جاءت الأحاديث النبوية الشريفة في التأصيل والتكميل والتتميم لذلك التحذير فمنها:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:" آيَةُ الْمُنَافِقِ: ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ"[١]، وفي رواية:" « آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ، وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ »[٢]. وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو- رضي الله عنهما- أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ:" أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ"[٣]. وعن أنس ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: " آيَةُ الإِيمَانِ حُبُّ

([١]) متفق عليه: البخاري، الصحيح، كتاب: الإيمان، بَابُ: عَلَامَةِ الْمُنَافِقِ، رقم٣٣، مسلم، الصحيح، كتاب: الإيمان، باب: بيان خصال المنافق، رقم٥٩.

([٢]) رواه مسلم، الصحيح، كتاب: الإيمان، باب: بيان خصال المنافق، بعد رقم٥٩.

([٣]) متفق عليه: البخاري، الصحيح، كتاب: الإيمان، بَابُ: عَلَامَةِ الْمُنَافِقِ، رقم٣٤، الصحيح، مسلم، كتاب: الإيمان، باب: بيان خصال المنافق، رقم٥٨.

الأَنْصَارِ، وَآيَةُ النِّفَاقِ بُغْضُ الأَنْصَارِ"[1]، وعَنْ عَلِيٍّ قال:" وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ[2]، إِنَّهُ لَعَهْدُ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ ﷺ إِلَيَّ؛ أَنْ لاَ يُحِبَّنِي إِلاَّ مُؤْمِنٌ وَلاَ يُبْغِضَنِي إِلاَّ مُنَافِقٌ"[3]. إنَّ هذه الأحاديث جاءت في بيان بعض صفات المنافقين العملية التي تتفاوت في نكارتها؛ والتي يبقى صاحبها في دائرة الإسلام؛ وهو النفاق العملي ما لم يصدر منه ما يوصل إلى الخروج من الملة؛ فإذا صدر كان ذلك هو النفاق العقدي، وعند ذلك لا بُدّ أن يكون قرار المفاصلة -بعد التحقق والتيقن- وبعد تأنٍ مناسب وحكيم؛ فلا يكون قراراً متسرعاً قد يفُت في عضد المسلمين.

٦- **حرص المؤمنين الصادقين على بذل كل ما من شأنه إزالة بذور الشك والريبة: وقد تمثل ذلك بخوف المؤمنين الصادقين من النفاق**؛ فالمؤمنَ يُراقِبُ أعماله ويحاسب نفسه، وهو في الوقت نفسه يخشى أن يقع في النفاق، أو أن يسلك سلوكاً هو من صفات المنافقين، وهو يحذر أشد الحذر أن يحبط عمله بسبب ذلك، قال الإمام البخاري- رحمه الله تعالى-:" **بَابُ خَوْفِ الْمُؤْمِنِ مِنْ أَنْ يَحْبَطَ عَمَلُهُ وَهُوَ لاَ يَشْعُرُ. وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ التَّيْمِيُّ[4]:" مَا عَرَضْتُ قَوْلِي عَلَى عَمَلِي إِلاَّ خَشِيتُ أَنْ أَكُونَ مُكَذِّبًا". وَقَالَ ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ[5]:" أَدْرَكْتُ ثَلاَثِينَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ كُلُّهُمْ يَخَافُ النِّفَاقَ عَلَى نَفْسِهِ؛ مَا مِنْهُمْ أَحَدٌ يَقُولُ إِنَّهُ عَلَى إِيمَانِ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ. وَيُذْكَرُ**

---

(1) متفق عليه: البخاري، الصحيح، كتاب: الإيمان، بَابٌ: عَلاَمَةِ الإيمان حب الأنصار، رقم١٧، ومسلم، الصحيح كتاب: الإيمان، باب: الدَّلِيلِ عَلَى أَنَّ حُبَّ الأَنْصَارِ وَعَلِيٍّ - رضى الله عنهم - مِنَ الإِيمَانِ وَعَلاَمَاتِهِ وَبُغْضَهُمْ مِنْ عَلاَمَاتِ النِّفَاقِ، رقم٧٤.

(2) قال الإمام النووي-رحمه الله تعالى- "قَوْله :" فَلَقَ الْحَبَّة"، فَمَعْنَاهُ شَقَّهَا بِالنَّبَاتِ. وقَوْله:" وَبَرَأَ النَّسَمَة"، هُوَ بِالْهَمْزَةِ أَيْ خَلَقَ النَّسَمَة وَهِيَ بِفَتْحِ النُّون وَالسِّين . وَهِيَ الْإِنْسَان ، وَقِيلَ: النَّفْس"، النووي، شرح صحيح مسلم، ١/١٦٩.

(3) رواه مسلم، الصحيح، كتاب: الإيمان، باب: الدَّلِيلِ عَلَى أَنَّ حُبَّ الأَنْصَارِ وَعَلِيٍّ - رضى الله عنهم - مِنَ الإِيمَانِ وَعَلاَمَاتِهِ وَبُغْضَهُمْ مِنْ عَلاَمَاتِ النِّفَاقِ، رقم٧٧.

(4) قال الإمام العيني:"ابراهيم: هو ابن زيد بن شريك التيمي، تيم الرباب، أبو أسماء الكوفي، قيل قتله الحجاج بن يوسف، وقيل مات في سجنه"، العيني، عمدة القاري، ٢/٢٣٢.

(5) قال الإمام العيني:" هو عبد الله بن عبيد الله، واسم أبي مُليكة: زهير بن عبد الله بن جدعان بن عمرو بن كعب بن تيم بن مرة القرشي، التيمي المكي الأحول، كان قاضيا لابن الزبير، مات سنة سبع عشرة ومائة"، العيني، عمدة القاري، ٢/٢٣٢، باختصار.

عَنِ الْحَسَنِ: مَا خَافَهُ إِلاَّ مُؤْمِنٌ،وَلاَ أَمِنَهُ إِلاَّ مُنَافِقٌ وَمَا يُحْذَرُ مِنَ الإِصْرَارِ عَلَى النِّفَاقِ وَالْعِصْيَانِ مِنْ غَيْرِ تَوْبَةٍ، لِقَوْلِ اللهِ تَعَالَى:﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[آل عمران١٣٥]"(١)، وقال الإمام العيني-رحمه الله تعالى-:" المعنى أنهم كلهم كانوا على حذر وخوف من أن يخالط إيمانهم النفاق، ومع هذا لم يكن منهم أحد يقول إنَّ إيمانه كإيمان جبريل -عليه الصلاة السلام- لأنَّ جبريل معصوم لا يطرأ عليه الخوف من النفاق بخلاف هؤلاء فإنهم غير معصومين"(٢). وهذا هو المنهج الذي ينضبط به المؤمنون يجعلهم في خوف على أنفسهم، فلا يتجرأون على وصف غيرهم به من غير دليل ثابت، أو برهان عملي على ذلك.

٧- الحفاظ على مُقدرات الأُمة المعنوية والفكرية، وما له تعلق بمكانة المسلم وصلته بربه، وهذا يقتضي الحذر من وصف المؤمنين الصادقين بالنفاق، وكذلك الحذر من مودة المنافقين والدفاع عنهم، أو أن يكون لهم الولاء من دون المؤمنين: فعَنِ ابْنِ شِهَابٍ-رحمه الله تعالى- قَالَ : أَخْبَرَنِي مَحْمُودُ بْنُ الرَّبِيعِ الأَنْصَارِيُّ ﷺ أَنَّ عِتْبَانَ بْنَ مَالِكٍ ﷺ وَهُوَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِمَّنْ شَهِدَ بَدْرًا مِنَ الأَنْصَارِ-رضي الله عنهم- - أَنَّهُ أَتَى رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَ:" يَا رَسُولَ اللهِ، قَدْ أَنْكَرْتُ بَصَرِي، وَأَنَا أُصَلِّي لِقَوْمِي، فَإِذَا كَانَتِ الأَمْطَارُ سَالَ الْوَادِي الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ آتِيَ مَسْجِدَهُمْ فَأُصَلِّيَ بِهِمْ، وَوَدِدْتُ يَا رَسُولَ اللهِ،

---

(١) البخاري، الصحيح، كتاب الإيمان، باب: خَوْفِ الْمُؤْمِنِ مِنْ أَنْ يَحْبَطَ عَمَلُهُ وَهُوَ لاَ يَشْعُرُ، وفي الباب، حديث رقم٤٨. وفي الحكم على هذه النصوص: قال الإمام العيني-رحمه الله تعالى-:"فإن قلت هذه الآثار الثلاثة صحيحة عند البخاري فلم ذكر الأولين بلفظ :"قال"؛ التي هي صيغة الجزم بالصحة، وذكر الثالث بلفظ:" يُذكر"، على صيغة المجهول التي هي صيغة التمريض، قلت لما نقل الأثرين الأولين بمثل ما نقل عن إبراهيم التيمي وابن أبي مليكة من غير تغيير ذكرهما بصيغة الجزم بالصحة، ونقل أثر الحسن بالمعنى على وجه الاختصار فلذلك ذكره بصيغة التمريض، وصيغة التمريض لا تختص عنده بضعف الإسناد وحده بل **إذا وقع التغيير من حيث النقل بالمعنى أو من حيث الاختصار يذكره بصيغة التمريض، وهذا هو التحقيق في** مثل هذا الموضع" العيني، عمدة القاري، ٢/٢٣٢.

(٢) العيني، عمدة القاري، ٢/٢٣٢.

أَنَّكَ تَأْتِينِي فَتُصَلِّيَ فِي بَيْتِي فَأَتَّخِذَهُ مُصَلًّى قَالَ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ سَأَفْعَلُ- إِنْ شَاءَ اللَّهُ- قَالَ عِتْبَانُ فَغَدَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ ﷺ حِينَ ارْتَفَعَ النَّهَارُ، فَاسْتَأْذَنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَأَذِنْتُ لَهُ فَلَمْ يَجْلِسْ حَتَّى دَخَلَ الْبَيْتَ ثُمَّ قَالَ ﷺ:" أَيْنَ تُحِبُّ أَنْ أُصَلِّيَ مِنْ بَيْتِكَ، فَقَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ: أَيْنَ مَالِكُ بْنُ الدُّخَيْشِنِ، أَوِ ابْنُ الدُّخْشُنِ فَقَالَ بَعْضُهُمْ ذَلِكَ مُنَافِقٌ لاَ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:" لاَ تَقُلْ ذَلِكَ أَلاَ تَرَاهُ قَدْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ يُرِيدُ بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ"، قَالَ:" اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: فَإِنَّا نَرَى وَجْهَهُ وَنَصِيحَتَهُ إِلَى الْمُنَافِقِينَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:" فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ :" لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ"[1].

وقد تقع تصرفات من بعض الناس لسبب؛ فلذلك ينبغي التأني في وصف أي مسلم بالنفاق، فعن جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ-رضي الله عنهما-: أَنَّ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ ﷺ كَانَ يُصَلِّي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ يَأْتِي قَوْمَهُ فَيُصَلِّي بِهِمُ الصَّلاَةَ، فَقَرَأَ بِهِمُ الْبَقَرَةَ، فَتَجَوَّزَ[2] رَجُلٌ فَصَلَّى صَلاَةً خَفِيفَةً فَبَلَغَ ذَلِكَ مُعَاذًا ﷺ فَقَالَ:"إِنَّهُ مُنَافِقٌ"، فَبَلَغَ ذَلِكَ الرَّجُلَ فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ:" يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّا قَوْمٌ نَعْمَلُ بِأَيْدِينَا، وَنَسْقِي بِنَوَاضِحِنَا[3]، وَإِنَّ مُعَاذًا صَلَّى بِنَا الْبَارِحَةَ فَقَرَأَ الْبَقَرَةَ، فَتَجَوَّزْتُ؛ فَزَعَمَ أَنِّي مُنَافِقٌ"، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:" يَا مُعَاذُ، أَفَتَّانٌ أَنْتَ - ثَلاَثًا - اقْرَأْ {وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا}، وَ{سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى} وَنَحْوَهَا"[4]، قال الإمام العيني:" إنّ النبيﷺ عذر معاذاً ﷺ في قوله:" إنه منافق"؛ لأنه كان متأولاً"[5].

---

(1) متفق عليه: البخاري، الصحيح، كتاب: الصلاة، باب: الْمَسَاجِدِ فِي الْبُيُوتِ، رقم٤٢٥، ومسلم، الصحيح، كتاب: الإيمان، باب: الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً، رقم٣٣.

(2) قال الإمام العيني:"فتجوز: أي خفف"، العيني، عمدة القاري، ١٥/٢٤٨

(3) قال الإمام العيني:" بنواضحنا جمع ناضح وهو البعير الذي يستقى عليه"، العيني، عمدة القاري، ١٥/٢٤٨.

(4) متفق عليه: : البخاري، الصحيح، كتاب:البر والصلة، باب: باب مَنْ لَمْ يَرَ إِكْفَارَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ مُتَأَوِّلاً، أَوْ جَاهِلاً، رقم٦١٠٦، ومسلم، الصحيح، كتاب: الصلاة، باب: القراءة في العشاء ، رقم٤٦٥.

(5) العيني، عمدة القاري، ١٥/٢٤٨.

ومما ينبغي على المؤمنين الانضباط به النظر إلى تاريخ وسيرة وأعمال من صدر منه ما يُمكن أن يُتهم به بالنفاق، والموازنة بين الإيجابيات والسلبيات؛ والحكم الكلي عليه نتيجة ذلك؛ فقد وقع من أحدهم ذنب كبير؛ حيث بعث بكتاب إلى قريش يُعلِمهم بتوجه النبيﷺ مع جيشه إلى مكة، وقدّم عُذره-وإن لم يكن مقبولاً، ولكنه كان صادقاً- ، ولكنّ النبيﷺ لم يأذن بقتله بل أمر الصحابة-رضي الله عنهم- أن لا يقولوا له إلا خيراً، وقدّر له ما سبق من جهاده في معركة بدر، فعَنْ عَلِيٍّ ﷺ قال:" قَالَ حَاطِبٌ: وَاللَّهِ مَا بِي أَنْ لاَ أَكُونَ مُؤْمِنًا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﷺ، أَرَدْتُ أَنْ يَكُونَ لِي عِنْدَ الْقَوْمِ يَدٌ يَدْفَعُ اللَّهُ بِهَا عَنْ أَهْلِي وَمَالِي، وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِكَ إِلاَّ لَهُ هُنَاكَ مِنْ عَشِيرَتِهِ مَنْ يَدْفَعُ اللَّهُ بِهِ عَنْ أَهْلِهِ وَمَالِهِ"، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:"صَدَقَ"، وَلاَ تَقُولُوا لَهُ إِلاَّ خَيْرًا فَقَالَ عُمَرُ ﷺ:" إِنَّهُ قَدْ خَانَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ فَدَعْنِي فَلأَضْرِبَ عُنُقَهُ:"، فَقَالَﷺ:" أَلَيْسَ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ؟!"، فَقَالَﷺ:" لَعَلَّ اللَّهَ اطَّلَعَ إِلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ وَجَبَتْ لَكُمُ الْجَنَّةُ ، أَوْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ"، فَدَمَعَتْ عَيْنَا عُمَرَ وَقَالَ:" اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ""[1].

ومما ينبغي أن يُنبه عليه أن هُناك صفات تمنع من الوصف بالنفاق ومنها: اجتماع صفتي التزيي بزي الصالحين الظاهرة مع الفقه في الدين[2]، **فعن أبي هريرةﷺ قال : قال رسول الله ﷺ:" خصلتان لا تجتمعان في منافق: حُسن سمت، ولا فقه في الدين"[3].**

٨- المنافقون حريصون على اغتيال القيادات الإدارية والعلمية والعسكرية في الدولة الإسلامية:

إنّ نفاقهم يدفعهم للتربص المستمر بالمسلمين، وخاصة بالقيادات وأصحاب الكفاءة؛ للقيام بقتلهم،

---

(١) متفق عليه: البخاري، الصحيح، كتاب: الجهاد والسير، باب: الجاسوس، رقم٣٠٠٧، ومسلم، الصحيح، كتاب: فضائل الصحابة-رضي الله عنهم-، باب: من فضائل أهل بدر-رضي الله عنهم- وقصة حاطب بن أبي بلتعةﷺ، رقم٢٤٩٤.

(٢) انظر: المباركفوري، تحفة الأحوذي، ٤٢٥/٤.

(٣) الترمذي، السنن، كتاب: العلم، باب: ما جاء في فضل الفقة على العبادة، رقم٢٦٨٤، قال أبو عيسى:"هذا حديث غريب"، وقال الشيخ الألباني:" صحيح".

أو منعهم من عمل الخير، فعَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ[1]ﷺ قَالَ:" لَمَّا أَقْبَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ أَمَرَ مُنَادِيًا، فَنَادَى: إِنَّ رَسُولَ اللهِ أَخَذَ الْعَقَبَةَ[2]، فَلَا يَأْخُذْهَا أَحَدٌ، فَبَيْنَمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُودُهُ حُذَيْفَةُ ﷺ وَيَسُوقُ بِهِ عَمَّارٌﷺ إِذْ أَقْبَلَ رَهْطٌ مُتَلَثِّمُونَ عَلَى الرَّوَاحِلِ، غَشَوْا عَمَّارًا وَهُوَ يَسُوقُ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ، وَأَقْبَلَ عَمَّارٌ يَضْرِبُ وُجُوهَ الرَّوَاحِلِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِحُذَيْفَةَ: " قَدْ، قَدْ " حَتَّى هَبَطَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَلَمَّا هَبَطَ رَسُولُ اللهِ ﷺ نَزَلَ وَرَجَعَ عَمَّارٌ، فَقَالَ: " يَا عَمَّارُ، هَلْ عَرَفْتَ الْقَوْمَ ؟ " فَقَالَﷺ: قَدْ عَرَفْتُ عَامَّةَ الرَّوَاحِلِ وَالْقَوْمُ مُتَلَثِّمُونَ قَالَﷺ: " هَلْ تَدْرِي مَا أَرَادُوا ؟ " قَالَ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَﷺ: " أَرَادُوا أَنْ يَنْفِرُوا بِرَسُولِ اللهِ ﷺ فَيَطْرَحُوهُ ! " قَالَ: فَسَأَلَ عَمَّارٌﷺ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: نَشَدْتُكَ بِاللهِ، كَمْ تَعْلَمُ كَانَ أَصْحَابُ الْعَقَبَةِ فَقَالَ: أَرْبَعَةَ عَشَرَ فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ فِيهِمْ فَقَدْ كَانُوا خَمْسَةَ عَشَرَ، فَعَذَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْهُمْ ثَلَاثَةً قَالُوا: وَاللهِ مَا سَمِعْنَا مُنَادِيَ رَسُولِ اللهِ، وَمَا عَلِمْنَا مَا أَرَادَ الْقَوْمُ، فَقَالَ عَمَّارٌﷺ: أَشْهَدُ أَنَّ الِاثْنَيْ عَشَرَ الْبَاقِينَ حَرْبٌ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ"[3]، قال الإمام النووي-رحمه الله تعالى-"قَوْلُه ﷺ:" فِي أَصْحَابِي": فَمَعْنَاهُ الَّذِينَ يُنْسَبُونَ إِلَى صُحْبَتِي، كَمَا قَالَ فِي الرِّوَايَةِ الثَّانِيَةِ:" فِي أُمَّتِي"[4]"[5]

---

(1)" هو عامر بن واثلةﷺ"، ذكر اسمه الإمام أحمد في تخريجه لحديثه، المسند٣٩/٢١١.

(2) قال الإمام النووي-رحمه الله-:" "وَهَذِهِ الْعَقَبَة لَيْسَتْ الْعَقَبَة الْمَشْهُورَة بِمِنًى الَّتِي كَانَتْ بِهَا بَيْعَة الْأَنْصَار -رَضِيَ اللَّه عَنْهُمْ -، وَإِنَّمَا هَذِهِ عَقَبَة عَلَى طَرِيق تَبُوك ، اِجْتَمَعَ الْمُنَافِقُونَ فِيهَا لِلْغَدْرِ بِرَسُولِ اللَّه ﷺ فِي غَزْوَة تَبُوك، فَعَصَمَهُ اللَّه مِنْهُمْ"، النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم، ٩/١٥٨.

(3) رواه مسلم، الصحيح، كتاب: صفات المنافقين وأحكامهم، رقم٢٧٧٩، [ملاحظة: هذا الكتاب ليس فيه أبواب]، ورواه أحمد، المسند، ٣٩/٢١١، رقم٢٣٧٩٢، واللفظ له.

(4) النووي، شرح صحيح مسلم، ٩/١٥٦. والرواية المشار إليها رواها مسلم، الصحيح، كتاب: صفات المنافقين وأحكامهم، وهي الرواية [المتابعة] لرقم٢٧٧٩

(5) قال الإمام النووي-رحمه الله-:" سَمّ الْخِيَاط: وَهُوَ ثَقْب الْإِبْرَة ، وَمَعْنَاهُ : لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّة أَبَدًا كَمَا لَا يَدْخُل الْجَمَل فِي ثَقْب الْإِبْرَة أَبَدًا، وَأَمَّا:" الدُّبَيْلَة": قَدْ فَسَّرَهَا فِي الْحَدِيث بِسِرَاجٍ مِنْ نَار، وَمَعْنَى:"يَنْجُم": يَظْهَر وَيَعْلُو، وَرُوِيَ (تَكْفِتهُمْ) بِتَاءٍ مُثَنَّاة فَوْق بَعْد الْفَاء ، مِنْ الْكَفْت ، وَهُوَ الْجَمْع وَالسَّتْر ، أَيْ : تَجْمَعهُمْ فِي قُبُورهمْ وَتَسْتُرهُمْ"، النووي، شرح صحيح مسلم، ٩/١٥٦. وقال الشيخ محمد تقي العثماني:"تفسير للدبيلة: دملاً يظهر في أكتافهم"، العثماني، محمد تقي، تكملة فتح الملهم بشرح صحيح الإمام مسلم، دار القلم، دمشق، ، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، ٦/٥٣.

. وبذلك يكون النبيﷺ قد بيَّن علامات خِلقية تظهر فيهم فيُعرفون بها، ويستفاد من ذلك ضرورة بيان وكشف أعداء الإسلام المتآمرين على الأمة.

يقول الدكتور محمد أبو فارس:" وقد كان لهؤلاء المنافقين أساليب متنوعة في حرب المسلمين، وهدفهم من هذه الأساليب هو تقويض أركان الدولة الإسلامية، وتحطيم كيان المسلمين السياسي والعسكري والأمني والأخلاقي"[1].

ومن أساليب المنافقين أنهم قد يبنون مؤسسات لنشر الفساد، يختارون لها أسماء لامعة وجذّابة؛ كمدرسة وأكاديمية ومركز وروتاري[2]؛ يتخذونها أوكاراً يتآمرون فيها على الدولة الإسلامية، فهذه ينبغي أن تُراقب ويُحذر منها، ومن نشاطاتها وأعمالها، وإذا تيقنت الدولة الإسلامية من أضرارها، فيمكن أن تُوقف أعمالها، أو تقوم بإلغائها، بل قد تهدمها[3].

إن خطر المنافقين على الدولة والمجتمع المسلم كبير، فهم وباء المجتمع، وعنوان الفساد، ورمز التفكك، وعون الخصوم والأعداء، ولهم ولاء لكن لغير دينهم وأمتهم ووطنهم؛ فهم غريبون بعيدون وإن كانوا يعيشون بين المسلمين.

إنّ أساليب المنافقين تتغير وتتبدل حسب الزمان والمكان، وعندهم طرق متنوعة في خدمة الأعداء؛ ولكنّها تلتقي -جميعاً- في الهدف وهو الكيد والمكر والتآمر على الأمة الإسلامية .

---

(1) أبو فارس، الدكتور محمد عبد القادر، السيرة النبوية، ص٣١٧، وانظر ما قاله في أساليب المنافقين، ص٣١٧-٣٢١.

(2) قال الدكتور الجهني:" هي أندية ظاهرها اجتماعي وثقافي وترويحي، مرتبطة بمنظمة الروتاري الدولي التي تُسيطر عليها اليهودية العالمية، ومنظمات الماسونية"، الجهني، الموسوعة الميسرة، ٥٥٣/١.

(3) انظر:أبو فارس، الدكتور محمد عبد القادر، السيرة النبوية، ص٣٢٢، وانظر فيه: طرق جهاد المنافقين ص ٣٢١-٣٢٥.

المبحث الثاني

الانضباط في التعامل مع غير المسلمين

لقد هاجر النبي ﷺ إلى المدينة فوجد في المجتمع الإسلامي فئات من غير المسلمين؛ ومنهم اليهود؛ فكتب بينه ﷺ وبينهم وثيقة[1] جاءت نصوصها صريحة في إبقائهم على دينهم، وأنهم آمنون، وبإشراكهم في الدفاع المشترك عن المدينة، ونصّت على إعطائهم حقوق المواطنة[2]، وقد ذكر الإمام ابن القيم -رحمه الله تعالى- أنّ ذلك العقد لم يكن مؤقتاً بوقت محدد، بل هو عقد دائم، فقال: "وَكَانَ هَدْيُهُ ﷺ أَنّهُ لَمْ يُوَقّتْ عَقْدَ الصّلْحِ وَالْهُدْنَةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْيَهُودِ لَمّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ، بَلْ أَطْلَقَهُ مَا دَامُوا كَافّينَ عَنْهُ غَيْرَ مُحَارِبِينَ لَهُ؛ فَكَانَتْ تِلْكَ ذِمّتَهُمْ، غَيْرَ أَنّ الْجِزْيَةَ لَمْ يَكُنْ نَزَلَ فَرْضُهَا بَعْدُ، فَلَمّا نَزَلَ فَرْضُهَا ازْدَادَ ذَلِكَ إلَى الشّرُوطِ الْمُشْتَرَطَةِ فِي الْعَقْدِ وَلَمْ يُغَيّرْ حُكْمَهُ"[3].

وقد أوجز الإمام ابن القيم -رحمه الله تعالى- في بيان منهج النبي ﷺ في التعامل مع غير المسلمين فقال: " فَصْلٌ فِي تَرْتِيبِ سِيَاقِ هَدْيِهِ مَعَ الْكُفّارِ وَالْمُنَافِقِينَ[4] مِنْ حِينِ بُعِثَ إلَى حِينِ لَقِيَ اللّهَ عَزّ وَجَلّ، فقد بدأ النبي ﷺ دعوته إلى الله تعالى سراً واستمر على ذلك ثلاث سنوات، ثُمّ أَمَرَهُ أَنْ يُنْذِرَ عَشِيرَتَهُ الْأَقْرَبِينَ، ثُمّ أَنْذَرَ قَوْمَهُ، ثُمّ أَنْذَرَ مَنْ حَوْلَهُمْ مِنْ الْعَرَبِ، ثُمّ أَنْذَرَ الْعَرَبَ قَاطِبَةً ثُمّ

---

(1) دستوراً أو اتفاقية أو عقداً. وقد تكلم الدكتور أكرم ضياء العمري على صحة الوثيقة ومما قاله: " الوثيقة وردت من طرق عديدة تتضافر في إكسابها القوة"، العمري، الدكتور أكرم ضياء الدين، السيرة النبوية الصحيحة، ٢٧٥/١، وقد قدّم دراسته حول الوثيقة ٢٧٤/١-٢٩٨. وقد سبقت الإشارة إلى ذلك في الفصل الثاني، المبحث الرابع، المطلب الثاني: سن القوانين.

(2) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ٣١/٣-٣٥، وانظر: الدكتور أحمد عبده عوض، حقوق الإنسان بين الإسلام والغرب بين النظرية والتطبيق دراسة مقارنة، حقوق الإنسان في الإسلام، دار ألفا للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ/٢٠١٠م، ص٤٣-٤٦.

(3) ابن قيم الجوزية، الزرعي، أبو عبدالله، محمد بن أبي بكر أيوب، ت٧٥١هـ، زاد المعاد في هَدْي خير العباد، فَصْلٌ: حُكْمُ مَنْ نَقَضَ الْعَهْدَ وَأَقَرّ بِهِ الْبَاقُونَ، ١٢٣/٣.

(4) سبقت الإشارة إلى ذلك في المبحث السابق.

أَنْذَرَ الْعَالَمِينَ فَأَقَامَ بِضْعَ عَشْرَةَ سَنَةً بَعْدَ نُبُوَّتِهِ يُنْذِرُ بِالدَّعْوَةِ بِغَيْرِ قِتَالٍ وَلَا جِزْيَةٍ وَيُـؤْمَرُ بِـالْكَفِّ وَالصَّبْرِ وَالصَّفْحِ. ثُمَّ أُذِنَ لَهُ فِي الْهِجْرَةِ وَأُذِنَ لَهُ فِي الْقِتَالِ، ثُمَّ أَمَرَهُ أَنْ يُقَاتِلَ مَنْ قَاتَلَهُ وَيَكُفَّ عَمَّنْ اعْتَزَلَهُ وَلَمْ يُقَاتِلْهُ، ثُمَّ أَمَرَهُ بِقِتَالِ الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ، ثُمَّ كَانَ الْكُفَّارُ مَعَهُ بَعْدَ الْأَمْرِ بِالْجِهَادِ ثَلَاثَةَ أَقْسَامٍ أَهْلُ صُلْحٍ وَهُدْنَةٍ وَأَهْلُ حَرْبٍ وَأَهْلُ ذِمَّةٍ، فَأُمِرَ بِأَنْ يُتِمَّ لِأَهْلِ الْعَهْـدِ وَالـصُّلْحِ عَهْدَهُمْ وَأَنْ يُوفِيَ لَهُمْ بِهِ مَا اسْتَقَامُوا عَلَى الْعَهْدِ فَإِنْ خَافَ مِنْهُمْ خِيَانَةً نَبَذَ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ وَلَمْ يُقَاتِلْهُمْ حَتَّى يُعْلِمَهُمْ بِنَقْضِ الْعَهْدِ، وَأُمِرَ أَنْ يُقَاتِلَ مَنْ نَقَضَ عَهْدَهُ. وَلَمَّا نَزَلَتْ (سُورَةُ بَرَاءَةَ) نَزَلَتْ بِبَيَانِ حُكْمِ هَذِهِ الْأَقْسَامِ كُلِّهَا، فَأَمَرَهُ فِيهَا أَنْ " يُقَاتِلَ عَدُوَّهُ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ أَوْ يَـدْخُلُوا فِي الْإِسْلَامِ وَأَمَرَهُ فِيهَا بِجِهَادِ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ وَالْغِلْظَةِ عَلَيْهِمْ فَجَاهَدَ الْكُفَّـارَ بِالـسَّيْفِ وَالـسِّنَانِ وَالْمُنَافِقِينَ بِالْحُجَّةِ وَاللِّسَانِ"[1]

إنَّ التعامل مع غير المسلمين قد اتخذ مبادئ وأسساً وقواعدَ تطوَّر بعضها مـع مراحـل التشريع، حيث جاءت الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة لتضع تنظيماً وحلولاً لما يـستجد مـن أمور في الدولة الإسلامية حتى اكتمل نزول الوحي؛ وقد كان الكثير من تلك الأحكام لهـا صـفة المرونة[2] في التطبيق؛ فهي قابلة للاجتهاد لتتناسب مع كل زمان ومكان كما هي أحكام الـشريعة الإسلامية الغرّاء[3]، ويمكن تسليط الضوء على أهم القواعد والمبادئ والأحكام التي تعطي تصوراً رئيساً عن ذلك في **المطلبين الآتيين:**

المطلب الأول: المبادئ والأصول العامة في تعامل المسلم مع غيره.

المطلب الثاني: الأحكام الخاصة في تعامل المسلم مع غيره.

---

(1) ابن قيم الجوزية، الزرعي، أبو عبدالله، محمد بن أبي بكر أيوب، (المتوفى : ٧٥١هـ) زاد المعاد في هـدي خير العباد، ٣/١٤٣-١٤٥، بتصرف يسير.

(2) مع احتفاظها بأصالتها.

(3) فالذي يناسبه الثبات كالتوحيد والأصول العامة يكون ثابتاً، والذي يناسبه المرونة والاجتهاد يكون كذلك.

المطلب الأول: المبادئ والأصول العامة في تعامل المسلم مع غيره.

إنَّ المتدبر لكتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ يستنتج أنَّ تعامل المسلمين مع غيرهم كان مبنياً على قواعد وأسس متينة حرص الإسلام على تأسيسها؛ لأنَّ فيها صلاحاً للمسلمين وللبشرية جمعاء، وهي تعود بالفائدة على المسلمين وغيرهم، **وتظهر أهم المبادئ والأصول العامة في معالم انضباط المسلم في تعامله مع غيره فيما يأتي:**

١- الأصل العام في العلاقات بين المسلمين وغيرهم التعارف والتعاون، والتعايش بسلام وبر وعدل وإحسان[1]، قال الله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾[الحجرات: ١٣]، ومن نصوص الوثيقة- وهي من دستور الدولة الإسلامية الأول-:" **وإنَّ على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم؛ وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وإنَّ بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم، وإن النصر للمظلوم**". وقال الله تعالى:﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ ﴾ [الممتحنة: ٨]، فالأصل في العلاقة مع الآخرين السلام وليس الحرب، قال الإمام الطبري-رحمه الله تعالى-:"أولى الأقوال بالصواب قول من قال: لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين، من جميع أصناف الملل والأديان

---

[1] استفدت في التأصيل لهذا القاعدة من المراجع الآتية: (١)- السباعي، الدكتور مصطفى-رحمه الله-، نظام السلم والحرب في الإسلام، دار الوفاق للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية١٤١٩هـ/١٩٩٨م، المملكة العربية السعودية- الرياض، ص٢٩، (٢)- القرضاوي، الدكتور يوسف، غير المسلمين في المجتمع الإسلامي، مكتبة وهبة، ص٥، (٣)- مولوي، الشيخ فيصل-المستشار في المحكمة الشرعية السنية العليا في بيروت-، الأسس الشرعية للعلاقات بين المسلمين وغير المسلمين، الطبعة الثانية، ١٤١٠ه/١٩٩٠م، دار الرشاد الإسلامية، بيروت- لبنان، سلسلة الفقه الحركي في بلاد الاغتراب، ص٩-١٢، (٤)- سور حمن هدايات(كذا الاسم)، التعايش السلمي بين المسلمين وغيرهم داخل دولة واحدة، إشراف الأستاذ الدكتور: محمد عبدالرحمن مندور، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، القاهرة-مصر، وهو رسالة ماجستير في السياسة الشرعية من جامعة الأزهر بمرتبة الشرف الأولى، ص٣١٦.

أن تبرّوهم وتصلوهم، وتقسطوا إليهم، إن الله عزّ وجلّ عمّ بقوله:(الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ) جميع من كان ذلك صفته، فلم يخصص به بعضًا دون بعض، وقوله:(إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) يقول: إن الله يحبّ المنصفين الذين يُنصفون الناس، ويعطونهم الحقّ والعدل من أنفسهم، فيبرّون من برّهم، ويُحْسنون إلى من أحسن إليهم"[1].

وعَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قَالَتْ:" قَدِمَتْ عَلَيَّ أُمِّي وَهِيَ مُشْرِكَةٌ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَاسْتَفْتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ قُلْتُ:" إِنَّ أُمِّي قَدِمَتْ وَهِيَ رَاغِبَةٌ[2] أَفَأُصِلُ أُمِّي قَالَ ﷺ:" نَعَمْ، صِلِي أُمَّكِ"[3]، إنّ أمر النبيﷺ لأسماء-رضي الله عنها- بصلة أمها المشركة والإحسان إليها لهو دليل عملي على نظرة الإسلام الإنسانية بالرفق واللين مع الآخر طالما أنّه لم يُحارب المسلمين، بل إنّ أئمة وعلماء المسلمين قد أفردوا كتباً مستقلة في بيان ما يتعلق بالتعامل مع غيرهم، وقد أجازوا زيارتهم في بيوتهم، وشهود جنائزهم[4] .

٢- **الالتزام بالاعتراف بحقوق الآخرين بعدل وإنصاف دون اضطرارهم للمطالبة بها:** فقد كانت الوثيقة التي عقدها النبيﷺ مع الآخرين وهم يهود المدينة تمثل الاتفاقية الأولى في تاريخ الدولة الإسلامية، كما كانت من أعظم وأوضح الأدلة على صور الاعتراف بالآخرين وأداء حقوقهم بصورة حكيمة وراقية ومتميزة.

---

(1) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ٣٢٥/٢٣، باختصار.

(2) قال الإمام ابن حجر:"المعنى أنها قدمت طالبة بر ابنتها لها، خائفة من ردها إياها خائبة"، ابن حجر، فتح الباري، ٥/٣٣٠-٣٣١.

(3) متفق عليه: البخاري، الصحيح، كتاب: الهبة وفضلها والتحريض عليها، بَابُ: الْهَدِيَّةِ لِلْمُشْرِكِينَ، رقم٢٦١٩، ومسلم، الصحيح، كتاب: الزكاة، باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين والزوج والأولاد والوالدين ولو كانوا مشركين، رقم١٠٠٣.

(4) ابن القيم ، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية ٧٥١ هـ، أحكام أهل الذمة، فصل في عيادة أهل الكتاب، ص٢٢٨، وفصل في شهود جنائزهم، ص٢٣٠-٢٣١، وفصل في تعزيتهم، ص٢٣٣ دراسة وتحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، الطبعة : الثانية ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢م.

ومما ينبغي أن يُنبه عليه ويُشاد به أن هذه الحقوق لم يأت الاعتراف بها أو منحها أو الاتفاق عليها نتيجة اضطرابات أو ثورات داخلية أو حرب دولية، وإنما جاءت ابتداءً من أول يوم لتنظيم شئون المجتمع وتحقيق الانضباط فيه بإبعاده عن الفوضى والعشوائية والاضطرابات، ولترسيخ مبادئ العدل والإنصاف والإحسان والسماحة[1]؛ وذلك من كمال الشريعة الإسلامية، وحُسن تنظيمها لشئون رعيتها، ومنحهم الحريات التي تحترم مشاعرهم وتعترف بحقوقهم.

وقد أشار الشيخ فيصل المولوي إلى أهم ما تضمنته الوثيقة من حقوق الآخرين فقال:" تضمنت الوثيقة: حرية العقيدة، وحرية الرأي، وحرية الهجرة والإقامة، وحرمة النفس والمال، وحرمة الجوار، ونصرة المظلوم، ومقاومة المعتدي، وإعانة المحتاج وتحريم البغي والفساد، وتحريم إيواء الباغين والمفسدين، كما تضمنت فتح باب الصلح لمن أراده من المسلمين وغير المسلمين، وأن يكونوا يداً واحدة على من يهاجم المدينة أو يُحارب أهلها"[2] **وهذه بعض نصوص الوثيقة:" لليهود دينهم، وللمسلمين دينهم مواليهم وأنفسهم إلا من ظلم وأثم فإنه لا يوتغ[3]إلا نفسه وأهل بيته، وإنّ على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم، وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وإنّ بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم، وإنّه لم يأثم امرؤ بحليفه، وإن النصر للمظلوم، وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين، وإن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة وإن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم، وإنه لا تُجار حرمة إلا بإذن أهلها،**

---

(١) انظر: قريشي، الأستاذ الدكتور عمر بن عبدالعزيز، سماحة الإسلام، وهو رسالة دكتوراه، الفصل الأول: المبحث الثالث: صور من التسامح في الإسلام مع غير المسلمين، تقديم: الدكتور عبدالرحمن العشماوي، والدكتور عائض القرني، الطبعة الأولى١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، مكتبة الأديب، السعودية-الرياض، والذهبية للنشر والترجمة، مصر-المنصورة، ص٨٤-١٢٦.

(٢) مولوي، الشيخ فيصل-المستشار في المحكمة الشرعية السنية العليا في بيروت-، الأسس الشرعية للعلاقات بين المسلمين وغير المسلمين، ص١١-١٢، باختصار .

(٣) قال ابن منظور:" الوتغ: الهلاك"، ابن منظور، لسان العرب، ١٥/١٤٨.

وإنّه من خرج آمن ومن قعد آمن بالمدينة إلا من ظلم أو أثم، وإنّ الله جار لمن بر واتقى ومحمد رسول الله ﷺ"[1].

٣- الدعوة إلى الله تعالى تُعد من أهم الأُسس[2] والقواعد والمقاصد العظمى في علاقات المسلم وتعامله مع غيره[3]: وقد جاء النص على ذلك واضحاً وصريحاً في الوثيقة الأولى مع غير المسلمين:" **وإنَّه من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصرين عليهم**"[4]، فقد أرسل الله تعالى نبيه ورسوله محمداً ﷺ وختم به الأنبياء والرسل -عليهم جميعاً الصلاة والسلام- كما ختم به الرسالات، وأرسله للناس كافة، فقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾[سبأ: ٢٨]، وحتى تصل الرسالة إلى الناس جميعاً في حياته ﷺ وبعد وفاته، فقد كلَّف الله تعالى الأُمة الإسلامية بالقيام بهذا الواجب، قال تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، وجعل الله تعالى محمداً ﷺ شهيداً على أُمته، وجعل أُمته شهيدة على الناس والأمم، قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ ﴾[البقرة: ١٤٣]، بل جعل الله تعالى من أعظم أعمال الدولة الإسلامية القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يقول الدكتور مصطفى السباعي-رحمه الله تعالى-:"الأمر بالمعروف: وهذا رمز للتعاون على كل ما فيه خير الناس وأمنهم وسعادتهم، والنهي عن المنكر: وهذا رمز للوقوف في وجه الشر الذي يُعجّل بالحرب، ويُفوِّت على الناس

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ٣/٣١-٣٥، باختصار.

(٢) مولوي، الشيخ فيصل-المستشار في المحكمة الشرعية السنية العليا في بيروت-، الأُسس الشرعية للعلاقات بين المسلمين وغير المسلمين، ص١١-١٧، باختصار وتصرف .

(٣) وهي كذلك من الأسس والقواعد في علاقة المسلم مع أخيه المسلم.

(٤) ابن هشام، السيرة النبوية، ٣/٣١.

السلام والأمان، وتلك هي أسمى ما تعمل له أمة متمدنة في أرقى عُصور الإنسانية حضارة وأكثرها خيراً، قال الله تعالى:﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾ [الحج: ٤١]"[١].

إنّ هذه المعاني العظيمة والأُسس الكبيرة هي التي سعى النبيﷺ، ومن بعده الخلفاء الراشدون-رضي الله عنهم- على تأصيلها والقيام بها على أفضل صورة وأحسن وجه، كما ثبت عن سهل بن سعد ﷺ أنّ رسول الله قال ﷺ: " لأُعطين الراية غدًا رجلًا يفتح الله على يديه يُحبُّ اللهَ ورسولَه، ويُحبه اللهُ ورسولُه، فبات الناس ليلتهم أيهم يعطى فغدوا كلهم يرجونه، فقال: "أين علي؟". فقيل يشتكي عينيه فبصق في عينيه، ودعا له فبرأ، كأن لم يكن به وجع، فأعطاه فقال "أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا ؟" فقال :"أنفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم، فو الله لأن يهدي الله رجلاً بك خير لك من أن يكون لك حُمر النَّعم[٢]"[٣]، فرسول الله ﷺ يحرص على دعوة الناس إلى الإسلام في أشد الظروف -ومع أشد الناس-ويُرغب أصحابه-رضي الله عنهم- في ذلك أعظم ترغيب؛ فإذا كان ذلك في الحرب فكيف بوقت السلم؟!.

كما أنَّ أبا بكر الصديق ﷺ قد بعث بكتب(رسائل) نصها واحد إلى من ارتد – رغم شدة وشناعة الردة والعياذ بالله- يدعوهم للعودة إلى الحق ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، فمما يقول في تلك الرسالة:" أما بعد؛ فإنَّ الله تعالى أرسل محمداً ﷺ بالحق من عنده إلى خلقه بشيراً ونذيراً وداعياً

---

(١) السباعي، الدكتور مصطفى-رحمه الله-، نظام السلم والحرب في الإسلام، ص٤٦-٤٧، باختصار وتصرف يسير. ومما قاله-رحمه الله-:" إقامة الصلاة: وهذا رمز لإشاعة السمو الروحي في العالم، إيتاء الزكاة: وهذا رمز لتحقيق العدالة الاجتماعية في الشعوب"، ص٤٧.

(٢) "حمر النعم وهو من ألوان الإبل المحمودة قيل المراد خير لك من أن تكون لك فتتصدق بها وقيل تقتنيها وتملكها وكانت مما تتفاخر العرب بها"، ابن حجر، فتح الباري، ٤٧٨/٧.

(٣) متفق عليه: البخاري، الجامع الصحيح، كتاب فضائل الصحابة -رضي الله تعالى عنهم- ، باب: مناقب علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي أبي الحسن -رضي الله تعالى عنه- رقم(٣٧٠١)، ومسلم، الصحيح، كتاب فضائل الصحابة -رضي الله تعالى عنهم-، باب: من فضائل علي بن أبي طالب ﷺ، رقم(٢٤٠٦).

إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً؛ لينذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين، فهدى الله بـالحق من أجاب إليه "[1].

إنَّ التأصيل لغاية المسلمين العظمى التي عاشوا لأجلها وبذلوا الغالي والنفيس فـي سـبيل تحقيقها من لدن رسول الله ﷺ وهي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ يُحقق الفهم الصحيح لرسالة الإسلام بأنها رسالة الدعوة إلى الخير والمحبة والرحمة من ربِّ العالمين تبارك وتعالى للناس كافَّة، كما أن في ذلك بعثٌ للمعاني الإنسانية، وعمل واقعي على إقامة أسمى العلاقات مع الآخرين في كل زمان ومكان.

٤- العمل على تحقيق السلام[2] والأمن والاستقرار المادي والمعنوي، والسعي نحو إيجاد الهـدوء والسكينة، تلك هي أفضل الأجواء والبيئات للتعامل مع الآخرين ودعوتهم إلى الله تعـالى[3]، فالرسول ﷺ-وهو يملك القوة- يحرص أثناء توجهه إلى مكة المكرمة في السـنة السـادسة للهجرة على أن يسلك طريقاً غير طريق المشركين المعتادة حتى لا يقع قتال؛ وهـذا مـن حرصه ﷺ على إيجاد السلام، وتحقيق الأمن، **فيقول ﷺ: " مَنْ رجل يخرج بنا على طريق غير طريقهم التي هم بها"[4]**، وفي رواية: " **وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لاَ يَسْأَلُونِي خُطَّةً يُعَظِّمُونَ فِيهَـا**

---

(1) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ٢٥٧/١-٢٥٨. باختصار.

(2) إنَّ الفرق كبير بين دعوة المسلمين إلى تحقيق السلام في ذلك الزمان وهذا الوقت، ذلك أنَّ دعـوة المـسلمين كانت وهم أقوياء، ويسعون لزيادة القوة والتطور باستمرار، وأما الآن فالدول العربية والإسلامية الحالية، من أضعف دول العالم-بصورة عامة- علمياً وعسكرياً واقتصادياً؛ فيجب عليها أن تسعى إلى امـتلاك جميـع أنواع القوة، وأن تعُد ذلك فريضة شرعية وضرورة بشرية.

(3) وهي كذلك لتذكير المسلمين ونصيحتهم.

(4) ابن هشام، السيرة النبوية، أمر الحديبية، ١٦٠/٣.

حُرُمَاتِ اللهِ إِلاَّ أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا"[1]، قال الإمام ابن حجر:" لا يسألونني أي خصلة يعظمون فيها حُرمات الله من ترك القتال في الحرم"[2]

إنّ المسلمين هم أحرص الناس على الأمن والاستقرار – في بلادهم وفي غيرها–، كما أنّ العلماء والدعاة هم الأشد حرصاً على ذلك؛ لأنّه بتحقيق الأمن والاستقرار تتوفر البيئة الأنسب للدعوة إلى الله تعالى، ولحُسن استجابة الآخرين، يقول الشيخ فيصل المولوي:"إن السلام هو أفضل الظروف لنجاح الدعوة وانتشارها؛ ذلك أنّه في ظل السلام تكون العقول متفتحة والنفوس مستقرة والقلوب هادئة، فإذا سمع الإنسان كلمات الدعوة بحكمة ورقة، فسيكون أصحاب الفطر السليمة متشوقين لسماعها"[3].

إنّ الدعوة إلى الله تعالى في تلك الأجواء[4] تؤكد عِظَم النتائج؛ ذلك بأنّ عدد الذين آمنوا مع رسول الله ﷺ حتى صلح الحديبية لم يتجاوز الألف وأربعمائة بكثير وهذا العدد – بعد فضل الله تعالى– نتيجة الدعوة مدة ثلاثة عشر عاماً في مكة وستة أعوام في المدينة أي تسعة عشر عاماً، ولكن بعد عقد الصلح وتوقف الحرب بين المسلمين وقريش، وتفرُّغ الرسول ﷺ للدعوة إلى الله تعالى– خلال عامين– أصبح عدد المؤمنين المتوجهين لفتح مكة عشرة آلاف، وبعد ذلك بعام واحد أصبح عدد المسلمين في تبوك ثلاثون ألفاً، وبعده بعام –أي عام حجة الوداع–أصبح المسلمون أكثر من مائة ألف؛ إلاّ أنّ هناك فائدة ينبغي أن تسجل ويهتم بها وهي أنّ الفترة المكية قد كانت فترة سلام لم يأذن الله تعالى للمسلمين باستخدام السلاح أو القُوة فلماذا لم ينتشر الإسلام؟!.

---

(1) رواه البخاري، الصحيح، كتاب: الشروط، باب: الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط، رقم٢٧٣١/٢٧٣٢.

(2) ابن حجر، فتح الباري، ٤٧٤/٥، باختصار.

(3) مولوي، الشخ فيصل–المستشار في المحكمة الشرعية السنية العليا في بيروت–، الأسس الشرعية للعلاقات بين المسلمين وغير المسلمين، ص١٩، والكلام في هذه النقطة فيه استفادة من هذا المرجع، ص١٩–٢٥.

(4) وهذا يؤكد أنّ سلام المسلمين منطلقه القوة، وآثاره كبيرة في زيادة القوة الإيجابية .

الذي يظهر – والله أعلم–أنّ الفترة المكية كان المسلمون فيها مستضعفون، كما يُمكن القول إنّ السلام كان من طرف واحد وهم المسلمون، فلم يتوقف المشركون عن الإيذاء ومحاربة الدعوة بشتى الوسائل؛ فلم تظهر صورة الإسلام أمام الآخرين وخاصة من غير أهل مكة، ولكن بعد تأسيس الدولة وتحقيق الانتصارات المتتالية وظهور أنظمة الإسلام في الحياة العملية كالنظام السياسي والاجتماعي والاقتصادي وغيره؛ والتي كان لها الأثر في إظهار عظمة الإسلام، وفي هذا توجيه للمسلمين في هذا الزمان أنه ينبغي على دول المسلمين الاجتهاد للوصول إلى امتلاك أعظم وسائل القوة العسكرية والعلمية والاقتصادية وغيرها وشعارهم قول الله تعالى:﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ ۞ وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦١﴾ ﴾ [الأنفال: ٦٠ – ٦١].

إنّ فترة السلام والهدنة مع الأعداء– مع قوة المسلمين– هي أفضل الفترات التي ينبغي على المسلمين اغتنامها للدعوة إلى الله بأقصى ما يمكن؛ فمراسلة حكّام ذلك الزمان ودعوتهم إلى الإسلام كانت في تلك الفترة، قال ابن هشام–رحمه الله–:" **وقد كان رسول الله ﷺ بعث الى الملوك رسلاً من أصحابه–رضي الله عنهم– وكَتَبَ يدعوهم إلى الإسلام بعد عمرته التي صُدَّ عنها يوم الحديبية**"[1].

لقد كان هذا الصلح فتحاً مبيناً[2]، قال الله تعالى:﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ ﴾[الفتح: ١]، يقول الشيخ فيصل المولوي:" لقد كان فعلاً فتحاً مبيناً؛ لأنّه فتح قلوب الناس وعقولهم للإسلام، ومهّد بذلك

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، بعث رسول الله ﷺإلى الملوك، ١٣/٦، باختصار.

(٢) انظر ما قاله الإمام الطبري في تفسيره للآية الكريمة، جامع البيان في تأويل القرآن، ٦٩/٢٥-٧٣.

إلى فتح مكة المكرمة، ومن ثَم انتشار الإسلام في جزيرة العرب كلها"[1]. ثم يقول:"إنّ عالمية الدعوة الإسلامية تُحمّل المسلمين مسئولية كبيرة، إنّ المسلم لا يُقاتل فقط دفاعاً عن نفسه وأرضه، إنه مكلف-أيضاً- بالقتال دفاعاً عن الإنسان أي إنسان؛ فهو مُكلف بتبليغ دعوة الله للناس، وعليه إزالة كل عقبة تقف أمامه حتى يتمكن من إيصال دعوته للناس، وهم أحرار بعد ذلك أن يستجيبوا لها أو يرفضوا، وإذا أمكن إزالة العقبات أمام الدعوة بغير قتال فذلك خير"[2].

إنّ المسلمين الذين يعيشون في دول العالم كأوروبا وأمريكا واستراليا، يجب عليهم أن يستفيدوا من السلام والأمن والحرية في تلك الدول لنشر الدعوة إلى الله تعالى، والحرص الشديد أن يكونوا نماذج صادقة لدعوة الإسلام الصافية النقية، وأن يكونوا حكماء؛ فيكون التأني والتدرج وعدم الاستعجال منهجهم، وأن يُولوا المراكز والدعاة وأصحاب العلم المزيد من الاهتمام والرعاية، كما ينبغي على المسلمين الاستفادة من دخول غيرهم إلى بلادهم فيُحسنوا التعامل معهم بصورة شاملة مادياً ومعنوياً، كما ينبغي على الحُكام والمسئولين والسفراء التنسيق المستمر مع العلماء والدعاة للاتصال المستمر مع الجاليات المسلمة وتفعيلها، وربطهم بدينهم وأمتهم ووطنهم.

٥- **أصّل الإسلام لمبدأ المخاطبة باللطف، والجدال بالتي هي أحسن:** إنّ الإسلام قد دعا إلى الحوار مع الآخر؛ لعظيم الآثار المترتبة عنه، كما أنّ فيه اعتراف بالطبيعة البشرية وبوقوع الخلاف بينهم، وأصّل الإسلام للبحث عن الأُسس والقضايا المشتركة مع الآخر والانطلاق منها فقال تعالى:﴿ **قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾** ﴾[آل عمران:٦٤]،

---

[1] مولوي، الشخ فيصل-المستشار في المحكمة الشرعية السنية العليا في بيروت-، الأُسس الشرعية للعلاقات بين المسلمين وغير المسلمين، ص٢٤.

[2] المرجع نفسه، ص٣٧.

وفي بيان أسلوب ومنهج الدعوة، قال تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾[النحل: ١٢٥]، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: لَمَّا فُتِحَتْ خَيْبَرُ أُهْدِيَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ شَاةٌ فِيهَا سُمٌّ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:"اجْمَعُوا إِلَيَّ مَنْ كَانَ هَاهُنَا مِنْ يَهُود، فَجُمِعُوا لَهُ، فَقَالَ:" إِنِّي سَائِلُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَهَلْ أَنْتُمْ صَادِقِيَّ عَنْهُ فَقَالُوا نَعَمْ قَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ:" مَنْ أَبُوكُمْ؟"، قَالُوا: "فُلَانٌ" فَقَالَ ﷺ:" كَذَبْتُمْ، بَلْ أَبُوكُمْ فُلَانٌ"، قَالُوا:" صَدَقْتَ، قَالَ:" فَهَلْ أَنْتُمْ صَادِقِيَّ عَنْ شَيْءٍ إِنْ سَأَلْتُ عَنْهُ؟ فَقَالُوا: نَعَمْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ، وَإِنْ كَذَبْنَا عَرَفْتَ كَذِبَنَا كَمَا عَرَفْتَهُ فِي أَبِينَا"، فَقَالَ ﷺ لَهُمْ:" مَنْ أَهْلُ النَّارِ؟، قَالُوا: نَكُونُ فِيهَا يَسِيرًا، ثُمَّ تَخْلُفُونَا فِيهَا"، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:"اخْسَئُوا فِيهَا، وَاللَّهِ لَا نَخْلُفُكُمْ فِيهَا أَبَدًا، ثُمَّ قَالَ ﷺ:" هَلْ أَنْتُمْ صَادِقِيَّ عَنْ شَيْءٍ إِنْ سَأَلْتُكُمْ عَنْهُ؟"، فَقَالُوا: نَعَمْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ، قَالَ ﷺ:" هَلْ جَعَلْتُمْ فِي هَذِهِ الشَّاةِ سُمًّا"، قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ ﷺ:" مَا حَمَلَكُمْ عَلَى ذَلِكَ؟" قَالُوا:" أَرَدْنَا إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا نَسْتَرِيحُ وَإِنْ كُنْتَ نَبِيًّا لَمْ يَضُرَّكَ"[1]. لقد وقع هذا الحوار بين النبيﷺ وبين بعض يهود في أشد الظروف وهو الغدر برسول اللهﷺ بمحاولة قتله فكيف بحالة السلم؟!.

إنَّ الاعتراف بوقوع الاختلاف، والعمل على حُسن التوظيف لذلك، وضرورة الاجتهاد في الاستفادة التواصل والحوار مع الآخر قضية مهمة، يقول الدكتور سيد أحمد:" فالاختلاف والتعددية بين البشر قضية واقعية، وآلية تعامل الإنسان مع هذه القضية هي الحوار؛ الذي يتم من خلاله توظيف الاختلاف وترشيده، بحيث يقود أطرافه إلى فريضة التعارف، ويُجنِّبهم مخاطر جريمة الشقاق والتفرق، وإنَّما يُعالج الحوار قضية الاختلاف من خلال كشفه عن مواطن الاتفاق ومثارات الاختلاف؛ لتكون محل النقاش والجدل بالتي هي أحسن لمعرفة ما هو أقوم للجميع؛ ولا بُد ليؤدي

[1] رواه البخاري، الصحيح، كتاب: الجزية والموادعة، باب إِذَا غَدَرَ الْمُشْرِكُونَ بِالْمُسْلِمِينَ هَلْ يُعْفَى عَنْهُمْ؟!، رقم٣١٦٩.

الحوار وظيفته- كما يجب- من أن ينضبط بمنهج يضمن عدم تحوله إلى مثار جديد للاختلاف"[1]، أو يؤدي إلى نزاع وإثارة.

٦- **لقد أباح الإسلام للمسلمين بعد إعلان إنهاء العهود مع المشركين أن يُعطوا الأمان لأي مشرك يستجير بهم حتى يسمع كلام الله، قال الله تعالى:﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾﴾** [التوبة٦]، كما أباح الإسلام السماح لمن كان له غرض من المحاربين الدخول إلى الدولة الإسلامية- مع أخذ الحيطة والحذر-، قال الإمام ابن كثير:" **لمَّا قدِم رسولُ مسيلمةَ الكذاب على رسول الله ﷺ قال له ﷺ: "أتشهد أنَّ مسيلمة رسول الله؟" قال: نعم. فقال رسول الله ﷺ: "لولا أن الرسل لا تقتل لضربت عنقك"**[2]؛ والغرض أن من قدِم من دار الحرب إلى دار الإسلام في أداء رسالة أو تجارة، أو طلب صلح أو مهادنة أو حمل جزية، أو نحو ذلك من الأسباب، فطلب من الإمام أو نائبه أمانًا، أعطي أمانًا ما دام مترددًا في دار الإسلام، وحتى يرجع إلى مأمَنِه ووطنه ثم عليهم إبلاغه مأمنه ووطنه"[3]، والأمان عهد من شخص، أو من مجموعة، ويقوم المسلم بذلك إذا كان في ذلك مصلحة للدعوة الإسلامية، بل يجوز للمرأة أن تُعطي الأمان والجِوار للرجل مشرك، كما فعلت أم هانئ-رضي الله عنها- فقال لها النبيﷺ:" **قَدْ أَجَرْنَا مَنْ أَجَـرْتِ يَا أُمَّ هَانِئٍ**[4]" .

---

[1] سلام، الدكتور سيد أحمد جمعة، المنهج القرآني في مجادلة أهل الكتاب، مكتبة جزيرة الورد، ومكتبة الإيمان، مصر- المنصورة، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، ص٦-٧، والكتاب رسالة دكتوراه، عالج موضوع الحوار مع أهل الكتاب في القديم والحديث.

[2] رواه أبو داود، السنن، كتاب: الجهاد، باب: فِي الرُّسُلِ، رقم٢٧٦١، وقال الشيخ الألباني-رحمه الله-:" صحيح".

[3] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ١١٤/٤.

[4] متفق عليه: البخاري، كتاب: الجزية والموادعة، بَابُ: أَمَانِ النِّسَاءِ وَجِوَارِهِنَّ، رقم٣١٧١، ومسلم، الصحيح، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب صلاة الضحى، رقم٣٣٦.

٧- إنَّ إقامة الحواجز بين الشعوب ومعرفة صورة الإسلام الصحيحة، هي التي دفعت المسلمين للجهاد لإزالة تلك الحواجز، ثم للتمكن من عرض الإسلام بصورته النقية التي تُمكن الدعاة من عرضه بوضوح وطمأنينة، ثم يترك للشعوب أن تختار الإسلام أو البقاء على دينها فلا إكراه في الدين.

٦- العلماء هم الذين ينبغي أن يقوموا بالإجابة عن الشُبه التي يثيرها غير المسلمين، تلك الشبه التي يحتجُّون بها، ويجعلونها سبباً في عدم إسلامهم، فينبغي- كلما تكرر السؤال عنها- أن يتولى الإجابة عنها العلماء الذين يقومون بواجب الدعوة إلى الله تعالى على علم وبصيرة، وبحكمة وتأن كبير، ولديهم معرفة وخبرة بتلك المجتمعات؛ ويبنون حواراتهم على علم شرعي وعلم بعلوم الطرف الآخر وطبيعته ومداخله، ولديهم قُدرة فائقة على اختيار أنسب الطرق والأساليب، ولعلَّ من المفيد اتباع منهج التقليل من ذكر الخلافات الفقهية؛ التي قد تكون أحياناً سبباً في تنفير الآخرين من الإسلام، كما ينبغي عند عرض بعض المسائل الضرورية تقديمها على أنها نوع من التيسير والتنوع في مراعاة الطبائع البشرية والفروق الفردية، والأفضل في المرحلة الأُولى من دخول الآخرين في الإسلام تقديم الرأي الراجح، أو الأحكم؛ الذي يكون سبباً في قبول الإسلام، واستجابة الناس لأحكامه، ومن المسائل التي يكثر السؤال عنها ما يأتي:

أولًا: إنّ إدعاء وقوع الجور والظلم على غير المسلمين في ظل الدولة الإسلامية فِريَةٌ كبيرةٌ:

فقد عاشوا في الدولة الإسلامية قروناً احتفظوا فيها بدينهم وشخصيتهم، متنعمين بالأمن والأمان والعدل والإحسان[1] وفي كتاب قصة الحضارة لول ديوارنت يقول:"لقد كان أهل الذمة

[1] انظر ما قاله القرضاوي، غير المسلمين في المجتمع الإسلامي، ص٣-٤.

المسيحيون، والزرادشتيون(1) واليهود، والصابئون(2)، يستمتعون في عهد الخلافة الأموية بدرجة من التسامح لا نجد لها نظيراً في البلاد المسيحية في هذه الأيام. فلقد كانوا أحراراً في ممارسة شعائر دينهم، واحتفظوا بكنائسهم ومعابدهم، ولم يفرض عليهم أكثر من ارتداء زي ذي لون خاص وأداء فرضة(3) عن كل شخص، تختلف باختلاف ولم تكن هذه الضريبة تفرض إلا على غير المسلمين القادرين على حمل السلاح، ويعفى منها الرهبان"(4).

ثانياً: فكرة الجهاد في سبيل الله: فقد عمل الكثير من المستشرقين والغربيين على تشويه صورة الجهاد المشرقة؛ فأثاروا شبهات كاذبة حوله هدفها الصد عن الإسلام، والتنفير من البحث عن أحكامه ومعرفة مزاياه(5).

---

(1) يقول اليوسفي الغروي:" كانت إيران قد اتخذت الزرادشتية (المجوسية)-[بيان معنى الزرادشتية بأنها المجوسية هو من اليوسفي] دينا رسميا لها طلبا للاستقلال العقائدي عن الروم المسيحية، وهما في حرب دءوب، فطبيعي أن تحاول إيران نشر عقيدتها الثنوية بالإلهين: إله الخير وإله الشر بين الشعوب المغلوبة المستعمرة لها من حولها، فتتفشى المجوسية في بعض القبائل العربية من تميم والبحرين وعمان واليمن، ونحن نعلم أن المجوس ثنويون يؤمنون بإلهين يدبران العالم فللخير يزدان، وللشر اهريمن ولهما رمزان فليزدان الخير: النور، ولاهريمن الشر: الظلمة"، اليوسفي الغروي، الشيخ محمد هادي، موسوعة التاريخ الإسلامي، مجمع الفكر الإسلامي، الطبعة: الاولى، ١٤٢٠ هـ، ص١٩٩. وانظر تفسير قوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾ ﴾[الحج: ١٧].

(2) يقول الدكتور مانع بن حماد الجهني:"إن الصابئة من أقدم الديانات التي تعتقد بأن الخالق واحد، وقد جاء ذكر الصابئين في القرآن باعتبار أنهم أتباع دين كتابي. وقد اختلف الفقهاء حول مدى جواز أخذ الجزية منهم، إن كانوا أحدثوا في دينهم ما ليس منه. وقد أصبحت هذه الطائفة كأنها طائفة وثنية تشبه صابئة حران "، الجهني، الدكتور مانع بن حماد، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة .المؤلف: الندوة العالمية للشباب الإسلامي، إشراف وتخطيط ومراجعة: د. مانع بن حماد الجهني، الناشر : دار الندوة العالمية، ٧٢٢/٢. وانظر تفسير الآية السابقة[الحج: ١٧]، وكذلك﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾[البقرة: ٦٢].

(3) قال الدكتور القرضاوي:"ضريبة"، القرضاوي، غير المسلمين في المجتمع الإسلامي، ص٥٢. وقد ذكر الدكتور القرضاوي عدداً من الأدلة في الفصل الربع: شهادة التاريخ، ص٥١-٥٤.

(4) ول ديوارنت، قصة الحضارة، الكتاب ضمن المجموعة الشاملة، قسم الكتب الإسلامية العامة، ، ٤٨٢/١٣، واستفدته من المرجع السابق.

(5) أرجو أن يكون مبحث الانضباط في المجال العسكري قد أظهر شيئاً من الصورة المشرقة للجهاد في الإسلام.

ثالثاً- **قضية فرض الجزية**: يقول الدكتور القرضاوي:" فمن هذه الشبهات التي يثيرها المبشرون والمستشرقون قضية الجزية التي غُلّفت بظلال كئيبة، وتفسيرات سوداء جعلت أهل الذمة يفزعون من مجرد ذِكر اسمها؛ فهي في نظرهم ضريبة ذُل وهوان، وعقوبة فُرضت عليهم مقابل امتناعهم عن الإسلام"[١] ثم بيَّن وجه إيجابها فقال:" إنها بدل فريضتين فُرضتا على المسلمين وهما: فريضة الجهاد، وفريضة الزكاة؛ ونظراً للطبيعة الدينية لهاتين الفريضتين لم يُلزم بها غير المسلمين"[٢]، وقد فصَّل في رسالته (فقه الزكاة) مسألتين هامتين وهما: الأولى، حيث قال:" لماذا لم يوجب الإسلام الزكاة على غير المسلمين؟ فقال:" وقد يعنّ هنا سؤال لبعض الناس فيقول: إن الإسلام قد وسع على أهل الكتاب ومن في حكمهم من غير المسلمين، فأعطاهم ذمة الله تعالى، وذمة رسولهﷺ، على أن يعيشوا في كنف دولة الإسلام، مصونة حرماتهم، مكفولة حرياتهم، لهم ما للمسلمين، وعليهم ما عليهم، فلماذا فرَّق الإسلام في الزكاة بين المسلمين وغيرهم من الأقليات، التي تستظل بظل دولتهم؟ هذا مع أن الزكاة: تكليف اجتماعي، وضريبة[٣] مالية، تُنفق حصيلتها في مساعدة الضعفاء، والمحتاجين، من رعايا الدولة؟ وللجواب عن هذا السؤال، أو التساؤل: ينبغي لنا أن نبيِّن، أن هنا اعتبارين يبدوان لمن يتأمل حقيقة فريضة الزكاة:

الاعتبار الأول: أنها تكليف اجتماعي، وحق معلوم، للسائل والمحروم، وضريبة مالية، أوجب الله تعالى أن تؤخذ من أغنياء الأمة، لتُرَد على فقرائها، قيامًا بحق الأُخوة، وحق المجتمع، وحق الله عَزَّ وجلَّ.

---

(١) **القرضاوي، غير المسلمين في المجتمع الإسلامي، ص٥٥.**

(٢) المرجع السابق نفسه.

(٣) وهذا من باب النظرة المجردة إلى إخراج المال من قبل الآخر، وإلاَّ فالزكاة ركن في الإسلام عظيمة وعبادة جليلة، كما ستأتي الإشارة إلى ذلك في الاعتبار الثاني.

الاعتبار الثاني: **أنها عبادة من عبادات الإسلام**، ودِعامة من الدعائم الخمس، التي قام عليها بناؤه، شأنها شأن الشهادتين، وإقامة الصلاة، وصوم رمضان وحج البيت الحرام، وهي مظهر من مظاهر الدخول في الإسلام، واستحقاق إخوة المسلمين، كما أن بعضًا من أسهم الزكاة، يُصرف في نُصرة الإسلام، وإعلاء كلمته، والمصالح العامة لدعوته، ودولته؛ وذلك هو سهم: "في سبيل الله" ومنها: ما يُصرف في تأليف القلوب، أو تثبيتها عليه؛ وذلك هو سهم "المؤلفة قلوبهم"؛ ولهذا الاعتبار أبت سماحة الإسلام وحساسيته - في معاملة غير المسلمين واحترام عقائدهم - أن يفرض عليهم ضريبة لها صبغة دينية واضحة، حتى إنها لتعد شعيرة من شعائره الكبرى، وعبادة من عباداته الأربع، وركنًا من أركانه الخمسة"[1].

وقد ناقش المسألة الثانية؛ والتي أراد من خلالها التسوية في الواجبات المالية بين المسلمين وغيرهم فقال:": **هل يؤخذ مقدار الزكاة من غير المسلمين ضريبة؟** إننا لا نشك أن الزكاة لا تجب -وجوبًا دينيًا- على غير المسلمين من حيث هي عبادة وشعيرة، ولكن ألا يجوز أن يؤخذ منهم مقدارها على أنها ضريبة من الضرائب تؤخذ من الأغنياء لتُرَد على الفقراء؟ فالمسلم يدفعها فريضة وعبادة، وغيره يدفعها ضريبة!، وبذلك نتفادى التفرقة بين المواطنين في دولة واحدة، ولا نُحمّل المسلم من الأعباء المالية أكثر من غيره ونخفف التكاليف الإدارية والفنية التي تتوزع بين إدارة الزكاة للمسلمين، والضريبة الخاصة لغير المسلمين. هذه قضية تحتاج إلى اجتهاد جماعي من علماء المسلمين القادرين على الاجتهاد، ولكن إلى أن يتاح لنا الاجتهاد الجماعي المنشود، فلا مانع أن أبدي رأيي في هذا الأمر، والذي يتراءى لي بعد البحث: أنه لا مانع من أخذ الزكاة بوصفها ضريبة من غير المسلمين من أهل الذمة إذا رأى ذلك أولو الأمر"، ثم بيَّن وجهة النظر في ذلك، وأنَّه لا مانع من ذلك، مع ملاحظة أنَّ العبرة غالباً بالنتائج والثمار وليس بالمصطلحات، وفي الحوار الذي دار بين أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ وبين بني تغلب دليل تاريخي عملي

---

[1] القرضاوي، الدكتور يوسف، فقه الزكاة، دراسة مقارنة لأحكامها وفلسفتها في ضوء القرآن والسنة، مؤسسة الرسالة، الطبعة السابعة، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ١/١٢٥-١٢٦، باختصار.

من زمن الخلفاء الراشدين-رضي الله عنهم- وقد أُمرنا بالاقتداء بسنتهم والسير على نهجهم، فعن الْعِرْبَاض بن سارية﷛ قال: صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا فَوَعَظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ، وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَأَنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ، فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا فَقَالَ ﷺ: « أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا؛ فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِى فَسَيَرَى اخْتِلاَفًا كَثِيرًا فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِى، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ »[1]؛ فقد ورد في ذلك سنة عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب﷛، فقد روى الإمام أبوعبيد-رحمه الله-، عن النُّعْمَانِ[2] بن زرعة أَنَّهُ سَأَلَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ﷛، وَكَلَّمَهُ فِي نَصَارَى بَنِي تَغْلِبَ. قَالَ: وَكَانَ عُمَرُ قَدْ هَمَّ أَنْ يَأْخُذَ مِنْهُمُ الْجِزْيَةَ، فَتَفَرَّقُوا فِي الْبِلاَدِ، فَقَالَ النُّعْمَانُ بْنُ زُرْعَةَ لِعُمَرَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ بَنِي تَغْلِبَ قَوْمٌ عَرَبٌ يَأْنَفُونَ مِنَ الْجِزْيَةِ، وَلَيْسَتْ لَهُمْ أَمْوَالٌ، إِنَّمَا هُمْ أَصْحَابُ حُرُوثٍ وَمَوَاشٍ، وَلَهُمْ نِكَايَةٌ فِي الْعَدُوِّ، فَلاَ تُعِنْ عَدُوَّكَ عَلَيْكَ بِهِمْ. قَالَ: فَصَالَحَهُمْ عُمَرُ عَلَى أَنْ ضَعَّفَ عَلَيْهِمُ الصَّدَقَةَ"[3]

وقد روى الإمام أبو عبيد-رحمه الله- اتفاق أمير المؤمنين عمر﷛ بتفصيل أكثر فقال:" فَإِنَّهُ﷛ حِينَ دَرَأَ عَنْهُمُ الْقَتْلَ، وَقَبِلَ مِنْهُمُ الأَمْوَالَ، لَمْ يَجْعَلْهَا جِزْيَةً كَسَائِرِ مَا عَلَى أَهْلِ الذِّمَّةِ، وَلَكِنْ جَعَلَهَا صَدَقَةً مُضَاعَفَةً؛ وَإِنَّمَا اسْتَجَازَهَا فِيمَا نَرَى وَتَرَكَ الْجِزْيَةَ مِمَّا رَأَى مِنْ نِفَارِهِمْ وَأَنَفِهِمْ مِنْهَا، فَلَمْ يَأْمَنْ شِقَاقَهُمْ وَاللِّحَاقَ بِالرُّومِ، فَيَكُونُوا ظَهِيرًا لَهُمْ عَلَى أَهْلِ الإِسْلاَمِ ، وَعَلِمَ أَنَّهُ لاَ ضَرَرَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مِنْ إِسْقَاطِ ذَلِكَ الِاسْمِ عَنْهُمْ، مَعَ اسْتِيفَاءِ مَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنَ الْجِزْيَةِ، فَأَسْقَطَهَا عَنْهُمْ،

---

[1] الترمذي، السنن، كتاب: العلم، باب: ما جاء في الاخذ بالسنة واجتناب البدع، رقم٢٦٧٦، أبو داود، السنن، كتاب: السنة، باب: فى لُزُومِ السُّنَّةِ، رقم٤٦٠٩، واللفظ له، وابن ماجه، السنن، كتاب: أبواب السنة، بَابُ: إِتِّبَاعِ سُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، رقم٤٢.

[2] ورد في هذا الاسم قلب بين الأب وابنه، فجاءت الرواية على الشك في الاسم، فقال:" أو زرعة بن النعمان"،

[3] أبو عبيد، الأموال، رقم١٦٩٦، ص٦٥٠.

وَاسْتَوْفَاهَا مِنْهُمْ بِاسْمِ الصَّدَقَةِ حِينَ ضَاعَفَهَا عَلَيْهِمْ ، فَكَانَ فِي ذَلِكَ رَتْقُ مَا خَافَ مِنْ فَتْقِهِمْ مَعَ الِاسْتِبْقَاءِ لِحُقُوقِ الْمُسْلِمِينَ فِي رِقَابِهِمْ. وَكَانَ مُسَدَّدًا ﷺ"[1]

كما روى ذلك الإمام الطبري -رحمه الله – فقال:" **قالوا:"فخذ منا شيئاً ولا تسمه جزاء"**[2]، **فقال ﷺ:" أما نحن فنسميه جزاء، وسموه أنتم ما شئتم"**[3]، **وكان في بني تغلب عز وامتناع ولا يزالون ينازعون"**[4]، **واستدل الدكتور القرضاوي بأمور فقال**:"إن مراد علمائنا بقولهم: "لا تجب الزكاة على غير مسلم" هو الوجوب الديني، أما الإيجاب السياسي الذي يقرره ولي الأمر بناء على اعتبار المصلحة التي يراها أهل الشورى، فلم يَرِد ما يمنعه، وقالوا في تعليل عدم وجوبها عليهم بأنها حق لم يلتزموه، فلا تلزمهم؛ ومعنى هذا أنهم لو التزموا هذا ورضوه لم يكن بذلك بأس"[5].

إنَّ التطبيق العملي للإسلام هو الواجب، وإنَّ بعض المسائل تحوي مرونة كبيرة، وتحتمل الاجتهاد والتكييف الفقهي الذي يتناسب مع الواقع المعاصر مع الاحتفاظ بالأصول العامة والقواعد[6]، ولعل مسألة الجزية من تلك المسائل؛ فقد قارن الدكتور القرضاوي بين القديم والواقع، واقترح رؤية لعلها تكون مناسبة لبعض دول المسلمين المعاصرة أو للدولة الإسلامية القادمة فقال:" إنَّ أهل الذمة في ديار الإسلام كانوا يدفعون للدولة الإسلامية ضريبة مالية سماها القرآن: "الجزية"؛ وذلك مشاركة في النفقات العامة للدولة التي تقوم بحمايتهم والدفاع عنهم، وكفالة

---

(1) أبو عبيد القاسم بن سلام، الأموال، رقم١٧٠١، ص٦٥١.

(2) أي جزية.

(3) فأمير المؤمنين عمر ﷺ لم يلزم بني تغلب بالاسم الذي يُطلقه المسلمون على ذلك الجزء من المال، وتكملة النص:"فقال له علي بن أبي طالب ﷺ:" يا أمير المؤمنين ألم يضعف عليهم سعد بن مالك الصدقة قال بلى وأصغى إليه فرضي به منهم جزاء فرجعوا على ذلك"، الطبري، تاريخ الأمم والملوك، فتوح المدائن قبل الكوفة، ٤٨٥/٢.

(4) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، فتوح المدائن قبل الكوفة، ٤٨٥/٢، وفي هذا بيان لسبب عدم قبول بني تغلب أن يُطلق اسم الجزية؛ فهو نوع من عزة النفس التي يمتاز به العرب غالباً.

(5) القرضاوي، فقه الزكاة، ١٢٧ باختصار وتصرف يسير.

(6) ويقوم بذلك العلماء الربانيون.

العيش لهم، وتأمينهم ضد العجز والشيخوخة والفقر كالمسلمين، والواقع الماثل الآن في البلاد الإسلامية: أن أهل الكتاب لا يدفعون الجزية، ويأنفون من هذا الاسم، فهل يمكن أن يدفعوا بدلاً منها ضريبة على وفق مقادير الزكاة، وإن لم تسم باسمها؟، إنَّ الذي رواه المؤرخون والمحدِّثون وفقهاء المال في الإسلام عن عمر بن الخطاب ﷺفي موقفه من نصارى بني تغلب[1]، يعطينا رُخصة للنظر في هذا الأمر على ضوء الواقع والمصلحة العامة"[2]، وقد ذكر ذلك الإمام الطبري بروايات متعددة وهذه أحدها "فعاقدوا[3]عمرﷺ على بني تغلب فعقد لهم على أن من أسلم منهم فله ما للمسلمين وعليه ما عليهم، ومن أبى فعليه الجزاء، فقالوا إذا يهربون وينقطعون فيصيرون عجماً، فقال:" ليس إلا الجزاء"، فقالوا:" تجعل جزيتهم مثل صدقة المسلم، فهو مجهودهم، ففعل على ألا يُنصِّروا وليداً ممن أسلم آباؤهم"[4].

المطلب الثاني: الأحكام الخاصة في تعامل المسلم مع غيره

١- قسم العلماء الأرض المعمورة إلى أقسام أطلقوا على كل قسم مصطلح(دار)، وهي كما يأتي:

أولاً:- دار الإسلام: وهي -كما قالت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء-:" كل بلاد أو ديار يقيم حكامها وذوو السلطان فيها حدود الله، ويحكمون رعيتها بشريعة الإسلام، وتستطيع فيها الرعية أن تقوم بما أوجبته الشريعة الإسلامية عليها"[5].

---

(١) وقد سبقت الإشارة إليه في الصفحة السابقة.

(٢) القرضاوي، فقه الزكاة، ١٢٧/١، باختصار وتصرف يسير، وقد ناقش تلك المسألة ١٢٨/١-١٣٢.

(٣) وهم الذين تولوا كتابة العقد وإبرامه مع بني تغلب، قال الطبري:" من كان في وفود عبدالله بن المعتم وهم عتبة بن الوعل وذو القرط وابن ذي السنينة وابن الحجير"، الطبري تاريخ الأمم والملوك، عند قوله:" ثم دخلت سنة سبع عشرة"، ٤٧٧/٢.

(٤) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، عند قوله:" ثم دخلت سنة سبع عشرة"، ٤٧٧/٢، باختصار.

(٥) اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء: الرئيس عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، وعضوية: عبدالله بن قعود، وعبدالله بن غديان، وعبدالرزاق عفيفي، الجهاد والحسبة، دار المؤيد، الرياض-المملكة العربية السعودية، الطبعة الخامسة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ٥٢/١٢.

إنَّ دار الإسلام التي تضم جميع المسلمين أو أغلبهم، والتي يدخل إليها المسلمون ممن كان يعيش خارجها، بحيث يتمتع بحقوق وواجبات متساوية بصفة عامة مع من ولد في تلك الدولة ويحمل جنسيتها ولا يحتاج إلى (فيزا) أو جواز سفر لدخولها، ولا يُقيد بفترة محددة للإقامة فيها، يجب على المسلمين العمل لإيجادها.

إنَّ الانضباط بالفهم الصحيح لدار الإسلام يقتضي من المسلمين عامة ومن العلماء خاصة العمل الجاد المنهجي لإيجادها، بالدعوة والعمل لتطبيق الشريعة الإسلامية، وتخليص دول المسلمين من التبعية وتسلط الأعداء عليها، والعمل على اتحاد تلك الدول؛ ليكون لها وزنها وتأثيرها، بل العمل لإقامة الخلافة الراشدة الموعودة، والتي ينبغي أن ينضوي تحت سلطانها جميع المسلمين، وستكون – بفضل الله تعالى– على منهاج النبوة، **فعن حُذَيْفَةَﷺ قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:" تَكُونُ النُّبُوَّةُ فِيكُمْ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةٌ عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا عَاضًّا[1]، فَيَكُونُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا جَبْرِيَّةً[2]، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةٌ عَلَى مِنْهَاجِ نُبُوَّةٍ "، ثُمَّ سَكَتَ"[3]**. وقد أفتى العلماء بوجوب العمل لإعادة وإقامة الخلافة الراشدة، حيث قال الأستاذ محمد رشيد رضا:"مَسْأَلَةُ (دَارِ الْإِسْلَامِ) الَّتِي يُفْتَرَضُ عَلَى الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ كُلِّهِ الْجِهَادُ بِالنَّفْسِ وَالْمَالِ وَالْعِلْمِ وَالْعَمَلِ لِإِعَادَتِهَا"[4].

---

(1) قال ابن منظور:" ملك عضوض: شديد فيه عسف وعنف، أي يُصيب الرعية، فيه ظلم، وهو الخبيث الشرس"، ابن منظور، لسان العرب، ١٨٥/١٠، باختصار.

(2) قال ابن منظور: "الإجبار: القهر والإكراه""، ابن منظور، لسان العرب، ٦٧/٣.

(3) الإمام أحمد، المسند، ٣٥٥/٣٠، رقم١٨٤٠٦، وقال الشيخ شعيب:"إسناده حسن". وقال الألباني:"حسن"، الألباني، محمد ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض– المملكة العربية السعودية، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ٣٥/١، رقم٥.

(4) ٢٧٧/١٠

لقد عاش غير المسلمين في الدولة الإسلامية وتمتعوا بحقوقهم كاملة، يقول الدكتور عبدالكريم زيدان:" إنّ المجتمع الإسلامي لم يخل قط من غير المسلمين في أي عصر من العصور، ولا عجب في هذا فإنّ الإسلام لا يُكره الناس حتى يكونا مسلمين، ولا يمنع المسلمين من العيش مع مخالفيهم في العقيدة والدين، ولم يغفل عن تنظيم علاقات غير المسلمين في دار الإسلام سواء أكانت العلاقات مع المسلمين أو فيما بينهم خاصة"[1].

ب- دار بلاد **المسلمين**: فيطلق على الدولة الواحدة: (بلدٌ مسلم)، أو (بلدُ مسلمين)، أو(دولةُ مسلمين)، بينما يطلق على مجموع الدول:(دُول المسلمين)، أو (الدول المسلمة).

ويُوضح سبب التسمية بذلك الأُستاذ دندل جبر فيقول:" وبناء على ما استجد في هذا الزمان في أوضاع العالم العربي والإسلامي ودوله ومجتمعاته، وخاصة فيما يتعلق بتطبيق أحكام الشريعة الإسلامية في هذه المجتمعات بحيث ما عاد ينطبق تعريف دار الإسلام، ولا تعريف دار الحرب على أكثر مجتمعات الدول الإسلامية؛ مما يجعلنا نضيف تعريفاً آخر وهو تعريف البلاد الإسلامية أو بلاد المسلمين؛ على تقدير أنَّ غالبية سكانها من المسلمين"[2]، ثم وضَّح ذلك فقال:" إن كان أهل البلاد كلهم أو غالبيتهم من المسلمين فلا تصير دار حرب بفقد ركني التعريف: تطبيق أحكام الإسلام، والسلطة والمنعة للمسلمين، أو بفقد أحدهما، ولكنها تفقد تسميتها دار إسلام، فهي لم تُصبح دار حرب؛ لأنّ أهلها كلهم أو جلهم مسلمون، ولم تبق دار إسلام؛ لفقدها ما يصح أن تُسمى به الدار:(دار إسلام)، ويمكن في هذه الحالة تسميتها بـ(بلاد المسلمين)، وتكون لها أحكامها الخاصة، حيث لا تُطبق عليها أحكام دار الحرب، ولا أحكام دار الإسلام، وهذا أمر ينطبق ما لو

---

(١) زيدان، الدكتور عبدالكريم، أحكام الذميين والمستأمنين في دار الإسلام، وهو رسالته في الدكتوراه عام١٩٦٢م، وقد نالها بمرتبة الشرف الأُولى من كلية الحقوق بجامعة القاهرة، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، ومكتبة القدس، بغداد- العراق، الطبعة الثانية١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، وهو مرجع هام في موضوعه.

(٢) دندل جبر، دار الإسلام- البلاد الإسلامية- دار السلم والأمان-دار العهد-المستأمنون- المعاهدات، دار عمار، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ص٧.

أنّ حُكام المسلمين أهل هذه البلاد، تقاعسوا في تطبيق أحكام الإسلام، أو تسلط عليها عدو خارجي يتحكم في أمورها"[1].

إنّ حالة الضعف التي تُعاني منها جميع دول المسلمين تستلزم العمل الجاد المنظم والمدروس جيداً لإيجاد تعاون واتفاقات بين تلك الدول، وتنفيذها على الواقع العملي بتجاوز مرحلة التنظير إلى مرحلة التطبيق، وبتفعيل الأهداف المشتركة بين دول المسلمين في الجانب العلمي والثقافي والاجتماعي والاقتصادي والعسكري والسياسي، وأن يتقدم العلماء وأصحاب الكفاءة قيادة الأمة الإسلامية، وتوجيهها، وتفعيل المساجد والمراكز، والاستفادة من الإعلام وغير ذلك؛ بحيث يكون لدى مجموع الأمة مشروعاً يتفاعل الجميع في تحقيقه.

جـ- دار الحرب: قالوا في تعريفها:" كل بلاد لا يُقيم حكامها وذوو السلطان فيها حدود الله، ولا يحكمون في الرعية بحكم الإسلام، ولا يقوى المسلم فيها على القيام بما وجب عليه من شعائر الإسلام"[2]، وقال الأستاذ دندل جبر:" البلاد التي لا تكون فيها السلطة والمنعة للمسلمين ولا تُنفَّذ فيها أحكام الإسلام، ولا يقوى فيها المسلمون على تنفيذ هذه الأحكام، وليس بين أهلها وبين المسلمين عهد مصالحة، والتي يقع أو يُتوقَّع منها عدوان على المسلمين؛ مما يوجب عليهم أن يأخذوا حذرهم وأن يكونوا على أهبة الاستعداد للقتال"[3].

ويجدر التنبيه أن تعريفها هو عكس تعريف دار الإسلام، وهي في حرب مع دار الإسلام، أو أنَّه يُتوقع منها الهجوم أو الاعتداء على دار الإسلام أو دول المسلمين.

د- دار العهد أو الصلح: يقول الإمام الماوردي-رحمه الله-:" وهي قسمان: القسم الأول: الأرض أو الدار التي صولح أهلها على زوال ملكهم عن تلك الأرض، فلا يجوز بيع تلك الأرض،

---

(1) المرجع السابق، ص٢٣-٣٣، باختصار يسير.

(2) اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء: الرئيس عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، وعضوية: عبدالله بن قعود، وعبدالله بن غديان، وعبدالرزاق عفيفي، الجهاد والحسبة، ٥٢/١٢.

(3) دندل جبر، دار الإسلام- البلاد الإسلامية- دار السلم والأمان-دار العهد-المستأمنون- المعاهدات، ص٢٤.

وعليهم أن يدفعوا مقداراً من المال أجرة على استخدام الأرض واستثمارها يُسمى خراجاً، ولا يسقط دفع ذلك المال بإسلامهم؛ لأنَّ ذلك المال يؤخذ من المسلم ومن الذمي، والقسم الثاني: ما صولحوا على بقاء ملكهم عليه ويكون الخراج جزية تسقط بإسلامهم"[1]، وقد وبين الأُستاذ محمد رشيد رضا معناها فقالَ " إِنْ كَانَ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ عَهْدٌ وَمِيثَاقٌ عَلَى السِّلْمِ وَحُرِّيَّةِ الْمُعَامَلَةِ فِي التِّجَارَةِ وَغَيْرِهَا"[2]، وقال الأستاذ دندل جبر:" هي بلاد الكفار التي لم يظهر عليها المسلمون، وعقد أهلها معاهدة بينهم وبين المسلمين، على شروط تقتضي منع حالة الحرب بينهما"[3].

إنَّ تلك الدول التي ليس بينها وبين المسلمين حرب، ولكنها تمنع المسلمين من الإعلان بعباداتهم يجب على المسلمين عدم الإقامة بها، وقد أفتت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بأنَّه:" لا تجوز الإقامة في بلد يُحال فيه بين المسلم وإظهار شعائر الإسلام وإعلانها، فعلى من يستطيع الهجرة أن يُهاجر منه إلى بلد يتمكن من إقامة شعائر الإسلام، وإعلانها، قال تعالى﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ ﴾[النساء:٩٧]"[4]

ويظهر أنَّ أقوال العلماء قد تنوعت في وصف تلك الدار تبعاً للاتفاق الذي يُعقد، والذي يكون أحياناً بعرض الصلح ابتداء، أو بعد قتال، وكذلك مراعاة لبنود الاتفاق بينهما.

---

(1) الماوردي، البصري البغدادي أبو الحسن، علي بن محمد بن حبيب ٤٥هـ، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، دار الكتب تالعلمية، بيروت- لبنان، ص٢١٧، بتصرف يسير.

(2) رضا، محمد رشيد بن علي، لمتوفى : ١٣٥٤هـ، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠ م، ٢٧٤/١٠.

(3) دندل جبر، دار الإسلام، ٤٢-٤٣.

(4) اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء: الرئيس عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، وعضوية: عبدالله بن قعود، وعبدالله بن غديان، وعبدالرزاق عفيفي، الجهاد والحسبة، ٥٤/١٢-٥٥، باختصار.

إنّ الانضباط يقتضي من المسلمين الوفاء[1] بعهودهم، واتفاقاتهم، والتزاماتهم؛ تنفذاً لأمر الله تعالى، حيث قال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ ﴾ [المائدة:١]، وقال تعالى:﴿ وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴾ [الإسراء: ٣٤]. وقد بيَّن سيد قطب-رحمه الله تعالى- ضرورة الانضباط بالعقود فقال:" إنه لا بد من ضوابط للحياة.. حياة المرء مع نفسه التي بين جنبيه وحياته مع غيره من الناس من الأصدقاء والأعداء، إنّ الإسلام يقيم هذه الضوابط في حياة الناس. يقيمها ويحددها بدقة ووضوح ويربطها كلها بالله سبحانه ويكفل لها الاحترام الواجب؛ فلا تنتهك، ولا يستهزأ بها، ولا يكون الأمر فيها للأهواء والشهوات المتقلبة ولا للمصالح العارضة التي يراها فرد، أو تراها مجموعة أو تراها أمة، أو يراها جيل من الناس فيحطمون في سبيلها تلك الضوابط"[2].

إن الانضباط يوجب على المسلمين شعوباً ومسئولين الالتزام بما يعقدونه من اتفاقات ومواثيق مع الدول الأخرى، وحفظ الأمن والاستقرار، وعدم الاعتداء على أحد من أهل تلك البلاد، وكذلك الالتزام بقوانين تلك الدول التي يُسافرون إليها أو يُقيمون بها لفترة من الزمن للعمل أو التجارة أو الدراسة، أو لحاجة سياسية كالسفارات- بما لا يتعارض مع الشريعة الإسلامية-، كما ينبغي أن يُنظر إلى السماح لغير المسلمين، أو من يحملون جوازات سفر غربية بالدخول إلى دول المسلمين عن طريق الحدود مباشرة أو بعد إعطائهم (فيزا)، أنَّه عقد صُلح وأمان، وهو كذلك اتفاق بحفظ نفسه وماله؛ فلا يُعتدى عليه ولا يؤذى؛ بل يُغتنم ذلك بدعوته إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة.

ومما لا يخفى أنّ عدم الانضباط بذلك من خلال وقوع بعض الاعتداءات على بعض أبناء تلك البلاد في أرضهم أو في بلاد المسلمين، قد أثَّر سلبياً على صورة الإسلام المشرقة، وجرّأ ذلك على الاعتداء على الجاليات المسلمة، ومنعهم من القيام بأعمال كانوا يقومون بها قبل تلك الاعتداءات بحرية، وغير ذلك؛ وهذا يوجب على علماء المسلمين توضيح الصورة السمحة للإسلام.

---

(1) المرجع السابق، ص٤٣، بتصرف.
(2) سيد قطب، في ظلال القرآن، ٢/٨٣٥، باختصار.

وفي بيان حكم الوفاء بالعهد مع الوثنيين[1] وُجّه السؤال التالي للجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء: ما حكم الوفاء بالعهد مع الهندوسي[2] إذا أُعطي عهداً ما فيما لا يُخالف شرع الله تعالى؟. الجواب: الوفاء بالعهد فيما لا يُخالف شرع الله تعالى واجب، قال الله تعالى﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴾ [الإسراء: ٣٤]، سواء كان مع الهندوس أو مع غيرهم، ما لم يحصل منهم إخلال بالعهد أو إساءة للإسلام"[3].

وفي بيان حُرمة مال المستأمنين[4] في بلاد المسلمين، وحرمة أخذ شيء منه بغير حق وُجِّه سؤال للجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء حول أخذ والدِ أحد المسلمين أدوات من شركة جميع القائمين عليها من غير المسلمين فأجابت:" يجب على والدك أن يرد الأدوات إلى الشركة المذكورة؛ إلاّ إذا سمحت له بها، ولو كانوا كفاراً؛ لأنَّهم مستأمنون في بلاد المسلمين، ولأموالهم حُرمة بموجب عقد الأمان؛ فلا يحل أخذها بغير حق"[5].

وأما قضية السفر للدراسة والسكن مع الكفّار في تلك الدول وحكم الإقامة فيها، ففي سؤال لتلك اللجنة: هل يجوز السفر إلى بلاد أمريكا للدراسة؟. الجواب: لا يجوز لك السفر إلى الدول الكافرة للدراسة، إلا فيما لا يتيسر لك دراسته من العلوم الدنيوية كالطب والهندسة ونحوهما، ولم يتيسر استقدام من يُضطر إليه من المتخصصين الأُمناء في العلوم الكونية إلى الدولة الإسلامية للقيام

---

(1) والعلاقة معهم أشد من العلاقة مع الكتابيين.

(2) قال الدكتور مانع الجهني:" الهندوسية: ديانة وثنية، يعتنقها معظم أهل الهند، وهي مجموعة من العقائد والعادات والتقاليد التي تشكلت عبر مسيرة طويلة من القرن الخامس عشر قبل الميلاد، متخذة عدة آلهة بحسب الأعمال المتعلقة بها، فلكل منطقة إله، ولكل عمل أو ظاهرة إله". الجهني، الدكتور مانع بن حماد، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الهندوسية، رقم٨٨، ٧٢٤/٢، باختصار.

(3) اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء: الرئيس عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، وعضوية: بكر أبو زيد، وصالح الفوزان، وعبدالله بن غديان، وعبد العزيز آل الشيخ، الجهاد والحسبة، الوفاء بالعهد مع الوثنيين، ٤٤/١٢-٤٥.

(4) بصرف النظر عن دينه واعتقاده ودولته.

(5) اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء: الرئيس عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، وعضوية: بكر أبو زيد، وصالح الفوزان، وعبدالله بن غديان، وعبد العزيز آل الشيخ، الجهاد والحسبة، ٣٧/١٢.

بتدريسها للطلاب المسلمين، وكانت أُمتك مضطرة إلى هذه العلوم، لتكتفي بأبنائها بعد التخرج في القيام بما تحتاج إليه عن استقدام كفار يقومون به، وكنتَ في نفسك محصناً في دينك بالثقافة الإسلامية، لا يُخشى عليك من الفتن أيام دراستك في بلاد الكفر، وإقامتك مدة هذه الدراسة بين أظهرهم؛ فيجوز لك حينئذ أن تسافر للدراسة في بلاد الكفر، وأمريكا ونحوها في ذلك سواء"[1].

هـ- **دار البغي ودار الفسق ودار الردة:** إنَّ بعض علماء المسلمين قد فصَّلوا في أنواع الدور تبعاً للوضع القائم؛ والتي في مُحصّلتها ترجع في النهاية إلى تلك الدور؛ فأشار بعضهم[2] إلى: **دار البغي** وهي التي يُسيطر عليها الخارجون عن الإمام الحق بتأويل ولو حكموا بالإسلام، **ودار الفسق:** وهي التي تضافرت فيها المنكرات من غير نكير، **دار الردة:** وهي التي ارتد أهلها عن الإسلام. ثم ناقش العلماء هل تصير أو تتحول دار الإسلام إلى دار حرب؟، ثم ناقشوا الآثار المترتبة على ذلك[3].

٣- **التعامل مع الأسرى بِحِكْمَة وعدل وإنسانية، وتغليب الرحمة والعطف والعفو:** إنَّ من نتائج الحروب وقوع بعض الأسرى في أيدي الفريقين-غالباً-، وتتجلى الصورة الراقية لتعامل المسلمين مع الأسرى إذا قارنا بين تعاملهم وتعامل غيرهم، فقد ذكر الدكتور راغب السرجاني شيئاً من ذلك فقال:" ولعل روعة الأخلاق النبوية تتضح بصورة أكبر إذا قارناها بتعامل الأمم الأخرى مع الأسرى بصفة عامة، وبأسرى المسلمين بصفة خاصة، حيث التعامل البشع، ومن ذلك قيام القوات اليهودية عام١٩٦٧م بقتل مائتين وخمسين أسيراً مصرياً، رغم أنهم أسروا بعد نفاد ذخيرتهم، وكذلك فعلت القوات الأمريكية في أفغانستان عندما أسرت ثمانمائة من

---

(١) اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء: الرئيس عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، وعضوية: عبدالله بن قعود، وعبدالله بن غديان، وعبد الرزاق عفيفي، السفر للدراسة والسكن مع الكفار، الجهاد والحسبة، ٣٧/١٢.

(٢) العلي، ياسر لطفي، تقديم: عبدالرحمن الحاج، مؤسسة الرسالة ناشرون، الطبعة الأولى١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ص ٤٨ -٨٣.

(٣) انظر: المرجع السابق٨٥-٩٤، باختصار وتصرف.

المجاهدين واقتادتهم إلى معتقل (قلعة جانجي)، ثم أمرت الطيران الحربي بقصف المعتقل مما جعلهم جثثا مُتفحّمة-رحمهم الله- ، وأما ما حدث في معسكرات جوانتانامو فيُعد من أبشع أنواع التعذيب، ومن ذلك اعتقال الأطفال الذين لم يتجاوز أكبرهم الخامسةَ عشر من العمر وعددهم أكثر من ستمائة، وأما في احتلالهم للبلاد العربية فيكفي الإشارة إلى سجن (أبو غريب)؛ حيث التعذيب الشنيع والسخرية والاستهزاء، وغيره مما يعجز القلم عن وصفه "[1].

ومن أساليبهم تعمد الإهانة لمقدسات المسلمين، والجرأة على القرآن الكريم كتاب رب العالمين الخالد، وأما أكثر ما يُدمي القلب ويدُمع العين فهو ما يفعله اليهود في فلسطين حيث انتهاك الحرمات كلها، وخاصة ما يفعلونه بمسرى النبيﷺ وأولى القبلتين وثالث المساجد التي تُشد الرحال إليها، ولن يرفع معاناة المسلمين إلاّ عودة المسلمين إلى تحكيم الشريعة الإسلامية، واتحاد كلمة المسلمين، وقيام دولتهم؛ التي تدافع عن حقوقهم، وتدفع عنهم أي اعتداء.

إنّ هدي النبيﷺ في التعامل مع الأسرى قد اتخذ صوراً منوعة، ومبادئ حكيمة ويظهر ذلك فيما يأتي:

العفو عن الأسرى: لقد حثّ النبيﷺ على إعتاق الأسرى والمن عليهم بالعفو من غير مقابل مادي وإنما قربة لله تعالى، وعبادة من العبادات، **فعن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ خَيْلاً قِبَلَ نَجْدٍ، فَجَاءَتْ بِرَجُلٍ مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ يُقَالُ لَهُ ثُمَامَةُ بْنُ أُثَالٍ، فَرَبَطُوهُ بِسَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ:" مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ"، فَقَالَ: عِنْدِي خَيْرٌ يَا مُحَمَّدُ، إِنْ تَقْتُلْنِي تَقْتُلْ ذَا دَمٍ، وَإِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَى شَاكِرٍ وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْمَالَ فَسَلْ مِنْهُ مَا شِئْتَ حَتَّى كَانَ الْغَدُ ثُمَّ قَالَﷺ لَهُ: مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ" قَالَ: مَا قُلْتُ لَكَ، إِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَى شَاكِرٍ"، فَتَرَكَهُ حَتَّى كَانَ بَعْدَ الْغَدِ فَقَالَ:" مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ"، فَقَالَ: عِنْدِي مَا قُلْتُ لَكَ"، فَقَالَ:" أَطْلِقُوا ثُمَامَةَ" فَانْطَلَقَ إِلَى نَخْلٍ**

---

(1) السرجاني، الدكتور راغب، أخلاق الحروب في السنة النبوية، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، مصر- القاهرة، الطبعة الثانية ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م، ص٢٩٧-٢٩٨، بتصرف واختصار.

قَرِيبٍ مِنَ الْمَسْجِدِ، فَاغْتَسَلَ، ثُمَّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَقَالَ:" أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، يَا مُحَمَّدُ، وَاللَّهِ مَا كَانَ عَلَى الأَرْضِ وَجْهٌ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ وَجْهِكَ، فَقَدْ أَصْبَحَ وَجْهُكَ أَحَبَّ الْوُجُوهِ إِلَيَّ، وَاللَّهِ مَا كَانَ مِنْ دِينٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ دِينِكَ؛ فَأَصْبَحَ دِينُكَ أَحَبَّ الدِّينِ إِلَيَّ وَاللَّهِ مَا كَانَ مِنْ بَلَدٍ أَبْغَضُ إِلَيَّ مِنْ بَلَدِكَ فَأَصْبَحَ بَلَدُكَ أَحَبَّ الْبِلاَدِ إِلَيَّ، وَإِنَّ خَيْلَكَ أَخَذَتْنِي وَأَنَا أُرِيدُ الْعُمْرَةَ فَمَاذَا تَرَى؟، فَبَشَّرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَمَرَهُ أَنْ يَعْتَمِرَ، فَلَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ قَالَ لَهُ قَائِلٌ صَبَوْتَ قَالَ: لاَ، وَلَكِنْ أَسْلَمْتُ مَعَ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، وَلاَ وَاللَّهِ لاَ يَأْتِيكُمْ مِنَ الْيَمَامَةِ حَبَّةُ حِنْطَةٍ حَتَّى يَأْذَنَ فِيهَا النَّبِيُّ ﷺ"[1]. لقد كان لعفو النبي ﷺ عن هذا الأسير الذي استعد أن يدفع المال الكثير مقابل إطلاق سراحه، ولكنّ العفو عنه كان سبباً في إسلامه وتقوية لصف المسلمين، وموازرة للمسلمين أمام عدوهم، وغير ذلك مما أشار إلى بعضه الإمام ابن حجر-رحمه الله- حيث قال:"وفي قصة ثمامة من الفوائد: ربط الكافر في المسجد، والمن على الأسير الكافر، وتعظيم أمر العفو عن المسيء؛ لأن ثمامة أقسم أن بُغضه انقلب حباً في ساعة واحدة؛ لما أسداه النبي ﷺ إليه من العفو والمنّ بغير مقابل، وفيه أن الإحسان يزيل البغض ويثبّت الحُبّ، وفيه الملاطفة بمن يُرجى إسلامه من الأسارى إذا كان في ذلك مصلحة للإسلام ولاسيما من يتبعه على إسلامه العدد الكثير"[2]، وقد ذكر ابن هشام[3] أسماء بعض من كان تحريره من الأسرِ بفضل المنّ عليه من غير فداء، ومن ذلك بعد معركة بدر-وهي الصراع الأول[4] الأكبر والأوضح بعد الهجرة-، رغم ما فعله المشركون مع النبيﷺ وأصحابه-رضي الله عنهم-.

---

(1) متفق عليه: البخاري، الصحيح، كتاب: المغازي، باب: وَفْدِ بَنِي حَنِيفَةَ، رقم٤٣٧٢، ومسلم، الصحيح، كتاب الجهاد والسير، باب: ربط الأسير، وحبسه، وجواز المن عليه، رقم١٧٦٤.

(2) ابن حجر، فتح الباري، ٨٨/٨. وانظر: السرجاني، أخلاق الحروب في السنة النبوية، مبدأ العفو عن الأسرى، ص٢٩٩-٣٠٧.

(3) ابن هشام، السيرة النبوية، ٢١١/٣.

(4) لا يخفى أنّ هناك سرايا قبل ذلك.

إنَّ الرحمة[1] هي المنهج الأغلب في تعامل المسلمين مع غيرهم، حتى بعد حروب الآخرين للمسلمين، قال الله تعالى:﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ ﴾ [الإنسان: ٨]، وعَنْ قَتَادَةَ ، قَوْلُهُ : {وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا}. قَالَ : لَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ بِالأَسْرَاءِ أَنْ يُحْسَنَ إِلَيْهِمْ، وَإِنَّ أَسْرَاهُمْ يَوْمَئِذٍ لِأَهْلُ الشِّرْكِ[2].

فقد أصدر النبيﷺ أمره العام وتوجيهه الكبير في التعامل مع الأسرى، فيما رواه ابن هشام:"قال ابن إسحاق: إنَّ رسول الله ﷺ حين أقبل بالأسارى فرقهم بين أصحابه-رضي الله عنهم- وقالﷺ: " استوصوا بهم خيراً "[3]؛ فهو ﷺ يُقرِّرُ منهج الخير في التعامل مع جميع الناس حتى مع من كان يُقاتله قبل قليل، كما أرسى ﷺ مبادئ الرحمة والعطف في المجتمع، وحث على التعامل مع الناس[4] بهذا المنهج، فعن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قال رَسُولُ اللهِ ﷺ :" مَنْ لاَ يَرْحَمُ لاَ يُرْحَمُ[5]. وعن جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ« مَنْ لاَ يَرْحَمِ النَّاسَ لاَ يَرْحَمْهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ »[6].

٣- أباح الإسلام أنواعاً من العلاقات مع أهل الكتاب، ومنها في جانب المعاشرة والمخالطة أكل ذبائحهم[7]، و منها في الجانب الاجتماعي أجاز الزواج من الكتابية، فقال تعالى:﴿ ٱلْيَوْمَ

([1]) انظر: السرجاني، أخلاق الحروب، مبدأ حُسن المعاملة والرحمة، ص٣٠٨-٣١٧.

([2]) الطبري، جامع البيان، ٥٤٤/١٢.

([3]) ابن هشام، السيرة النبوية، ١٦٧/٢، والآية الكريمة تعضد هذا الأمر بحسن المعاملة مع الأسرى، وكذلك المبادئ والأصول العامة في الإسلام تأمر به وتحث عليه.

([4]) كل الناس، ولا يُستثنى من ذلك إلاّ في الضرورة، وفي حالات نادرة.

([5]) متفق عليه: البخاري، الصحيح، كتاب الأدب، باب: رَحْمَةِ الْوَلَدِ وَتَقْبِيلِهِ وَمُعَانَقَتِهِ، رقم٥٩٩٧، ومسلم، الصحيح، كتاب: الفضائل، باب: رَحْمَتِهِ ﷺ الصِّبْيَانَ وَالْعِيَالَ وَتَوَاضُعِهِ، وَفَضْلِ ذَلِكَ، رقم٢٣١٨

([6]) متفق عليه: البخاري، الصحيح، كتاب: التوحيد، باب: قَوْلِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى:{قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى}[الإسراء١١٠]، رقم٧٣٧٦، ومسلم، الصحيح، كتاب: الفضائل، باب: رَحْمَتِهِ ﷺ الصِّبْيَانَ وَالْعِيَالَ وَتَوَاضُعِهِ، وَفَضْلِ ذَلِكَ، رقم٢٣١٩، واللفظ له.

([7]) التي أحلها الله من المسلم.

﴿أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٥﴾﴾[المائدة٥]، قال الإمام القرطبي- رحمه الله-:"والطعام اسم لما يؤكل والذبائح منه، وهو هنا خاص بالذبائح عند كثير من أهل العلم بالتأويل، وأما ما حُرِّم علينا من طعامهم[1] فليس بداخل تحت عموم الخطاب، وإن كان النصراني يقول عند الذبح: "باسم المسيح"، واليهودي يقول :" باسم عزير"؛ وذلك لأنهم يذبحون على الملة، وأما المجوس فالعلماء مجمعون[2] - إلا من شذ منهم - على أن ذبائحهم لا تؤكل، ولا يتزوج منهم؛ لأنهم ليسوا أهل كتاب على المشهور عند العلماء. ولا بأس بأكل طعام من لا كتاب له كالمشركين وعبدة الأوثان[3] ما لم يكن من ذبائحهم ولم يحتج إلى ذكاة إلا الجبن، ولا بأس بالأكل والشرب والطبخ في آنية الكفار كلهم ما لم تكن ذهبا أو فضة أو جلد خنزير[4]،قوله تعالى:{ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ }: أي إذا اشتروا منا اللحم يحل لهم اللحم ويحل لنا الثمن المأخوذ منهم. قوله تعالى:{ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ }، روي عن ابن عباس في قوله تعالى: { وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ}: هو على العهد دون دار الحرب فيكون خاصا. وقال غيره : يجوز نكاح الذمية والحربية لعموم الآية. وروي عن ابن عباس أنه قال : {الْمُحْصَنَاتُ} العفيفات العاقلات. وقال الشعبي :" هو أن تحصن فرجها فلا تزني، وتغتسل من الجنابة. وقال مجاهد: { وَالْمُحْصَنَاتُ } الحرائر ؛ قال أبو عبيد : يذهب إلى أنه لا يحل

---

(1) كلحم الخنزير.

(2) لعل استخدام كلمة متفقون أولى وأدق من كلمة مجمعون.

(3) كالبوذيين.

(4) وهو مما حرّم في الإسلام حتى لو كان من المسلم.

نكاح إماء أهل الكتاب ؛ لقوله تعالى: { فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ } وهذا القول الذي عليه جلة العلماء"[1].

وفي كِتَابَ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ- رحمه الله- إِلَى واليه بِالْبَصْرَةِ:" أَمَّا بَعْدُ، فَضَعِ الْجِزْيَةَ عَلَى مَنْ أَطَاقَ حَمْلَهَا، وَخَلِّ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ عِمَارَةِ الأَرْضِ، فَإِنَّ فِي ذَلِكَ صَلاَحًا لِمَعَاشِ الْمُسْلِمِينَ وَقُوَّةً عَلَى عَدُوِّهِمْ، وَانْظُرْ مِنْ قِبَلِكَ مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ قَدْ كَبِرَتْ سِنُّهُ، وَضَعُفَتْ قُوَّتُهُ، وَوَلَّتْ عَنْهُ الْمَكَاسِبُ، فَأَجْرِ عَلَيْهِ مِنْ بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ مَا يُصْلِحُهُ ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ﷛ مَرَّ بِشَيْخٍ مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ يَسْأَلُ عَلَى أَبْوَابِ النَّاسِ، فَقَالَ:" مَا أَنْصَفْنَاكَ!، أَنْ كُنَّا أَخَذْنَا مِنْكَ الْجِزْيَةَ فِي شَبِيبَتِكَ ثُمَّ ضَيَّعْنَاكَ فِي كِبَرِكَ"، ثُمَّ أَجْرَى عَلَيْهِ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ مَا يُصْلِحُهُ"[2]

٤- **المعاملة بالمثل:** لقد أقرَّ المسلمون- بصورة عامَّة- مبدأ المعاملة[3]بالمثل، سواءً في ذلك مع غير المسلمين في الدولة الإسلامية؛ حيث تبادلوا معهم الزيارات والهدايا، والشراء والبيع، وكذلك مع الذين يدخلون إلى الدولة الإسلامية؛ وذلك بسن القوانين والأنظمة التي تتوافق مع معاملة تلك الدول مع الدولة الإسلامية-بما لا يتعارض مع الشريعة الإسلامية- ومن ذلك أخذ المسلمين للعشر من الحربي إذا دخل إلى الدولة الإسلامية.

وينقل الإمام أبو عبيد-رحمه الله تعالى- في أخذ الدولة الإسلامية للعشر من أموال الداخلين إليها أو من عُقد معه اتفاقية على ذلك فيقول: **عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُهَاجِرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ زِيَادَ بْنَ حُدَيْرٍ يَقُولُ:" أَنَا أَوَّلُ عَاشِرٍ عَشَرَ فِي الإِسْلاَمِ. قُلْتُ: مَنْ كُنْتُمْ تَعْشُرُونَ؟ قَالَ: مَا كُنَّا نَعْشُرُ مُسْلِمًا وَلاَ**

---

(١) القرطبي، الخزرجي، شمس الدين، الأنصاري، أبو عبد الله: محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح، ت ٦٧١ هـ، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة : ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٣ م، ٧٦/٦-٧٩، باختصار.

(٢) أبو عبيد، القاسم بن سلام، (ت : ٢٢٤هـ)، كتاب الأموال، المحقق : خليل محمد هراس، دار الفكر – بيروت، رقم١١٩، ص٥٧.

(٣) وهذا إضافة إلى المبادئ السامية الأخرى: ومنها الإحسان إلى الآخر ومن صوره تقديم الهدية.

مُعَاهَدًا، كُنَّا نَعْشُرُ نَصَارَى بَنِي تَغْلِبَ"،[1] وفي رواية: عَنْ عَبْدِالرَّحْمَنِ بْنِ مَعْقِلٍ، قَالَ: سَأَلْتُ زِيَادَ بْنَ حُدَيْرٍ: مَنْ كُنْتُمْ تَعْشُرُونَ ؟ قَالَ: مَا كُنَّا نَعْشُرُ مُسْلِمًا وَلاَ مُعَاهَدًا. قُلْتُ: فَمَنْ كُنْتُمْ تَعْشُرُونَ؟ قَالَ: تُجَّارَ الْحَرْبِ، كَمَا كَانُوا يَعْشُرُونَنَا إِذَا أَتَيْنَاهُمْ"[2].

إنَّ هذا النص التصريح بأنَّ هذه المعاملة سببها أنهم كانوا يأخذون هذه النسبة من المسلمين، فتعامل معهم المسلمون بالمثل إذا دخلوا إلى الدولة الإسلامية، وقال أبو عبيد:"وَكَانَ مَذْهَبَ[3] عُمَرَ﷛ فِيمَا وَضَعَ مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ يَأْخُذُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ الزَّكَاةَ، وَمِنْ أَهْلِ الْحَرْبِ الْعُشْرَ تَامًّا ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَأْخُذُونَ مِنْ تُجَّارِ الْمُسْلِمِينَ مِثْلَهُ إِذَا قَدِمُوا بِلاَدَهُمْ "[4].

إنَّ سن القوانين والأنظمة التي تتناسب مع مبدأ المعاملة بالمثل في ظل قوة الدولة الإسلامية؛ جعل الدول الأخرى تتأنَّى وتفكر جيداً قبل أن تسُن أي قانون؛ لأن الرد سيكون بالمثل فأين ذلك من حال دول المسلمين؛ وخاصة إذا نظرنا إلى التعامل مع الجاليات المسلمة في تلك الدول؟!.

ولا بُد من التأكيد أن معاملة التجار من أهل الذمة كانت كمعاملة المسلمين، فعن الشَّعْبِيِّ، عَنْ زِيَادِ بْنِ حُدَيْرٍ ، قَالَ : أَمَرَنِي عُمَرُ أَنْ آخُذَ مِنْ تُجَّارِ أَهْلِ الذِّمَّةِ مِثْلَ مَا آخُذُ مِنْ تُجَّارِ الْمُسْلِمِينَ"[5].

وقد يقع التفاوت في التعامل مع غير المسلمين ويكون ذلك من باب التعامل بالمثل، أو لوقوع الاتفاق بين الطرفين على ذلك، فَعَنْ زِيَادِ بْنِ حُدَيْرٍ،قَالَ:"أَمَرَنِي عُمَرُ﷛ أَنْ آخُذَ مِنْ نَصَارَى بَنِي تَغْلِبَ الْعُشْرَ، وَمِنْ نَصَارَى أَهْلَ الْكِتَابِ نِصْفَ الْعُشْرِ"[6].

---

(1) أبو عبيد، القاسم بن سلام، ت : ٢٢٤هـ، كتاب الأموال، المحقق: خليل محمد هراس، دار الفكر – بيروت، رقم١٦٣٥، ص٦٣٥.

(2) أبو عبيد، كتاب الأموال، رقم١٦٣٦، ص– ٦٣٥.

(3) أي سبب ذهاب عمر﷛ إلى ذلك المهج وتلك المعاملة.

(4) أبو عبيد، كتاب الأموال، ص٦٣٨.

(5) المرجع السابق، رقم١٦٥٩ ص٦٤٠.

(6) المرجع السابق، رقم١٦٦٠، ص٦٤٠.

وعَنِ ابْنِ السَّائِبِ بْنِ يَزِيدَ ، قَالَ :" كُنْتُ عَامِلًا عَلَى سُوقِ الْمَدِينَةِ فِي زَمَنِ عُمَرَ رضي الله عنه قَالَ:" فَكُنَّا نَأْخُذُ مِنَ النَّبَطِ[1] الْعُشْرَ"[2].

إنَّ للذمي حرمة وكذلك للمعاهد فلا يعتدى عليه ولا يُغتصب ماله ولا يُروَّع، قال الإمام البخاري-رحمه الله-:" باب إثم من قتل ذميا بغير جرم"، ثم ذكر الحديث الآتي[3].

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:" مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا"[4]. قال الإمام ابن حجر:"والمراد به من له عهد مع المسلمين سواء كان بعقد جزية، أو هدنة من سلطان، أو أمان من مسلم"[5].

إنَّ التعامل مع غير المسلمين في الدولة الإسلامية أو في دول المسلمين بأنَّ لهم ذمة وعهداً، وكذلك مع الدول التي بينها وبين دول المسلمين اتفاقات وعهوداً، يوجب على المسلمين الالتزام بذلك، وعدم الاعتداء؛ سواء في دول المسلمين، أو إذا دخل المسلمون تلك الدول؛ لأنَّ الانضباط بذلك يُجنب المسلمين الفوضى، وكذلك يُجنبهم رد الفعل الذي غالباً ما يكون أقوى وأقسى في ظل ضعف دول المسلمين.

وهكذا فالانضباط في حياة المسلم يشمل ميادين الحياة كلها؛ فهو ينطلق من العقيدة الإسلامية ليحقق أهم معاني التعبد لله تعالى، ثم يبدأ بالشعائر التعبدية وفي مقدمتها الصلاة؛ ليضبط

---

(1) قال العسيري:"مملكة الانباط (٤٠٠ ق. م – ١٠٥ م)، وهم قبائل بدوية. استقروا جنوب سوريا، وامتدت مملكتهم من غزة شمالاً حتى العقبة جنوباً، فاتخذت موقعاً هاماً في طريق التجارة بين الشمال والجنوب. وكان لها إتاوة على التجارة الصاعدة والهابطة. وعاصمة الانباط مدينة (البتراء). العسيري، أحمد معمور، موجز التاريخ الإسلامي منذ عهد آدم عليه السلام (تاريخ ما قبل الإسلام) إلى عصرنا الحاضر ١٤١٧ هـ/٩٦م، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٦ م، ص٤٤.

(2) أبو عبيد، كتاب الأموال، رقم١٦٦١، ص٦٤٠.

(3) البخاري، الصحيح، كتاب: الديات، باب: إثم من قتل ذمياً بغير جُرم رقم٦٩١٤.

(4) رواه البخاري، الصحيح، كتاب: الجزية والموادعة، باب: إثم من قتل معاهدا بغير جرم، رقم٣١٦٦.

(5) ابن حجر، فتح الباري، ٢٥٩/١٢، عند شرحه حديث رقم٦٩١٤.

علاقة المسلم بربه تبارك وتعالى، ثم يرتب علاقاته مع إخوانه المسلمين ومع بني جنسه؛ فيظهر الإنسجام والتوافق والتعاضد في جميع تشريعات الإسلام وأحكامه.

الخاتمة

وقد خلص الباحث إلى جملة من النتائج يُمكن إجمالها فيما يأتي

١- إنّ السنة النبوية والسيرة العطرة تدعو المسلم إلى تحقيق مبدأ الانضباط في حياته وذلك من خلال: الاجتهاد بالتقيد التام بالالتزام بتنفيذ الأوامر الشرعية بشمولها، وتطبيقها بصورة متقنة ومحكمة، ونبذ الفوضى والعشوائية من حياته؛ بإظهار النظام والترتيب في الأداء على الوجه المطلوب وضمن الوقت المحدد؛ تحقيقاً للأهداف المقصودة.

٢- إنّ الانضباط يُعلم المسلم فقه الأولويات؛ بتقديم الأهم على المهم، ووضع الشيء في موضعه المناسب، وإعطائه قدره الذي يستحقه من الاهتمام والجهد من غير إفراط ولا تفريط، وأن يتعامل في شئونه كلها باتزان واعتدال وحكمة.

٣- تظهر أهمية الانضباط من خلال: توفير الوقت والجهد، وتحقيق الطُمأنينة، والسعي نحو تحقيق الإتقان والإحكام للأعمال جميعها، والسعي المستمر نحو زيادة التقدم والرقي في المجتمع.

٤- إنّ الانضباط يقوم على أسس ودعامات هامة تتمحور حول: الانضباط بالوقت، وبطريقة العمل المطلوبة والمناسبة، وفي بذل أقصى الجهد لتحقيق أفضل النتائج والأهداف.

٥- إنّ وسائل إيجاد الانضباط وتقويته متعددة وأهمها: إيجاد البيئة التربوية التعليمية، وسن القوانين الناظمة لذلك، والتدريب المستمر، ومواءمة العمل مع العاملين، وعقد الاختبارات المناسبة.

٦- إنّ مجالات الانضباط في ضوء السنة النبوية شاملة، ولها صور متعددة، فهي تنطلق

من العقيدة والفكر، وتبدأ بصورة عملية في الشعائر التعبدية المخصوصة؛ وأولها وأهمها الصلاة؛ حيث يتربى المسلم على النظام والدقة في حُسن الأداء، من خلال الالتزام بوقتها وكيفيتها، كما يحرص على أدائها مع الإمام متقيداً ومتابعاً له في الأداء بصورة دقيقة ومنظمة، بحيث تنعكس آثارها على سلوكه ومعاملاته عامة.

٧- إنّ الانضباطَ الاجتماعي في ضوء الإسلام يُعلِّم المُسلم احترام الأعراف والعادات والتقاليد الصحيحة، ويُسهِّلُ عليه الالتزام بأحكام الإسلام؛ في مجتمع متجانس متماسك متحاب، فهو يلتزم به في جميع شئونه وأهمها في جانبي الأفراح والأحزان؛ فلا تخرجه العاطفة والانفعال عن اتزانه، بل يعلم أنّ هناك فسحة مناسبة في الإسلام للتعبير عن شُعوره وأحاسيسه ومشاعره.

٨- إنّ النظامَ الاقتصادي في الإسلام مبني على اليسر والسهولة، والحث على العمل والكسب، وتحقيق الإنتاج المثمر، والبناء المستمر، واستثمار الطاقات وتفعيلها، ومراعاة الفطرة البشرية في إقرار التملك الفردي والمشترك والجماعي باتزان واعتدال.

٩- إنّ صور الجهاد في الإسلام شاملة للنفس والمال واللسان، ولها أهدافها وغايتها السامية النبيلة، وإنّ الدينَ والعرض والوطن لا بُدَّ له من قوة تحميه، وفق مبادئ الرحمة والعدل والسماحة والإنسانية.

١٠- إنّ الصور المشرقة في تعامل المسلم مع الآخر واضحة عبر تاريخ الدولة الإسلامية من خلال الحوار المثمر، واللقاءات والزيارات، إضافة إلى العلاقات الاجتماعية بالزواج من أهل الكتاب، والتبادل التجاري البنّاء معهم بالبيع والشراء، وغير ذلك مما قد أثمر وحقق علاقات إنسانية راقية.

١١- إنَّ الدعوة إلى الله عزَّ وجل بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن هي الهدف والمقصد والعنوان الأبرز في علاقة المسلم مع غيره، مع الاستشعار التام أن الاختلاف قضية بشرية كائنة لا محالة، من غير إكراه ولا إجبار للآخر على قبول الحق.

١٢- إنَّ تقيد المسلمين بالتشريعات والقوانين الناظمة للعلاقات بين المسلمين مع بعضهم ومع غيرهم، يحفظ للدولة الإسلامية سيادتها، ويبعد الأمة والمواطنين عن الفوضى والخلافات والصدامات، وكذلك يبعد الأُمة عن الانشغال بأحداث وأُمور لا فائدة منها.

أهم التوصيات

في نهاية هذه الدراسة يوصي الباحث إخوانه المسلمين بالحرص على التقيد بتنفيذ الأوامر الشرعية بدقة متناهية وفي كل ميدان، والسعي الحثيث لإظهار النظام والترتيب والتنسيق في السلوك والمعاملات وفي سائر الشئون، ونبذ مختلف أشكال الفوضى والعشوائية، وذلك من خلال ما يأتي:

١- السعي الحثيث لتقديم صورة حقيقية ومشرقة تُعبّر عن الالتزام بالإسلام واستشعار أنَّ ذلك أمانة تتحمل مسئوليتها الأمة الإسلامية ويتقدمها العلماء والدعاة إلى الله تعالى، بصفتهم الطليعة الأولى للأُمة الإسلامية، ويشمل ذلك المسلمين في بلادهم، كما يشمل الجاليات المسلمة في البلاد الأُخرى.

٢- الواجب على الجاليات المسلمة أن تُوحّد صفها وكلمتها، وتُحسن التخطيط لإيجاد كيان محترم لها بنبذ ألوان الفوضى والعشوائية، والسعي لإسماع كلمتها بحكمة وروية، وتفعيل المراكز والمساجد والمدارس، والعلاقات الاجتماعية والاقتصادية، كما يجب عليها أن ترتبط بالعلماء والدعاة، وتحافظ على الصلة المتواصلة مع وطنها وعالمها الإسلامي.

٣- وجوب استخدام وتفعيل الإعلام المرئي والمسموع والمقروء بصورة مناسبة ومُعبِّرة عن الالتزام بالإسلام، وأن يقوم عليه العلماء وأصحاب الكفاءات بالتوجيه بصورة إيجابية.

٤- الحرص على التفاعل الشرعي الحكيم مع الأحداث التي تتعلق بالمسلمين في كل مكان، ومناصرتهم بمختلف الوسائل وشتى الأساليب.

٥- ضرورة إرسال العلماء والدعاة والسفراء والمسئولين الحكماء إلى الدول التي يقع فيها خلافات ومواقف مناهضة للإسلام لتصويب الأخطاء بصور وأساليب متزنة وحكيمة.

٦- العمل على إيجاد الكفاءات المتنوعة والشاملة لمختلف التخصصات والمهن، وضرورة تفعيلها وفتح المجال لها لتتبوأ مقعدها في قيادة وتوجيه الأمة؛ للوصول إلى أفضل وأرقى النتائج في تقدم المجتمع وازدهاره. والسعي نحو التخلُّص من عناصر الضعف والهوان؛ والتي بسببها تسلَّط الأعداء على الأمة.

٧- وجوب اهتمام المسلمين بالقوة العسكرية المنضبطة، للدفاع عن أراضي المسلمين، وحماية حرماتهم.

فهرس الآيات الكريمة مرتبة حسب ترتيب السور الكريمة

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾	آل عمران: ١٠٤	٢٤٠
﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾	آل عمران: ١٢١	١٩٨
﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾	آل عمران: ١٣٥	٢٣١
﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾	آل عمران: ١٥٩	٣١
﴿لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ	النساء: ٢٩	١٧٠
﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي	النساء: ٩٧	٢٥٩
﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾	النساء: ١٠٣	١١٨/٤٧/١٨
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾	المائدة: ١	٢٦٠
﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ﴾	المائدة: ٣	٨٣
﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ	المائدة: ٥	٢٦٦
﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾	المائدة: ٥٠	٨٧
﴿فَاجْتَنِبُوهُ (٩٠)﴾	المائدة: ٩٠	١٠٩
﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن	المائدة: ١١٦-١١٧	١١٢
﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا	الأعراف: ٣١	١٢٤
﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ	الأعراف: ٣٢	١٦٦
﴿قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ	الأعراف: ١٨٨	١٥٣
﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا	الأنفال: ٣٦	٦٦

﴿إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾	الأنفال:٤٢	١٩٦
﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ﴾	الأنفال: ٦٠ – ٦١	٢٤٥/١٩٠
﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾	الأنفال ٦٣	٣٧
﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ﴾	التوبة: ٦	٢٤٨
﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ﴾	التوبة: ٨	٢٢٨/٢٢٣
﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللَّهِ﴾	التوبة:١٢	٤٥
﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ﴾	التوبة: ١٨	١٢٧
﴿وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾	التوبة: ٤١	١٩٠
﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ﴾	التوبة: ٤٦	٢٢٨
﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ﴾	التوبة: ٤٧	٢٢٨
﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ﴾	التوبة: ٥٠	٢٢٧
﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾	التوبة: ٦٤-٦٦	٢٢٩
﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ﴾	التوبة:٨٠	٢٢٤
﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾	التوبة: ٨٤	٢٢٩/٢٢٤
﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللَّهِ﴾ .	التوبة ١٢٠	١٩١
﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾	التوبة : ١٢٨	٥٧
﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ﴾	يونس: ٩٩	١١٥/١٨٧

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾	هود:٢٥-٢٦	١٠١
﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾	هود: ٥٠	١٠١
﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾	هود:٦١	١١٣/١٠١
﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾	هود ٨٤	١١٣
﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ﴾	هود: ٨٧	١٤٠
﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾	الحجر: ٩٤	٦٨
﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ﴾	النحل: ١٢٥	٢٤٧/٢١٥
﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾	الإسراء: ٣٤	٢٦٠
﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا﴾	مريم: ١٦	١١١
﴿طه (١) مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ﴾	طه: ١-٢	٣٥
﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ (١٢٣)﴾	طه ١٢٣ - ١٢٤	٣٥
﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا﴾	الأنبياء: ٢٥	١٠٠
﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾	الأنبياء: ١٠٧	٢٢٠/١٦٠/١٩
﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ﴾	الأنبياء: ١١٠	٢٢١
﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَىٰ وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ﴾	الحج: ١٧	٢٥٠
﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا﴾	الحج: ٤١	٢٤٢
﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١)﴾	المؤمنون:١	١٠٤

﴿إن الذين جاءو بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم	النور: ١١	٦٦
﴿وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام	الفرقان ٢٠	١٧٢
﴿والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما﴾	الفرقان: ٦٧	٣٣
﴿قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله﴾	النمل: ٦٥	١٥٣
﴿قالت إحداهما يأبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين	القصص:٢٦	٣١
﴿ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما	العنكبوت: ١٤	١٠١
﴿وأقم الصلوة إن الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر﴾	العنكبوت: ٤٥	١٤٠
﴿ومن ءاياته أن خلق لكم من أنفسكم أزوجا لتسكنوا إليها وجعل	الروم: ٢١	١٥٤
﴿فأقم وجهك للدين حنيفا فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل	الروم: ٣٠	١١٠
﴿ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السموات وما في الأرض وأسبغ عليكم نعمه﴾	لقمان: ٢٠	١٦٤
﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم﴾	الأحزاب: ٦	٩٤
﴿إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصر	الأحزاب: ١٠-١٢	٢٠٧
﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر	الأحزاب: ٢١	١١١
﴿وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق	الأحزاب: ٣٧	١٥٦
﴿وكان الله على كل شيء رقيبا﴾	الأحزاب٥٢	١٨
﴿وما أرسلنك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا	سبأ: ٢٨	٢٤٠
﴿والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم	يس: ٣٨-٤٠	١٤

الآية	السورة ورقم الآية	الصفحة
﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ	الزمر: ٢-٣	٢١٨
﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ ﴾	غافر: ٢٨	٦٥
ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا	فصلت ١١	١٤
﴿ لِّلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ	الشورى: ٤٩-٥٠	٩٠
﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ (٣٨) مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا	الدخان: ٣٨-٣٩	١٦
﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ	الأحقاف: ١٥	٥٢
﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا (١) ﴾	الفتح: ١	٢٤٥
﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (٤) ﴾	النجم: ٣-٤	١١١
﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾	النجم: ٣٩	١٢٩
﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ	الحجرات: ١٣	٢٣٨
﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾	ق: ١٨	١١٢/١٨
﴿ لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ	الممتحنة: ٨	٢٣٨
﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ	الصف: ٤	١٩٨
﴿ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾	الجمعة: ٩	١٢٩
فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ	الجمعة: ١٠	١٧٢/١٧٠
﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ	المنافقون: ٤	٢٢٧
﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا ﴾	التغابن: ١٦	٥٥

الآية	الموضع	الصفحة
﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾	الملك: ١٤	٨٧
﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾	القلم: ٤	٢٢٢
﴿ وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴾	القلم: ٩	٦٦
﴿ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾	نوح: ٢٣	١٠١
﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ﴾	الجن: ٢٦	١٥٣
﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾	الإنسان: ٨	٢٦٣
﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ ﴾	الشرح: ٧	٥٠
﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ﴾	البينة: ٥	٢١٨

فهرس الأحاديث والآثار مرتبة حسب الحروف الهجائية

إِنَّكُمْ تَحْتَكِمُونَ إِلَيَّ، وَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ	٢٢١
إنَّما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى"	٢١٨/١٧
إنما أنا مثلكم وإنّي لا أدري لعلكم ستكلفونني ما كان رسول الله ﷺ يطيق	٥٨
إِنَّمَا جُعِلَ الإِمَامُ لِيُؤْتَمَّ بِهِ	١٣٩
إِنَّمَا خَيَّرَنِي اللَّهُ تعالى	٢٢٢
إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ أَوَّلِ صَدْمَةٍ	١٦٤
إنّما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار	٨٣
إنّه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار	٨٠
إنّه لا يحل لمؤمن أقر بما في هذه الصحيفة وآمن بالله واليوم الآخر أن	٨٢
إنهم أمة واحدة من دون الناس المسلمين من قريش ويثرب	٨٠
إنّه لا تُجار قريش ولا من نصرها	٨١
إني والله ما آمن يهود على كتاب	٥٨
إني أرغب لك من المال رغبة صالحة	١٦٨
إِنِّي سَائِلُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَهَلْ أَنْتُمْ صَادِقِيَّ عَنْهُ	٢٤٥
إِنِّي وَاللَّهِ- إِنْ شَاءَ اللَّهُ- لاَ أَحْلِفُ عَلَى يَمِينٍ، فَأَرَى غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا،	١٨٢
إني لأعطي الرجل وغيرُه أحبّ إلي منه، مخافة أن يَكُبَّه الله على وجهه	٢٢٣
إِنِّي مُوصِيكَ بِوَصِيَّةٍ إِنْ حَفِظْتَهَا	٤٧
إنّي والله ما آمن يهود على كتاب	٥٨
إنّ بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم	٨٢
إنّ بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة	٨١
إنّ سلم المؤمنين واحدة	٨١

إنّ على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم	٨٢
أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ﷺ خَرَجَ إِلَى الشَّامِ حَتَّى إِذَا كَانَ بِسَرْغَ	١٥٨
إِنَّ اللَّهَ تعالى قَالَ: إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدِي بِحَبِيبَتَيْهِ فَصَبَرَ عَوَّضْتُهُ	١٦٠
إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ	١٢٤
إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ	١٣٥
إنّ الله تعالى يحب من العامل إذا عمل أن يُحسن	٤٣
"إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها وإنّها مثل المسلم فحدثوني	٩٤
إِنَّ مِنْ أَشَرِّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ	١٥٥
إِنَّ مِنْ أَمَنِّ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبَا بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا	١٦٨
إِنَّ الْمُتَبَايِعَيْنِ بِالْخِيَارِ فِي بَيْعِهِمَا مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا ، أَوْ يَكُونُ الْبَيْعُ خِيَارًا	١٧٨
إنّ المؤمنين لا يتركون مفرحاً بينهم أن يعطوه بالمعروف في فداء	٨٢
أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ اشْتَرَى طَعَامًا مِنْ يَهُودِيٍّ	١٧٧
أن نبي الله ﷺ أراد أن يكتب إلى رهط أو أناس من الأعاجم	٩٣
إِنَّ نَبِيَّ اللهِ دَاوُدَ – عَلَيْهِ الصلاة السَّلَامُ – كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ	١٧٧
إنّ اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين	٨٢
أَوْلِمْ وَلَوْ بِشَاةٍ	١٧٠
الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ	١٠٣
أين رسول الله ﷺ؟ قالت: فإنه في دار الأرقم	٦٨
أَيْنَ تُحِبُّ أَنْ أُصَلِّيَ مِنْ بَيْتِكَ	٢٣٠
بادروا بالأعمال	٢٤

فَأَنْكَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَتْلَ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ	١٩٥
فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ :" لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ	٢٣٢
فَإِنَّهَا أَلْهَتْنِي آنِفًا عَنْ صَلاَتِي	١٢٤
فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه، ومانعوه ممن خالفه	٧٩
فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي بِسُوقِ الْمَدِينَةِ إِذَا نَبَطِيٌّ مِنْ أَنْبَاطِ أَهْلِ الشَّامِ	٢١٣
فَجَلَّى ﷺ لِلْمُسْلِمِينَ أَمْرَهُمْ لِيَتَأَهَّبُوا أُهْبَةَ غَزْوِهِمْ فَأَخْبَرَهُمْ بِوَجْهِهِ الَّذِي	٢٠٨
فَصَلَّى عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ	٢٢٣
فَطَفِقْتُ أَغْدُو لِكَيْ أَتَجَهَّزَ مَعَهُمْ فَأَرْجِعُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا فَأَقُولُ فِي نَفْسِي أَنَا	٢١١
فقام ﷺ فخرج، فلم يكلم أحداً منهم كلمة حتى فعل ذلك: نحر بدنته	١٩٦
فَمَا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَتَغَيَّبَ إِلاَّ ظَنَّ أَنْ سَيَخْفَى لَهُ مَا لَمْ يَنْزِلْ فِيهِ وَحْيُ اللهِ	٢١٠
فَمَا سُقْتَ » قَالَ: وَزْنَ نَوَاةٍ مِنْ ذَهَبٍ . قَالَ ﷺ :« أَوْلِمْ وَلَوْ بِشَاةٍ»	١٥٤
فهل أحصنت". قال:" نعم" فقال النبي ﷺ: "اذهبوا به فارجموه	٨٤
فو الله، لا أزال أجاهد على الذي بعثني الله به حتى يظهره الله أو تنفرد	٦١
قَالَ حَاطِبٌ: وَاللَّهِ مَا بِي أَنْ لاَ أَكُونَ مُؤْمِنًا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﷺ، أَرَدْتُ أَنْ	٢٣٣
قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى:" أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنْ الشِّرْكِ	٢١٨
قَدِمَ عَبْدُالرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ ﷺ فَآخَى النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَهُ وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ	١٧٠
قَدِمَتْ عَلَيَّ أُمِّي وَهِيَ مُشْرِكَةٌ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَاسْتَفْتَيْتُ	٢٣٩
قَدْ أَجَرْنَا مَنْ أَجَرْتِ يَا أُمَّ هَانِئٍ	٢٤٨
قَدْ، قَدْ " حَتَّى هَبَطَ رَسُولُ اللهِ ﷺ	٢٣٢
قد كان من قبلكم؛ يؤخذ الرجل فيُحفر له في الأرض	٧٨
كَانَ أَوَّلَ مَنْ أَظْهَرَ إِسْلاَمَهُ سَبْعَةٌ	١٨٦
كان رجال يطوفون بالبيت عراة، فأمرهم الله بالزينة	١٢٤

كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَمْسَحُ مَنَاكِبَنَا فِى الصَّلاَةِ	١٣٨
كان رسول الله ﷺ بعث الى الملوك رسلاً من أصحابه-رضي الله عنهم-	٢٤٤
كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُسَوِّي صُفُوفَنَا، حَتَّى كَأَنَّمَا يُسَوِّي بِهَا الْقِدَاحَ	١٣٨
كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَمْسَحُ مَنَاكِبَنَا فِى الصَّلاَةِ	١٣٨
كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَمَّرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ أَوْ سَرِيَّةٍ أَوْصَاهُ فِى خَاصَّتِهِ	١٩٢
كَانَ الرَّجُلُ مِنَّا إِذَا تَعَلَّمَ عَشْرَ آيَاتٍ، لَمْ يُجَاوِزْهُنَّ حَتَّى يعرف مَعَانِيهِنَّ	١٠٩
كَانَ عَبْدُ اللهِ يَأْتِي الدَّعْوَةَ فِي الْعُرْسِ وَغَيْرِ الْعُرْسِ وَهُوَ صَائِمٌ	١٥٤
كَانَ غُلاَمٌ يَهُودِيٌّ يَخْدُمُ النَّبِيَّ ﷺ، فَمَرِضَ فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ يَعُودُهُ	١٦١
كَانَ ﷺ إِذَا بَعَثَ سَرِيَّةً أَوْ جَيْشًا بَعَثَهُمْ فِى أَوَّلِ النَّهَارِ	٢٢
كَانَ عَبْدُ اللهِ يَأْتِي الدَّعْوَةَ فِي الْعُرْسِ وَغَيْرِ الْعُرْسِ وَهُوَ صَائِمٌ	١٥٤
كَانَ غُلاَمٌ يَهُودِيٌّ يَخْدُمُ النَّبِيَّ ﷺ، فَمَرِضَ فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ يَعُودُهُ	١٦١
كان النبي ﷺ يذكر الله على كل أحيانه	٥١
كخ كخ، ارم بها أما علمت أنا لا نأكل الصدقة	١٧٦
كَذَبْتُمْ، بَلْ أَبُوكُمْ فُلاَنٌ	٢٤٥
كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ	١١٠
كُنَّا نَتَكَلَّمُ فِى الصَّلاَةِ يُكَلِّمُ الرَّجُلُ صَاحِبَهُ وَهُوَ إِلَى جَنْبِهِ فِى الصَّلاَةِ حَتَّى	١٣٣
كُنَّا نُسَلِّمُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ فِى الصَّلاَةِ فَيَرُدُّ عَلَيْنَا فَلَمَّا	١٣٣
كنا ننادي، أنه لا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة	٢٢١
كُنْتُ عَامِلًا عَلَى سُوقِ الْمَدِينَةِ فِي زَمَنِ عُمَرَ رضي الله عنه	٢٦٩
كُنْتُ مَعَ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنه فَلَقِيَهُ عُثْمَانُ رضي الله عنه بِمِنًى	١٤٩
كَلاَّ، إِنِّى رَأَيْتُهُ فِى النَّارِ فِى بُرْدَةٍ غَلَّهَا أَو عَبَاءَةٍ	٢٢٢

الحديث	الصفحة
كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته	٤٢
كَيْفَ أَنْتَ إِذَا كَانَتْ عَلَيْكَ أُمَرَاءُ يُؤَخِّرُونَ الصَّلاَةَ عَنْ وَقْتِهَا	١٢٠
لأعطين الراية غدًا رجلًا يفتح على يديه يحب الله ورسوله	٢٤٢/١٨٨/٥٢
لأَنْ يَحْتَطِبَ أَحَدُكُمْ حُزْمَةً عَلَى ظَهْرِهِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ أَحَدًا فَيُعْطِيَهُ، أَوْ	١٧٨
لا، إِنِّي رَأَيْتُهُ فِي النَّارِ فِي بُرْدَةٍ غَلَّهَا	٢٢١
لاَ تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ، وَسَلُوا اللَّهَ الْعَافِيَةَ	١٩٤
لا تدعوني قريش اليوم إلى خطة يسألونني فيها صلة الرحم إلاّ أعطيتهم	٦٤
لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ	١٩١
لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل:	٢١
لا تشربوا من مائها شيئاً، ولا تتوضئوا منه للصلاة	٢٠٣
لاَ تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ؛ فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا	١١١
لاَ تَقُلْ ذَلِكَ أَلاَ تَرَاهُ قَدْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ يُرِيدُ بِذَلِكَ وَجْهَ الله	٢٣١
لا سَبَقَ إلا في خف أو في حافر أو نصل	٩٠
لاَ صَلاَةَ بِحَضْرَةِ الطَّعَامِ وَلاَ وَهُوَ يُدَافِعُهُ الأَخْبَثَانِ	١٣٠
لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ	٣٦
لا يخرجن أحدٌ منكم الليلة إلا ومعه صاحب له	٢٠٢
لاَ يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّهُ كَانَ يَقْتُلُ أَصْحَابَه	٢٢٤
لاَ يَحِلُّ لامْرَأَةٍ تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أَنْ تُحِدَّ عَلَى مَيِّتٍ فَوْقَ ثَلاَثٍ إِلاَّ	٤٨
لاَ يَقْبَلُ اللَّهُ صَلاَةَ أَحَدِكُمْ إِذَا أَحْدَثَ حَتَّى يَتَوَضَّأَ	١٢٥
لا ينبغي لنبي يلبس لأمته فيضعها حتى يحكم الله	٣١
لقد رأيت رسول الله ﷺ يوما على باب حجرتي والحبشة يلعبون	٨٩
الله أكبر ابشروا يا معشر المسلمين	٢٠٧

هُوَ اخْتِلاَسٌ يَخْتَلِسُ الشَّيْطَانُ مِنْ صَلاَةِ أَحَدِكُم	١٣٧
والَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ، إِنَّهُ لَعَهْدُ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ ﷺ إِلَيَّ	٢٣٠
والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيُقتل صابراً محتسبًا مقبلا	٢٥
والذي نفسي بيده، لا يسألونني خطة يُعظِّمون فيها حُرمات الله إلا	٢٤٣/٦٤
والله الذي لا إله غيره، ما أُنزلت سورة من كتاب الله إلا أنا أعلم	٢٩
وَاللَّهِ لأُقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلاَةِ وَالزَّكَاةِ؛ فَإِنَّ	١٨٠
والله لقد أخذت من فِيِّ رسول الله ﷺ بضعاً وسبعين سورة	٢٩
وكان له سراج يكتب عليه حوائجه، وسراج لبيت المال	٣٤
ولو نزل أول شيء: لا تشربوا الخمر، لقالوا لا ندعها	٨٣
وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي التَّهْجِيرِ لاَسْتَبَقُوا إِلَيْهِ	١٢٣
يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لاَ يُبَالِي الْمَرْءُ مَا أَخَذَ مِنْهُ أَمِنَ الْحَلاَلِ أَمْ مِنَ	١٧٦
يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، اذْهَبْ فَنَادِ فِي النَّاسِ، إِنَّهُ لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلاَّ الْمُؤْمِنُونَ	٢٢١
يا أبا ذر، أتدري أين تغرب الشمس	١٥
يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنَّكَ ضَعِيفٌ، وَإِنَّهَا أَمَانَةٌ، وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ، إِلَّا	١٧٤/٢٩
يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنِّي أَرَاكَ ضَعِيفًا، وَإِنِّي أُحِبُّ لَكَ مَا أُحِبُّ لِنَفْسِي	٣٠
يا أيها الناس، قولوا: لا إله إلا الله تُفلحوا	١٠٢
يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا ضَلَّ مَنْ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ	٨٥
يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ	١٤٩
يَا رَسُولَ اللهِ، قَدْ أَنْكَرْتُ بَصَرِي، وَأَنَا أُصَلِّي لِقَوْمِي	٢٣١
يَا عَمَّارُ، هَلْ عَرَفْتَ الْقَوْمَ	٢٣٣
يا عمرو، نعم المال الصالح للمرء الصالح	١٦٩

يَا مُعَاذُ، أَفَتَّانٌ أَنْتَ -- ثَلَاثًا – اقْرَأْ {وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا}	٢٣١
الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ	١٦٨
يُحَدِّثُ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ﷺ حِينَ تَأَيَّمَتْ حَفْصَةُ بِنْتُ عُمَرَ	١٥١
الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ	١٦٩
اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين	٨١

قائمة المصادر والمراجع

1. ابن الأثير الجزري، مجد الدين، أبو السعادات، المبارك بن محمد، ت٦٠٦هـ، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، خرّج أحاديثه وعلّق عليه: أبوعبدالرحمن صلاح بن محمد بن عويضة، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى١٤١٨هـ/١٩٩٧م.
2. أحمد عبد العظيم محمد، **أصول الفكر الإداري في الإسلام**، مكتبة وهبة، مصر، الطبعة الأولى،١٤١٤هـ/١٩٩٤م.
3. الأسمر، الدكتور أحمد رجب، **النبي المربي ﷺ**، دار الفرقان، الأردن، عمان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.
4. الأشقر، أ. د عمر سليمان عبدالله، **العقيدة في الله**، دار النفائس، الأردن-عمان، الطبعة الخامسة عشر، ١٤٢٣ هـ/٢٠٠٤م.
5. الألباني، محمد ناصر الدين،١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، **صحيح الجامع الصغير وزيادته**، أشرف على طبعه زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
6. الألباني، **سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها**، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض- المملكة العربية السعودية، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.
7. أنيس، الدكتور إبراهيم، ورفاقه وهم: الدكتور عبدالحليم منتصر، وعطية الصوالحي، ومحمد خلف الله أحمد، أشرف على الطبع: حسن علي عطية، ومحمد شوقي أمين، وقدم له: إبراهيم مصطفى وأحمد الزيات وحامد عبد القادر و محمد النجار، **المعجم الوسيط**.
8. البخاري، أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة، ت ٢٥٦هـ،[الصحيح]، وهو: **الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله ﷺ وسننه وأيامه**، دار الشعب، مصر - القاهرة، الطبعة: الأولى ، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

٩. البطوش، الدكتور يحيى بشير حامد، **التخطيط في السنة النبوية**، رسالة دكتوراه، نوقشت في جامعة اليرموك، الأردن-إربد، أشرف عليها: الأستاذ الدكتور محمد العمري، وطبعت في المملكة الأردنية الهاشمية-عمان، الطبعة الأولى ٢٠٠٩م.

١٠. البغا، الدكتور مصطفى ديب، **نظام الإسلام في العقدة والأخلاق والتشريع**، دار الفكر، دمشق- سورية، ودار الفكر المعاصر، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى،١٩٩٧م، الإعادة الأولى١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

١١. البهي، الدكتور محمد، **الإسلام في حياة المسلم**، مكتبة وهبة، مصر- القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م،

١٢. البهي، الدكتور محمد، **الفكر الإسلامي والمجتمع المعاصر مشكلات الأسرة والتكافل**، مكتبة وهبة، مصر - القاهرة، الطبعة الثالثة ١٤٠٢هـ /١٩٨٢م.

١٣. البيهقي، الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر أحمد بن الحسين أبو بكر ٤٥٨هـ، **الأسماء والصفات**، مكتبة السوادي – جدة الطبعة : الأولى، دت.

١٤. البيهقي، **السنن الكبرى**، تحقيق: محمد عبد القادر عطا مكتبة دار الباز- مكة المكرمة، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م.

١٥. البيهقي، **شعب الإيمان**، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبدالعلي عبدالحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي – الهند، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٣م.

١٦. الترمذي، السلمي، أبو عيسى، محمد بن عيسى، ت٢٧٩هـ، [السنن]، وهو **الجامع المختصر عن رسول الله ﷺ في معرفة الصحيح والمعلول وما عليه العمل**، دار إحياء

التراث العربي- بيروت، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، الأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها.

١٧. الترمذي، **الشمائل المحمدية**، تحقيق وتعليق: سيد عمران، دار الحديث- القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

١٨. ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام،٦٧١-٧٢٨هـ، **الاستقامة**، تحقيق: أحمد جاد، دار الحديث، القاهرة-مصر، الطبعة الأولى،١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

١٩. جبر، دندل، **دار الإسلام- البلاد الإسلامية- دار السلم والأمان- دار العهد-المستأمنون- المعاهدات**، دار عمار، الطبعة الأولى،١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

٢٠. ابن الجوزي، أبو الفرج، عبدالرحمن بن علي بن محمد، **زاد المسير في علم التفسير**، المكتب الإسلامي، لبنان – بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤هـ.

٢١. ابن الجوزي، **صفة الصفوة**، دار المعرفة- بيروت، الطبعة الثانية ، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م، تحقيق: محمود فاخوري، والدكتور محمد رواس قلعه جي.

٢٢. الحاكم النيسابوري، أبو عبد الله، محمد بن عبد الله، **المستدرك على الصحيحين**، ومعه تلخيص الذهبي، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ / ١٩٩٠، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا.

٢٣. ابن حبان، أبو حاتم، الدارمي، التميمي، ، البُستي، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، المتوفى: ٣٥٤هـ، **صحيح ابن حبان** بترتيب ابن بلبان، واسم صحيح ابن حبان هو "**المسند الصحيح على التقاسيم والأنواع من غير وجود قطع في سندها ولا ثُبوت جرح في ناقليها**"، [مقدمة المحقق،١/٣٤]، المحقق: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الثانية، هـ١٤١٤ - ١٩٩٣م،

٢٤. ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل، أحمد بن علي ،٧٧٣-٨٥٢هـ، **فتح الباري في شرح صحيح البخاري**، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩هـ.

٢٥. حسان، محمد، **خطب الشيخ محمد حسان**، دار ابن رجب، الطبعة الأولى١٤٢٦/٢٠٠٥م، مصر- المنصورة.

٢٦. أبو حمد، الدكتور رضا صاحب، **الخطوط الكبرى في الاقتصاد الإسلامي**، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان- الأردن، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

٢٧. ابن حنبل الشيباني، أبو عبد الله، الإمام أحمد بن محمد حنبل بن هلال بن أسد، ت ٢٤١هـ، **المسند**، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى (١٤١٦هـ/١٩٩٥م). تحقيق: أحمد شاكر.

٢٨. ابن حنبل، **المسند**، المحقق: الشيخ شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد ، وآخرون، إشراف: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى ، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١م.

٢٩. الحوالي، سفر بن عبدالرحمن، **العلمانية**، الدار السلفية للنشر والتوزيع، حولّي- الكويت، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م.

٣٠. الخالدي، الدكتور محمود، **مفهوم الاقتصاد في الإسلام**، مكتبة الرسلة الحديثة، سلسلة دراسات من أجل فهم صحيح للإسلام، الطبعة الأولى١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

٣١. خطاب، اللواء الرّكن محمود شيت، **بين العقيدة والقيادة**، دار القلم - دمشق، الدار الشامية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨م، ص٦٣.

٣٢. الخطابي، أبو سليمان، حمد بن محمد البُستي، ت ٣٨٨هـ، **معالم السنن شرح سنن أبي داود**، مطبعة المدني، المؤسسة السعودية-مصر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

٣٣. خلاف، عبدالوهاب، **علم أصول الفقه**، مراجعة: محمد عبدالسلام محمد، دار ابن الهيثم، القاهرة- مصر، الطبعة الأولى،١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.

٣٤. أبو خليل، الدكتور شوقي، **أطلس الحديث النبوي**، دار الفكر المعاصر، بيروت- لبنان، دار الفكر، دمشق- سورية، الطبعة الأولى١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.

٣٥. الدارمي، عبدالله بن عبدالرحمن السمرقندي(١٨١-٢٥٥هـ)، **السنن**، دار الحديث، مصر- القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، حققه وخرج أحاديثه: الأستاذ سيد إبراهيم، والأستاذ علي محمد علي، ضبط أصوله وفهرسه الدكتور مصطفى الذهبي.

٣٦. أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني،٢٠٢-٢٧٥هـ، **السنن**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، تعليقات كَمَال يوسُفْ الحوُت، والأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها.

٣٧. الذهبي، الإمام شمس الدين، محمد بن أحمد بن عثمان، ت٧٤٨هـ/١٣٧٤م، **سير أعلام النبلاء**، أشرف على تحقيق الكتاب: شعيب الأرنؤوط، حقق هذا الجزء(الحادي عشر): صالح السر، الطبعة الحادية عشر، ١٤٢٢ه/٢٠٠١م

٣٨. الذهبي، الدكتور محمد حسين[معاصر]، **أثر إقامة الحدود في استقرار المجتمع**، تحقيق: بديع السيد اللحام، دار الهجرة، دمشق- سوريا، وبيروت- لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٨ هـ/١٩٨٧م.

٣٩. ابن رجب، الإمام الحافظ زين الدين، أبو الفرج، البغدادي ثم الدمشقي، عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي الدمشقي،٧٣٦- ٧٩٥هـ، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، دار ابن الجوزي - السعودية / الدمام - ١٤٢٢هـ، الطبعة: الثانية، تحقيق: أبو معاذ طارق بن عوض الله بن محمد،

٤٠. ابن رجب، **لطائف المعارف**، تحقيق: محمد السيد، دار الفجر القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

٤١. رضا، محمد رشيد بن علي، ت١٣٥٤هـ، **تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م، ٢٧٤/١٠.

٤٢. الزرقا، أحمد بن محمد، ولد١٢٨٥هـ- وتوفي١٣٥٧هـ، تصحيح وتعليق: مصطفى الزرقا (ابن المؤلف)-رحمه الله تعالى، **شرح القواعد الفقهية**، الطبعة الرابعة١٤٧١هـ/١٩٩٦م، دار القلم، سورية-دمشق، والدار الشامية، لبنان- بيروت، ودار جدة- المملكة العربية السعودية.

٤٣. أبو زهرة، محمد، **تنظيم الإسلام للمجتمع**، مصر- القاهرة، الطبعة الأولى١٩٦٥م.

٤٤. زويلف، الدكتور مهدي حسن، **تخطيط القوى العاملة بين النظرية والتطبيق**، مكتبة الرسالة الحديثة، الطبعة الأولى١٩٨٣م.

٤٥. زيدان، الدكتور عبدالكريم، **أحكام الذميين والمستأمنين في دار الإسلام**، وهو رسالته في الدكتوراه عام١٩٦٢م، وقد نالها بمرتبة الشرف الأولى من كلية الحقوق بجامعة القاهرة، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان، ومكتبة القدس، بغداد- العراق، الطبعة الثانية١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، وهو مرجع هام في موضوعه.

٤٦. زيدان، الدكتور عبد الكريم، **السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية**، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، الطبعة الثالثة ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

٤٧. زيدان، الدكتور عبدالكريم، **الوجيز في شرح القواعد الفقهية في الشريعة الإسلامية**، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، الطبعة الخامسة، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م .

٤٨. الزيلعي، جمال الدين، أبو محمد، الحنفي، عبدالله بن يوسف بن محمد، ت ٧٦٢هـ، **نصب الراية لأحاديث الهداية**، المحقق: محمد عوامة، مؤسسة الريان للطباعة والنشر - بيروت - لبنان، ودار القبلة للثقافة الإسلامية- جدة - السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م

٤٩. السباعي، الدكتور مصطفى، **نظام السلم والحرب في الإسلام**، دار الوفاق للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية١٤١٩هـ/١٩٩٨م، المملكة العربية السعودية- الرياض.

٥٠. السرجاني، الدكتور راغب، **أخلاق الحروب في السنة النبوية**، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، مصر- القاهرة، الطبعة الثانية ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.

٥١. ابن سعد ، أبو عبدالله، البصري، الزهري، محمد بن سعد بن منيع، ت٢٣٠هـ، **الطبقات الكبرى**، دار صادر- بيروت، المحقق: إحسان عباس، دار صادر- بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٦٨م

٥٢. سلام، الدكتور سيد أحمد جمعة، **المنهج القرآني في مجادلة أهل الكتاب**، مكتبة جزيرة الورد، ومكتبة الإيمان، مصر- المنصورة، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، والكتاب رسالة دكتوراه، عالج موضوع الحوار مع أهل الكتاب في القديم والحديث.

٥٣. السندي؛ ت١٠٣٨، **كفاية الحالجة في شرح سنن ابن ماجه**، وهو بحاشية السنن، تحقيق: ياسر رمضان ومحمد عبدالله، دار ابن الهيثم، جمهورية مصر العربية، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

٥٤. السهيلي، عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد، ت ٥٨١ هـ، **الروض الأنف في شرح غريب السير**.

٥٥. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، ت٩١١هـ، **مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة**، المدينة المنورة- المملكة العربية السعودية، الجامعة الإسلامية، الطبعة الثالثة، ١٣٩٩هـ.

٥٦. السيوطي، **تاريخ الخلفاء**، مطبعة السعادة- مصر،الطبعة الأولى، ١٣٧١هـ/١٩٥٢م، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، الطبعة الأولى.

٥٧. الشاطبي اللخمي الغرناطي المالكي، أبو إسحاق، إبراهيم بن موسى، ت٧٩٠هـ، **الموافقات في أصول الشريعة**، حققه: إبراهيم رمضان، دار المعرفة، بيروت-لبنان، ١٤١٧ هـ/١٩٩٧م.

٥٨. ابن شبة، النميري، البصري، أبو زيد، عمر بن شبه، ١٧٣ هـ - ٢٦٢ هـ، **تاريخ المدينة النبوية**، دار الفكر، تحقيق: فهيم محمد شلتوت.

٥٩. شبير، محمد عثمان، **القواعد الكلية والضوابط الفقهية**، دار الفرقان، عمان-الأردن، الطبعة الأولى١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

٦٠. شمس الحق العظيم آبادي، الصديقي، أبو الطيب، محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر، ت١٣٢٩هـ، **عون المعبود شرح سنن أبي داود**، ومعه حاشية ابن القيم: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٥ هـ.

٦١. الشوكاني، الصنعاني، أبو عبدالله، محمد بن علي بن محمد، ولد١١٧٣هـ- وتوفي١٢٥٠هـ، **نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار**، إدارة الطباعة المنيرية، مع الكتاب: تعليقات يسيرة لمحمد منير الدمشقي.

٦٢. الصلاّبي، الدكتور علي محمد محمد[كذا]، **فصل الخطاب في سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب شخصيته وعصره**، دار الفجر، مصر- القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

٦٣. الصلاّبي، **تبصير المؤمنين بفقه النصر والتمكين في القرآن الكريم**، دار الفجر، القاهرة- مصر، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

٦٤. الصنعاني، الأمير ، محمد بن إسماعيل، المتوفى : ١١٨٢هـ، **سبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام**، اعتنى به نشأت كمال، وأحاديث الكتاب مخرَّجة من كتب الألباني، دار البصيرة، الإسكندرية، **الطبعة الأولى**٢٠٠٢م.

٦٥. الطبري، أبو جعفر، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي ٢٢٤ – ٣١٠هـ، **جامع البيان في تفسير القرآن**، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧هـ.

٦٦. الطبري، **تاريخ الأمم والملوك**، دار الكتب العلمية، لبنان – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.

٦٧. ابن عاشور التونسي، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر، ت١٣٩٣هـ، **التحرير والتنوير المعروف (بتفسير ابن عاشور)**، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

٦٨. أبو عامر، عبدالرحمن عبد السلام، **أضواء على النظام الاجتماعي في الإسلام**، مكتبة الرشد، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

٦٩. أبو عبيد، القاسم بن سلام، ت ٢٢٤هـ، **الأموال**، المحقق: خليل محمد هراس، دار الفكر، لبنان – بيروت.

٧٠. عبيدات، الدكتور سليمان أحمد، **دراسة في عادات وتقاليد المجتمع الأردني**، الجامعة الأردنية، كلية التربية، مؤسسة مصري للتوزيع، طرابلس-لبنان، د.ت.

٧١. العسيري، أحمد معمور، **موجز التاريخ الإسلامي منذ عهد آدم عليه السلام (تاريخ ما قبل الإسلام) إلى عصرنا الحاضر**، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م.

٧٢. عقلة، الدكتور محمد، **نظام الأسرة في الإسلام**، مكتبة الرسالة الحديثة، عمان- الأردن، الطبعة الثانية،١٤١١ هـ/١٩٩٠م.

٧٣. عقلة، الدكتور محمد، **الإسلام حقيقته وموجباته**، مكتبة الرسالة الحديثة، الأردن- عمان، الطبعة الأولى١٤٠٣هـ/١٩٨٢م .

٧٤. عقلة، الدكتور محمد، **الإسلام مقاصده وخصائصه**، مكتبة الرسالة الحديثة، الأردن- عمان، الطبعة الثانية، ١٤١١هـ/١٩٩١م.

٧٥. العلي، ياسر لطفي، **أرض الله**، تقديم: عبدالرحمن الحاج، مؤسسة الرسالة ناشرون، الطبعة الأولى١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

٧٦. عمر، الدكتور أحمد مختار، بمساعدة فريق عمل، **معجم الصواب اللغوي دليل المثقف العربي**، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨م.

٧٧. العمري، أكرم ضياء، **السيرة النبوية الصحيحة، محاولة لتطبيق قواعد المحدثين في نقد روايات السيرة النبوية**، مكتبة العبيكان، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثامنة، وهي الطبعة الأولى الخاصة بمكتبة العبيكان،١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، ١/٢٧٢-٢٩٨.

٧٨. عوض، الدكتور أحمد عبده، **حقوق الإنسان بين الإسلام والغرب بين النظرية والتطبيق دراسة مقارنة**، الطبعة الأولى١٤٣٠هـ/٢٠١٠م. دار ألفا للنشر والتوزيع.

٧٩. عياض، القاضي اليحصبي، أبو الفضل، ابن موسى بن عياض، ٥٤٤ هـ، **إكمال المعلم بفوائد مسلم**، _وهو شرح صحيح مسلم-، تحقيق: الدكتور يحيى إسماعيل، دار الوفاء، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

٨٠. العيني، بدر الدين، أبو محمد، محمود بن أحمد، **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، إشراف ومراجعة: صدقي جميل العطار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

٨١. أبو غدة، عبدالفتاح،١٣٣٦هـ-١٤١٧هـ، **قيمة الزمن عند العلماء**، أشرف على إخراجه: سلمان بن عبدالفتاح أبوغدة، دار البشائر الإسلامية، بيروت -لبنان، الطبعة الثالثة عشر١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

٨٢. الغزالي، الإمام أبو حامد، محمد بن محمد بن محمد، ت٥٠٥هـ ، **فضائح الباطنية**، الناشر: مؤسسة دار الكتب الثقافية – الكويت، تحقيق: عبد الرحمن بدوي.

٨٣. الغزالي، الإمام أبو حامد، ت٥٠٥هـ، **إحياء علوم الدين**، دار المعرفة – بيروت.

٨٤. الغزالي [معاصر]، محمد، **خلق المسلم**، الطبعة الواحة والعشرون١٤٣١هـ /٢٠١٠م، دار القلم، دمشق، والدار الشامية-بيروت.

٨٥. الغزالي، محمد[معاصر]، **الإسلام والطاقات المعطلة**، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، مصر-القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م.

٨٦. الغضبان، الدكتور منير محمد، **المنهج الحركي للسيرة النبوية**، مصر-المنصورة، الطبعة السادسة عشر، ١٤٢٩هـ /٢٠٠٦م.

٨٧. أبو فارس، الدكتور محمد عبد القادر، **السيرة النبوية دراسة تحليلية**، دار الفرقان، الأردن- عمان، الطبعة الثانية، ١٤٢٢٨هـ/٢٠٠١م

٨٨. الفراهيدي، أبو عبد الرحمن، الخليل بن أحمد،١٠٠-١٧٥هـ، **العين**، دار إحياء التراث، بيروت- لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٢٦هـ /٢٠٠٥م.

٨٩. الفيروز أبادي، مجد الدين، محمد بن يعقوب، **القاموس المحيط**، مكتبة الإيمان، مصر – المنصورة، الطبعة الأولى(١٤٣٠هـ/٢٠٠٩.

٩٠. الفيومي، أبو العباس أحمد بن محمد بن علي المُقري، **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، توزيع شركة القدس، الطبعة الأولى١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

٩١. القرضاوي، الدكتور يوسف، **شريعة الإسلام صالحة للتطبيق في كل زمان ومكان**، مكتبة وهبة، مصر– القاهرة، الطبعة الخامسة،١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

٩٢. القرضاوي، الدكتور يوسف، **غير المسلمين في المجتمع الإسلامي**، مكتبة وهبة، مصر– القاهرة، الطبعة الرابعة،١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م.

٩٣. القرضاوي، **فقه الزكاة، دراسة مقارنة لأحكامها وفلسفتها في ضوء القرآن والسنة**، مؤسسة الرسالة، الطبعة السابعة، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م،

٩٤. القرضاوي، **في فقه الأولويات، دراسة جديدة في ضوء القرآن والسنة**، مكتبة وهبة، مصر– القاهرة، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

٩٥. القرطبيُّ، الأنصاريُّ، أبو العبَّاس، أحمَدُ بنُ أبي حَفْصٍ عُمَرَ بنِ إبراهيمَ الحافظ، ٥٧٨–٦٥٦هـ، **المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم**، حققه وعلّق عليه وقدم له: محيي الدين مستو، وأحمد محمد السيد، ويوسف علي بديوي، ومحمود إبراهيم بزال، دار ابن كثير، ودار الكلم الطيب، دمشق، وبيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

٩٦. القرطبي، الخزرجي، شمس الدين، الأنصاري، أبو عبد الله: محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح، ت ٦٧١ هـ، **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق: سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض– المملكة العربية السعودية، الطبعة : ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٣ م.

٩٧. القرعاوي، محمد بن عبدالعزيز السليمان، **الجديد في شرح كتاب التوحيد**، دراسة وتحقيق: محمد بن أحمد سيد أحمد، مكتبة السوادي، جدة-المملكة العربية السعودية، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

٩٨. القرني، عائض بن عبدالله، **لا تحزن**، دار ابن حزم، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، بيروت-لبنان.

٩٩. قريشي، الأستاذ الدكتور عمر بن عبدالعزيز، **سماحة الإسلام**، وهو رسالة دكتوراه، تقديم: الدكتور عبدالرحمن العشماوي، والدكتور عائض القرني، الطبعة الأولى١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، مكتبة الأديب، السعودية- الرياض، والذهبية للنشر والترجمة، مصر- المنصورة.

١٠٠. قطب، الأستاذ سيد، **في ظلال القرآن**، دار الشروق، القاهرة وبيروت، الطبعة الشرعية الرابعة والثلاثون، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

١٠١. قطب، الأستاذ سيد، **نحو مجتمع إسلامي**، دار الشروق، الطبعة الثالثة عشرة٢٠٠٨م، القاهرة- مصر.

١٠٢. قطب، الأستاذ سيد، **معالم في الطريق**، دار الشروق، بيروت- لبنان، الطبعة الشرعية العاشرة.

١٠٣. قطب، الأستاذ سيد، **خصائص التصور الإسلامي ومقوماته**، دار الشروق، الطبعة الشرعية الخامسة عشر، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

١٠٤. قطب، الأستاذ محمد، **مكانة التربية في العمل الإسلامي**، دار الشروق، مصر-القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

١٠٥. قطب، الأستاذ محمد، **واقعنا المعاصر**، مؤسسة المدينة للصحافة والطباعة والنشر، المملكة العربية السعودية-جدة، الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م.

١٠٦.القلقشندي، أحمد بن علي، **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، تحقيق: الدكتور يوسف علي طويل، دار الفكر- دمشق، الطبعة الأولى،١٩٨٧م.

١٠٧.ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، ت٧٥١، **زاد المعاد في هَدْي خير العباد**، حقق نصوصه وخرّج أحاديثه وعلّق عليه: شعيب الأرنؤوط، وعبدالقادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

١٠٨.ابن قيم الجوزية، **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، دار الكتاب العربي، لبنان – بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م، تحقيق: محمد حامد الفقي.

١٠٩.ابن القيم، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية ٧٥١ هـ، **أحكام أهل الذمة**، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، الطبعة : الثانية ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢م.

١١٠.ابن قيم، **الفروسية**، دار الأندلس، السعودية- حائل، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م، تحقيق: مشهور بن حسن بن محمود بن سلمان، ص١٩٢.

١١١.ابن قيم، الزرعي، أبو عبد الله، محمد بن أبي بكر أيوب، **زاد المعاد في هدي خير العباد**، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، الطبعة الرابعة عشر، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٦م، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط.

١١٢.الكتاني، الإدريسي، الحسني، الفاسي، محمد عبد الحي(١٣٠٥هـ/١٨٨٨م- ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م)، نظام الحكومة النبوية المسمى: التراتيب الإدراية، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت.

١١٣.ابن كثير، الإمام القرشي، الدمشقي ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، ٧٠٠-٧٧٤هـ، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق سامي بن محمد السلامة، دار طيبة، الطبعة الثانية(١٤٢٠هـ/١٩٩٩م)، المملكة العربية السعودية.

١١٤.ابن كثير، **البداية والنهاية**، حققه ودقق أصوله وعلق حواشيه: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ /١٩٨٨ م.

١١٥.ابن كثير، **السيرة النبوية**، تحقيق: مصطفى عبدالواحد ١٣٩٦هـ/ ١٩٧١م، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان.

١١٦.ابن كثير، **قصص الأنبياء**، طبعة جديدة محتوية على تعليقات الشيخ الألباني، مكتبة الصفا، مصر– القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

١١٧.اللجنة الإسلامية العالمية للمرأة والطفل، المجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة، **ميثاق الأسرة في الإسلام**، المملكة الأردنية الهاشمية–عمان، جمعية العفاف، ٢٠٠٨م.

١١٨.ابن ماجه، الإمام أبو عبدالله القزويني، محمد بن يزيد، **السنن**، دار الفكر، لبنان– بيروت، تحقيق وتعليق: محمد فؤاد عبد الباقي، والأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها.

١١٩.مالك الأصبحي، الإمام، أبوعبدالله، ابن أنس،١٧٩هـ، **الموطأ**، رواية يحيى الليثي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي – مصر.

١٢٠.الماوردي، البصري البغدادي أبو الحسن، علي بن محمد بن حبيب، ٤٥٠هـ، **الأحكام السلطانية والولايات الدينية**، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان.

١٢١.المبارك، الدكتور محمد، **نظام الإسلام الاقتصاد مبادئ وقواعد**، الأسس العقائدية والأخلاقية، دار الفكر، بيروت– لبنان، الطبعة الثالثة ١٤٠١هـ/١٩٨١م

١٢٢.المباركفوري، أبو العلا، محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم ، **تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي**، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت–لبنان،١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ضبط وتوثيق: صدقي محمد جميل العطار،

١٢٣. المرعي، الدكتور مرعي بن عبدالله، **أحكام المجاهد بالنفس في سبيل الله عز وجل في الفقه الإسلامي**، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ودار العلوم والحكم، سوريا، الطبعة الأولى١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.

١٢٤.المروزي، الإمام محمد بن نصر، ت٣٩٤هـ، **تعظيم قدر الصلاة**، ضبط نصوصه الأستاذ أحمد أبو المجد، دار العقيدة، مصر- الإسكندرية، والقاهرة، الطبعة الأولى١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.

١٢٥.مسلم، الإمام القشيري النيسابوري، أبو الحسين، ابن الحجاج بن مسلم،**[الصحيح] الجامع الصحيح المسمى: صحيح مسلم**، دار إحياء التراث العربي، لبنان - بيروت، تحقيق وتعليق: محمد فؤاد عبد الباقي.

١٢٦.المصلح، الدكتور عبدالله، وفيقه الدكتور صلاح الصاوي، **ما لا يسع التاجر جهله**، دليل المستثمر إلى الأحكام الشرعية للمعاملات الاقتصادية المعاصرة، السعودية- الرياض،١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

١٢٧.ابن منظور، أبو الفضل، جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري، **لسان العرب**، دار صادر بيروت، الطبعة الأولى٢٠٠٠هـ.

١٢٨.الموصلي، أبو يعلى، أحمد بن علي بن المثُنى الموصلي (المتوفى : ٣٠٧هـ)، **المسند**، طبعة دار المأمون للتراث.

١٢٩.مولوي، الشخ فيصل-المستشار في المحكمة الشرعية السُنية العليا في بيروت، **الأُسس الشرعية للعلاقات بين المسلمين وغير المسلمين**، الطبعة الثانية، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، دار الرشاد الإسلامية، بيروت- لبنان، سلسلة الفقه الحركي في بلاد الاغتراب.

١٣٠.الندوة العالمية للشباب الإسلامي[تأليف]، إشراف وتخطيط ومراجعة: د. مانع بن حماد الجهني، **الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة**، الناشر: دار الندوة العالمية، الطبعة الخامسة،١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، الرياض- المملكة العربية السعودية.

١٣١. النسائي، أبو عبد الرحمن، أحمد بن شعيب، **السنن**، مكتب المطبوعات الإسلامية، سورية -حلب، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦ تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة، الأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها.

١٣٢.نعمان ثابت، **العسكرية في عهد العباسيين**، راجعه وقدّم له وعلّق عليه: اللواء الركن حامد أحمد الورد، العراق، بغداد، مديرية المطابع العسكرية.

١٣٣.أبو نُعيم الأصبهاني، الإمام، أحمد بن عبدالله، ٣٣٦-٤٣٠هـ، **صفة النفاق ونعت المنافقين**، تقديم وتحقيق: الدكتور عامر حسن صبري، دار البشائر الإسلامية، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، بيروت- لبنان.

١٣٤.أبو نعيم، الأصبهاني، **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٥هـ.

١٣٥.النووي، الإمام، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري، ٦٣١-٦٧٦هـ، **رياض الصالحين**، راجعه وأشرف على تحقيقه الدكتور عبد العظيم بدوي، دار ابن رجب، الطبعة الأولى١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

١٣٦.النووي، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، دار إحياء التراث العربي- بيروت، الطبعة الثانية ، ١٣٩٢هـ.

١٣٧.الهاشمي، أ.د عابد توفيق، **الإسلام ينظم الحياة ويحكم موازين التكيف**، دار القلم، الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

١٣٨.هدايات، سور حمن(كذا الاسم)، **التعايش السلمي بين المسلمين وغيرهم داخل دولة واحدة**، إشراف الأستاذ الدكتور: محمد عبدالرحمن مندور، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، القاهرة- مصر، وهو رسالة ماجستير في السياسة الشرعية من جامعة الأزهر بمرتبة الشرف الأولى.

١٣٩.ابن هشام، المعافري الحميري أبو محمد، عبد الملك بن هشام بن أيوب، ت ٢١٣هـ، **السيرة النبوية**، المحقق: طه عبد الرعوف سعد، دار الجيل – بيروت، الطبعة : الأولى، ١٤١١هـ.

١٤٠.الهلالي، مجدي، **الإيمان أولاً فكيف نبدأبه؟**، الطبعة الأولى١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، دار التوزيع والنشر الإسلامية، مصر-القاهرة.

١٤١.أبو يحيى، الدكتور، محمد حسن، **أهداف التشريع الإسلامي**، دار الفرقان، الأردن-عمان، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

المجلات الدورية ومواقع الإنترنت والموسوعة الشاملة

١. أقلاينة، المكي، **النظم التعليمية عند المحدثين في القرون الثلاثة الأولى**، كتاب الأمة سلسلة فصلية تصدر عن وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، قطر، رقم٣٤، الطبعة الأولى،١٤١٣هـ.

٢. البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر، فتوح البلدان، من الموسوعة الشاملة.

٣. السوالمة، الأستاذ الدكتور عبدالله مرحول، **حديث المخلَّفين الثلاثة والعبر التربوية المستفادة منه**، المملكة العربية السعودية، الرياض، جامعة الملك سعود،١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

٤. شحادة، المقدم تامر، مدير الإدارة، **الادارة العامة للتدريب بالشرطة**، الضبط والربط العسكري، الموقع www.gca.gov.ps.

٥. الشحود، علي بن نايف، **المفصل في شرح حديث**:" من بدل دينه فاقتلوه"، -من الموسوعة الشاملة-.

٦. الشحود، علي بن نايف، **موسوعة البحوث والمقالات العلمية**، - من الموسوعة الشاملة-.

٧. الشحود، **الحضارة الإسلامية بين أصالة الماضي وآمال المستقبل**، من الموسوعة الشاملة.

٨. الشحود، علي بن نايف، موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة، من الموسوعة الشاملة.

٩. الشريف، محمد بن شاكر، **مقدمة في فقه النظام السياسي الإسلامي**، من الموسوعة الشاملة.

١٠. العليمي، أحمد بن محمد، **الانضباط والطاعة وأثرهما التربوي**، طبعته دار ابن حزم، بيروت-لبنان،الطبعة الأولى (١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م)، إصدارات مركز التفكير الإبداعي (٨٩) السلسلة التربوية (١٦).

١١. المدني: الرائد خالد، **الضبط العسكري والقيم**، الموقع: www.png.plo.

١٢. ابو النور، العميد أنور خلف، مساعد المفوض السياسي للشئون العسكرية، المفوض السياسي للامن الوطني،٢٠١٠م، الموقع عبر الانترنت: **www.png.plo.ps**.

١٣. الواقدي، **الأَسْلَمِيُّ**، مُحَمَّد بن عُمَر بن واقد ، ٢٠٧ هـ، **المغازي**، الموسوعة الشاملة.

١٤. ول ديوارنت، **قصة الحضارة**، الكتاب ضمن المجموعة الشاملة، قسم الكتب الإسلامية العامة

Abstract

Abu Ayyash. Mohammad Ahmad. Discipline in the Light of the Prophets' Sunnah- objective study

Phd Dissertation. Yarmouk University. ٢٠١٣ Supervisor (Prof. Mohammad Ali Qasem Al-omari).

The purpose of this study is to explain an important principle in Islam which is Discipline. The study contained its definition, importance, bases, its development, its domains as well as shading light on some wonderful models of Muslim's deals with others as it is based on the evaluation of any conflict and dealing with it with wisdom and tolerance.

The study provided evidences from Sunna showing the Islamic attention to raise Muslims on discipline through commanding the Muslim and directing him to follow the Shari orders through accurate application as well as by respecting order in all means. The study gave evidences from the bright Islamic history especially in the time of the four caliphs.

Moreover, the stood against all the misunderstandings accusing Islam with chaos and random manners in executing orders clarifying that all whom Moreover, stood against other misunderstanding accusing Islam to practice injustice against non-Muslims living in the Islamic state confirming that they enjoy justice and full citizenship rights.

The study concluded that Islam had arranged all the affairs of Muslims accurately with the careful attention to the rejection of chaos and arbitrarily in their lives. In the filed of religion Islam arranged the relationship with God and made it the first principle and the motive for all activities focusing on self-control. In other worships such a sprayers Muslims learn discipline through the time and performance of the prayers accurately.

The study explained that the Muslin in social relationships must learn and practice all respect for customs, habits and correct traditions as well as

controlling his emotions in all life fields especially in happy times and bad times.

Moreover, in these financial and economical deals he must invest in all times and give rights for its owners neglecting all forbidden and negative aspects, as he must take careful attention to the financial and military power but using it in a rightful manner to protect the religion, self, home and help weak people.

The study confirmed the need of preparing all competent people in all fields and using it in the suitable places with the confirmation of prorates by starting with the most important issue and downwards.

The study explained that Islam is a merciful global religion dealt fairly with others who lived under Islamic state with all freedom in their worships and keeping their privacy. Furthermore, they made social relationships with them through marriage and visi ts as well as exchanging gifts. They conducted agreements with the others in the fields of commercial transactions and living in cooperation and justice.

The study recommended the need that the scholars of the Islamic nation must lead the guidance towards God in order to present the brightest image of Islam and to be able to stand against all misunderstanding and accusations made by Western Scholars.